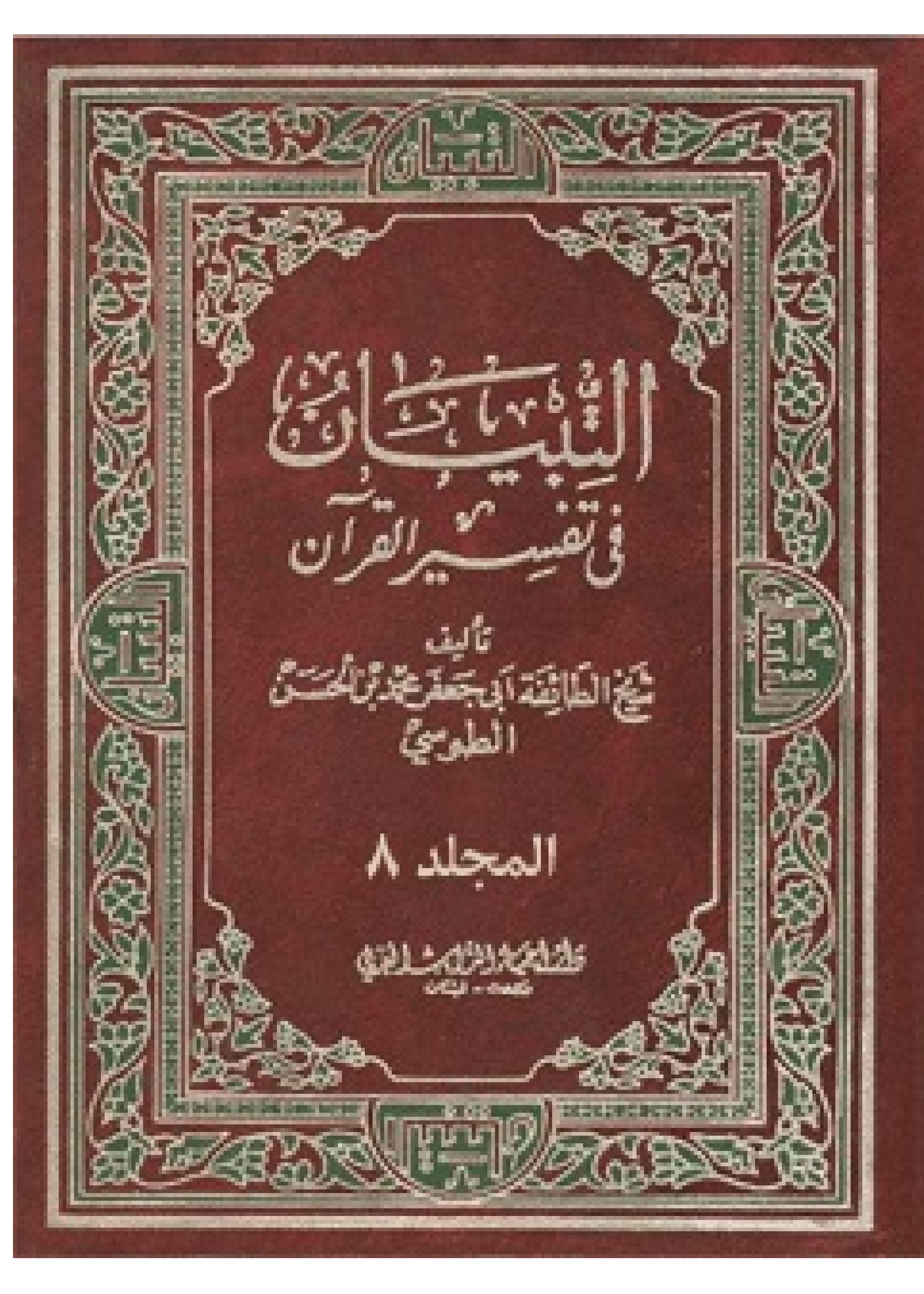

التبيان
في تفسير القرآن
تأليف
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن
الطوسي
المجلد ٨


بسم الله الرحمن الرحیم

التبيان فی تفسیر القرآن

کاتب:

محمدبن حسن طوسی

نشرت فی الطباعة:

موسسه النشر الاسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ۵

التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۸ ۱۴

اشارة ۱۴

المجلد الثامن ۱۵

سورة الشعراء ..... ص : ۳ ۱۵

اشارة ۱۵

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱ الی ۳] ..... ص : ۳ ۱۵

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۴ الی ۵] ..... ص : ۵ ۱۶

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۶ الی ۹] ..... ص : ۷ ۱۷

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۰ الی ۱۴] ..... ص : ۸ ۱۷

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۵ الی ۲۰] ..... ص : ۱۰ ۱۸

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۱۲ ۱۹

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۱۵ ۲۰

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۳۱ الی ۴۰] ..... ص : ۱۶ ۲۱

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۴۱ الی ۴۵] ..... ص : ۱۹ ۲۲

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۴۶ الی ۵۱] ..... ص : ۲۱ ۲۳

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۵۲ الی ۶۰] ..... ص : ۲۲ ۲۴

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۶۱ الی ۷۰] ..... ص : ۲۶ ۲۵

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۷۱ الی ۸۰] ..... ص : ۳۰ ۲۷

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۸۱ الی ۸۹] ..... ص : ۳۲ ۲۸

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۹۰ الی ۹۵] ..... ص : ۳۵ ۲۹

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۹۶ الی ۱۰۴] ..... ص : ۳۶ ۳۰

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۰۵ الی ۱۱۰] ..... ص : ۳۹ ۳۱

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۱۱ الى ۱۲۲] ..... ص : ۴۰ ----- ۳۲

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۲۳ الى ۱۳۱] ..... ص : ۴۳ ----- ۳۳

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳۲ الى ۱۴۰] ..... ص : ۴۵ ----- ۳۴

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۴۱ الى ۱۵۰] ..... ص : ۴۸ ----- ۳۵

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۵۱ الى ۱۵۹] ..... ص : ۵۰ ----- ۳۶

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۰ الى ۱۷۵] ..... ص : ۵۲ ----- ۳۸

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۶ الى ۱۹۱] ..... ص : ۵۶ ----- ۳۹

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۹۲ الى ۲۰۷] ..... ص : ۶۰ ----- ۴۱

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۰۸ الى ۲۲۰] ..... ص : ۶۵ ----- ۴۳

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۲۱ الى ۲۲۷] ..... ص : ۶۹ ----- ۴۵

۲۷-سورة النمل ..... ص : ۷۳ ----- ۴۶

اشارة ----- ۴۶

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۷۳ ----- ۴۶

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶ الى ۱۱] ..... ص : ۷۵ ----- ۴۷

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۲ الى ۱۵] ..... ص : ۷۹ ----- ۴۹

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۶ الى ۱۹] ..... ص : ۸۲ ----- ۵۱

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۰ الى ۲۶] ..... ص : ۸۵ ----- ۵۲

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۷ الى ۳۱] ..... ص : ۹۰ ----- ۵۵

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۳۲ الى ۳۵] ..... ص : ۹۲ ----- ۵۶

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۹۴ ----- ۵۶

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۹۷ ----- ۵۸

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۱۰۰ ----- ۵۹

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۱۰۳ ----- ۶۱

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۱۰۵ ----- ۶۱

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۱۰۸ ---- ۶۳
قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۱۱۱ ---- ۶۴
قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۱۱۳ ---- ۶۵
قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۷۶ الى ۸۰] ..... ص : ۱۵ ---- ۶۶
قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۸۱ الى ۸۵] ..... ص : ۱۱۸ ---- ۶۷
قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۸۶ الى ۹۳] ..... ص : ۱۲۱ ---- ۶۸
۲۸-سورة القصص ..... ص : ۱۲۷ ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
[سورة القصص (۲۸): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۱۲۷ ---- ۷۱
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۱۳۰ ---- ۷۲
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۱۳۳ ---- ۷۳
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۱۶ الى ۲۰] ..... ص : ۱۳۶ ---- ۷۵
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۱۳۹ ---- ۷۶
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۱۴۳ ---- ۷۸
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۱۴۷ ---- ۷۹
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۱۵۱ ---- ۸۱
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۱۵۴ ---- ۸۲
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۱۵۶ ---- ۸۳
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۱۶۰ ---- ۸۵
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۱۶۳ ---- ۸۶
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۱۶۶ ---- ۸۸
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۱۶۹ ---- ۸۹
قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۱۷۱ ---- ۹۰
قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۶ الى ۸۰] ..... ص : ۱۷۴ ---- ۹۱

قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۸۱ الى ۸۸] ..... ص : ۱۷۹ ----- ۹۴
۲۹-سورة العنكبوت ..... ص : ۱۸۵ ----- ۹۶
اشارة ----- ۹۶
[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۱۸۵ ----- ۹۶
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۱۸۸ ----- ۹۸
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۱۹۰ ----- ۹۹
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۱۶ الى ۲۰] ..... ص : ۱۹۲ ----- ۱۰۰
قوله تعالى: [سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۱۹۶ ----- ۱۰۱
قوله تعالى: [سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۲۰۰ ----- ۱۰۳
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۲۰۳ ----- ۱۰۴
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۲۰۷ ----- ۱۰۶
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۲۱۰ ----- ۱۰۷
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۲۱۳ ----- ۱۰۹
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۲۱۷ ----- ۱۱۱
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۲۲۰ ----- ۱۱۲
قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۱ الى ۶۶] ..... ص : ۲۲۲ ----- ۱۱۳
قوله تعالى: [سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۷ الى ۶۹] ..... ص : ۲۲۵ ----- ۱۱۵
۳۰- سورة الروم ..... ص : ۲۲۷ ----- ۱۱۵
اشارة ----- ۱۱۵
[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۲۲۷ ----- ۱۱۵
قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۲۳۰ ----- ۱۱۶
قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۱۱ الى ۲۰] ..... ص : ۲۳۳ ----- ۱۱۸
قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۲۳۹ ----- ۱۲۰
قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۲۴۴ ----- ۱۲۳

قوله تعالی: [سورة الروم (۳۰): الآیات ۳۱ الی ۳۵] ..... ص : ۲۴۸ ----- ۱۲۴

قوله تعالی:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۳۶ الی ۴۰] ..... ص : ۲۵۱ ----- ۱۲۶

قوله تعالی:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۴۱ الی ۴۵] ..... ص : ۲۵۵ ----- ۱۲۸

قوله تعالی:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۴۶ الی ۵۰] ..... ص : ۲۵۹ ----- ۱۲۹

قوله تعالی:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۵۱ الی ۵۵] ..... ص : ۲۶۲ ----- ۱۳۱

قوله تعالی:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۵۶ الی ۶۰] ..... ص : ۲۶۵ ----- ۱۳۲

۳۱-سورة لقمان ..... ص : ۲۶۸ ----- ۱۳۳

اشارة ----- ۱۳۳

[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۲۶۸ ----- ۱۳۳

قوله تعالی:[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۶ الی ۱۰] ..... ص : ۲۷۰ ----- ۱۳۴

قوله تعالی:[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۱۱ الی ۱۵] ..... ص : ۲۷۳ ----- ۱۳۵

قوله تعالی:[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۲۷۷ ----- ۱۳۷

قوله تعالی:[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۲۸۱ ----- ۱۳۹

قوله تعالی: [سورة لقمان (۳۱): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۲۸۳ ----- ۱۴۰

قوله تعالی:[سورة لقمان (۳۱): الآیات ۳۱ الی ۳۴] ..... ص : ۲۸۶ ----- ۱۴۱

۳۲-سورة السجدة ..... ص : ۲۹۱ ----- ۱۴۲

اشارة ----- ۱۴۲

[سورة السجده (۳۲): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۲۹۱ ----- ۱۴۳

قوله تعالی:[سورة السجده (۳۲): الآیات ۶ الی ۱۰] ..... ص : ۲۹۵ ----- ۱۴۴

قوله تعالی: [سورة السجده (۳۲): الآیات ۱۱ الی ۱۵] ..... ص : ۲۹۸ ----- ۱۴۶

قوله تعالی:[سورة السجده (۳۲): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۳۰۲ ----- ۱۴۸

قوله تعالی:[سورة السجده (۳۲): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۳۰۵ ----- ۱۴۹

قوله تعالی:[سورة السجده (۳۲): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۳۰۸ ----- ۱۵۰

۳۳-سورة الأحزاب ..... ص : ۳۱۱ ----- ۱۵۲

اشارة ۱۵۲
[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۳۱۱ ۱۵۲
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۶ الی ۱۰] ..... ص : ۳۱۶ ۱۵۴
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۱۱ الی ۱۵] ..... ص : ۳۲۱ ۱۵۶
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۳۲۴ ۱۵۷
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۳۲۷ ۱۵۹
قوله تعالی: [سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۳۳۱ ۱۶۱
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۳۱ الی ۳۵] ..... ص : ۳۳۶ ۱۶۳
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۳۶ الی ۴۰] ..... ص : ۳۴۲ ۱۶۵
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۴۱ الی ۴۸] ..... ص : ۳۴۶ ۱۶۸
قوله تعالی: [سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۴۹ الی ۵۰] ..... ص : ۳۵۰ ۱۶۹
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۵۱ الی ۵۵] ..... ص : ۳۵۳ ۱۷۰
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۵۶ الی ۶۰] ..... ص : ۳۵۹ ۱۷۳
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۶۱ الی ۶۵] ..... ص : ۳۶۱ ۱۷۴
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۶۶ الی ۶۹] ..... ص : ۳۶۳ ۱۷۵
قوله تعالی:[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۷۰ الی ۷۳] ..... ص : ۳۶۵ ۱۷۶
۳۴- سورة سبأ ..... ص : ۳۷۲ ۱۷۸
اشارة ۱۷۸
[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۳۷۲ ۱۷۹
قوله تعالی:[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۶ الی ۱۱] ..... ص : ۳۷۵ ۱۸۰
قوله تعالی:[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۱۲ الی ۱۵] ..... ص : ۳۸۱ ۱۸۳
قوله تعالی:[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۳۸۵ ۱۸۵
قوله تعالی:[سورة سبإ (۳۴): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۳۹۰ ۱۸۷
قوله تعالی: [سورة سبإ (۳۴): الآیات ۲۶ الی ۳۰] ..... ص : ۳۹۵ ۱۹۰

قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۳۹۶ ---- ۱۹۰
قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۳۹۹ ---- ۱۹۱
قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۴۰۲ ---- ۱۹۳
قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۴۰۵ ---- ۱۹۴
قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۵۱ الى ۵۴] ..... ص : ۴۰۷ ---- ۱۹۵
۳۵-سورة فاطر ..... ص : ۴۱۰ ---- ۱۹۶
اشارة ---- ۱۹۶
[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۴۱۰ ---- ۱۹۶
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۴۱۴ ---- ۱۹۸
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱۱ الى ۱۷] ..... ص : ۴۱۷ ---- ۱۹۹
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱۸ الى ۲۳] ..... ص : ۴۲۱ ---- ۲۰۱
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۲۴ الى ۲۶] ..... ص : ۴۲۴ ---- ۲۰۲
قوله تعالى: [سورة فاطر (۳۵): الآيات ۲۷ الى ۳۰] ..... ص : ۴۲۵ ---- ۲۰۳
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۴۲۸ ---- ۲۰۴
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۴۳۲ ---- ۲۰۶
قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۴۳۶ ---- ۲۰۷
۳۶-سورة يس ..... ص : ۴۴۰ ---- ۲۰۹
اشارة ---- ۲۰۹
[سورة يس (۳۶): الآيات ۱ الى ۱۰] ..... ص : ۴۴۰ ---- ۲۰۹
قوله تعالى: [سورة يس (۳۶): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۴۴۶ ---- ۲۱۲
قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۱۶ الى ۲۰] ..... ص : ۴۴۹ ---- ۲۱۳
قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۱ الى ۳۰] ..... ص : ۴۵۱ ---- ۲۱۴
قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۴۵۴ ---- ۲۱۵
قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۴۵۷ ---- ۲۱۷

قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۴۱ الی ۴۵] ..... ص : ۴۶۰ ----- ۲۱۸
قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۴۶ الی ۵۰] ..... ص : ۴۶۲ ----- ۲۱۹
قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۵۱ الی ۶۰] ..... ص : ۴۶۵ ----- ۲۲۰
قوله تعالی: [سورة یس (۳۶): الآیات ۶۱ الی ۶۵] ..... ص : ۴۶۹ ----- ۲۲۲
قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۶۶ الی ۷۰] ..... ص : ۴۷۱ ----- ۲۲۳
قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۷۱ الی ۷۵] ..... ص : ۴۷۴ ----- ۲۲۴
قوله تعالی:[سورة یس (۳۶): الآیات ۷۶ الی ۸۳] ..... ص : ۴۷۶ ----- ۲۲۵
۳۷-سورة الصافات ..... ص : ۴۸۰ ----- ۲۲۷
اشارة ----- ۲۲۷
[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص : ۴۸۰ ----- ۲۲۷
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۱ الی ۲۰] ..... ص : ۴۸۴ ----- ۲۲۹
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۲۱ الی ۳۰] ..... ص : ۴۸۸ ----- ۲۳۱
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۳۱ الی ۴۰] ..... ص : ۴۹۲ ----- ۲۳۳
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۴۱ الی ۵۰] ..... ص : ۴۹۴ ----- ۲۳۴
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۵۱ الی ۶۰] ..... ص : ۴۹۷ ----- ۲۳۵
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۶۱ الی ۷۰] ..... ص : ۵۰۰ ----- ۲۳۷
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۷۱ الی ۸۰] ..... ص : ۵۰۴ ----- ۲۳۸
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۸۱ الی ۹۰] ..... ص : ۵۰۶ ----- ۲۴۰
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۹۱ الی ۱۰۱] ..... ص : ۵۱۰ ----- ۲۴۲
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۰۲ الی ۱۱۱] ..... ص : ۵۱۵ ----- ۲۴۴
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۱۲ الی ۱۲۲] ..... ص : ۵۲۱ ----- ۲۴۷
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۲۳ الی ۱۳۲] ..... ص : ۵۲۳ ----- ۲۴۸
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۳۳ الی ۱۴۸] ..... ص : ۵۲۶ ----- ۲۴۹
قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۴۹ الی ۱۶۰] ..... ص : ۵۳۱ ----- ۲۵۲

قوله تعالی:[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۶۱ الی ۱۷۰] ..... ص : ۵۳۴ ---- ۲۵۳

قوله تعالی: [سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱۷۱ الی ۱۸۲] ..... ص : ۵۳۶ ---- ۲۵۴

۳۸-سورة ص ..... ص : ۵۴۰ ---- ۲۵۵

اشارة ---- ۲۵۵

[سورة ص (۳۸): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۵۴۰ ---- ۲۵۵

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۶ الی ۱۰] ..... ص : ۵۴۴ ---- ۲۵۷

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۱۱ الی ۱۵] ..... ص : ۵۴۶ ---- ۲۵۸

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۱۶ الی ۲۰] ..... ص : ۵۴۸ ---- ۲۵۹

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۲۱ الی ۲۵] ..... ص : ۵۵۰ ---- ۲۶۰

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۲۶ الی ۲۹] ..... ص : ۵۵۵ ---- ۲۶۲

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۳۰ الی ۴۰] ..... ص : ۵۵۸ ---- ۲۶۳

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۴۱ الی ۴۴] ..... ص : ۵۶۶ ---- ۲۶۷

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۴۵ الی ۵۴] ..... ص : ۵۶۹ ---- ۲۶۸

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۵۵ الی ۶۰] ..... ص : ۵۷۴ ---- ۲۷۱

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۶۱ الی ۶۵] ..... ص : ۵۷۶ ---- ۲۷۲

قوله تعالی: [سورة ص (۳۸): الآیات ۶۶ الی ۷۰] ..... ص : ۵۷۸ ---- ۲۷۳

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۷۱ الی ۷۵] ..... ص : ۵۸۰ ---- ۲۷۴

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۷۶ الی ۸۸] ..... ص : ۵۸۲ ---- ۲۷۵

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۷۶

التبیان فی تفسیر القرآن المجلد ۸

اشارهٔ

شماره بازیابی:۵-۷-۱۴۶-۱

سرشناسه:طوسی محمد بن حسن ۳۸۵-۴۶۰ق

عنوان و نام پدیدآور:التبیان فی تفسیر القرآن[نسخه خطی]/محمد بن الحسن الطوسی

وضعیت استنساخ :، صفر ۵۹۵ق.

آغاز، انجام، انجامه:آغاز:بسمله. الحمدلله الواحد...سوره و الصافات. مکیه فی قول قتاده و مجاهد و... لیس فیها ناسخ و لا منسوخ...

انجام:... و لو کان مامورا...دون التلاوه لما وجب ان یاتی بلفظه قل فی هذه المواضع کلها. تم الکتاب و الحمدلله رب العالمین.

انجامه:فرغ الحسین بن محمد بن عبدالقاهر بن محمد بن عبدالله بن یحیی بن الوکیل المعروف بابن الطو...من کتابه هذا الجزء الخامس لنفسه...عشر صفر من سنه خمس و تسعین و خمس مایه و صلی الله علی سیدنا محمد النبی و اهل بیته الطاهرین و سلم تسلیما کثیرا. بلغ المقابله جهد الطاقه اتانا جعفر و ابی یزید و ان محمد و علی سعید.

مشخصات ظاهری:گ ۴۰۰ - ۷۳۱، ۲۷ سطری

یادداشت مشخصات ظاهری:نوع و درجه خط:نسخ

نوع کاغذ:نخودی رنگ، آهار مهره

تزئینات متن: بعضی عناوین و علائم: قرمز

خصوصیات نسخه موجود:امتیاز:ابتدای کتابت این نسخه ربیع الاخر ۵۹۴ ق. و خاتمه ی کتابت صفر ۵۹۵ق. است.

حواشی اوراق:اندکی تصحیح با نشان" صح "دارد.

یادداشت های مربوط به نسخه:یادداشت هایی درباره تعداد اوراق و برگ های کتابت شده نسخه در برگ نخست است. هم چنین تذکری مبنی بر این که مذهب نویسنده معتزلی است ": فافهم ان هذا الکتاب مصنفه معتزلی فاحذر من توجیهه لمذهبه "در برگ ۴۰۰ دارد.

معرفی نسخه: اولین تفسیر مفصل شیعی است که متضمن علوم قرآن است و از قرائت، اعراب، اسباب نزول، معانی مختلفه، اعتقادات دینی، وجوه ادبی و نقل روایات از ائمه طاهرین و بقیه مفسران شیعه و سنی بحث می کند، در آغاز مقدمه مفصلی دارد در اهمیت قرآن و رد تحریف و تفسیر به رای، چگونگی نزول قرآن و نامهای قرآن، عدد کلمات و حروف و نقطه ها و جز آن. این نسخه جلد ۵ تفسیر از سوره صافات تا آخر قرآن است. این نسخه در لوح فشرده ای به شماره ۱۴۶، از نسخه های اهدایی" دایرهٔ المعارف بزرگ اسلامی "است که از" کتابخانه های یمن "تهیه شده است.

یاداشت تملک و سجع مهر:شکل و سجع مهر:مهر بیضی و مهر به شکل چشم با سجع ناخوانا در برگ ۴۰۴ دارد. مهر بیضی دیگری با سجع " جمال الدین الحسینی "(؟)در برگ ۴۰۰ دارد.

توضیحات نسخه:نسخه بررسی شده.اسکن از روی نسخه اصلی است. آثار جداشدگی اوراق از شیرازه، مرمت صحافی، لکه، رطوبت، شکنندگی لبه ها، پارگی در اوراق مشهود است. شماره گذاری دستی ۱-۳۲۸ دارد.

یادداشت کلی:زبان:عربی

عنوانهای دیگر:تفسیر تبیان

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۵ق.

شناسه افزوده:حسین بن محمد، قرن ۶ق. کاتب

المجلد الثامن

سورة الشعراء ..... ص : ۳

اشارة

قال قتادة هی مکیة.و قیل أربع آیات منها مدنیة من قوله «و الشعراء الی آخرها» و هی مائتان و سبع و عشرون آیة فی الکوفی و المدنی الاول و ست فی البصری و المدنی الآخر

[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱ الی ۳] ..... ص : ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم

طسم (۱) تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ (۲) لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلَّا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ (۳)

ثلاث آیات فی الکوفی خاصة. و اثنتان فی الباقی. و لم یعد «طسم» آیة إلا أهل الکوفة.

قرأ حمزة و الکسائی و خلف و یحیی و العلیمی «طسم، و طس» بامالة الطاء فیهما. الباقون بالتفخیم، و أظهر- النون من هجاء سین عند المیم- حمزة و أبو جعفر إلا أن أبا جعفر یقطع الحروف. الباقون یخفونها قال أبوا علی الفارسی:

تبیین النون من (طسم) علی قراءة حمزة هو الوجه، لأن حروف الهجاء فی تقدیر الانفصال و الانقطاع مما بعدها، و إذا ثبت ذلک وجب أن تبین النون التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴

لأنها تخفی إذا اتصلت بحرف من حروف الفم، فإذا لم یتصل بها، لم یکن هناک ما یوجب إخفاؤها. و وجه إخفائها مع هذه الحروف أن همزة الوصل قد وصلت و لم تقطع، و همزة الوصل إنما تذهب فی الدرج فکما سقطت همزة الوصل، و هی لا تسقط إلا فی الدرج مع هذه الحروف فی (الف لام میم) اللَّه، کذلک لا تبین النون، و یقدر فیها الاتصال بما قبلها، و لا یقدر الانفصال.

قیل إنما عد (طسم) آیة، و لم یعد (طس) لأن (طس) تشبه الاسم المنفرد، نحو (قابیل، و هابیل) و لیس کذلک (طسم). و وجه الشبه بالزنة أن أوله لا یشبه حروف الزیادة التی هی حروف المد و اللین، نحو (یس).

و لیس شیء علی وزن المفرد یعد إلا- (یاسین) لان الیاء تشبه حروف الزیادة فقد رجع الی انه لیس علی زنة المفرد. و قد بینا فیما مضی معانی هذه الحروف المقطعة فی أول سورة البقرة، فلا- نطول باعادته. و قد بینا قول من قال. إنها اسماء السور. و قال قتادة و الضحاک: ان (طسم، و طس) اسم من اسماء القرآن.

و قوله «تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ» انما أشار ب (تلک) الی ما لیس بحاضر لأنه متوقع، فهو کالحاضر بحضور المعنی للنفس، و تقدیره: تلک الآیات آیات الکتاب. و قیل: تلک الآیات التی وعدتم بها هی القرآن. و قیل: ان «تلک» بمعنی (هذا) و معنی (الکتاب) القرآن، و وصفه بأنه (المبین) لأن به تتبین الأحکام، لأن البیان اظهار المعنی للنفس بما یتمیز به عن غیره، و هو مأخوذ من البینونة، و هی التفرقة بین الشیء و غیره. فالمبین الذی یبین الحق من الباطل.

و سمی أیضاً فرقاناً، لأنه یفرق بین الحق و الباطل.

و قوله «لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلَّا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ» قیل فیه قولا: الأول- قال ابن عباس و قتادة: معناه لعلک قاتل نفسک. و الثانی قال ابن زید: مخرج التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵

نفسک من جسدک. و البخع القتل، قال ذو الرمة:

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر «۱»

و قـال ابن عبـاس معنى «أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» فيه أى فى القرآن و قال الفراء موضع (أن) نصب ب (باخع)، لان (أن) جزاء، كأنه قال: ان لم يكونوا مؤمنين فأنت قاتل نفسك، فلما كان ماضياً نصب (ان) كما تقول:

اتيك (أن) تأتينى، و لو لم يكن ماضياً لقلت: آتيك ان تأتنى، و لو كانت مجزومة مع كسر (ان) كان جائزاً، و مثله (لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ) «۲» بالفتح و الكسر.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۴ الى ۵] ..... ص : ۵

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ (۴) وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (۵)

آيتان بلا خلاف.

لمـا بين اللَّه تعـالى حرص النبى (ص) على إيمـان قومه، و اجتهاده بهم حتى كاد أن يقتل نفسه تأسـفاً على تركهم الايمان، أخبره بأنه قادر على أن ينزل عليهم آية و دلالة من السماء تظل أعناقهم لها خاضعة بأن تلجئهم الى الايمان، لكن ذلك نقيض الغرض بالتكليف، لأنه تعالى لو فعل ذلك، لما استحقوا ثواباً و لا مدحاً، لأن الملجأ لا يستحق الثواب و المدح على فعله، لأنه بحكم المفعول فيه. و قيل: المراد بالأعناق الرؤساء. و قال قتادة: المعنى لا يلوى أحد منهم

---

(۱) شرح ألفية بن مالك (المنادى) ۲۲۴

(۲) سورة ۵ المائدة آية ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۶

عنقه الى معصية. و قيل فى وجه جمع «خاضعين» بالياء و النون و هو صفة (الاعناق) و الاعناق لا تعقل، و هذا الجمع يختص بمن يعقل قيل فيه أربعة اقوال:

أحدها- فظل اصحاب الاعناق لها خاضعين، و حذف المضاف، و اقام المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثانى- أنه أراد بالأعناق الرؤساء و الجماعات، كما يقال جاءه عنق من الناس أى جماعة.

الثالث- ان يكون على الاقحام. قال ابو عبيدة، و المبرد «خاضعين» من صفة الهاء و الميم، فى قوله «أعناقهم» كما قال جرير:

أرى مرّ السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال «۱»

فعلى هذا يكون ترك الاعناق و أخبر عن الهاء و الميم، و تقديره فظلوا خاضعين لها و الاعناق مقحمة.

الرابع- أنها ذكرت بصفة من يعقل لما نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمززتها و الديك يدعو صياحه إذا ما بنوا نعش دنوا فتصوّبوا «۲»

و يروى نـادى صـباحه. ثم اخبر تعـالى عن هؤلاـء الكفار الـذين تأسف النبى (ص) على عـدولهم عن ايمانهم انه ليس يأتيهم ذكر من الرحمن يعنى القرآن، كما قال تعالى «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» «۳» و قال

---

(۱) ديوانه «دار بيروت» ۳۴۱

(۲) قائله النابغة الجعدى. اللسان (نعش) [.....]

(۳) سورة ۱۵ الحجر آية ۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۷

«إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ» «۱» و وصفه بأنه محدث، و لذلك جره، لأنه صفة ل (ذكر). و قوله «إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» أى يتولون عنه و لا ينظرون فيه.

قال الفراء: انما قال «فظلت» و لم يقل «فتظل» لأنه يجوز أن يعطف على مجزوم الجزاء ب (فعل) لان الجزاء يصلح فى موضع (فعل، يفعل) و فى موضع (يفعل، فعل) لأنك تقول: إن زرتنى زرتك و إن تزرنى أزرك، و المعنى واحد

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۶ الى ۹] ..... ص : ۷

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبؤُا ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۷) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۹)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم كذبوا بآيات اللَّه و جحدوا رسوله و أنه سيأتيهم فيما بعد، يعنى يوم القيامة «أَنْبؤُا ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ» و إنما خص المكذب بإتيان الأنباء، مع أنها تأتى المصدق و المكذب، من حيث أن المكذب يعلم بها بعد أن كان جاهلا، و المصدق كان عالماً بها، فلذلك حسن وعيد المكذب بها، لان حاله يتغير الى الحسرة و الندم. و الاستهزاء السخرية، و هو طلب الله و بما عند الطالب صغير القدر.

ثم قال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» هؤلاء الكفار «إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» من أنواع النبات، فيستدلوا على توحيده، بأن يعلموا أن ذلك

---

(۱) سورة ۳۶ يس آية ۶۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۸

لا يقدر عليه غيره، و لا يتأتى من سواه، ممن هو قادر بقدرة. لأنه لو تأتى من غيره لتأتى منا لأنا قادرون أيضاً بقدرة، فلما استحال منا علمنا استحالة ذلك ممن يجرى مجرانا، فإذاً الفاعل لذلك مخالف لنا، و انه قادر لنفسه.

ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره من إنبات النبات من كل زوج كريم، لدلالة لمن يستدل بها، و من يتمكن من ذلك، و إن اكثر الكفار لا يصدقون بذلك، و لا يعترفون به عناداً و تقليداً لاسلافهم، و حباً للراحة، و هرباً من مشقة التكليف و معنى «كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ» يعنى مما يأكل الناس و الانعام، فى قول مجاهد. و قيل:

من الشيء و مشاكله فى الانتفاع به. و قيل: من كل زوج كريم من انواع تكرم عند أهلها. و قيل: من كل نوع معه قرينه من أبيض و أحمر و أصفر. و حلو و حامض، و روائح و غير ذلك مختلفة. ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» الغنى القادر الذى لا يعجز و لا يغلب «الرَّحِيمُ» أى المنعم على عباده بأنواع النعم التى ذكرها.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰ الى ۱۴] ..... ص : ۸

وَ إِذْ نادى رَبُّكَ مُوسى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لا يَتَّقُونَ (۱۱) قالَ رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲) وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِي فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۱۴)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «وَ يَضِيقُ صَدْرِي، وَ لا يَنْطَلِقُ لِسانِي» بالنصب يعقوب، عطفاً على «أَنْ يُكَذِّبُونِ» الباقون- بالرفع- عطفاً على (أخاف) و يجوز أن يكون على التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۹

الاستئناف. و المعنى: و انى يضيق صدرى.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد (ص) و اذكر يا محمد الوقت الذى نادى فيه ربك- الذى خلقك- موسى، و معناه قال له: يا موسى، بأن ائت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى. ثم بين: من القوم الموصوفون بهذه الصفة؟

بان قال (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) و هو عطف بيان (ألا- يتقون) و إنما قال بالياء، لأنه على الحكاية. و تقديره: فقل لهم: ألا تتقون، و مثله (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ) «١» بالياء و التاء. و لو قرى بالتاء كان جائزاً، و التقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن: اتقى اللَّه يتقيه اتقاء أى اتقى عقابه بطاعته بدلا من معصيته، و أصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف و بينه.

ثم حكى ما قال موسى و جوابه، فانه قال يا (رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ) و لا يقبلون منى. و الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر، و نقيضه الامن و هو سكون النفس الى خلوص النفع، و نظير الخوف الفزع و الذعر و الجزع.

و التكذيب تصيير المخبر كاذباً باضافة الكذب اليه، كذبه تكذيباً و أكذبه إكذاباً و الكذب نقيض الصدق، و الكذب كله قبيح، و التكذيب على وجهين: فتكذيب الصادق قبيح، و تكذيب الكاذب حسن.

و قوله «وَ یَضِیقُ صَدْرِی وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی» حكاية أيضاً عما قال موسى، و ضيق الصدر غم يمنع من سلوك المعانى فى النفس، لأنه يمنع منه كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه. و قوله «وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی» أى لا ينبعث بالكلام

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٠

و قد يتعذر ذلك لآفة فى اللسان، و قد يتعذر لضيق الصدر، و غروب المعانى التى تطلب الكلام. و قوله «فَأَرْسِلْ إِلی هارُونَ» يعنى لمعاونتى، كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليك أى لتعيننا. و قيل: انما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة. «وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی» للعقدة التى كانت فيه. قال الجبائى: لم يسأل موسى ذلك إلا بعد أن أذن اللَّه تعالى له فى ذلك، لان الأنبياء لا يسألون اللَّه إلا ما يؤذن لهم فى مسألته.

و قوله «وَ لَهُمْ عَلَیَّ ذَنْبٌ» يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى حين استصرخ به واحد من أصحابه من بنى إسرائيل- ذكره مجاهد و قتادة- و قوله «فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ» بدل ذلك المقتول.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٥ الى ٢٠] ..... ص : ١٠

قالَ کَلاَّ فَاذْهَبا بِآیاتِنا إِنَّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِیا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِینَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِی إِسْرائِیلَ (١٧) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِینا وَلِیداً وَ لَبِثْتَ فِینا مِنْ عُمُرِکَ سِنِینَ (١٨) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَکَ الَّتِی فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْکافِرِینَ (١٩)
قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّینَ (٢٠)

ست آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى جواباً لموسى عما حكاه عنه (قال كلّا) لا يقتلونك (فاذهبا) و معنى (كلا) زجر أى لا يكون ذلك، و لا يقتلونك (فاذهبا) أمر لموسى و هارون على ما اقترحه موسى فأجيب اليه (فَاذْهَبا بِآیاتِنا) أى التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١١
بأدلتنا و معجزاتنا التى خصكما اللّه بها، و (إِنَّا مَعَکُمْ مُسْتَمِعُونَ) أى نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجرى بينكم، فهو (مستمع) فى موضع (سامع) لأن الاستماع طلب السمع بالاصغاء اليه، و ذلك لا يجوز عليه تعالى، و انما قال بهذا اللفظ، لأنه أبلغ فى الصفة، و أشد فى التعظيم- و اللَّه تعالى سامع بما يغنى عن مذكر مستمع- لينبئ عن هذا المعنى، و وصفه بسامع يغنى عن سماع الجماعة التى يقع سماعهم معاونة و إنما قال (مستمعون) بلفظ الجمع بناء على قوله (إنا) و أمرهما بأن يأتيا فرعون و أن يقولا لهِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِینَ)

أرسلنا اللَّه اليك لندعوك الى عبادته، و ترك الاشراك به، و انما قال (رسول) على التوحيد، و هو للاثنين، لأن المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين، و قد يكون الرسول فى معنى الجمع قال الهذلى:

الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «۱»

أى و خير الرسل. و قيل: إنه فى موضع رسالة، فكما يقع المصدر موقع الصفة كذلك تقع الصفة موقع المصدر. و الإرسال جعل الشيء ماضياً فى الامر، و مثله الإطلاق و البعث، و انشد فى ذلك:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول «۲»

أى برسالة، و قال الآخر:

ألا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها «۳»

فانثه تأنيث الرسالة. و قوله «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ» أى أمرك اللَّه بأن تطلق صراح بنى إسرائيل ليجيئوا معنا، و فى الكلام حذف و تقديره: إنهما مضيا الى فرعون، و قالا له ما أمرهم اللَّه به

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۹۳

(۲) مر هذا البيت فى ۱/ ۳۶۸

(۳) قائله عباس بن مرداس تفسير الطبرى ۱۹/ ۳۸ و القرطبى ۱۳/ ۹۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۲

فقال فرعون لموسى «أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً» فالتربية تنشئة الشيء حالا بعد حال: رباه بربيه، و مثله نماه ينميه نماه. و قوله «وليداً» أى حين كنت طفلا صغيراً «وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» أى أقمت سنين كثيرة عندنا، و مكثت.

و فى (عمر) ثلاث لغات- ضم الميم و إسكانها مع ضم العين، و فتح العين و سكون الميم. و منه قوله «لعمرك» «۱»، و عمر الإنسان بالفتح لا غير، و فى القسم أيضاً بالفتح لا غير.

و قوله «وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ» يعنى قتلك القبطى. و قرأ الشعبى «فعلتك» بكسر الفاء مثل الجلسة و الركبة، و هو شاذ لا يقرأ به.

و قوله «وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال بن زيد أنت من الجاحدين لنعمتنا.

الثاني- قال السدى أراد كنت على ديننا هذا الذى تعيبه كافراً باللَّه.

و قال الحسن: و أنت من الكافرين أى فى أنى إلهك. و قيل: من الكافرين لحق تربيتى، فقال له موسى (ع) فى الجواب عن ذلك «فعلتها» يعنى قتل القبطى «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» قال قوم: يعنى من الضالين أى من الجاهلين بأنها تبلغ القتل. و قال الجبائى «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن العلم بان ذلك يؤدى الى قتله.

و قال قوم: معناه «وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» عن طريق الصواب، لأنى ما تعمدته.

و انما وقع منى خطأ، كما يرمى انسان طائراً فيصيب إنساناً.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۱۲

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (۲۱) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ (۲۳) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (۲۵)

(۱) سورة ۱۵ الحجر آية ۷۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۳

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللّه تعالى حاكياً عن موسى أنه قال لفرعون: إنى فررت منكم لما خفتكم، فالفرار الذهاب على وجه التحرز من الإدراك، و مثله الهرب: فرَ يفر فراراً، و منه يفتر أى يضحك، لأنه يباعد بين شفتيه مباعدة الفرار.

و قوله «فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً» فالهبة الصلة بالنائل. وهب له يهب هبة فهو واهب، و استوهبه كذا إذا سأله هبته، و تواهبوا ما بينهم إذا أسقطوها عنهم على جهة الهبة. و الحكم العلم بما تدعو اليه الحكمة، و هو الذى وهبه اللّه تعالى لموسى من التوراة. و العلم بالحلال و الحرام و سائر الأحكام. و الخبر عما يدعو اليه الحكم ايضاً يسمى حكما. و الحكم- هاهنا- أراد به النبوة- فى قول جماعة من المفسرين- و قوله «وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ» أى جعلنى اللّه نبياً من جملة الأنبياء.

و قوله «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ان اتخاذك بنى إسرائيل عبيداً قد أحبط ذلك، و إن كانت نعمة علىّ.

الثانى- إنك لما ظلمت بنى إسرائيل. و لم تظلمنى عددتها نعمة علىّ؟! التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۴

و قيل قول ثالث- انه لا يوثق بأنها نعمة منك مع ظلمك بنى إسرائيل فى تعبيدهم، و فى كل ذلك دلالة و حجة عليه، و تقريع له.

و يجوز فى (أن) النصب بمعنى لتعبيدك بنى إسرائيل، و الرفع بالرد على النعمة أى على تعبيدك بنى إسرائيل. و التعبيد اتخاذ الإنسان أو غيره عبداً تقول عبدته و أعبدته بمعنى واحد، قال الشاعر:

علام يعبد فى قومى و قد كثرت فيهم أباعر ما شاءوا و عبدان «۱»

و قال الجبائى بين أنه ليس لفرعون عليه نعمة، لان الذى تولى تربيته أمه و غيرها من بنى إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم. و قال الحسن: أراد أخذت أموال بنى إسرائيل، و اتخذتهم عبيداً فأنفقت علىّ من أموالهم. فأراد أن لا يسوّغه ما امتن به عليه. و قال قوم: أراد أو تلك نعمة؟! مستفهماً و اسقط حرف الاستفهام.

و قوله تعالى (قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ) حكاية من اللّه أن فرعون قال لموسى أى شىء رب العالمين الذى تدعونى الى عبادته، لان هذا القول من فرعون يدل على ان موسى كان دعاه الى طاعة اللّه و عبادته. و قيل: ان فرعون عجب من حوله من جواب موسى، لأنه طلب منه أى أجناس الأجسام هو؟ جهلا منه بما ينبغى أن يسأل عنه، فقال موسى فى جوابه «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا» أى رب العالمين هو الذى اخترع السموات و الأرض و خلقهما، و خلق ما بينهما من الحيوان و الجماد و النبات «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» بذلك مصدقين به فقال فرعون- عند ذلك- لمن حوله من أصحابه «أَ لا تَسْتَمِعُونَ» أى ألا تصغون اليه، و تفهمون ما يقول معجباً لهم من قوله، حين عجز عن محاورته و مجاوبته

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۹۶ و الطبرى ۱۹/ ۴۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۵

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۱۵

قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۲۶) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۲۸) قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهَاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قال لما قال فرعون لمن حوله «أ لا تَسْتَمِعُونَ» الى قول موسى فانه يقول ربه رب العالمين الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما! معجباً لهم من قوله، قال موسى «ربكم» الذى خلقكم و يملك تدبيركم و خلق آباءكم الأولين، و ملك تدبيرهم، و تدبير جميع الخلق. و الاول الكائن قبل غيره و الآخر الكائن بعد غيره، و الكائن على صفة أول فى كونه على تلك الصفة، نحو الاول فى دخول الدار، فقال فرعون- عند ذلك حين لم يجد جواباً لكلام موسى- لقومه «إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» يموه عليهم، انى اسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبنى عن غير ذلك، كما يفعل المجنون. و الجنون داء يعترى النفس يغطى على العقل، و أصله الستر من قولهم: جنه الليل و أجنه إذا ستره بظلمته و الجنة البستان الذى يجنه الشجر، فقال موسى عند ذلك ان الذى ذكرته انه «رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» ... «هو رب المشرق و المغرب» فالمشرق الموضع الذى تطلع منه الشمس، و المغرب الموضع الذى تغرب فيه الشمس يقال: التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٦

شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت، و أشرقت إشراقاً إذا أضاءت وصفت.

«وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» ذلك و تتدبرونه، فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى تهدده «قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهَاً غَيْرِي» يعنى معبوداً سواى «لَأَجْعَلَنَّكَ» من المسجونين أى محبوساً من جملة المحبسين، فقال له موسى «أ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ» يعنى بمعجزة تدل على صحة ما ادعيته تبيننى من غيرى و المعنى ان جئتك بشيء يدل على صدقى تحبسنى؟!

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ص : ١٦

قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَما ذا تَأْمُرُونَ (٣٥)

قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (٤٠)

عشر آيات بلا خلاف.

لما قال موسى لفرعون «أ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قالَ» فرعون «فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أى هات ما أدعيته من المعجزة إن كنت صادقاً التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٧

«فَأَلْقى عَصاهُ» حينئذ موسى «فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ» و هى الحية العظيمة، و منه المثعب و هو المجرى الواسع، و انثعب الماء انثعاباً إذا جرى باتساع، و منه الثعبان لأنه يجرى باتساع لعظمه. و فى قلب العصاحية دلالتان:

إحداهما- دلالة على اللَّه تعالى، لأنه مما لا يقدر عليه إلا هو، و ليس مما يلتبس بإيجاب الطبائع، لأنه اختراع، للانقلاب فى الحال.

و الثانى- دلالة على النبوة بموافقته الدعوة مع رجوعها الى حالتها الاولى لما قبض عليها. و قيل: الثعبان الحية الذكر، و وصفه تعالى العصا- هاهنا- بأنها صارت مثل الثعبان، لا ينافى قوله «كَأَنَّها جَانٌّ» من وجوه:

أحدها- انه تعالى لم يقل، فإذا هى جان، كما وصفها بأنها ثعبان، و انما شبهها بالجان، و لا يجوز أن تكون مثله على كل حال.

و الثانى- انه وصفها بالثعبان فى عظمها، و بالجان فى سرعة حركتها، فكأنها مع كبرها فى صفة الجان لسرعة الحركة، و ذلك أبلغ فى الاعجاز.

و ثالثها- انه أراد أنها صارت مثل الجان فى أول حالها، ثم تدرجت الى ان صارت مثل الثعبان، و ذلك أيضاً أبلغ فى باب الاعجاز.

و رابعها- ان الحالين مختلفان، لأن إحداهما كانت حين ألقى موسى فصارت العصا كالثعبان، و الحالة الأخرى حين أوحى اللَّه اليه و ناداه من الشجرة.

و معنى (مبين) قال ابن عباس: انه ثعبان لا شبهة فيه. و قيل: معناه مبين وجه الحجة به. و

روى أنها غرزت ذنبها فى الأرض و رفعت رأسها نحو الميل الى السماء، ثم انحطت فجعلت رأس فرعون بين نابيها، و جعلت تقول: مرنى بما شئت، التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸

فناداه فرعون أسألك بالذى أرسلك لما أخذتها، فأخذها، فعادت عصاً

، كما كانت- ذكره ابن عباس، و المنهال-.

و قوله «وَ نَزَعَ يَدَهُ» أى أخرجها من جيبه أو من كمه على ما روى.

و يجوز أن يكون المراد حسر عن ذراعه. و المعنى أنه نزعها عن اللباس التى كان عليها. و النزع إخراج الشيء مما كان متصلا به، و ملابساً له.

و قوله «فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ» يعنى بياضاً نورياً كالشمس فى إشراقها (للناظرين) اليها من غير برص، فقال فرعون عند ذلك لأشراف قومه الذين حوله (إن هذا) يعنى موسى (لَساحِرٌ عَلِيمٌ) أى عالم بالسحر و الحيل (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ) قيل معناه يريد أن يخرج عبيدكم بنى إسرائيل قهراً. و يحتمل أن يكون أراد يخرجكم من دياركم و يتغلب عليكم (فَما ذا تَأْمُرُونَ) فى تأديبه، و انما شاور قومه فى ذلك مع أنه كان يقول لهم: انه إله، لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه و على قومه أن الاله لا يجوز أن يشاور غيره، كما ذهب عليهم أن الاله لا يكون جسماً محتاجاً، فاعتقدوا إلهيته لما دعاهم اليها مع ظهور حاجته التى لا اشكال فيها، فقال لفرعون اشراف قومه الذين استشارهم «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ» أى أخرّهما، فالارجاء التأخير، تقول: ارجأت الأمر ارجئه إرجاء، و هم المرجئة، لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق فى لزوم العقاب. و قيل:

انما أشاروا بتأخيره و لم يشيروا بقتله، لأنهم رأوا أن الناس يفتتنون به ان قتل، و إن السحرة إذا قاومته زال ذلك الافتتان، و كان له حينئذ عذر فى قتله أو حبسه بحسب ما يراه.

و قوله (وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ) أى أرسل حاشرين يحشرون الناس من جميع البلدان. فالحشر السوق من جهات مختلفه الى مكان واحد، التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۹

حشره يحشره حشراً، فهو حاشر و الشيء محشور، و انحشر الناس إلى مكان إذا اجتمعوا اليه. و السحر لطف الحيلة حتى يتوهم المموه عليه أنه حقيقة. و قوله (يَأْتُوكَ) أى يجيئوك (بكل سحار) مبالغة فيمن يعمل بالسحر (عليم) أى عالم بالسحر، و فى الكلام حذف، لان تقديره إنه انفذ الحاشرين فى المدائن و انهم حشروهم (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ) على ما قالوه (لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) لوقت يوم بعينه اختاروه و عينوه (وَ قِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ) ان غلبوا موسى، فالغلبة الاستعلاء بالقوة: غلبه يغلبه غلبة إذا قهره، و تغلب تغليباً و غالبه مغالبة و تغالبا تغالباً، و قد يوصف المستعلى على غيره بالحجة بأنه غلبه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۱۹

فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۴۱) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۲) قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقى مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۴۵)

آيات بلا خلاف.

قرأ حفص «تلقف» بتخفيف القاف، الباقون- بتشديدها- إلا أن البزى و ابن فليح و قنبل شددوا التاء. قال ابو على: من خفف القاف، فهو الوجه، لأن من شددها يريد تتلقف، فأدغم، و انما أدغم، لأنه يلزمه إذا ابتدأ التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۰

على هذه القراءة أن يجتلب همزة الوصل، و همزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة، كما لا تدخل على اسماء الفاعلين.

حكى اللّه تعالى أن السحرة لما حشروهم الى فرعون و حضروا بين يديه قالوا له «أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ» اى هل لنا أجر

جزاء على غلبنا إياه ان غلبناه. و من قرأ على الخبر «إن لنا» أراد انهم لتيقنهم بالأجر أخبروا بذلك. و الاول أقوى لقوله «قال نعم» و ذلك جواب الاستفهام. و الأجر الجزاء على العمل بالخير. و الجزاء على الشر يسمى عقاباً، و لذلك إذا دعى لإنسان قيل: آجرك اللَّه. و المعنى أئن لنا لأجراً عند الملك؟ و الغالب الذى يعلو على غيره الذى يمنع فى نفسه بما يصير اليه فى قبضة، فاللَّه غالب كل شيء بمعنى أنه عال عليه لدخوله فى مقدوره، لا يمكنه الخروج منه، فقال لهم فرعون فى جواب ذلك: «نعم» لكم على ذلك الأجر الجزيل «و انكم» مع ما تعطون من الجزاء «إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ». و المقرب المدنى من مجلس الكرامة، و اختصاصه بها.

ثم حكى ما قال موسى للسحرة، فانه قال لهم «أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و هذا بصورة الأمر و المراد به التحدى، و المعنى اطرحوا ما أنتم ملقوه «فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ» أى طرحت السحرة ما كان معهم من السحر من الحبال و العصى التى سحروها و موهوا بأنها تسعى و تتحرك. و قيل: انهم جعلوا فيها زيبقاً، و طرحوها فى الشمس، فلما حميت بالشمس تحرك الزيبق، لأنه إذا حمى من شأنه أن يصعد فتحركت لذلك الحبال و العصى، فظن الناظرون أنها تتحرك. و قالوا حين طرحوا ما معهم «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ» و العزة القوة التى يمتنع بها من لحاق الضيم بعلو منزلتها، و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور «إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ» لموسى فيما أتى به «فالقى» عند ذلك «مُوسى عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۱

أى تناولت العصا ما موّهوا به فى ادنى مدة من الزمان، و التلقف تناول الشيء بالفم بسرعة، تقول: تلقف تلقفاً و التقف التقافاً و استلقف استلقافاً. و معنى (ما يأفكون) ما يوهمون الانقلاب زوراً و بهتاناً. و قيل كان عدد السحرة اثنى عشر ألفاً و كلهم أقرّ بالحق عند آية موسى.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۴۶ الى ۵۱] ..... ص : ۲۱

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۴۶) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۴۷) رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۴۸) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۴۹) قالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (۵۱)

ست آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً و روح «أ أمنتم» بهمزتين مخففتين على الاستفهام. و روى حفص و ورش و رويس بهمزة واحدة على الخبر. الباقون بهمزتين الأولى مخففة و الثانية ملينة. و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف. و قد بينا نظائره فيما تقدم فى الاعراف.

حكى اللَّه تعالى أن السحرة لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصاحية و تلقفها جميع ما اتعبوا نفوسهم فيه علموا أن ذلك من فعل اللَّه، و أن احداً من البشر لا يقدر عليه فآمنوا عند ذلك، و أذعنوا للحق و خروا ساجدين للَّه شكراً على ما أنعم به عليهم و وفقهم للايمان، و أنهم قالوا عند ذلك «آمنا» و صدقنا «بِرَبِّ الْعالَمِينَ» الذى خلق الخلق كلهم، الذى هو «رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ» و إنما التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۲

خص رب موسى و هارون بالذكر دون غيرهما، و ان كان رب كل شيء، للبيان عن المعنى الذى دعا الى ربوبيته موسى و هارون، لأن الجهال كانوا يعتقدون ربوبية فرعون، فكان إخلاصهم على خلاف ما يقوله الأغبياء، و المعنى الذى ألقاهم ساجدين قيل فيه قولان:

أحدهما- إن الحق الذى عرفوه ألقاهم ساجدين.

الثانى- انهم ألقوا نفوسهم ساجدين لما عرفوا من صحة الدعاء الى الدين.

فقال عند ذلك فرعون مهدداً لهم «أ أمنتم له» أى صدقتم له فيما يدعو اليه منكراً عليهم «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» فى تصديقكم. ثم قال «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ» أى أستاذكم و عالمكم «الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيما بعد ما افعله بكم جزاء على تصديقكم إياه، و دخلت اللام فى الكلام تأكيداً، ثم فسر ذلك، فقال «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ» يعنى قطع اليد من جانب، و الرجل من الجانب

الآخر كقطع الرجل اليسرى و اليد اليمنى «و لأصلبنكم» مع ذلك «أجمعين» على الجذوع، و لا أترك واحداً منكم، لا تتناله عقوبتى، فقالوا له فى الجواب عن ذلك «لا ضير» أى لا ضرر علينا بما تفعله يقال: ضره يضره ضراراً، و ضاره يضير ضيراً، و ضاره يضوره ضوراً لغة قليلة. و قوله «إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» أى مصيرنا إلى ثواب اللَّه لا يضرنا ما تفعله بنا. و قال الجبائى: فى الآية دلالة على ان للإنسان أن يظهر الحق و إن خاف القتل. و قال الحسن: لم يصل فرعون إلى قتل أحد منهم و لا قطعه. و قال قوم: أول من قطع الايدى و الأرجل فرعون.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۵۲ الى ۶۰] ..... ص : ۲۲

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵۲) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۵۳) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (۵۶)

فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۵۷) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۵۸) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵۹) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۶۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۳

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و ابن عامر إلا الحلوانى «حاذرون» بألف، الباقون بغير ألف. من قرأ بالألف قال: هو مثل شرب، فهو شارب، و حذر فهو حاذر. و قيل: رجل حاذر فيما يستقبل، و ليس حاذراً فى الوقت، فإذا كان الحذر له لازماً قيل رجل حذر مثل سؤل و سائل، و طمع و طامع، و كان يجوز ضم الذال لأنهم يقولون: حذر و حذر- بكسر الذال و ضمها- مثل يقظ و يقظ و فطن و فطن.

و قرأ عبد اللَّه بن السائب «حادرون» بالدال- المهملة- بمعنى نحن أقوياء غلاظ الأجسام، يقولون: رجل حادر أى سمين، و عين حدرة بدرة إذا كانت واسعة عظيمة المقلة، قال امرؤ القيس:

و عين لها حدرة بدرة شقت مآقيهما من أخر «۱»

و قيل الفرق بين الحاذر و الحذر أن الحاذر الفاعل للحذر، أن يناله مكروه و الحذر

(۱) ديوانه ۹۹ و تفسير القرطبى ۱۳/ ۱۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۴

المطبوع على الحذر و قيل. «حاذِرُونَ» مؤدون فى السلاح أى ذووا أداة من السلاح المستعدون للحروب من عدو، و الحذر اجتناب الشيء خوفاً منه، حذر حذراً، فهو حاذر و حذره تحذيراً، و تحذر تحذراً و حاذره محاذرة و حذاراً.

اخبر اللَّه تعالى عن السحرة انهم حين آمنوا و قالوا لفرعون: لا ضرر علينا بما تفعل بنا، لأنا منقلبنا الى اللَّه و ثوابه، قالوا «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا» أى ما فعلنا من السحر و غيره، لأنا كنا أول من صدق بموسى و أقر بنبوته، و بما دعا اليه من توحيد اللَّه و نفى التشبيه عنه ممن كان يعمل بالسحر.

و قيل: انهم أول من آمن عند تلك الآية. و من قال: هم أول من آمن من قومه فقد غلط، لأن بنى إسرائيل كانوا آمنوا به. و لو كسرت الهمزة من (إن) على الشرط كان جائزاً. و الطمع طلب النفس للخير الذى يقدر فيها انه يكون.

و مثله الأمل و الرجاء و الخطايا جمع خطيئة، و هى الزوال عن الاستقامة المؤدية الى الثواب.

ثم حكى تعالى انه أوحى الى موسى، و أمره بأن يسرى بعباد اللَّه الذين آمنوا به، و يخرجوا من بلد فرعون، و هم بنو إسرائيل المقرون بنبوته، يقال سرى و أسرى لغتان، فمن قطع الهمزة قال: هو من اسرى يسرى، و من وصلها فمن سرى يسرى، و أعلمهم أن فرعون و جنوده يتبعونهم، و يخرجون فى طلبهم و تبع و اتبع لغتان.

ثم حكى ايضاً ان فرعون أرسل برسله فى المدائن حاشرين يحشرون الناس اليه الذين هم جنوده، و قيل: انه حشر جنده من المدائن التى حوله ليقبضوا على موسى و قومه، لما ساروا بأمر اللَّه (عز و جل) فلما حضروا عنده، قال لهم «إِنَّ هؤُلاءِ» يعنى أصحاب موسى «لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ» و الشرذمة العصبة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۵

الباقية من عصب كثيرة، و شرذمة كل شيء بقيته القليلة، و منه قول الراجز:

جاء الشتاء و قميصى اخلاق شراذم يضحك منه التواق «۱»

و قال عبد اللَّه بن مسعود: الشرذمة الذين قللهم فرعون من بنى إسرائيل كانوا ستمائة ألف و سبعين ألفاً، و انما استقلهم، لأنه كان على مقدمته سبعة آلاف الف على ما قال بعض المفسرين. ثم قال «و انهم» مع قلتهم «لَنا لَغائِظُونَ» أى يغيظوننا بمخالفتهم إيانا، و يقال: جمع قليل و قليلون، كما يقال حى واحد، و واحدون.

ثم اخبر تعالى عن فرعون أنه قال لجنده «إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ» منهم قد استعددنا لقتالهم.

ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم بأن قال «فَأَخْرَجْناهُمْ» يعنى فرعون و قومه «مِنْ جَنَّاتٍ» و هى البساتين التى تجنها الأشجار «وَ عُيُونٍ» جارية فيها «وَ كُنُوزٍ» يعنى اموال لهم مخبئة بعضها على بعض فى مواضع غامضة من الأرض و منه كناز التمر و غيره مما يعبأ بعضه على بعض «وَ مَقامٍ كَرِيمٍ» فالمقام الموضع الذى يقيمون فيه. و يجوز أن يكون مصدراً و «الكريم» هو الحقيق بإعطاء الخير الجزيل، لأنه اهل للكرم، و هى صفة تعظيم فى المدح: كرم كرماً و أكرمه إكراماً، و تكرّم تكرماً. و قيل: المقام الكريم المنابر. و قيل مجالس الامراء و الرؤساء: التى كان يحف بها الاتباع.

ثم قال تعالى «كَذلِكَ» أى مثل ذلك أى كما وصفنا لك اخبارهم «وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ» أى نعم آل فرعون بأن أهلكنا آل فرعون و ملكنا ديارهم و املاكهم

---

(۱) مر تخريجه فى ۶/ ۳۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۶

لبنى إسرائيل. و الإرث تركة الماضى ممن هلك لمن بقى. و قيل صار ذلك فى ايدى بنى إسرائيل فى ايام داود و غيره. و قال الحسن: رجع بنو إسرائيل الى مصر بعد إهلاك فرعون و قومه.

و قوله «فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» معناه تبعوا أثرهم وقت اشراق الشمس و ظهور ضوئها و صفائه. و قيل معناه مصبحين، و يقال: اتبع فلان فلاناً و تبعه إذا اقتفى اثره- لغتان-

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۶۱ الى ۷۰] ..... ص : ۲۶

فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (۶۱) قالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ (۶۲) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (۶۳) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ (۶۴) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵)

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶۸) وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ (۶۹) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ (۷۰)

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ حفص «معى ربى» بفتح الياء، و كذلك فى جميع القرآن. الباقون بسكونها، فمن سكن ذهب الى التخفيف، و من فتح فعلى أصل الكلمة لان الاسم على حرف واحد، فقراءته- بالفتح- ان كان متصلا بكلمة على حرفين. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۷

و كان اصحاب موسى فزعوا من فرعون أن يلحقهم و حذروا موسى، فقالوا «إِنَّا لَمُدْرَكُونَ» فقال لهم موسى (ع)- ثقة باللَّه- «كلا»

ليس كما تقولون «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» و قرأ الأعرج «لمـدركون» مفتعلون، من الإدراك و ادغم التاء فى الـدال. قال الفراء: دركت ادراكاً و أدركت ادراكاً بمعنى واحد، مثل حفرت و أخفرت، بمعنى واحد، و قرأ حمزة وحده «تراء الجمعان» بالامالة. الباقون بالتفخيم على وزن (تراعى) لأنه تفاعل من الرؤية، و هو فعل ماض موحد، و ليس مثنى، لأنه فعل متقدم على الاسم، و لو كان مثنى لقال تراءا و وقف حمزة «تراى» بكسر الراء ممـدود قليلاـ لأن من شرطه ترك الهمزة فى الوقف، فترك الهمزة التى آخر الألف، كأنه يريدها، فلذلك مد قليلا. و وقف الكسائى «تراءى» اى بالامالة على وزن تراعى، و تنادى. الباقون وقفوا بألفين على الأصل.

و كذلك جميع ما فى القرآن مثل «أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً» «١» و (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً) «٢» كل ذلك يقفون بالمد بألفين. و حمزة يقف على الف واحدة. و إذا كانت الهمزة للتأنيث أسقطت الهمزة فى الوقف عند الجميع نحو (بيضاء) «٣»

---

(١) سورة ۵۶ الواقعة آية ٣۵.

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢ و سورة ١٣ الرعد آية ١٩ و سورة ١۴ ابراهيم آية ٣٢ و سورة ١۶ النحل آية ۶۵ و سورة ٢٠ طه آية ۵٣ و سورة ٢٢ الحج آية ۶٣ و سورة ٣۵ فاطر آية ٢٧ و سورة ٣٩ الزمر آية ٢١.

(٣) سورة ٧ الاعراف آية ١٠٧ و سورة ٢٠ طه آية ٢٢ و سورة ٢۶ الشعراء آية ٣٣ و سورة ٢٧ النمل آية ١٢ و سورة ٢٨ القصص آية ٣٢ و سورة ٣٧ الصافات آية ۴۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٨

و (إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ) «١» و (الأخلاء) «٢» فيشم الضمة فى موضع الرفع و لا يشم الفتحة فى موضع النصب.

اخبر اللَّه تعالى انه (فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ) جمع فرعون و جمع موسى أى تقابلاـ بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه. و يقال: تراءى نارهما أى تقابلا، و انما جاز تثنية الجمع، لأنه يقع عليه صفة التوحيد، فتقول: هذا جمع واحد، و لا يجوز تثنية مسلمين، لأنه لا يقع عليه صفة التوحيد، لأنه على خلاف صفة التوحيد.

(قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) أى لملحقون. فالادراك الإلحاق، و أدركته ببصرى إذا رأيته، و أدرك قتادة الحسن اى لحقه، و أدرك الزرع إذا لحق ببلوغه، و أدرك الغلام إذا بلغ، و أدركت القدر إذا نضجت، فقال لهم: موسى «كلا» ليس الامر على ذلك «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي» بنصره إياى «سَيَهْدِينِ» أى سيدلنى على طريق النجاة من فرعون و قومه كما وعدنى، لأن الأنبياء لا يخبرون بما لا دليل عليه من جهة العقل او السمع.

و قوله «فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ» اى أمرناه بضرب البحر بعصاه، و قيل: هو بحر فلزم الذى يسلك الناس فيه من اليمن و مكة الى مصر، و فيه حذف، لان تقديره فضرب البحر «فانفلق» و قيل: انه صار فيه إثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق «فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» فالطود الجبل، قال الأسود بن يعفر النهشلى:

حلوا بانقرة يحيش عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد «٣»

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ۶٩ [.....]

(٢) سورة ۴٣ الزخرف آية ۶٧.

(٣) تفسير القرطبى ١٣/ ١٠٧ و الطبرى ١٩/ ۴۶ و اللسان (نقر) و روايته

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٩

و قوله «وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ» قال ابن عباس و قتادة: معناه قربنا الى البحر فرعون، و منه قوله «وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» «١» أى قربت و

أدنيت قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفاً فزلفاً

سمارة الهلال حتى احقوقفا «٢»

أى منزله يقرب من منزله، و منه قيل ليلة المزدلفة. و قال ابو عبيدة:

معنى أزلفنا جمعنا، و ليلة مزدلفة ليلة جمع، و المعنى قربنا قوم فرعون الى البحر كما يسرنا لبنى إسرائيل سلوك البحر و كان ذلك سبب قربهم منهم حتى اقتحموه و قيل: معناه قربناهم الى المنية لمجيء وقت هلاكهم قال الشاعر:

و كل يوم مضى او ليلة سلفت فيها النفوس الى الآجال تزدلف «٣»

و أنجينا موسى و من معه يعنى بنى إسرائيل أنجيناهم جميعهم من الهلاك و الغرق «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» من فرعون و أصحابه. و قال تعالى «إِنَّ فِي ذلِكَ» يعنى فى فلق البحر فرقاً، و إنجاء موسى من البحر، و إغراق قوم فرعون، لدلالة واضحة على توحيد اللَّه و صفاته التى لا يشاركه فيها أحد.

ثم اخبر تعالى ان «أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ» و لا يستدلون به بسوء اختيارهم كما يسبق فى علمه. فالآخر- بفتح الخاء- الثانى من اثنين قسيم (احد) كقولك نجا اللَّه أحدهما، و غرق الآخر، و الآخر- بكسر الخاء- هو الثانى قسيم الأول كقولك نجا الأول و هلك الآخر. و قيل: معنى «وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» ان الناس مع هذا البرهان الظاهر، و السلطان القاهر، بالأمر المعجز

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٩٠.

(٢) مر تخريجه فى ۶/ ٧٩.

(٣) تفسير القرطبى ١٣/ ١٠٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٠

الذى لا يقدر عليه أحد غير اللَّه، ما آمن أكثرهم، فلا تستنكر أيها المحق استنكار استيحاش من قعودهم عن الحق الذى تأتيهم به، و تدلهم عليه، فقد جروا على عادة أسلافهم، فى انكار الحق و قبول الباطل.

و قوله «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» أى هو القادر الذى لا يمكن معارضته فى أمره، و هو مع ذلك رحيم بخلقه. و فى ذلك غاية الحث على طلب الخير من جهة الموصوف بهما. ثم قال لنبيه (ص) «وَ اتْلُ» يا محمد على قومك «نَبَأَ إِبْراهِيمَ» أى خبره، حين «قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما» الذى «تَعْبُدُونَ» من دون اللَّه؟! يعنى أى شيء معبودكم على وجه الإنكار عليهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٣٠

قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ (٧١) قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (٧۴) قالَ أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧۵)

أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧۶) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (٧٩) وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)

تسع آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى ما أجاب به قوم ابراهيم حين قال لهم ابراهيم «ما تَعْبُدُونَ»؟

فإنهم «قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ» أى مقيمين مداومين على عبادتنا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣١

يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، و اعتكف اعتكافاً. قال ابن عباس: معناه فنظل لها مصلين. و قيل: فى وجه دخول الشبهة عليهم فى

عبادة الأصنام أشياء:

أحدها- انهم اعتقدوا أنها تقربهم الى اللَّه زلفى كما يتقرب بتقبيل بساط الملك اليه.

و منها- أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحظوا بتوجه العبادة الى هياكلها، كما يفعل بالهند.

و منها- ارتباط عبادة اللَّه بصورة يرى منها.

و منها- انهم توهموا خاصية فى عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية فى حجر المغناطيس.

و الشبهة الكبرى العامة فى ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، و لذلك «قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ» و لم يحتجوا بشيء سوى التقليد، الذى هو قبيح فى العقول. و العبادة خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم و بما كان فى أعلى المراتب من الإنسان، فكل من عبد غير اللَّه، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم اللَّه، لان من حقه إخلاص العبادة له.

فقال لهم ابراهيم (ع) «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» هذه الأصنام التى تعبدونها إذا دعوتموها! أى هل يسمعون أصواتكم، لان أجسامهم لا تسمع «أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ» بشيء من المنافع «أَوْ يَضُرُّونَ» بشيء من المضار!. و انما قال ذلك، لان من لا يملك النفع و الضر، لا تحسن عبادته، لأنها ضرب من الشكر، و لا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، و من قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند ذلك «وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ» أحالوا على مجرد التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۲

التقليد. فقال لهم ابراهيم منكراً عليهم التقليد «أَ فَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» من الأصنام «أَنْتُمْ» الآن «وَ آباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ» المتقدمون، فالأقدم الموجود قبل غيره، و مثله الأول و الأسبق. و القدم وجود الشيء لا الى أول ثم قال ابراهيم «فإنهم» عدوّ لى يعنى الأصنام جمعها جمع العقلاء، لما وصفها بالعداوة التى تكون من العقلاء، لان الأصنام كالعدوّ فى الصورة بعبادتها، و يجوز أن يكون، لأنه كان منهم من لا يعبد إلا اللَّه مع عبادة الأصنام فغلب ما يعقل و لذلك استثناه، فقال «إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ» لأنه استثناء من جميع المعبودين، و على الوجه الأول يكون الاستثناء منقطعاً و تكون (إلا) بمعنى لكن ثم وصف رب العالمين فقال: هو «الَّذِى خَلَقَنِى» و اخرجنى من العدم الى الوجود «فَهُوَ يَهْدِينِ» لان هداية الخلق الى الرشاد أمر يجل، فلا يكون إلا ممن خلق الخلق كأنه قيل من يهديك؟ و من يسد خلتك بما يطعمك و يسقيك؟ و من إذا مرضت يشفيك؟ فقال- دالا بالمعلوم على المجهول «الَّذِى خَلَقَنِى، فَهُوَ يَهْدِينِ وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَ يَسْقِينِ» بمعنى أنه يرزقنى ما يوصلنى الى ما فيه صلاحى «وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» بان يفعل ما يحفظ بدنى و يصح جسمى و يرزقنى ما يوصلنى اليه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۸۱ الى ۸۹] ..... ص : ۳۲

وَ الَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (۸۱) وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ (۸۲) رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَ أَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ (۸۳) وَ اجْعَلْ لِى لِسانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ (۸۴) وَ اجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (۸۵)

وَ اغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ (۸۶) وَ لا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ (۸۷) يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ (۸۸) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۹)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۳

تسع آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن ابراهيم (ع) أنه قال بعد قوله: إن اللَّه الذى يشفيه إذا مرض «وَ الَّذِى يُمِيتُنِى» بعد أن كنت حياً «ثُمَّ يُحْيِينِ» أى يحيينى بعد أن أكون ميتاً يوم القيامة (وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) أى يوم الجزاء و هذا انقطاع منه (ع) الى اللَّه دون أن يكون له خطيئة يحتاج ان تغفر له يوم القيامة، لان عندنا أن القبائح كلها لا تقع منهم (ع)، و عند المعتزلة الصغائر التى تقع منهم محبطة، فليس شيء منها بمغفور يحتاج ان يغفر لهم يوم القيامة. و قيل: إن الطمع- هاهنا- بمعنى العلم دون الرجاء و كذلك فى قوله (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا) «۱» كما ان الظن يكون بمعنى العلم.

و قيل: ان ذلك خرج مخرج التلطف فى الدعاء بذكر ما يتيقن انه كائن. كما انه إذا جاء العلم على المظاهرة فى الحجاج و ذكر بالظن.

ثم حكى انه سأل اللَّه تعالى فقال (رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً) و الحكم بيان الشىء على ما تقتضيه الحكمة، فسأل ذلك ابراهيم، من حيث كان طريقاً للعلم بالأمور.

و قوله (وَ أَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) معناه افعل بى من اللطف ما يؤدينى الى الصلاح. و الاجتماع مع النبيين فى الثواب. و فى ذلك دلالة على عظم شأن الصلاح و صلاح العبد هو الاستقامة على ما أمر اللَّه به و دعا اليه.

و قوله (وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) اى ثناء حسناً فى آخر الأمم، فأجاب

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٥٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٤

اللَّه تعالى دعاءه، لان اليهود يقرون بنبوته، و كذلك النصارى، و اكثر الأمم.

و قيل: معنى «وَ اجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» أى اجعل من ولدى من يقوم بالحق، و يدعو الى اللَّه، و هو محمد (ص) ثم سأله أن يجعله «مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» بأن يفعل معه من الالطاف ما يختار عنده الطاعات، لأن الجنة لا يثاب فيها إلا بالاستحقاق. ثم قال «وَ لا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» أى لا تفضحنى بذنب، و لا تعيرنى يوم يحشر الخلائق. و (الخزى) الفضيحة و التعبير بالذنب بما يردع النفس، يقال: خزى خزياً. و أخزاه اللَّه إخزاء، و هذا موقف خزى.

و هذا الدعاء منه (ع) انقطاع منه الى اللَّه تعالى، لأنا قد بينا أن القبائح لا تقع من الأنبياء على حال.

ثم وصف اليوم الذى يبعث فيه الخلائق بأنه «يَوْمَ لا يَنْفَعُ» فيه «مالٌ» فيفادى به الإنسان نفسه من العقاب «وَ لا» ينفع «بَنُونَ» ينصرونه «إِلَّا مَنْ أَتَى» أى و إنما ينفع من يأتى «اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أى سليم من الفساد و المعاصى، إنما خص القلب بالسلامة، لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد، من حيث أن الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد فان اجتمع مع ذلك جهل، فقد عدم السلامة من جهتين، و قيل: سلامة القلب سلامة الجوارح، لأنه يكون خالياً من الإصرار على الذنب.

و حكى انه سأل اللَّه تعالى أن يغفر لأبيه، و ذكر انه من الضالين، قالوا:

إنما سأل اللَّه أن يغفر له يوم القيامة بشرط تقتضيه الحكمة. و هو أن يتوب قبل موته، فلما تبين انه عدو للَّه تبرأ منه، و وصفه بأنه ضال يدل على أنه كافر، كفر جهل لا كفر عناد. و قيل: انه إنما دعا لأبيه لموعدة وعده بها، لأنه كان يطمعه سراً فى الايمان فوعده بالاستغفار، فلما تبين انه كان عن نفاق تبرأ منه. و قال الحسن: عاب اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥

تعالى من فعل ابراهيم فى قوله «إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» بعد قوله «قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ»» و ليس الأمر على ما قاله. و نحن نبين الوجه فى هذه الآية إذا انتهينا اليها إن شاء اللَّه. و عند أصحابنا ان أباه الذى استغفر له، كان جده لأمه، لان آباء النبى (ص) الى آدم كلهم مؤمنون موحدون- بأدلة ليس هذا موضع ذكرها، و الدلالة عليها.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٩٠ الى ٩٥] ..... ص : ٣٥

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ (٩١) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ (٩٤)

وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

ست آيات.

معنى «وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» قربت لهم ليدخلوها «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغاوِينَ» أى أظهرت الجحيم للعاملين بالغواية و تركهم الرشاد، يقال: برز يبرز بروزاً، و أبرزه إبرازاً، و برزه تبريزاً، و بارزه مبارزة، و تبارزا تبارزاً. و فى رؤية الإنسان آلات العذاب التى أعدت لهم عذاب عظيم، و ألم جسيم للقلب فبروز الجحيم للغاوين بهذه الصفة، و (الغاوى) العامل بما يوجب الخيبة من الثواب: غوى الرجل يغوى غياً و غواية و أغواه غيره إغواء، و استغواه استغواه و أصله الخيبة قال الشاعر:

---

(۱) سورة ۶۰ الممتحنة آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۳۶

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغىّ لائماً «۱»

ثم اخبر أنه يقال لهم، يعنى للغاوين على وجه التوبيخ لهم و التقريع «أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و إنما وبخوا بلفظ الاستفهام، لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، كقولك أينما كنت تعبد من دون اللَّه؟! لا يخلصك من عقابه «هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ» و يدفعون عنكم العقاب فى هذا اليوم «أَوْ يَنْتَصِرُونَ» لكم إذا عوقبتم!، فمن عبدها، فهو الغاوى فى عبادته، لا يملك رفع الضرر عن نفسه، و لا عن عابده مع أنه لاحق به. ثم قال «فَكُبْكِبُوا فِيها» و معناه كبوا إلا انه ضوعف، كما قال «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» «۲» أى صر. و قيل: جمعوا بطرح بعضهم على بعض- عن ابن عباس- و قال مجاهد: هووا «هُمْ وَ الْغاوُونَ» أى و كب الغاوون معهم، و كب معهم «جُنُودُ إِبْلِيسَ» أى من اتبعه من ولده، و ولد آدم.

و قال ابو عبيدة (كبكبوا) معناه طرحوا فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة.

و قال المبرد: نكسوا فيها من قولهم: كبه اللَّه لوجهه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۹۶ الى ۱۰۴] ..... ص : ۳۶

قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ (۹۶) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۹۷) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۹۸) وَ ما أَضَلَّنا إِلاَّ الْمُجْرِمُونَ (۹۹) فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ (۱۰۰)

وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (۱۰۱) فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۰۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۰۴)

---

(۱) مر تخريجه فى ۲/ ۳۱۲ و ۴/ ۳۹۱ و ۵/ ۵۴۸ و ۶/ ۳۳۶.

(۲) سورة ۶۹ الحاقة آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۳۷

تسع آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفار أنهم إذا حصلوا فى الجحيم «يَخْتَصِمُونَ» و الاختصام منازعة كل واحد منهم صاحبه بما فيه إنكار عليه و إغلاظ له: يقال: اختصما فى الامر اختصاماً، و تخاصما تخاصماً، و خاصمه مخاصمة، و يقول بعضهم لبعض «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ» قال الزجاج: معناه ما كنا الا فى ضلال مبين. و قال غيره: اللام لام الابتداء التى تدخل فى خبر (ان) و (ان) هذه هى الخفيفة من الثقيلة، و يلزمها اللام فى خبرها، فرقاً بينها، و بين (ان) التى للجحد، و تقديره تاللَّه ان كنا لفى ضلال مبين فى الحال التى سويناكم- يخاطبون كل معبود من دون اللَّه- «بِرَبِّ الْعالَمِينَ» الذى خلق الخلق، فى توجيه العبادة إليكم. و التسوية إعطاء أحد الشيئين مثل ما يعطى الآخر، و مثله المعادلة و الموازنة. و المراد- هاهنا- الشركة فى العبادة.

ثم قال (وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) بأن دعونا الى الضلال فتبعناهم، و قبلنا منهم. ثم يقولون (فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى لو كان لنا شفيع لسأل فى أمرنا أو صديق لدفع عنا، فقد آيس الكفار من شافع، و انما يقولون ذلك إذا رأوا جماعة من فساق أهل الملة يشفع فيهم، و يسقط عنهم العقاب و يخرجون من النار، يتلهفون على مثل ذلك، و يتحسرون عليه. و الصديق هو الصاحب الذى بصدق المودة و صدق المودة إخلاصها من شائب الفساد.

و (الحميم) القريب الذى يحمى بغضب صاحبه، و الحميم هو الحامى، و منه الحمى.

و أحم اللَّه ذلك من لقائه: أى أدناه، بمعنى جعله كالذى بلغ بنصحه إياه، و حم التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۸

كذا أى قدر.

ثم اخبر تعالى أنهم يتمنون فيقولون «فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً» أى رجعة الى دار التكليف «فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و انما جاز التمنى ب (لو)، لأنه للتقدير، كما أن التمنى ب (ليت) مثل ذلك لتقدير المعنى، إلا أن التقدير ب (لو) لموجب غيره و التقدير ب (ليت) للامتناع بالمقدر، و انما جاز جواب التمنى، لان المعنى متصور بالتمنى غير انه إذا كان بالفاء، فهو نصب، فلذلك نصب (فنكون) لأن الفاء إذا صرفت عن العطف أضمر معها (ان) للاشعار بالصرف.

ثم قال تعالى «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً» أى ان فيما قصصناه، و ذكرناه لدلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يعتبرون بها، و لا يؤمنون بها، و أخبر «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و إنما جمع بين الصفتين: العزيز و الرحيم، ليرغب فى طلب ما عند اللَّه أتم الترغيب من حيث هو عظيم الرحمة واسع المقدور، منيع من معاجزة غيره. و قيل فى وجه اخبارهم بأنهم يكونون مؤمنين لو ردوا إلى دار التكليف قولان:

أحدهما- انهم يخبرون عن عزمهم، لان اللَّه تعالى قد أخبر عنهم أنهم «لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ» «۱» و لا يجوز- ان يكونوا مع رفع التكليف و كمال عقولهم و حصول المعارف الضرورية- ان يكذبوا، لأنهم ملجؤون الى ترك القبيح بأن يخلق اللَّه فيهم العلم الضرورى، انهم لو راموا القبيح لمنعوا من ذلك، و لو لا ذلك لكانوا مغزين بالقبيح و ذلك لا يجوز.

و الثانى- ان يكون ذلك القول منهم قبل دخولهم النار، و قبل ان يصيروا ملجئين. و الاول أقوى،

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۲۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۹

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰۵ الى ۱۱۰] ..... ص : ۳۹

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۰۵) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۰۶) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۰۷) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۰۸) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰۹)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۱۰)

ست آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن قوم نوح أنهم كذبوا الذين أرسلهم الله بالنبوة.

و انما كذّبوهم جميعهم، لأنهم كذبوا كل من دعا الى توحيد الله، و خلع عبادة الأصنام ممن مضى من الرسل، و غيرهم ممن يأتى. و قال الحسن: لأنهم بتكذيبهم نوحاً مكذبون من جاء بعده من المرسلين. و لو لم يكن قبله نبى مرسل. و قال الجبائى: كذبوا من أرسل قبله. و انما قال «كذبت» بالتأنيث، و القوم مذكر لأنه بمعنى جماعة قوم نوح.

ثم بين انهم انما كذبوه حين «قالَ لَهُمْ ... إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ» من قبل الله تعالى «أمين» على رسالته، و الأمين الذى يؤدى الأمانة و ضده

الخائن، و قد أدى نوح الأمانة فى أداء الرسالة، و النصحية لهم، فلذلك وصفه الله بأنه (أمين).

و إنما سماه بأنه (أخوهم) لأنه كان منهم فى النسب، و ذكر ذلك، لأنهم به آنس و الى إجابته أقرب فيما ينبغى أن يكونوا عليه، و هم قد صدفوا عنه «ألا تتقون» الله باجتناب معاصيه منكراً بهذا القول عليهم، و انما جاء الإنكار بحرف الاستفهام لأنهم لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، لأنهم: ان قالوا لا نتقى ما يؤدينا الى الهلاك هتكوا نفوسهم و خرجوا عن عداد العقلاء. و ان قالوا: بل نتقيه التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۰

لزمهم ترك عبادة الأصنام.

ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه و افعلوا طاعاته «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به، و أدعوكم اليه. ثم قال لهم (وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ) على ما أدعوكم اليه. (من أجر) فيصرفكم ذلك عن الايمان، لأنه ليس أجرى، و ثوابى (إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ) الذى خلق جميع الخلائق، ثم كرر عليهم قوله (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ) لاختلاف المعنى فيه، لان التقدير، فاتقوا الله و اطيعونى لانى رسول أمين، و اتقوا الله و أطيعونى لانى لا أسألكم أجراً عليه فتخافون ثلم أموالكم.

و الطاعة اجابة الداعى بموافقة ارادته مع كون الداعى فوقه، فالرتبة معتبرة.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ١١١ الى ١٢٢] ..... ص : ۴٠

قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قالَ وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسابُهُمْ إِلاَّ عَلى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١۴) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١۵)

قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١۶) قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِينَ (١٢٠)

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

اثنتا عشرة آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۱

قرأ يعقوب (و اتباعك) على الجمع. الباقون (و اتبعك) على الفعل الماضى قال الزجاج: من قرأ على الجمع فقراءته جيدة، لان الواو (واو) الحال، و اكثر ما يدخل على الأسماء. تقول جئتك و أصحابك بنو فلان، و قد يقولون:

و صحبك بنو فلان، و اكثر ما يستعملونه مع (قد) فى الفعل.

حكى الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم الى الله و خوفهم من معصيته: انصدقك فيما تدعونا اليه و قد اتبعك الأرذلون؟! يعنى السفلة و أوضاع الناس. و الرذل الوضيع، و نقيض الرذيلة الفضيلة و جمعه الرذائل.

و قيل: انهم نسبوهم الى صناعات دنيئة، كالحياكة و الحجامة. و انهم مع ذلك اهل نفاق و رذالة، فأنفوا من اتباعه لما اتبعوه هؤلاء، و لم يجز من نوح أن يقبل قول هؤلاء فيهم، لأنهم كفار يعادونهم، فلا تقبل شهادتهم. و يجوز أيضاً ان يكونوا لما آمنوا تابوا من قبيح ما عملوا، لأن الايمان يجبّ الخطايا، و يوجب الاقلاع عنها. و لم يجز استصلاح هؤلاء باقصاء من آمن، كما لا يجوز استصلاحهم بفعل الظلم، لان فى ذلك إذلالا للمؤمنين، و ذلك ظلم لهم، لا يجوز أن يفعل بأهل الايمان، لأنه قبيح.

و من قرأ- على الجمع- أراد ان الذين اتبعوك هم الأرذلون.

و من قرأ على الفعل أراد: تبعك من هذه صفته.

فقال لهم نوح (ع): لم أطردهم «وَ ما عِلْمِي بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» فيما مضى، لأنى ما كلفت ذلك، و انما أمرت بأن ادعوهم الى اللَّه، و قد اجابونى اليه، و ليس حسابهم الا على ربى الذى خلقنى و خلقهم لو علمتم ذلك و شعرتموه، و ليس أنا بطارد المؤمنين، لأنى لست الا نذيراً مخوفاً من معصية اللَّه مبين لطاعته، التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲

داع الیه.

و (الطرد) ابعاد الشیء علی وجه التنفیر، طرده یطرده، و اطرده جعله طریداً، و اطراد فی الباب استمر فی الذهاب کالطرید، و طارده مطاردة و طراداً.

فقال له قومه عند ذلک (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ) و ترجع عما تقوله، و تدعو الیه (یا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِینَ) بالحجارة، و قیل: من المرجومین بالشتم، فالرجم الرمی بالحجارة، و لا یقال للرمی بالقوس رجم، و یسمی المشتوم مرجوماً لأنه یرمی بما یذم به، و الانتهاء بلوغ الحد من غیر مجاوزة إلی ما وقع عنه النهی.

و أصل النهایة بلوغ الحد، و النهی الغدیر، لانتهاء الماء الیه.

فقال نوح عند ذلک یا رب (إِنَّ قَوْمِی کَذَّبُونِ) و انما قال ذلک مع أن اللَّه تعالی عالم بأنهم کذبوه، لأنه کالعلة فیما جاء بعده، فکأنه قال (فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً) لأنهم کذبونی، إلا انه جاء بصیغة الخبر دون صیغة العلة. و إذا کان علی معنی العلة حسن أن یأتی بما یعلمه المتکلم و المخاطب. و معنی (فَافْتَحْ بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ فَتْحاً) احکم بیننا بالفعل الذی فیه نجاتنا، و هلاک عدوّنا و عامل کل واحد منا بما یستحقه، یقال للحاکم: الفتاح، لأنه یفتح وجه الأمر بالحکم الفصل، و یتقرر به الأمر علی أداء الحق، فقال اللَّه تعالی له مجیباً لدعائه «فَأَنْجَیْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ» من المؤمنین (فی الفلک) یعنی السفن، یقال شحنه یشحنه شحناً فهو شاحن إذا ملأه بما یسد خلاءه، و شحن الثغر بالرجال. و منه الشحنة، قال الشاعر، فی الفتح بمعنی الحکم:

ألا ابلغ بنی عصم رسولا فانی عن فتاحکم غنی «۱»

و الفلک السفن یقع علی الواحد و الجمع. ثم اخبر تعالی انه لما أنجی نوحاً

(۱) مر تخریجه فی ۱/ ۳۱۵، ۳۴۵ و ۴/ ۵۰۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴۳

و أصحابه أغرق الباقین من الکفار بعد ذلک، و اهلکهم.

ثم قال تعالی: إن فیما أخبرنا به من قصة نوح و إهلاک قومه لآیة واضحة علی توحید اللَّه، و إن کان أکثرهم لا یؤمنون، و لا یعتبرون به. و قیل: إن قوله (إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً وَ ما کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ) فی عدة مواضع لیس بتکریر و انما هو ذکر آیة فی قصة نوح، و ما کان من شأنه مع قومه بعد ذکر آیة فیما کان من قصة ابراهیم و قومه، و ذکر قصة موسی و فرعون فیما مضی، فبین أنه إنما ذکر ذلک لما فیه من الآیة الباهرة، و کرر (وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ) لان المعنی انه (العزیز) فی الانتقام من فرعون و قومه (الرحیم) فی نجاة موسی و من معه من بنی إسرائیل، و ذکر- هاهنا- (العزیز) فی إهلاک قوم نوح بالغرق الذی طبق الأرض (الرحیم) فی إنجائه نوحاً و من معه فی الفلک.

و العزیز القادر الذی تتعذر مما نعته لعظم مقدوراته، فصفة (عزیز) و إن رجعت الی معنی قادر، فمن هذا الوجه ترجع، و لا یوصف بالعزیز مطلقاً الا اللّه، لأنها تفید معنی قادر، و لا یقدر أحد علی ممانعته. و اللَّه تعالی قادر أن یمنع کل قادر سواه. و معنی وصفه بانه عزیز مبالغة من ثلاثة أوجه: أحدها- لأنه بزنة (فعیل). و الثانی- انه لا یوصف به مطلقاً سواه. و الثالث- لما فیه من التعریف بالألف و الام.

قوله تعالی:[سورة الشعراء (۲۶): الآیات ۱۲۳ الی ۱۳۱] ..... ص : ۴۳

کَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِینَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ (۱۲۵) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُونِ (۱۲۶) وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاَّ عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ (۱۲۷)

أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (۱۲۸) وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (۱۲۹) وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (۱۳۰) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۳۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۴

تسع آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى عن عاد- و قيل: هم قبيلة- انهم كذبوا من أرسلهم اللَّه حين قال لهم أخوهم هود. قال الحسن: كان أخاهم من النسب دون الدين (ألا تتقون) اللَّه باجتناب معاصيه الى قوله (رَبِّ الْعالَمِينَ) و قد فسرنا نظائره.

و قوله «تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً» فالبناء وضع ساف على ساف الى حيث ينتهى.

و الريع الارتفاع من الأرض، و جمعه أرياع و ريعة قال ذو الرمة:

طراق الخوافى مشرق فوق ريعة ندى ليلة فى ريشه يترقرق «۱»

و منه الريع فى الطعام، و هى الزيادة و النماء قال الأعشى:

و بهما قفر تجاوزتها إذا خبّ فى ريعها أألها

و فيه لغتان- فتح الراء، و كسرها- بمعنى المكان المرتفع، قال الفراء فيه لغتان (ريع، و راع) مثل زير، و زار قال أبو عبيدة هو الطريق بين الجبلين فى ارتفاع. و قيل: هو الفج الواسع، و قال قتادة: معناه بكل آية طريق أى علامة «تَعْبَثُونَ» تلعبون، فى قول ابن عباس. و قوله «وَ تَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» قال المؤرج: لعلكم تخلدون: كأنكم تخلدون- بلغة قريش- و قال

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۱۲۳ و الطبرى ۱۹/ ۵۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵

الفراء: معناه كيما تخلدون. قال مجاهد: المصانع أراد بها حصوناً مشيدة. و قال قتادة: مآخذ للماء، و هو جمع مصنع، و يقال مصنعة لكل بناء. و قيل: إنهم كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالى، ليدلوا بذلك على أنفسهم، و زيادة قوتهم و ليفاخروا بذلك غيرهم من الناس، و كانوا جاوزوا فى إيجاد المصانع إلى الأسواق فنهوا عن ذلك. و قال الزجاج: المصانع المبانى «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» معناه تفعلون ذلك لكى تبقوا فيها مؤبدين «وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» فالبطش العسف قتلا بالسيف و ضرباً بالسوط- فى قول ابن عباس- و الجبار العالى على غيره بعظم سلطانه، و هو فى صفة اللَّه تعالى مدح، و فى صفة غيره ذم، فإذا قيل للعبد جبار فمعناه انه يتكلف الجبرية. و الجبار فى النحل ما فات اليد، و قال الحسن: بطش الجبرية هو المبارزة من غير ثبت و لا توقف، فذمهم اللَّه بذلك، و نهاهم هود فقال «فَاتَّقُوا اللَّهَ» باجتناب معاصيه و «أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه، و لم يكن هذا القول تكراراً من هود لأنه متعلق بغير ما تعلق به الأول، لان الأول معناه، فاتقوا اللَّه فى تكذيب الرسل، و اطيعونى فيما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته، و الثانى فاتقوا اللَّه فى ترك معاصيه فى بطش الجبارين و عمل اللاهين و اطيعونى فى ذلك الأمر الذى دعوتكم اليه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۳۲ الى ۱۴۰] ..... ص : ۴۵

وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ (۱۳۲) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ (۱۳۳) وَ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۳۴) إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۳۵) قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ (۱۳۶)

إِنْ هذا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (۱۳۷) وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۱۳۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۴۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶

تسع آيات بلا خلاف.

قرأ «خلق الأولين»- بفتح الخاء- ابن كثير و ابو عمرو و الكسائى و أبو جعفر. الباقون- بضم الخاء، و اللام- فمن قرأ- بفتح الخاء- أراد: ليس هذا إلا اختلاق الأولين- فى قول ابن مسعود- و من ضم الخاء و اللام: أراد ليس هذا الاعادة الأولين، فى أنهم كانوا يحيون و يموتون. و قال بعضهم: المعنى فى «خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» خلق أجسامهم، و أنكروا أن يكون المعنى إلا كذب الأولين لأنهم يقولون «ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ» «١». و ليس الامر على ما ظنه لأنهم قد سمعوا بالدعاء الى الدين، و كانوا عندهم كذّابين، فلذلك قال «كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ» «٢» و قال «إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» «٣» و انما قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ» أى ما سمعنا أنهم صدقوا بشيء منه، أو ذكروا آية حق و صواب، بل قالوا باطل، و خطأ.

حكى اللَّه تعالى عن هود أنه قال لقومه و اتقوا معاصى اللَّه الذى أمدكم بالذى

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٤ و سورة ٢٨ القصص آية ٣٦.

(٢) آية ١٢٣ من هذه السورة. [.....]

(٣) سورة ۶ الانعام آية ٢۵ و سورة ٨ الانفال آية ٣١ و سورة ٢٣ المؤمنون آية ٨۴ و سورة ٢٧ النمل آية ۶٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴٧

تعلمون من انواع نعمه، فالامداد اتباع الثانى ما قبله شيئاً بعد شيء، على انتظام فهؤلاء أمدهم اللَّه بالمال و بالبنين، يعنى الذكور من الأولاد، و بالانعام من الإبل و البقر و الغنم، و البساتين التى فيها شجر تحتها عيون جارية فيها، فآتاهم رزقهم على إدرار. فالعيون ينابيع ماء تخرج من باطن الأرض، ثم تجرى على ظاهرها و عين الماء مشبه بعين الحيوان فى استدارته و تردد الماء إلا انه جامد فى عيون الحيوان يتردد بالشعاع.

ثم قال لهم «إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يعنى يوم القيامة، و العظيم هو الموصوف بالعظم، و فيه مبالغة مثل ما أعظمه لعظم ما فيه من الأهوال.

ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا له «سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ» و إنما لم يقل سواء علينا أ وعظت أم لم تعظ، ليتشاكل رؤس الآى، و معناه إنا لسنا نقبل منك ما تقوله: سواء علينا وعظك و ارتفاعه و الوعظ حث بما فيه تليين القلب، للانقياد الى الحق، و الوعظ زجر عما لا يجوز فعله. و معنى «سواء» أى كل واحد من الأمرين مثل الآخر، حصول الوعظ و ارتفاعه.

ثم قالوا: ليس هذا الذى تدعوه «إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» أى كذبهم، فيمن فتح الخاء. و الاعادة الأولين و خلقهم، و الخلق المصدر من قولك: خلق اللَّه العباد خلقاً. و الخلق المخلوق من قولهم: يعلم هذا من خلق الناس. قال الفراء: يقولون هذه الأحاديث: خلق يعنون المختلقة. قال و القراءة بضم الخاء أحب إلىّ، لأنها تتضمن المعنيين. و الخلق الاختلاق، و هو افتعال الكذب على التقدير الذى يوهم الحق.

ثم أخبروا: إنا لسنا بمعذبين على خلاف ما تدعونا اليه، على ما تدعيه التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴٨

«فَكَذَّبُوهُ» يعنى هوداً «فَأَهْلَكْناهُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً» الى آخر القصة.

و قد فسرناه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ١۴١ الى ١۵٠] ..... ص : ۴٨

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١۴١) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ (١۴٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١۴٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (١۴۴) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (١۴۵)

أَ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ (١۴۶) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (١۴٧) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ (١۴٨) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ

(١۴٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (١۵٠)

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو «فرهين» بغير الف. الباقون «فارهين» بألف.

حكى اللَّه تعالى عن قوم صالح، و هم (ثمود) أنهم كذبوا المرسلين، و لم يصدقوهم فيما دعوهم اليه من توحيد اللَّه و خلع الأنداد و ترك عبادة الأصنام، حتى قال لهم أخوهم فى النسب صالح، و هو النبى المبعوث اليهم «أ لا تَتَّقُونَ» اللَّه باجتناب معصيته و ترك عبادة من سواه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» فالأمين هو الذى استودع الشيء على من أمن منه الخيانة، فالرسول بهذه الصفة، لأنه يؤدى الرسالة، كما حملها من غير تغيير لها، و لا زيادة، و لا نقصان. التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۴٩

ثم أمرهم فقال «فَاتَّقُوا» عقاب «اللَّهَ» باجتناب معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه، و لست اسألكم على ما أدعوكم اليه اجراً فيصرفكم عن القبول لأنه ليس أجرى و ثوابى فى ذلك إلا على رب العالمين الذى خلق الخلق. ثم قال لهم يا قوم «أ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ» منكراً عليهم، فان ما هم فيه من النعم لا تبقى عليهم، و انها تزول عنهم و أن أمنهم سيئول الى الخوف. و الامن سكون النفس الى السلامة، و هو نقيض الخوف. و قد يكون أمناً مع العلم بالسلامة، و مع الظن القوى.

ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها، فقال أنتم «فِي جَنَّاتٍ» و هى البساتين التى يسترها الشجر «وَ عُيُونٍ» جارية «وَ زُرُوعٍ» و هو جمع زرع و هو نبات من الحب الذى يبذر فى الأرض: زرعه أى بذره فى الأرض كما يزرع البذر فالبذر المبدد فى الأرض على وجه مخصوص يسمى زرعاً «وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ» فالهضيم اللطيف فى جسمه، و منه هضيم الحشا أى لطيف الحشا، و منه هضمه حقه: إذا ما نقصه، لأنه لطف جسمه ينقصه، و منه هضم الطعام إذا لطف و استحال الى مشاكلة البدن. و قال ابن عباس: معنى «هضيم» أى قد بلغ و اينع. و قال الضحاك: ضمر يزكون بعضه بعضاً. و قال عكرمة: هو الرطب اللين، و قال مجاهد: هو الذى إذا مس تفتت. و قال أبو عبيدة و الزجاج، و الفراء: هو المتداخل بعضه فى بعض.

و قوله «وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ» قال ابن عباس: معناه حاذقين و قال ابن عباس ايضاً (فرهين) أشرين بطرين. و قال الضحاك: معناه عليين.

و قال ابن زيد: الفره القوى. و قيل: هو الفرح المرح، كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۵٠

لا

أستكين إذا ما ازمة أزمت و لن ترانى بخير فاره اللبب «١»

أى مرح اللبب. و قيل: فاره و فره مثل حاذق و حذق، و الفاره النافذ فى الصنعة بين الفراهة كحاذق بين الحذق، و عبد فاره نافذ فى الأمور.

ثم قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى ترك عبادته و الاشراك به و اجتنبوا معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أدعوكم اليه

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ١۵١ الى ١۵٩] ..... ص : ۵٠

وَ لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١۵١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لا يُصْلِحُونَ (١۵٢) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١۵٣) ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١۵۴) قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١۵۵)

وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١۵۶) فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ (١۵٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١۵٨) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١۵٩)

تسع آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى أن صالحاً قال لقومه «لا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» و هم الذين تجاوزوا الحد بالبعد من الحق. و قيل عنى بالمسرفين: تسعة

رهط من ثمود، كانوا

---

(١) اللسان (فره) و روايته (الطلب) بدل (اللبب).

يفسدون فى الأرض و لا يصلحون، فنهاهم الله على لسان صالح عن اتباعهم.

و قال «الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» بان يفعلوا فيها المعاصى، و يرتكبوا القبائح «وَ لا يُصْلِحُونَ» أى لا يفعلون شيئاً من الافعال الحسنة.

فقالوا له فى الجواب عن ذلك «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» و المسحر: هو الذى قد سحر مرة بعد مرة، حتى يختل عقله و يضطرب رأيه.

و السحر حيلة توهم قلب الحقيقة، و قال مجاهد: معناه من المسحورين. و قال ابن عباس: من المخلوقين، لأنه يذهب الى انه يخترع على أمر يخفى كخفاء السحر. و قيل:

معناه انك ممن له سحر أى رئة، و منه قولهم انتفخ سحره قال لبيد:

فان تسلينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر «١»

أى المعلل بالطعام و الشراب، على أمر يخفى كخفاء السحر.

ثم قالوا له «ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» أى ليس أنت إلا مخلوقاً مثلنا، فلن نتبعك و نقبل منك، و قالوا له «فَأْتِ بِآيَةٍ» أى معجزة تدل على صدقك «إِنْ كُنْتَ مِنَ» جملة «الصَّادِقِينَ» فى دعواك، فقال لهم «هذِهِ ناقَةٌ» و هى التى أخرجها الله من الصخرة عشراء ترعو على ما اقترحوا «لَها شِرْبٌ» أى حظ من الماء، قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة فى غصون ذات او قال «٢»

أى لم يمنع حظها من الماء و (الشرب)- بفتح الشين و ضمها و كسرها- تكون مصادراً، على ما قاله الفراء و الزجاج، و كانوا سألوا أن يخرج لهم من

---

(١) مر تخريجه فى ١/ ٣٧٢ و ٦/ ٤٨٥.

(٢) السان (و قل) و روايته:

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت حمامة فى سحوق ذات أو قال.

الجبل ناقة عشراء فأخرجها الله حاملا كما سألوا، و وضعت بعد فصيلا، و كانت عظيمة الخلق جداً. ثم قال لهم صالح «وَ لا تَمَسُّوها» يعنى الناقة «بِسُوءٍ» أى بضر تشعر به، فالسوء هو الضرر الذى يشعر به صاحبه، لأنه يسوء وقوعه، فإذا ضره من حيث لا يشعر به لم يكن قد ساءه، لكنه عرضه لما يسوؤه.

و قوله «فَيَأْخُذَكُمْ عَذابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ» معناه إنكم إن مسستم هذه بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم، أى الصيحة التى أخذتهم.

ثم اخبر فقال «فَعَقَرُوها» أى انهم خالفوه و عقروا الناقة. فالعقر قطع الشيء من بدن الحى، فإذا كثر انتفت معه الحياة، و إن قل لم تنتف.

و المراد- هاهنا- انهم نحروها. و قيل: انهم عقروها، لأنها كانت تضيق المرعى على مواشيهم. و قيل: كانت تضيق الماء عليهم، و لما عقروها رأوا آثار العذاب فيه جداً، و لم يتوبوا من كفرهم، و طلبوا صالحاً ليقتلوه، فنجاه الله و من معه من المؤمنين. ثم جاءتهم الصيحة بالعذاب، فوقع لجميعهم الإهلاك، و لو كانوا ندموا على الحقيقة، و اقلعوا عن الكفر، لما أهلكهم الله.

ثم قال تعالى إن فيما أخبرنا به و فعلناه بقوم صالح من إهلاكهم، لدلالة واضحة لمن اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يؤمنون «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى العزيز فى انتقامه «الرَّحِيمُ» بمن آمن من خلقه به.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ الى ١٧٥] ..... ص : ٥٢

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١۶٠) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ (١۶١) إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١۶٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (١۶٣) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلی رَبِّ الْعالَمِينَ (١۶۴)

أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ (١۶۵) وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ (١۶۶) قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١۶٧) قالَ إِنِّی لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ (١۶٨) رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمَّا يَعْمَلُونَ (١۶٩)

فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزاً فِی الْغابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِی ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧۴)

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧۵)

التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵٣

ست عشرة آية بلا خلاف.

حكی اللَّه تعالی عن قوم لوط أنهم كذبوا الرسل الذين بعثهم اللَّه، بترک الاشراک به و إخلاص العبادة له، حين «قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ» اللَّه فتجتنبوا معاصيه و الاشراک به، و انه قال لهم «إِنِّی لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» و قد فسرناه. و اخباره عن نفسه بأنه رسول أمين مدح له، و ذلک جائز فی الرسول كما يجوز أن يخبر عن نفسه بأنه رسول اللَّه، و انما جاز أن يخبر بذلک لقيام الدلالة علی عصمته من القبائح. و غيره لا يجوز أن يخبر بذلک عن نفسه لجواز التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۴

الخطأ عليه.

و اخبر ايضاً انه قال لهم «فَاتَّقُوا اللَّهَ» و اجتنبوا معاصيه «وَ أَطِيعُونِ» فيما أمركم به و أدعوكم اليه و لست اسألكم علی ما اؤديه إليكم و أدعوكم اليه، أجراً، و لا ثواباً، لأنه ليس أجری إلا علی اللَّه الذی خلق العالمين، و انما حكی اللَّه تعالی دعوة الأنبياء بصيغة واحدة، و لفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذی يأتی به الرسل، و يدعون اليه واحد من اتقاء اللَّه تعالی و اجتناب معاصيه و اخلاص عبادته، و طاعة رسله، و أن أنبياء اللَّه لا يكونون إلا أمناء للَّه، و انه لا يجوز علی واحد منهم أن يأخذ الأجر علی رسالته، لما فی ذلک من التنفير عن قبول قولهم، و المصير اليه الی تصديقهم. ثم قال لهم منكراً عليهم «أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ»؟! يعنی من جملة الخلائق «وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ» أی و تتركون ما خلقه لكم من الازواج و النساء، و تذرون استغنی فی ماضيه ب (ترک) و لا يستعمل إلا فی ضرورة الشعر. و الزوجة المرأة التی وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح، يقال: زوجة و زوج، قال اللَّه تعالی «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» «١».

ثم قال لهم منكراً عليهم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ» أی خارجون عن الحق بعيدون عنه. و العادی و الظالم و الجائر نظائر، و العادی من العدوان.

و قد يكون من العدو، و هو الاسراع فی السعی، فقال له قومه فی جوابه «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ» و ترجع عما تقوله «يا لُوطُ» و تدعونا اليه و تنهانا عنه «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» أی نخرجک من بيننا و عن بلدنا. فقال لهم لوط عند ذلک «إِنِّی لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ» يعنی من المبغضين: قلاه يقليه إذا أبغضه.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٣۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۵

ثم دعا لوط ربه فقال «رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمَّا يَعْمَلُونَ» أی من عاقبة ما يعملونه، و هو العذاب النازل لهم فأجاب اللَّه دعاءه و قال

«فَنَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى من العذاب الذى وقع بهم. و قد يجوز أن يكون أراد النجاة من نفس عملهم، بأن يفعل لهم من اللطف ما يجتنبون مثل أفعالهم، و تكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك. و استثنى من جملة أهله الذين نجاهم «عجوزاً» فانه أهلكها. و قيل: انها كانت امرأة لوط تدل قومه على أضيافه «فِي الْغابِرِينَ» يعنى الباقين. فيمن هلك من قوم لوط، لأنه قيل: هلكت هى فيما بعد مع من خرج عن القرية بما أمطر اللَّه عليهم من الحجارة. و قيل أهلكوا بالخسف، و قيل بالائتفاك و هو الانقلاب. ثم أمطر على من كان غائباً منهم عن القرية من السماء حجارة قال الشاعر فى الغابر:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الاله ما مضى و ما غبر «۱»

و قال الشاعر:

لا تكسع الشول باغبارها انك لا تدرى من الناتج «۲»

فأغبارها بقية لبنها فى اخلافها، و الغابر الباقى فى قلة، كالتراب الذى يذهب بالكنس، و يبقى غباره: غبر يغبر، فهو غابر، و غبر الجص بقيته. و غبر من الغبار تغبيراً، و تغبر تغبراً. و العجوز المرأة التى قد أعجزها الكبر عن أمور كثيرة، و مثله الكبيرة و المسنة.

و قوله «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ» فالتدمير هو الإهلاك بأهوال الأمور، دمره تدميراً، و مثله تبره تتبيراً، و دمر عليه يدمر دمراً إذا هجم عليه بالمكروه

---

(۱) مر تخريجه فى ۶/ ۳۴۴ و ۷/ ۱۷۵

(۲) تفسير القرطبى ۱۳/ ۱۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۶

و الدامر الهالك.

و قوله «وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً» فالامطار الإتيان بالقطر العام من السماء، و شبه به امطار الحجارة، و الإهلاك بالامطار عقاب اتى الذكران من العالمين «فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» سماه (سوء) و إن كان حسناً، لأنه كان فيه هلاك القوم ثم قال «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً» أى دلالة «وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و قد فسرناه.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۶ الى ۱۹۱] ..... ص : ۵۶

كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (۱۷۶) إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۷۷) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۷۸) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۷۹) وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۸۰)

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (۱۸۱) وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ (۱۸۲) وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۱۸۳) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (۱۸۴) قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (۱۸۵)

وَ ما أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكاذِبِينَ (۱۸۶) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۸۷) قالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۱۸۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۸۹) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۹۰) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۱۹۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۷

ست عشرة آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر «أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» على انه اسم المدينة معرفة لا ينصرف. قال ابو على الفارسى: الأجود أن يكون ذلك على تخفيف الهمزة، مثل لحمر و نصبه يضعف، لأنه يكون نصب حرف الاعراب فى موضع الجر، مع لام التعريف، و ذلك لا يجوز.

و حجة من قرأ بذلک أنه فی المصحف بلا ألف. و قالوا هو اسم المدینة بعینها. الباقون «أَصْحابُ الْأَیْکَةِ» بالألف و اللام مطلقاً مضافاً. و مثله الخلاف فی ص. و قرأ أبوا حفص «کسفاً» بفتح السین- هاهنا- و فی (سبأ). الباقون بإسکانها.

حکی اللَّه تعالی أن قوم شعیب، و هم أصحاب الأیکة کذبوا المرسلین فی دعائهم الی خلع الأنداد و إخلاص العبادة للَّه. و الایکة الغیضة ذات الشجر الملتف. و جمعه الأیک، قال النابغة الذبیانی:

تجلو بقادمتی حمامة أیکة برداً أسف لشاته بالإثمد «۱»

و قال ابن عباس و ابن زید: اصحاب الأیک هم أهل مدین. و انما قال «إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَیْبٌ» و لم یقل أخوهم کما قال فی سائر من تقدم من الأنبیاء لأنه لم یکن منهم فی النسب، و سائر من تقدم کانوا منهم فی النسب، إلا موسی

---

(۱) دیوانه (دار بیروت) ۴۰.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۸

فانه کان من بنی إسرائیل، و کانوا هم قبطاً و لم یسمه اللَّه بأنه أخوهم. ثم حکی عن شعیب انه قال لقومه مثل ما قاله سائر الأنبیاء و قد فسرناه.

ثم قال لهم «أَوْفُوا الْکَیْلَ» أی اعطوا الواجب وافیاً غیر ناقص و یدخل الوفاء فی الکیل و الذرع و العدد، یقال: أوفی یوفی إیفاء و وفاء. و نهاهم أن یکونوا من المخسرین، فالمخسر المعرض للخسران فی رأس المال بالنقصان أخسر یخسر إخساراً إذا جعله یخسر فی ماله، و خسر هو یخسر خسراناً و اخسره نقیض أربحه. و أمرهم أن یزنوا بالقسطاس المستقیم، فالوزن وضع شی بإزاء المعیار، لما یظهر منزلته منه فی ثقل المقدار إما بالزیادة أو النقصان او التساوی. و القسطاس العدل فی التقویم علی المقدار، و هو علی وزن (قرطاط) و جمعه قساطیس. و قال الحسن: القسطاس القبان. و قال غیره هو المیزان. و قال قوم هو العدل و السواء. ذکره ابو عبیدة.

ثم قال لهم «وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْیاءَهُمْ» أی لا تنقصوها، «وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ» قال قوم: لا تعثوا فیها بالمعاصی. و قال سعید ابن المسیب: معناه لا تفسدوا فیها بعد إصلاحها. و قال ابو عبیدة: عثا یعثا عثواً و هو أشد الفساد بالخراب. و قال غیره: عثا یعثو عثواً، و عاث یعیث عیثاً.

ثم قال لهم «وَ اتَّقُوا الَّذِی خَلَقَکُمْ» و أوجدکم بعد العدم «وَ الْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِینَ» فالجبلة الخلیقة التی طبع علیها الشیء- بکسر الجیم- و قیل ایضاً بضمها و یسقطون الهاء أیضاً فیخففون. و منه قوله «وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْکُمْ جِبِلًّا کَثِیراً» «۱» و قال ابو ذؤیب:

---

(۱) سورة ۳۶ یس آیة ۶۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۹

منایا یقربن الحتوف لأهلها جهاراً و یستمتعن بالانس الجبل «۱»

و معناه اتقوا خلیقة الأولین فی عبادة غیر اللَّه و الاشراک معه، فهو عطف علی (الذی) فیها، و لا یجوز أن یکون منصوباً ب «خلقکم» لأن اللَّه تعالی لم یخلق کفرهم، و لا ضلالهم، و إن جعلته منصوباً ب «خلقکم» علی أن یکون المعنی اتقوا اللَّه الذی خلقکم و خلق الخلق الأولین، کان جائزاً، و أخلصوا العبادة للَّه. فقالوا فی الجواب له «إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ» و قد فسرناه.

«وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا» أی مخلوقاً من الناس مثلنا، و لست بملک حتی یکون لک فضل علینا. و البشر هو الإنسان، و الإنسان مشتق من الانس و وزنه (فعلیان) و الأصل إنسیان غیر أنه حذف منه الیاء، فلما صغر رد الی أصله، فقیل: إنسیان. و البشر من البشرة الظاهرة. و المثل و الشبه واحد.

«وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ» معناه إنا نحسبک کاذباً من جملة الکاذبین.

و (إن) هى المخففة من الثقيلة. و لـذلك دخلت اللام فى الخبر. ثم قالوا له: إن كنت صادقاً و محقاً فى دعواك «فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ السَّماءِ» أى قطعاً- فى قول ابن عباس- و هو جمع كسفة، و مثله نمرة و تمر، فقال لهم فى الجواب عن ذلك «رَبِّى أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ» و معناه إنه إن كان فى معلومه أنه: متى بقاكم انكم تتوبون أو يتوب تائب منكم، لم يقتطعكم بالعذاب، و إن كان فى معلومه انه لا يفلح واحد منكم، فسيأتيكم عذاب الاستئصال.

ثم قال تعالى «فكذبوه» يعنى قوم شعيب كذبوا شعيباً، فعاقبهم اللّه بعذاب يوم الظلة، و هى سحابة رفعت لهم، فلما خرجوا اليها طلبا لبردها من شدة ما أصابهم من الحر مطرت عليهم ناراً فأحرقتهم، فهؤلاء أصحاب الظلة، و هم

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۹/ ۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۶۰

غير أهل مدين- فى قول قتادة- قال: أرسل شعيب الى أمّتين.

«إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» و قد فسرناه و إنما كرر، «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» للبيان عن انه رحيم بخلقه عزيز فى انتقامه من الكفار.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (۲۶): الآيات ۱۹۲ الى ۲۰۷] ..... ص : ۶۰

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۹۲) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (۱۹۳) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (۱۹۴) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (۱۹۵) وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (۱۹۶)

أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۹۷) وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (۱۹۸) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۹۹) كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (۲۰۰) لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۲۰۱)

فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۲۰۲) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (۲۰۳) أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (۲۰۴) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ (۲۰۵) ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶)

ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ (۲۰۷)

عشرة آية بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۶۱

قرأ ابن عامر و اهل الكوفة الا حفصاً و يعقوب «نزل» به بتشديد الزاى و فتحها (الروح الأمين) بالنصب فيهما، الباقون بالتخفيف و الرفع فيهما.

و قرأ ابن عامر (أ و لم تكن) بالتاء (آية) بالرفع. الباقون بالياء و نصب (آية) من شدد الزاى، فلقوله «فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۱» (وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ) و من خفف، فلان التنزيل فعل اللّه، و هذا فعل جبرائيل، يقال: نزل اللّه جبرائيل، و نزل جبرائيل. فاما قوله (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً) بالتشديد، فلأجل حذف الباء، لأنك تقول نزلت به و أنزلته. و من شدد فانه أضاف الفعل الى اللّه.

و من خفف أضاف الفعل الى جبرائيل (ع) و من قرأ (أو لم تكن) بالتاء و رفع (آية) جعلها اسم (كان) و خبره (أن يعلمه) لأن (ان) مع الفعل بمنزلة المصدر، و تقديره: أو لم تكن لهم آية معجزة و دلالة ظاهرة علم بنى إسرائيل بمحمد فى الكتب. يعنى كتب الأنبياء (ع) قبله أنه نبى، و أن هذا القرآن من عند اللّه، لكنه لما جاءهم ما عرفوه على بصيرة كفروا به. و من قرأ بالياء و نصب (آية) جعلها خبر (كان) و اسمه (أن يعلمه) و هو الأقوى فى العربية، لان (آية) نكرة، و (أن يعلمه) معرفة، و إذا اجتمعت معرفة و نكرة اختير أن يكون المعرفة اسم (كان) و النكرة خبرها، و سيبويه لا يجيز غير ذلك إلا فى ضرورة الشعر كقول حسان:

کأن سبیئة من بیت رأس یکون مزاجها عسل و ماء «۲»

من بیت رأس معناه من بیت رئیس، فسمی السید رأساً، قال عمرو ابن کلثوم.

---

(۱) سورة ۲ البقرة آیة ۹۷.

(۲) اللسان (رأس).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۶۲

برأس من بنی جشم بن عمرو «۱»

و بیت رأس بیت بالشام، تتخذ فیه الخمور. و الهاء فی قوله «نزله ... و انه لتنزیل» کنایة عن القرآن فی قول قتادة. وصفه اللَّه تعالی أنه تنزیل من رب العالمین الذی خلق الخلائق. و وصفه بأنه تنزیل من رب العالمین، تشریف له و تعظیم لشأنه. ثم قال «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ» من خفف أسند الفعل الی جبرائیل، و لذلک رفعه. و من ثقل أسنده الی اللَّه تعالی، و نصب (الرُّوحُ الْأَمِینُ) علی انه مفعول به. و الروح الأمین جبرائیل (ع). و انما قال (عَلی قَلْبِکَ) لأنه بقلبه یحفظه فکأنه المنزل علیه. و (الرُّوحُ الْأَمِینُ) جبرائیل (ع) فی قول ابن عباس و الحسن و قتادة و الضحاک و ابن جریج.

و وصف بأنه (روح) من ثلاثة وجوه:

أحدها- انه تحیا به الأرواح بما ینزل من البرکات.

الثانی- لان جسمه روحانی.

الثالث- ان الحیاة علیه أغلب، فکأنه روح کله.

و قوله (عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ) أی انزل هذا القرآن علی قلبک لتخوف به الناس و تنذرهم. ثم عاد الی وصفه فقال (وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُرِ الْأَوَّلِینَ) و معناه إن ذکر القرآن فی کتب الأولین علی وجه البشارة به، لا لأن اللَّه أنزله علی غیر محمد (ص). و واحد (الزبر) زبور، و هی الکتب، تقول: زبرت الکتاب أزبره زبراً إذا کتبته. و أصله الجمع، و منه الزبرة الکتبة، لأنها مجتمعة.

ثم قال تعالی (أَ وَ لَمْ یَکُنْ لَهُمْ آیَةً) ای دلالة فی علم بنی إسرائیل واضحة

---

(۱) ملحق دیوان امرئ القیس اخبار عمرو بن کلثوم: ۲۲۶ و روایته:

برأس من بنی جشم بن بکر ندق به السهولة و الحزونا.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۶۳

علی صحة أمره. و من حیث أن مجیئه علی ما تقدمت البشارة به بجمیع أوصافه لا یکون إلا من جهة علام الغیوب. و قیل: من علماء بنی إسرائیل عبد اللَّه ابن سلام- فی قول ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد- ثم قال «وَ لَوْ نَزَّلْناهُ» یعنی القرآن «عَلی بَعْضِ الْأَعْجَمِینَ» قیل: معناه علی أعجم من البهائم أو غیره ما آمنوا به- ذکره عبد اللَّه بن مطیع- و قیل: معناه «لَوْ نَزَّلْناهُ عَلی رجل أعجم اللسان ما آمنوا به و لتکبروا علیه، لأنه من غیرهم، و أن المعجزة تفارقه، و فی ذلک تسلیة للنبی (ص) حین لم یؤمنوا به، و لم یقبلوا منه. و نقیض الأعجم الفصیح، و الأعجم الذی یمتنع لسانه من العربیة. و العجمی نقیض العربی، و هو نسبة الولادة، قال الشاعر:

من وائل لا حی یعدلهم من سوقة عرب و لا عجم «۱»

و إذا قیل أعجمی، فهو منسوب الی أنه من الأعجمین الذین لا یفصحون کما قال العجاج:

و الدهر بالإنسان دواری «۲»

فنسبه الی أنه من الدوارین بالإنسان.

و قوله «كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» فالهاء كناية عن القرآن.

و معناه أقررناه فى قلوبهم باخطاره ببالهم لتقوم به الحجة عليهم، و للّه لطف يوصل به المعنى فى الدليل الى القلب، فمن فكر فيه أدرك الحق به. و من أعرض عنه كان كمن عرف الحق و ترك العمل به فى لزوم الحجة عليه.

و الفرق بين من أدرك الحق لسلوكه فى القلب، و بين من أدرك الحق بالاضطرار اليه فى القلب، أن الاضطرار اليه يوجد الثقة به، فيكون صاحبه عالماً به. و اما

---

(١) تفسير الطبرى ١٩/ ٦٤ [.....]

(٢) مر تخريجه فى ۴/ ٣٧٧، ۵٠۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۶۴

بسلوكه، فيكون مع الشك فيه.

و قال الحسن و ابن جريج، و ابن زيد: كذلك «سلكناه» أى الكفر.

و لا وجه لذلك، لأنه لم يجر ذكره، و لا حجة فيه و انما الحجة فى القرآن و اخطاره بالبال، فهو أحسن فى التأويل.

و قوله «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ» اخبار منه تعالى عن قوم من الكفار أنهم يموتون على كفرهم بأنهم لا يؤمنون حتى يشاهدوا العذاب المؤلم، فيصيرون عند ذلك ملجئين الى الايمان، و معنى «حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ» أى حتى يشاهدوا أسبابه من نيران مؤججة لهم يساقون اليها، لا يردّهم عنها شي‏ء. و يحتمل حتى يعلموه فى حال حلوله بهم علم ملابسته لهم.

ثم قال تعالى «فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» و معناه: إن العذاب الذى يتوقعونه و يستعجلونه يجيئهم فجأة. و البغتة حصول الأمر العظيم الشأن من غير توقع بتقديم الأسباب، و قيل البتة الفجأة. و البادرة، بغتة الأمر يبغته بغتاً و بغتة قال الشاعر:

و افضع شي‏ء حين يفجؤك البغت «١»

و أتاه الامر بغتة نقيض أتاه عن تقدمة «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون و الشعور هو العلم بما يلطف، لطف الشعر.

ثم اخبر تعالى انه إذا جاءهم العذاب بغتة قالوا «هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أى مؤخرون، فقال اللّه تعالى «أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ» على وجه التوبيخ لهم و الإنكار عليهم. ثم قال لنبيه (ص) «أَ فَرَأَيْتَ» يا محمد «إِنْ مَتَّعْناهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جاءَهُمْ ما كانُوا يُوعَدُونَ» به من العذاب «ما أَغْنى عَنْهُمْ ما كانُوا يُمَتَّعُونَ» معناه

---

(١) مر تخريجه فى ۴/ ١٢٢، ۵٠٧ و ۶/ ٢٠۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۶۵

انه لم يغن عنهم ما كانوا يمتعون، لازديادهم من الآثام، و اكتسابهم من الاجرام، أى أىّ شي‏ء يغنى عنهم ما يمتعون به من النعم، لأنه فان كله، و الإغناء عن الشي‏ء صرف المكروه عنه بما يكفى عن غيره. و الغنى به نقيض الغنى عنه، فالاغناء عنه الصرف عنه، و الإغناء به الصرف به، و الامتاع إحضار النفس ما فيه اللذة بإدراك الحاسة، يقال: أمتعه بالرياحين و الطيب، و أمتعة بالنزه و البساتين، و أمتعة بالمال و البنين، و أمتعة بالحديث الطريف الظريف.

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ٢٠٨ الى ٢٢٠] ..... ص : ۶۵

وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَها مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرى وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ (٢٠٩) وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ (٢١٠) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)

فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (۲۱۳) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (۲۱۴) وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (۲۱۶) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (۲۱۷)

الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ (۲۱۸) وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (۲۱۹) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۲۲۰)

اثنتا عشرة آية فى المكى و المدنى الآخر، و ثلاث عشرة آية فيما عداه. عدوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۶۶

«الشَّياطِينُ» و لم يعدها الأول.

يقول اللَّه تعالى «وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ» أهل «قَرْيَةٍ» بالعذاب الذى أنزلناه عليهم فيما مضى من الأمم السالفة (الا) و كان (لَها مُنْذِرُونَ) يخوفونهم باللَّه و يحذرونهم معاصيه. و قوله «ذِكْرى وَ ما كُنَّا ظالِمِينَ» معناه ذاك الذى قصصناه من إنزال العذاب بالأمم الخالية «ذكرى» لكم تتعظون بها. ثم بين أن ذلك كان عدلا، ليكون أشد فى الزجر، و إن اللَّه تعالى لم يكن ظالماً لاحد.

و موضع «ذكرى» يجوز أن يكون نصباً بالإنذار، و يجوز أن يكون رفعاً بالاستئناف على ذلك (ذكرى). و الذكرى: هو إظهار المعنى للنفس تقول:

ذكرته ذكرى.

و بين ان ذلك ليس مما ينزل به الشياطين و يغوون به الخلق، بل هو وحى من اللَّه تعالى. ثم بين انه ليس ينبغى للشياطين إنزال ذلك. و انهم لا يستطيعون على ذلك. و معنى ينبغى لك كذا يطلب منك فعله فى مقتضى العقل، فتقول:

ينبغى لك أن تختار الحسن على القبيح، و لا ينبغى لك أن تختار القبيح على الحسن. و أصله من البغية التى هى الطلب، و قرا الحسن و «ما تنزلت به الشياطون» بالواو، ظناً منه أنه مثل (المسلمين). و هذا لحن بلا خلاف، لأنه جمع تكسير شيطان و شياطين. و الاستطاعة هى القدرة التى ينطاع بها الفعل للجارحة. ثم قال: «إِنَّهُمْ» يعنى الشياطين «عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» و قيل: معناه إنهم عن عن استراق السمع من السماء لمعزولون. و قيل: عن سمع القرآن- فى قول قتادة- لمعزولون معناه منحون. فالعزل تنحية الشيء عن الموضع الى خلافه، و هو ان يزيله عن أمر الى نقيضه، كما قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۶۷

عزل الأمير بالأمير المبدل «۱»

و انما لم ينبغ لهم ذاك لحراسة المعجزة عن أن تتموّه بالباطل، لأن اللَّه إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسة، حتى تصح الدلالة.

ثم نهى نبيه (ص) و المراد به المكلفين، فقال «فَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ» و تقديره انك إن دعوت معه إلهاً آخر كنت من المعذبين.

ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين قيل: انما خص فى الذكر إنذار عشيرته الأقربين، لأنه يبدأ بهم، ثم الذين يلونهم، كما قال تعالى «قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» «۲» لان ذلك هو الذى يقتضيه حسن التدبير: الترتيب. و يحتمل أن يكون أنذرهم بالافصاح عن قبيح ما هم عليه و عظم ما يؤدى اليه من غير تليين بالقول يقتضى تسهيل الأمر لما يدعو اليه مقاربة العشيرة، بأن من نزل بهم الاغلاظ فى هذا الباب أذلهم. و قيل: ذكر عشيرتك الأقربين أى عرفهم إنك لا تغنى عنهم من اللَّه شيئاً إن عصوه. و قيل: انما خص عشيرته الأقربين لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم، و قد فعل (ص) ذلك. و القصة بذلك مشهورة فانه

روى أنه أمر (ص) علياً بأن يصنع طعاماً ثم دعا عليه بنى عبد مناف و أطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرنى على هذا الأمر يكن وزيرى و أخى و وصيى، فلم يجبه أحد إلا على (ع)

و القصة فى ذلك معروفة.

ثم أمره (ص) بأن يخفض جناحه للمؤمنين الذين اتبعوه، و معناه ألن جانبك و تواضع لهم، و حسن أخلاقك معهم- ذكره ابن زيد- ثم قال «فَإِنْ عَصَوْكَ» يعنى أقاربك بعد إنذارك إياهم و خالفوك فيما تدعوهم اليه الى

(١) مر فى ٧/ ٩٧، ۴۵۶

(٢) سورة ٩ التوبة آية ١٢۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۶٨

ما يكرهه اللّه، فقل لهم «إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» أى من أعمالكم القبيحة و عبادتكم للأصنام. و البراءة المباعدة من النصرة عند الحاجة، فإذا برىء من عملهم فقد تباعد من النصرة لهم او الموالاة. ثم أمره أن يتوكل على العزيز الرحيم و معناه أن يفوض أمره الى من يدبره. و التوكل على اللّه من الايمان، لأنه أمر به، و حث عليه «عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» يعنى القادر الذى لا يغالب، و لا يعاز الكبير الرحمة الواسع النعمة على خلقه «الَّذِي يَراكَ»

يا محمد «حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ»

أى تصرفك فى المصلين بالركوع و السجود و القيام و القعود- فى قول ابن عباس و قتادة- و فى رواية أخرى عن ابن عباس:

إن معناه إنه أخرجك من نبى الى نبى حين أخرجك نبياً. و قيل: معناه يراك حين تصلى وحدك، و حين تصلى فى جماعة. و قال قوم من أصحابنا: إنه أراد تقلبه من آدم الى أبيه عبد اللّه فى ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير اللّه.

و الرؤية- هاهنا- هى ادراك البصر، دون رؤية القلب، لان (رأيت) بمعنى علمت، لا يتعدى الى مفعول واحد، فهى من رؤية البصر، ثم قال «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى يسمع ما تتلو فى صلاتك، العليم بما تضمر فيها فى قلبك.

و قيل معنى «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» ليظهرك على كيد أعدائك الذين عصوك فيما أمرتهم به. و قرأ ابن عامر و نافع «فتوكل» بالفاء، لأنها فى مصاحف أهل المدينة و الشام كذلك. الباقون بالواو، و كذلك هو فى مصاحفهم.

و التوكل على اللّه: هو أن يقطع العبد جميع أماله من المخلوقين إلا منه تعالى، و يقطع رغبته من كل احد إلا اليه، فإذا كان كذلك رزقه اللّه من حيث لا يحتسب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۶٩

قوله تعالى:[سورة الشعراء (٢۶): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧] ..... ص : ۶٩

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ (٢٢٣) وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ (٢٢۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ (٢٢۵)

وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (٢٢۶) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

سبع آيات بلا خلاف.

لما اخبر اللّه تعالى أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين، و أنه وحى من اللّه تعالى على نبيه، نبه خلقه على من تنزل الشياطين عليه بقوله «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أى هل أخبركم «عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» أى كذاب أثيم، و قال مجاهد: الأفاك الكذاب. و معناه الكثير الكذب، و القلب للخبر من جهة الصدق الى الكذب، و أصله الانقلاب من المؤتفكات و هى المنقلبات.

و الانباء الاخبار بما فيه من الغيوب و عظم الشأن، و منه قولهم: لهذا الامر نبأ و منه اشتق وصف الرسول بأنه نبى بعظم شأن ما اتى به من الوحى من اللّه.

و الآثم الفاعل للقبيح: أثم يأثم إثماً إذا ارتكب القبيح، و تأثم إذا ترك الإثم مثل تحوب إذا ترك الحوب، و أثمه تأثيماً إذا نسبه الى الإثم، ثم قال «يُلْقُونَ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٧٠

السَّمْعَ»

، أى يلقون ما يسمعون باستراق السمع الى كل أفاك أثيم- فى قول مجاهد- ثم اخبر تعالى أن أكثرهم كاذبون فيما يلقونه اليهم.

و قوله «وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ» قال الحسن: هم الذين يسترقون السمع و يلقونه الى الكهنة، و قال إنما يأخذون أخباراً عن الوحى «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» أى عن سمع الوحى. و قيل: ان الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون فى قصصهم و يقولون ما يخطر ببالهم.

و قوله «أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ» أى هم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه فى كل واد يعن له، و ليس هذا من صفة من عليه السكينة و الوقار و من هو موصوف بالحلم و العقل. و المعنى أنهم يخوضون فى كل فن من الكلام و المعانى التى يعن لهم و يريدونه. و قال ابن عباس و قتادة:

معناه فى كل لغو يخوضون: يمدحون و يذمون، يعنون الباطل. و قال الجبائى:

معناه يصغون الى ما يلقيه الشيطان اليهم على جهة الوسوسة لما يدعوهم اليه من الكفر و الضلال. و قيل: انما صار الأغلب على الشعراء الغى باتباع الهوى، لان الذى يتلو الشعر- فى الأكثر- العشاق و لذلك يقبح التشبيب، مع أن الشاعر يمدح للصلة و يهجو على جهة الحمية فيدعوه ذلك الى الكذب، و وصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل و الرذائل.

و قرأ نافع «يتبعهم» بتخفيف التاء من تبعه إذا اقتفى أثره، يقال تبع فلاناً إذا سار فى أثره و اتبعه لحقه. الباقون: بالتشديد من الاتباع، و معناهما واحد.

و الآية قيل نزلت فى الشعراء الذين هجوا رسول اللَّه (ص) و المؤمنين، و هى تتناول كل شاعر بكذب فى شعره- ذكره الفراء- و قيل: انها نزلت فى ابن الزبعرى و أمثاله. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٧١

ثم اخبر ان هؤلاء الشعراء يقولون و يحثون على أشياء لا يفعلونها هم، و ينهون عن أشياء يرتكبونها، ثم استثنى من جملتهم الذين آمنوا منهم و عملوا الصالحات و ذكروا اللَّه كثيراً، فاجتنبوا معاصيه، و انتصروا- لنفوسهم فى الدين- من الذين ظلموهم. و قيل: أراد الشعراء الذين ردوا على المشركين هجاءهم للمؤمنين، فانتصروا بذلك للنبى و المؤمنين، ثم هدد الظالمين، فقال «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أى أى منصرف ينصرفون اليه لأن منصرفهم الى النار، نعوذ باللَّه منها. و قيل أراد الذين ظلموا نفوسهم بقول الشعر الباطل من هجو النبى و المؤمنين، و من يكذب فى شعره.

و قوله «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» نصب (أى) ب (ينقلبون) و لا يجوز أن ان يكون منصوباً ب (سيعلم)، لأن أياً لا يعمل فيها ما قبلها، لأن الاستفهام له صدر الكلام حتى ينفصل من الخبر بذلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٧٣

۲۷-سورة النمل ..... ص : ۷۳

اشارة

مكية بلا خلاف و هى خمس و تسعون آية حجازى و اربع و تسعون آية بصرى و شامى و ثلاث و تسعون آية فى عدد الكوفيين

[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۷۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ (١) هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

(۳) إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (۴)
أُوْلئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذابِ وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قد بينا معنا الحروف التى فى أوائل السور فيما تقدم بما لا نحتاج معه إلى إعادته، و قد بينا قول من قال إنها أسماء للسور. و قال قوم «طس» اسم من اسماء القرآن.

و قوله «تلك» إشارة الى ما وعدوا بمجيئه من القرآن. و قيل ان «تلك» التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۷۴
بمعنى (هذا) و آيات القرآن هى القرآن، و انما أضافها اليه، كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» «۱». و القرآن و الكتاب معناهما واحد، و وصفه بالوصفين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة، و يظهر بالكتابة، و هو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعاً و ذلك يبطل قول من قال: ان كلام اللّه شىء واحد لا يتصرف بالقراءة و الكتابة.

و وصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا، و إذا وصفه بأنه بيان جرى مجرى وصفه له بالنطق بكذا فى ظهور المعنى به للنفس. و البيان هو الدلالة التى تبين بها الأشياء. و المبين المظهر، و حكم القرآن الموعظة بما فيها من الترغيب و الترهيب و الحجة الداعية الى الحق الصارفة عن الباطل، و أحكام الشريعة التى فيها مكارم الأخلاق و محاسن الافعال، و المصلحة فيما يجب من حق النعمة للّه تعالى ما يؤدى الى الثواب و يؤمن من العقاب، ثم وصفه بأنه «هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ» و موضع «هدى» نصب على الحال، و تقديره هادياً و مبشراً، و يجوز أن يكون رفعاً على تقدير هو «هدى و بشرى للمؤمنين» و المعنى ان ما فيه من البيان و البرهان يهديهم الى الحق، و ما لهم فى وجه كونه معجزاً الذى فيه من اللطف ما يؤديهم الى الثواب و يبشرهم بالجنة.

ثم وصف المؤمنين الذين بشرهم القرآن بأنهم «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» بحدودها و يداومون على أوقاتها و يخرجون ما يجب عليهم من الزكاة فى أموالهم الى مستحقها، و هم مع ذلك يوقنون بالآخرة، و يصدقون بها. ثم وصف تعالى من خالف ذلك و لم يصدق بالآخرة، فقال «إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال الحسن و الجبائى: زينا لهم أعمالهم التى أمرناهم بها، فهم

(۱) سورة ۶۹ الحاقة آية ۵۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۷۵
يتحيرون بالذهاب عنها.

الثانى- زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصى ليجتنبوا المشتهى «فَهُمْ يَعْمَهُونَ» عن هذا المعنى أى يتحيرون بالذهاب عنها.

ثم اخبر تعالى ان من وصفه بذلك لهم «سُوءُ الْعَذابِ» و وصفه بأنه سوء لما فيه من الألم و «هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ» لأنهم يخسرون الثواب و يحصل لهم بدلا منه العقاب فهو أخسر صفقة تكون.

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۶ الى ۱۱] ..... ص : ۷۵

وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (۶) إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (۷) فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۸) يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۹) وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (۱۰)
إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۱)

ست آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «بشـهاب قبس» منون غير مضاف جعلوا (قبساً) صـفة للشهاب على تقدير منور. الباقون بالاضافة على تقدير (نار) التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ٧۶

يقول اللَّه تعالى مخاطباً لنبيه محمـد صـلى اللَّه عليه و آله «إِنَّکَ» يـا محمـد «لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ» أی انک لتعطى لأن الملـك يلقيه اليه من قبـل اللَّه تعـالى، من عنـد حكيم بصـير بـالصواب من الخطـاء فی تـدبير الأمور بما يسـتحق به التعظيم. و قـد يفيد (الحكيم) العامل بالصواب المحكم للأمور المتقن لها.

و عليم بمعنى عالم إلا أن فيه مبالغـة. و قال الرمانی هو مثل سامع و سـميع، فوصـفنا له بأنه عالم يفيد أن له معلوماً، كما أن وصـفه بأنه سامع يفيد بأن له مسـموعاً، و وصفه بأنه عليم يفيد أنه متى صح معلومه، فهو عليم به، كما أن (سميعاً) يفيد أنه متى وجد مسموع لا بد أن يكون سامعاً.

و قوله «إِذْ قالَ مُوسی لِأَهْلِهِ» قال الزجاج: العامل فی إذ (اذكر) و هو منصوب به. و قال غيره: هو منصوب ب (عليم) إذ قال انی آنسـت ناراً.

فالايناس الاحسـاس بالشـیء من جهـة مـا يؤنس آنست كـذا، أؤنسه ايناسـاً و ما آنست به، فقـد أحسـست به، مع سـكون نفسك اليه «سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ» يعنی بمن يدل على الطريق و يهدينا اليه، لأنه كان قد ضل «أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ» قيل:

لأنهم كانوا قـد أصابهم البرد، و كان شـتاء فلذلك طلب ناراً. و الشـهاب نور كالعمود من النار، و جمعه شـهب. و قيل للكوكب الذی يمتد و ينقض شهاب، و جمعه شهب، و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهاباً، و القبس القطعة من النار قال الشاعر:

فی كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس «١»

و منه قيل اقتبس النار اقتباساً أی أخذ منها شـعلة، و اقتبس منه علماً أی أخذ منه نوراً يستضیء به كما يستضیء بالنار «لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ» معناه، لكی

---

(١) تفسير القرطبی ١٣/ ١۵٧.

التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ٧٧

تصطلوا. و معناه لتدفئوا، و الاصطلاء التدفی بالنار، و صلى النار يصلی صلا إذا لزمها، فاصله اللزوم. و قيل الصلاة منه للزوم الدعاء فيها و المصـلی الثـانی بعـد السابق للزومه صـلو السابق. و إنما قال لامراته «لَعَلِّی آتِیکُمْ» لأنه أقامها مقام الجماعـة فی الانس بها و السـكون اليها فی الامكنة الموحشة، و يجوز أن يكون على طريق الكناية على هذا التأويل.

و قوله «فَلَمَّا جاءَها» معناه جاء النار «نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النَّارِ وَ مَنْ حَوْلَها» و قيل فی معناه قولان:

أحدهما- بورك نور اللَّه الذی فی النار، و حسن ذلك، لأنه ظهر لموسـى بآياته و كلامه من النار. فی قول ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و الحسن.

الثـانی- الملائكـة الـذين وكلهم اللَّه بهـا على ما يقتضـيه. «وَ مَنْ حَوْلَها»- فی قول أبی على الجبائی- و لا خلاف أن الـذين حولها هم الملائكة الذين وكلوا بها. و «سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ».

و قوله «ان بورك» يحتمل أن يكون نصباً على نودی موسى بأن بورك.

و يحتمل الرفع على نودی البركة، و البركة ثبوت الخير النامی بالشیء. قال الفراء العرب تقول: باركك اللَّه، و بورك فيك.

و قوله «إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ» معناه ان اللَّه قال لموسـى ان الـذی يكلمك هو اللَّه العزيز القادر الـذی لا يغالب، الحكيم فی أفعاله، المنزه من القبائـح. قال الفراء: الهاء فی قوله «انه» عماد، و يسـميها البصـريون إضـمار الشأن و القصـة. ثم أراد أن يبين له دلالة يعلم بها

صحة النـداء، فقال «وَ أَلْقِ عَصاكَ» من يـدك، و فى الكلام حـذف، و هو أنه القى عصاه و صارت حية «فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ» و هى الحية الصغيرة مشتق من الاجتنان، و هو الاستتار، و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٧٨

الفراء: هى حية بين الصغيرة و الكبيرة، قال الراجز:

يرفعهن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جان و هاماً رجفاً «١»

و وصف العصـا فى هـذا الموضع «كَأَنَّهـا جَـانٌّ» و فى الشـعراء بأنها ثعبان، و هى الحيـة الكبيرة، لأنها جمعت صـفة الجان فى اهتزازه و سرعـة حركته مع انه ثعبـان فى عظمه، و لـذلك هـاله ف «وَلَّى مُـدْبِراً». و قيـل انها أول شـىء صارت جاناً ثم تـدرجت الى ان صارت ثعباناً، و هم يشاهدونها، و ذلك أعظم فى الاعجاز.

و قيـل: ان الحـالين مختلفان، لان الحال التى صارت فيها جاناً هى الحال التى خاطبه اللَّه فى أول ما بعثه نبياً، و الحال التى صارت ثعباناً هى الحال التى لقى فرعون فيها. فلا تنافى بينهما على حال.

و قوله «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» معنـاه و لم يرجع- فى قول قتـادة- و قال الجبائى معناه لم يرجع على عقبيه. و المعاقبـة ذهاب واحـد و مجى‏ء آخر على وجه المناوبة. و انما وّلى منها موسى بالبشرية، لا انه شك فى كونها معجزة له و لا يضره ذلك.

و قوله «يـا مُوسـى لا تَخَفْ» نـداء من اللَّه تعالى لموسـى و تسـكين منه، و نهى له عن الخوف. و قال له انك مرسل و «لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ» لأنهم لا يفعلون قبيحاً، و لا يخلون بواجب، فيخافون عقابه عليه، بل هم منزهون عن جميع ذلك.

و قوله «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْـناً بَعْدَ سُوءٍ» صورته صورة الاسـتثناء، و هو منقطع عن الاول و تقديره لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح، ثم بدل حسناً بعد سوء، بأن تاب من القبيح، و فعل الحسن، فانه يغفر له. و قال قوم:

---

(١) تفسير الطبرى ١٩/ ٧۶ و روايته:

يرقلن بالليل إذا ما رجفا أعناق جان و هاماً رجفاً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٧٩

هو اسـتثناء متصل و أراد من فعل صـغيرة من الأنبياء. فعلى هذا يكون الاسـتثناء متصـلا- ذكره الحسن- و هذا تأويل بعيد، لان صاحب الصغيرة لا خوف عليه أيضاً لوقوعها مكفرة. و الاستثناء وقع من المرسلين الذين لا يخافون، فالأول هو الصحيح.

و قوله «ثُمَّ بَدَّلَ حُسْـناً بَعْدَ سُوءٍ» معناه نـدم على ما فعله من القبيح، و تاب منه و عزم على أن لا يعود الى مثله فى القبح، فان من تلك صورته، فان اللَّه يغفر له و يستر عليه لأنه رحيم. و قيل: المعنى «لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَـلُونَ» إنما الخوف على من سواهم «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ» قال الجبائى:

فى الآية دلالة على انه يسـمى الحسن حسـناً قبل وجوده و بعد تقضيه، و كذلك القبيح، و هذا إنما يجوز على ضرب من المجاز، دون الحقيقة، لان كون الشـى‏ء حسـناً او قبيحاً بقيد حدوثه على وجه لا يصح فى حال عدمه، و انما سـمى بذلك بتقدير أنه متى وجد كان ذلك، و قال قوم «إلا» بمعنى الواو، فكأنه قال انى لا يخاف لدى المرسلون، و لا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، فانى أغفر له.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ١٢ الى ١۵] ..... ص : ٧٩

وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١۴) وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٨٠

أربع آيات بلا خلاف.

امر اللَّه تعالى موسى (ع) أن يدخل يده فى جيبه. و قيل: أراد كمه.

و قيل: ثيابه «تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يعنى من غير برص. و قال المبرد:

السوء إذا اطلق يراد به البرص، و إذا وصل بشىء، فهو كلما يسوء، قال:

و تقديره كأن هاتين مع بقية الآيات تسع آيات. و التقدير ادخل يدك فى جيبك فان ذلك مع إلقائك العصا، و ما بعد ذلك من الآيات تسع آيات، كما يقال جاء فلان فى جمع كثير، و هو احد ذلك الجمع. و قيل: إن معنى (فى) من.

و قال ابن مسعود: اتى موسى فرعون و عليه جبة صوف. و قال مجاهد كان كمها الى بعض يده.

و قوله «الى فرعون» تقديره مرسلا الى فرعون و قومه فى تسع آيات.

و حذف كما قال الشاعر:

رأتنى بخيليها فصدت مخافة و فى الخيل دوعاء الفؤاد فروق «۱»

أى رأتنى مقبلاـ بخيليها، ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه بأنهم «كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» و الآيات التسع التى كانت لموسى (ع): قلب العصا حية. و اليد البيضاء. و الجراد. و القمل. و الضفادع، و الدم. و البحر و انفلاقه. و رفع الطور فوق رؤسهم. و انفجار الحجر اثنتا عشرة عيناً. و قيل: بدل البحر

---

(۱) تفسير الطبرى ۱۹/ ۷۸.

و الجبل الطوفان و الطمس. ذكره ابن زيد.

ثم اخبر تعالى عن فرعون و قومه أنه لما جاءتهم آيات اللَّه و دلائله مبصرة.

و قيل فى معنى مبصرة قولان:

أحدهما- انها تبصر الصواب من الخطأ، يقال أبصرته و بصرته بمعنى واحد، كقولك أكفرته و كفرته، و اكذبته و كذبته.

الثانى- مبصرة للحق من الباطل، فهى تهدى اليه كأنها تراه. قالوا عند ذلك إن هذه الآيات «سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر.

ثم قال «وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا» و المعنى انهم عرفوها و علموها بقلوبهم، لكنهم جحدوا بها بألسنتهم طلباً للعلو و التكبر، ففى ذلك دلالة على أنهم كانوا معاندين إذ جحدوا ما عرفوا. و قال الرمانى: لا تدل على ذلك، لان معرفتهم كانت بوقوعها على الحقيقة. فأما الاستدلال على أنها من فعل اللَّه و من قبله ليدل بها على صدق من أعطاها إياه فبعد العلم بوقوعها.

و قال ابو عبيدة: الباء زائدة، و المعنى و جحدوها، كما قال العجاج:

نضرب بالسيف و نرجو بالفرح «۱»

و قيل انهم جحدوا ما دلت عليه من تصديق الرسول، كما تقول كذبت به أى بما جاء به.

ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) «فانظر» يا محمد (كيف كان عاقبة المفسدين) لان اللَّه أهلكهم و غرقهم و دمر عليهم.

ثم اخبر تعالى بأنه اعطى داود و سليمان علماً من عنده، و انهما قالا الحمد للَّه

---

(۱) قد مر فى ۷/ ۱۱۸ من هذا الكتاب.

الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، بأن جعلنا أنبياء و اختارنا من بين الخلائق. و العلم الذى اوتياه قيل: هو علم الأحكام. و قيل:

هو العلم بمنطق الطير، و كلام البهائم.

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۱۶ الى ۱۹] ..... ص : ۸۲

وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (۱۶) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (۱۷) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (۱۹)

أربع آيات بلا خلاف.

اخبر اللَّه تعالى أن سليمان ورث داود. و اختلفوا فيما ورث منه، فقال أصحابنا إنه ورث المال و العلم. و قال مخالفونا: انه ورث العلم، لقوله (ص) نحن معاشر الأنبياء لا نورث. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۸۳

و حقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضى بموته الى الثانى من ذوى قرابته.

و حقيقة ذلك فى الأعيان، فإذا قيل ذلك فى العلم كان مجازاً. و قولهم:

العلماء ورثة الأنبياء

، لما قلنا. و الخبر المروى عن النبى (ص) خبر واحد، لا يجوز أن يخص به عموم القرآن و لا نسخه به.

و قال بعضهم: إن داود كان له تسعة عشر ولداً ذكوراً و ورثه سليمان خاصة، فدل على أنه إنما ورّثه العلم و النبوة، فخبر واحد لا يلتفت اليه.

و قوله (يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) أى فهمنا معانى منطقها و ما نفهم به بعضها عن بعض، قال المبرد: و العرب تسمى كل مبين عن نفسه ناطقاً و متكلماً قال رؤبة:

لو اننى أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل «۱»

و قال الرمانى (مَنْطِقَ الطَّيْرِ) صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة، بخلاف منطق الناس إذ هو صوت يتفاهمون به معانيهم على صيغ مختلفة، لذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، و لم تفهم هى عنا، لأن أفهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة، و لما جعل سليمان يفهم عنها، كان قد علم منطقها.

و قوله (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) لفظه لفظ العموم، و المراد به الخصوص لأنه لم يؤت أشياء كثيرة. و قيل: المعنى (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يطلبه طالب لحاجته اليه و انتفاعه به، و يحتمل أن يكون المراد (وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) علماً و تسخيراً فى كل ما يصلح أن يكون معلوماً لنا و مسخراً، غير ان مخرجه مخرج العموم أبلغ و أحسن.

ثم اخبر ان سليمان كان قد قال هذا القول: إن هذا لهو الفضل الظاهر. اعترافاً

---

(۱) مقاييس اللغة (حكل) ۲/ ۹۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۸۴

بنعم اللَّه عليه. و يحتمل أن يكون ذلك اخباراً من اللَّه بأن ما ذكره هو الفضل الظاهر. و قيل: معناه و أعطينا من كل شىء من الخيرات.

و قوله «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ» أى جمع له من كل جهة جنوده «مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ» قال محمد بن كعب القرطى: كان عسكره مائة فرسخ، خمسة و عشرون من الانس، و خمسة و عشرون من الجن، و خمسة و عشرون من الطير، و خمسة و عشرون من الوحش، و قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» معناه قال ابن عباس: يمنع أولهم على آخرهم و قال ابن زيد: يساقون. و قال الحسن: معناه يتقدمون. و قول ابن

عباس أقوى، لأنه من قولهم: وزعه من الظلم إذا منعه من ذلك و كفه، قال النابغة:

على حين عاتبت المشيب على الصبى و قلت أ لما أصح و الشيب وازع «۱»

و يقولون لا بد للسلطان من وازعة أى يمنع الناس عنه، و قال الشاعر:

لم يزع الهوى إذ لم تؤات بلى و سلوت عن طلب العتاة «۲»

و قيل: معنى يوزعون يمنعون ان نزلوا عن مراتبهم بالجمع مرة، و بالتفريق أخرى، حتى يتقدموا فى مسيرهم. و الايزاع المنع من الذهاب، فإنما منع أول الجنود على آخرهم ليتلاحقوا، و لا يتفرقوا، كما تقدم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك. و قوله «حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ» معناه سار سليمان و جنوده حتى بلغوا واديا فيه النمل و «قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» قيل: كانت معرفة النمل بسليمان على طريق المعجزة الخارقة للعادة له (ع) على غيره. و هذا غير لازم لأنه لا يمتنع ان تعرف البهيمة هذا الضرب كما تعرف كثيراً مما فيه نفعها و ضرها فمن معرفة النملة انها تكسر الحبة بقطعتين لئلا تنبت، الا الكربزة فإنها تكسرها بأربع قطع، لأنها تنبت إذا

---

(۱) الطبرى ۱۹/ ۸۰ و القرطبى ۱۳/ ۱۶۸

(۲) تفسير الطبرى ۱۹/ ۸۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۸۵

كسرت بقطعتين، فمن هداها الى هذا هو الذى يهديها الى ما يحطمها مما لا يحطمها.

و قيل: جعل لها منطق تفهم به المعانى، لأنه يفهم به المعانى كما تفهم به، كالفهم و بكما الفرح قال الشاعر:

عجبت لها أنى تكون غناؤها فصيحاً و لم تفغر بمنطقها فما «۱»

و قيل: انه ظهر من النملة أمارات من الرجوع الى بيتها خوفاً من حطم جنود سليمان إياها، فاعلم به سليمان انها تحرزت، فعبر عن ذلك بالقول مجازاً كما قال الشاعر:

امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «۲»

و لم يكن هناك قول من الحوض. و يقولون: عيناك تشهد بسهرك، و يريدون بذلك أمارات السهر التى تظهر فى العين، و قوله «لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ» أى يكسرنكم بأن يطأكم عسكره «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» أى لا يعلمون بوطئكم، فلما فهم سليمان هذا «فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها. وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى الهمنى ما يمنع من ذهاب الشكر عنى بما أنعمت به على و على والدى، و وفقنى «أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ» كالأنبياء و من يجرى مجراهم ممن يعمل الاعمال الصالحة و لا يرتكب شيئاً من القبائح. و قال ابن زيد: معنى فى عبادك مع عبادك.

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۰ الى ۲۶] ..... ص : ۸۵

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ (۲۰) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ (۲۱) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (۲۲) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (۲۳) وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (۲۴) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (۲۵) اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (۲۶)

---

(۱) اللسان (غنا)

(۲) قد مر فى ۱/ ۴۳۱. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۸۶

سبع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «أو ليأتينى بسلطان مبين» بنونين الأولى مشددة مفتوحة و الثانية مكسورة. الباقون بنون واحدة مشددة مكسورة. و قرأ «مكث» عاصم و روح- بفتح الكاف- الباقون بضمها، و هما لغتان. و قرأ ابن كثير و أبو عمرو «من سبأ بنبإ» غير مصروف. الباقون مصروفاً، منوناً.

من لم يصرفه فلأنه معرفة و مؤنث، لأنه قيل: ان (سبأ) حى من احياء اليمن. و قيل:

هو اسم أمهم. و قد قال الزجاج: (سبأ) مدينة تعرف بمأرب من اليمن، و بينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صرفته فعلى البلد، و إذا لم تصرفه، فعلى المدينة. و قيل: من صرفه جعله اسماً للمكان، و من لم يصرفه جعله اسماً للبقعة. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۸۷

قال جرير:

الواردون و تيم فى ذوى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس «۱»

و قال آخر فى ترك صرفه:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما «۲»

و قرأ الكسائى و ابو جعفر و رويس «ألا يا اسجدوا» بتخفيف (ألا).

الباقون «أَلَّا يَسْجُدُوا» مشددة. وجه قراءة الكسائى أنه جعل (ألا) للتنبيه (يا) هؤلاء على حذف المنادى «اسجدوا» على الامر، قال الأخطل:

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بدر و إن كان حيانا عدى آخر الدهر «۳»

أى ألا يا هند. و قرأ ابن مسعود «هلا» و ذلك يقوى قراءة من قرأ بالتخفيف. و من قرأ بالتشديد فمعناه و زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا للَّه، و شاهد الأول قول الشاعر:

ألا اسلمى يا دارمى على البلى و لا زال منهلا بجرعائك القطر «۴»

و قال العجاج:

يا دار سلمى يا اسلمى ثم أسلمى عن سمسم أو عن يمين سمسم

اخبر اللَّه سبحانه عن سليمان أنه «تَفَقَّدَ الطَّيْرَ، فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ» قيل كان سبب تفقده الهدهد أنه احتاج اليه فى سيره ليدله على الماء، لأنه يقال:

انه يرى الماء فى بطن الأرض. كما نراه فى القارورة- و ذكره ابن عباس- و قال وهب بن منية: كان تفقده إياه لا خلاله بنوبته، و قيل: كان سبب تفقده أن الطير كانت تظله من الشمس، فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه

---

(۱) مر تخريجه انظر ۶/ ۳۸۸

(۲) تفسير القرطبى ۱۳/ ۱۸۱.

(۳) تفسير الطبرى ۱۹/ ۸۴

(۴) تفسير القرطبى ۱۳/ ۱۸۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٨٨

و قوله «أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ» معنى (أم) بل. و قيل: معناه أ تأخر عصياناً «أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ» لعذر و حاجة. ثم قال «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» و هذا وعيد منه للهدهد أنه متى لم يأت سليمان بحجة ظاهرة فى تأخره يفعل به أحد ما قاله، عقوبة له على عصيانه. قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك: تعذيب الهدهد نتف ريشه و طرحه فى الشمس.

قوله «فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ» أى لبث غير بعيد، و فى ماضيه لغتان- فتح الكاف و ضمها- ثم جاء سليمان، فقال معتذراً عن تأخره، و إخلاله بموضعه «أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ» أى علمت ما لم تعلم، و علم الاحاطة هو أن يعلمه من جميع جهاته التى يمكن أن يعلم عليها تشبيهاً بالسور المحيط بما فيه. ثم قال له «وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ» يا سليمان يا نبى اللّه «بنبإ» و (سبأ) مدينة أو قبيلة على ما بيناه.

و

روى عن النبى (ص) ان (سبأ) رجل واحد له عشرة من العرب فتيا من ستة و تشاءم أربعة، فالذين تشاءموا: لخم، و جذام، و غسان، و عاملة.

و الذين تيامنوا: كندة، و الأشعرون، و الأزد، و مذحج، و حمير، و أنمار، و من الانمار خثعم و بجيلة.

و قوله «بِنَبَإٍ يَقِينٍ» أى بخبر لا شك فيه، و انه يحتاج الى معرفته، لما فيه من الإصلاح لقوم قد تلاعب بهم الشيطان فى ذلك، فعذره عند ذلك سليمان [. و قيل: عذر الهدهد بما أخبره بما يحبه لما فيه من الأجر و إصلاح الملك الذى وهبه اللّه «١» ثم شرح الخبر فقال «إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» و تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد و مع ذلك «أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أى

---

(١) ما بين القوسين كان فى المطبوعة متأخراً عن مكانه اسطراً.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٨٩

أعطيت كل شيء، لفظه لفظ العموم و المراد به المبالغة فى كثرة ما أوتيت من نعم الدنيا و سعة الملك. و قيل: انها أوتيت كل شيء يؤتى الملوك، و العرش العظيم سرير كريم معمول من ذهب و قوائمه من لؤلؤ و جوهر- فى قول ابن عباس- ثم اخبر انه وجدها «وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و أن الشيطان زين ذلك لهم فهم لا يهتدون الى سبيل الحق و التوحيد و اخلاص العبادة للّه تعالى.

ثم قال الهدهد على وجه التوبيخ و التهجين لفعلهم «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» و الخبء هو المخبوء، و هو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه. وضع المصدر موضع الصفة خبأته أخبأته خبأ. و ما يوجده اللّه و يخرجه من العدم الى الوجود فهو بهذه المنزلة فخبء السماء الأمطار و الرياح، و خبء الأرض الأشجار و النبات «وَ يَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» فمن قرأ بالتاء جعله للمخاطبين. و من قرأ بالياء فللغائبين. و الخبء و الخفاء نظائر، و قيل الخبء الغيب، و هو كل ما غاب عن الإدراك.

و قوله «فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» دليل على أن المعارف ليست ضرورة، لأنه أراد لا يهتدون الى دين اللّه. و قال الجبائى: لم يكن الهدهد عارفاً باللّه و إنما أخبر بذلك، كما يخبر مراهقوا صبياننا، لأنه لا تكليف عليهم و لا تكيف إلا على الملائكة و الجن و الانس، و هذا الذى ذكره خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذى حكاه اللّه عن الهدهد احتجاج عارف باللّه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، لأنه قال «وَجَدْتُها وَ قَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و لا يجوز أن يفرق بين الحق فى السجود للّه و بين الباطل الذى هو السجود للشمس، و ان أحدهما حسن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٩٠

و الآخر قبيح إلا من كان عارفاً باللّه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز، و ذلك ينافى حال الصبيان، ثم نسب تزيين عملهم الى الشيطان، و هذا قول من عرفه و عرف ما يجوز عليه فى عدله، و أن القبيح لا يجوز عليه، ثم حكى أنه قال إن الشيطان صدهم عن السبيل: الحق

بإغوائهم، و انهم مع هذا الصد لا يهتدون الى الحق من توحيد اللَّه و عدله.

و قال ابو عبد اللَّه البصرى فى بعض المواضع: إن الهدهد كان رجلا من البشر اسمه هدهد، و لم يكن من الطير و هذا غلط لأن اللَّه تعالى قال «و تفقد» يعنى سليمان تفقد «الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ» فكيف يحمل ذلك على انه اسم رجل؟! إن هذا من بعيد الأقوال. و قال الفراء: من قرأ «ألا» بالتخفيف، فهو موضع سجدوا، و من ثقل، فلا ينبغى أن يكون موضع سجدوا و قد يجوز السجود على مخالفة تزيين الشيطان. و معنى «و يعلم ما يخفون و ما يعلنون» أى ما يسرون فى نفوسهم، و ما يظهرونه. و قرأ الكسائى و حفص «ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ» بالتاء فيهما على الخطاب. الباقون بالياء على الخبر.

ثم اخبر فقال «اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» الى هاهنا تمام حكاية ما قاله الهدهد. و (العرش) سرير الملك الذى عظمه الله و رفعه فوق السموات السبع و جعل الملائكة تحف به و ترفع أعمال العباد اليه، و تنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن، كما وصفه تعالى.

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۲۷ الى ۳۱] ..... ص : ۹۰

قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۲۷) اذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ (۲۸) قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ (۲۹) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳۰) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (۳۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۹۱

خمس آيات بلا خلاف.

لما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد فى تأخره بما قصه اللَّه تعالى و ذكرناه قال عند ذلك «سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ» فى قولك الذى أخبرتنا به فأجازيك بحسب ذلك. و إنما لم يقل: أصدقت أم كذبت، و قال: أم كنت من الكاذبين، لأنه أليق فى الخطاب، لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم و قد يكون منهم بالقرابة التى بينه و بينهم. و قد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا و مثل ذلك فى الخطاب و لينه قولهم: ليس الأمر على ما تقول، فهو ألين من كذبت، لأنه قد يكون ليس كما تقول من جهة الغلط الذى لا يوصف بالصدق و لا بالكذب.

ثم أمر سليمان الهدهد بأن يذهب بكتابه الذى كتبه له و أشار اليه بقوله «هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ» و قيل: فى الكلام تقديم و تأخير، و تقديره فالقه اليهم فانظر ما ذا يرجعون، ثم تولى عنهم، و هذا لا يحتاج اليه، لأن الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب. و المعنى فألقه اليهم ثم تول عنهم قريباً منهم، فانظر ما ذا يرجعون- على ما قال وهب بن منبة و غيره- فإنهم قالوا معنى «تَوَلَّ عَنْهُمْ» استتر عنهم، و فى الكلام حذف، لان تقديره فمضى الهدهد بالكتاب. و ألقاه اليهم، فلما رأته قالت لقومها «يا أَيُّهَا الْمَلَأُ» و هم أشراف أصحابها «إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ» و معنى كريم أنه حقيق بأن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۹۲
يوصل الخير العظيم من جهته، فلما رأت آثار ذلك فى كتاب سليمان وصفته بأنه كريم. و قيل: أرادت ب (كريم) انه من كريم يطيعه الانس و الجن و الطير.

و الهاء فى قوله «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ» كناية عن الكتاب، و الهاء فى قوله «وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» كناية عما فى الكتاب. و قيل: إنه كان مختوماً، فلذلك وصفته بأنه كريم.

و قوله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية، و إن كانت لم تقل هى بهذا اللفظ. و الحكاية على ثلاثة أوجه: حكاية على المعنى فقط، و حكاية على اللفظ فقط من غير أن يعلم معناه. و حكاية على اللفظ و المعنى و هو الأصل فى الحكاية التى لا- يجوز العدول عنها إلا بقرينة. و موضع «أَنْ لا تَعْلُوا» يجوز أن يكون رفعاً بالبدل من (كتاب) و يحتمل النصب على معنى بأن لا- تعلوا، و العلو على الشيء طلب القهر له بما يكون به بحسب سلطانه «أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ» أى لا- تطلبوا تلك الحال، فإنكم لا

تنالونها منى، (وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ) یحتمل وجهین:

أحدهما- و اتونی مؤمنین باللّه و رسوله.

الثانی- مستسلمین لأمری فیما أدعوکم الیه فانی لا أدعو إلا الی الحق.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٥] ..... ص : ٩٢

قالَتْ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِی فِی أَمْرِی ما کُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّی تَشْهَدُونِ (٣٢) قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِیدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَیْکِ فَانْظُرِی ما ذا تَأْمُرِینَ (٣٣) قالَتْ إِنَّ الْمُلُوکَ إِذا دَخَلُوا قَرْیَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ کَذلِکَ یَفْعَلُونَ (٣٤) وَ إِنِّی مُرْسِلَةٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّةٍ فَناظِرَةٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)

بیان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ٩٣

خمس آیات حجازی و أربع فیما عداه. عد الحجازیون شدید رأس آیة و لم یعده الباقون.

حکی اللّه تعالی ان المرأة لما وقفت علی کتاب سلیمان، و وصفته بأنه کتاب کر، و عرفتهم ما فیه قالت لأشراف قومها (أَفْتُونِی فِی أَمْرِی) ای أشیروا علی و الفتیا هو الحکم بما هو صواب بدلا من الخطأ، و هو الحکم بما یعمل علیه کما یسأل العامی العالم لیعمل علی ما یجیبه به، ثم قالت لهم لم أکن أقطع أمراً و لا أفصل حکما دونکم و لا أعمل به (حَتَّی تَشْهَدُونِ) و تعاینوه. و هذا ملاطفة منها لقومها فی الاستشارة منهم فیما یعمل علیه، فقالوا لها فی الجواب عن ذلک انا (نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِیدٍ) أی أصحاب قدرة و أصحاب بأس أی شجاعة شدیدة (وَ الْأَمْرُ إِلَیْکِ فَانْظُرِی ما ذا تَأْمُرِینَ) ما الذی تأمرینا به لنمتثله، و هذا القول منهم فیه عرض القتال علیها إن أرادت، فقالت لهم فی الجواب (إِنَّ الْمُلُوکَ إِذا دَخَلُوا قَرْیَةً أَفْسَدُوها) فکونوا علی حذر من ذلک (وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً) قیل بأن یستعبدوهم، فقال اللّه تعالی تصدیقاً لهذا القول (وَ کَذلِکَ یَفْعَلُونَ) قال ابن عباس: إنما یفعلون ذلک إذا دخلوها عنوة.

ثم حکی انها قالت (إِنِّی مُرْسِلَةٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّةٍ) فأذنوا للأمر فی ذلک لا- نظر ما عند القوم فیما یلتمسون من خیر أو شر. و قیل إنها أرسلت بجوار و غلمان علی زی واحد. فقالت ان میز بینهم ورد الهدیة و أبا إلا- المتابعة، فهو نبی و إن قبل الهدیة فإنما هو من الملوک. و عندنا ما یرضیه- ذکره ابن عباس- التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ٩٤

و قیل: انها أرسلت الیه بلبنة من ذهب فأمر سلیمان أن تطرح بین أرجل الدواب و سراقینها استهانة بذلک.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٩٤

فَلَمَّا جاءَ سُلَیْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِیَ اللَّهُ خَیْرٌ مِمَّا آتاکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ (٣٧) قالَ یا أَیُّهَا الْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ (٣٨) قالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ (٣٩) قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ (٤٠)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ حمزة و یعقوب «أ تمدونی» بنون واحدة مشددة علی الإدغام و یاء ثابتة فی الوصل و الوقف. الباقون بنونین.

اخبر اللّه تعالی إن الهدیة التی أنفذت بها المرأة، لما وصلت الیه، قال لموصلها التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ٩٥

«أ تمدوننی بمال» و الامداد الحاق الثانی بالأول، و الثالث بالثانی الی حیث ینتهی. و المعنی لست أرغب فی المال الذی تمدوننی به، و إنما أرغب فی الایمان الذی دعوتکم الیه و الإذعان بالطاعة للّه و رسوله، ثم قال «فَما آتانِیَ اللَّهُ خَیْرٌ مِمَّا آتاکُمْ» بالتمکین من المال

الذى لى أضعافه و أضعاف أضعافه الى ما شئت منه. ثم قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» أى ما يهدى إليكم، لأنكم أهل مفاخرة فى الدنيا و مكاثرة. و قيل بهديتكم التى اهديتموها إلىّ تفرحون.

و الهدية العطية على جهة الملاطفة من غير مثابة، تهدى هدية، لأنها تساق الى صاحبها على هداية، فالأصل الهداية و هى الدلالة على طريق الرشد. ثم حكى ما قال سليمان لرسولها الذى حمل الهدية «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» و قل لهم «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها» أى لا طاقة لهم بهم و لا يقدرون على مقاومتهم «وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّةً وَ هُمْ صاغِرُونَ» فالذليل هو الناقص القوة فى نفسه بما لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه. و الصاغر هو الذليل الصغير القدر المهين، يدل على معنى التحقير بشيئين، و نقيض الذليل العزيز و جمعه أعزة، و جمع الذليل أذلة.

ثم حكى تعالى أن سليمان قال لاشراف عسكره و أماثلة جنده «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» فاختلفوا فى الوقت الذى قال سليمان «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها» فقال قوم قال ذاك حين جاءه الهدهد بالخبر، و هو الوقت الأول لأنه يبين به صدق الهدهد من كذبه، ثم كتب الكتاب بعد- فى قول ابن عباس- و قال وهب بن منية: انما قال ذلك بعد مجىء الرسل بالهدية.

و اختلفوا فى السبب الذى لأجله خص بالطلب فقيل لأنه أعجبته صفته فأحب أن يراه، و كان من ذهب و قوائمه مكلل من جوهر، على ما ذكره قتادة. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۹۶

ابن زيد: لأنه أحب أن يعاينها و يختبر عقلها إذا رأته أ تثبته أم تنكره. و قيل:

ليريها قدرة اللّه فى معجزة، يأتى بها فى عرشها.

و اختلفوا فى معنى «مسلمين» فقال ابن عباس: معناه طائعين مستسلمين و قال ابن جريج: هو من الإسلام الذى هو دين اللّه الذى أمر به عباده.

ثم حكى تعالى انه أجاب سليمان عفريت من الجن. و معنى عفريت ما رد قوى داهية، يقال: عفريت و عفرية، و يجمع عفاريت و عفارى. قال سيبويه:

هو مأخوذ من العفر. و المعنى كل سديد فى مذهبه من الدهاء و النكارة و النجابة يقال: رجل عفرية نفرية على وزن (زبينة) لواحد الزبانية.

و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ» أى من مجلسك الذى تقضى فيه- فى قول قتادة- «وَ إِنِّي عَلَيْهِ» يعنى على الإتيان به فى هذه المدة «لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: القدرة تتبع الفعل لأنه أخبر انه قوى عليه، و لم يجىء بعد بالعرش. و قال ابن عباس: «أمين» على فرج المرأة. فقل عند ذلك «الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ» قال ابن عباس و قتادة: هو رجل من الانس، كان عنده علم اسم اللّه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب. و قيل: يا إلهنا و إله كل شىء يا ذا الجلال و الإكرام، و قال الجبائى: الذى عنده علم من الكتاب سليمان (ع). و قال ذلك للعفريت ليريه نعمة اللّه عليه. و المشهور عند المفسرين هو الأول. و قد ذكر أن اسمه اصف بن برخيا.

و قيل: هو الخضر. و قال مجاهد: اسمه أسطوع. و قال قتادة: اسمه مليخا.

و قوله «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد: إن ذلك على وجه المبالغة فى السرعة.

الثانى- قال قتادة: معناه قبل أن يرجع اليك ما يراه طرفك. و قيل: التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۹۷

قبل ان يرجع طرفك خاسئاً إذا فتحها و ادمت فتحها. و قيل: قبل أن تفتحها و تطبقها. و قيل: حمل العرش من مأرب الى الشام فى مقدار رجع البصر.

و قيل: شقت عنه الأرض فظهر. و قيل يجوز أن يكون اللّه أعدمه ثم أوجده فى الثانى بلا فصل بدعاء الذى عنده علم من الكتاب، و

كان مستجاب الدعوة إذا دعا باسم اللّه الأعظم. و يكون ذلك معجزة له. و قال قوم: كان ذلك معجزة لسلمان، و فى الكلام حذف، لان تقديره «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» فأتاه به «فَلَمَّا رَآهُ» سليمان «مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ» معترفاً بنعم اللّه عليه «هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» أى أ أشكر على نعمه أم أجحدها.

ثم قال سليمان «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلك يعود عليه و من جحد نعم اللّه فإنما يضر نفسه، لان عقاب ذلك يحل به «فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن شكره و عن كل شىء. «كَرِيمٌ» فى انعامه على خلقه، و قرأ ابو عمرو و نافع و عاصم- فى رواية حفص- (فما أتانى اللّه)- بفتح الياء- فى الوصل. الباقون «فما آتان» بغير ياء فى الوصل.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۹۷

قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (۴۱) فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ (۴۲) وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ (۴۳) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ قالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۴) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ (۴۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٩٨

خمس آيات عند الكل ما عدا الكوفى، فإنها فى عدده ست آيات عد (قوارير) آية. و لم يعده الباقون.

حكى اللّه تعالى ان سليمان أمر ان ينكروا لها عرشها، و هو أن يغيره الى حال تنكره إذا رأته أراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل. و الجحد الإنكار: جحد العلم بصحة الشيء، و نقيضه الإقرار، و التنكير تغيير حال الشيء الى حال ينكرها صاحبها إذا رآها.

و قوله «نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ» بيان من سليمان ان الغرض بتنكير عرشها نظر ا تهتدى بذلك أم تكون من الذين لا يهتدون الى طريق الرشد، فلما جاءت المرأة، قال لها سليمان «أَ هكَذا عَرْشُكِ» فقالت فى الجواب كأنه هو، و لم تقطع عليه، لما رأت من تغير أحواله. فقال سليمان «وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها» قال مجاهد: هو من قول سليمان «وَ كُنَّا مُسْلِمِينَ» اى مؤمنين باللّه مستسلمين له. و قال الجبائى: هو من كلام قوم سليمان (ع).

ثم اخبر تعالى فقال «وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و منعها التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٩٩

منه و تقديره و صدها سليمان عما كانت تعبد من دون اللّه، و منعها منه «إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ» بنعم اللّه عليهم عابدين مع اللّه غيره. و قال الفراء:

يجوز ان يكون المراد صدها عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله من الشمس انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس، فنشأت على ذلك. و كسر (انها) على الاستئناف، و لو نصب على معنى، لأنها جاز.

ثم حكى بأنه قيل لهاذْخُلِي الصَّرْحَ»

فالصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف، و منه قولهم: صرح بالأمر إذا افصح به، و لم يكن عنه.

و التصريح خلاف التعريض، و فلان يكذب صراحاً من هذا.لَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً»

يعنى ان المرأة لما رأت الصرح ظنته لجة، و اللجة معظم الماء.

و منه لجج البحر خلاف الساحل. و منه لجّ فى الأمر إذا بالغ بالدخول فيهَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها»

ظناً منها انها تريد ان تخوض الماء. و قيل: ان سليمان اجرى الماء تحت الصرح الذى هو كهيئة السطح. و قيل: الصرح صحن الدار يقال صرحة الدار، و راحة الدار، و قاعة الدار، و قارعة الدار كله بمعنى صحن الدار. و قيل صرح القصر، قال الشاعر:

بهن نعام بناء الرجال تشبه اعلامهن الصروحا «١»

و قال ابو عبیدة: کل بناء من زجاج او صخر او غیر ذلک موثق، فهو صرح، و منه «یا هامانُ ابْنِ لِی صَرْحاً» «۲» و قیل: انه أراد ان یختبر عقلها.

و قیل: لأنهم کانوا قالوا: إن ساقیها مثل ساق الحمار برجل حمار، لأنها من ولد بین الانس و الجن، لأنه قیل: ان الجن خافت ان یتزوج بها سلیمان،

---

(۱) تفسیر القرطبی ۱۳/ ۲۰۹ و الطبری ۲۰/ ۴۱

(۲) سورة ۴۰ المؤمن آیة ۳۶.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۱۰۰

فقالوا ذلک لینفروا عنها، فلما امتحن ذلک وجده علی خلاف ما قیل فیه.

و قیل: انه کان قیل: ان علی ساقیها شعراً، فلما کشفته بان الشعر فساءه ذلک و استشار الجن فی ذلک، فعملوا له النورة و الزرنیخ. و قیل: انه أول من اتخذ له ذلک. و قیل: انما فعل ذلک لیریها عظیم آیات الله لتسلم و تهتدی الی دین الله.

ثم قال لهاإِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِیرَ»

فالممرد المملس، و منه الأمرد.

و شجرة مرداء ملساء لا ورق علیها، و المارد الخارج عن الحق المملس منه.

فقالت عند ذلک یا ربنّی ظَلَمْتُ نَفْسِی»

بما ارتکب من المعاصی بعبادة غیرک أَسْلَمْتُ»

الآنَعَ سُلَیْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ»

الذی خلق الخلق.

و قیل: انها لما أسلمت تزوجها سلیمان (ع).

ثم اخبر تعالی انه أرسل «إِلی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً» یعنی فی النسب، لأنه کان منهم «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ» موضع (ان) نصب، و تقدیره أرسلناه بأن اعبدوا الله، وحده لا شریک له «فَإِذا هُمْ فَرِیقانِ یَخْتَصِمُونَ» یعنی منهم مؤمن بصالح و منهم کافر به، فی قول مجاهد.

قوله تعالی: [سورة النمل (۲۷): الآیات ۴۶ الی ۵۰] ..... ص : ۱۰۰

قالَ یا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّیِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۴۶) قالُوا اطَّیَّرْنا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ قالَ طائِرُکُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (۴۷) وَ کانَ فِی الْمَدِینَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ وَ لا یُصْلِحُونَ (۴۸) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَیِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِیِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِکَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۴۹) وَ مَکَرُوا مَکْراً وَ مَکَرْنا مَکْراً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ (۵۰)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۱۰۱

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الکسائی و خلف (لتبیتنه و أهله ثم لتقولن) بالتاء فیهما جمیعاً.

الباقون بالنون، و قرأ مجاهد بالیاء. و قرأ ابو بکر عن عاصم (مهلک) بفتح المیم و اللام، و فی روایة حفص- بفتح المیم و کسر اللام- الباقون- بضم المیم و فتح اللام- قال ابو علی: من قرأ بضم المیم احتمل أمرین:

أحدهما- أراد المصدر من إهلاک اهله أی لم نشهد إهلاکهم.

الثانی- ان یکون المراد لم نشهد موضع إهلاکهم.

و قراءة حفص ایضاً تحتمل أمرین:

أحدهما- ما شهدنا موضع هلاکهم.

و الثانی- المصدر ای ما شهدنا هلاکهم. و قراءة ابی بکر معناها المصدر.

لما اخبر الله تعالی انه أرسل صالحاً الی قومه، و انهم کانوا فریقین، مسلم و کافر، یخاصم بعضهم بعضاً، قال لهم صالح (یا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّیِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) فالاستعجال طلب التعجیل، و هو الإتیان به قبل وقته. و کان هؤلاء الجهال إذا خوفوا بالعقاب قالوا، علی جهة الإنکار لصحته متی هو؟ و هلا یأتینا به؟، فقال لهم صالح (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ) ذلک: قال مجاهد. یعنی العذاب قبل الرحمة، و السیئة- هاهنا- المراد بها العقاب سماها سیئة لما فیها من الآلام و لأنها جزاء علی الافعال السیئة، لان السیئة هی الخصلة التی تسوء صاحبها حین التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۰۲

یجدها. و السیئة ایضاً هی الفعل القبیح الذی، لا یجوز لفاعلها فعلها، و نقیضها الحسنة. فقال لهم (لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) و معناه هلا تسألون الله الغفران به بدلا من استعجال العقاب (لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ) و إنما خرجت (لو لا) الی معنی (هلا) لأنها کانت لامتناع الشیء لکون غیره، کقولک: لو لا زید لأتیتک، فخرجت الی الإنکار، لامتناع الشیء لفساد سببه فقال (لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) منه. ثم اخبر بما أجابوه، لأنهم قالوا (اطَّیَّرْنا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ) أی و بمن هو علی دینک، فالتطیر التشاؤم، و هو نسبة الشؤم الی الشیء علی ما یأتی به الطیر من ناحیة الید الیسری و هو البارح، و السانح هو إتیانها من جهة الید الیمنی. و اصل: (اطیرنا) تطیرنا، دخلت فیه ألف الوصل، لما سکنت الطاء للادغام، فقال لهم صالح (طائِرُکُمْ عِنْدَ اللَّهِ) أی الشیء الذی تحذرونه بالتطیر (عند الله) لأنه القادر علی عقابکم بما أنتم علیه من الکفر. و المعنی- فی قول ابن عباس- معاقبتکم عند الله. ثم قال لهم: لیس ذلک للتشاؤم و التطیر (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) فالفتنة- هاهنا- قولهم ما زین لهم من الباطل.

ثم اخبر تعالی أنه «کانَ فِی الْمَدِینَةِ» التی بعث اللَّه منها صالحاً «تِسْعَةُ رَهْطٍ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ» أی یفعلون فیها المعاصی «وَ لا یُصْلِحُونَ» أی لا یفعلون الطاعات.

و قوله «قالُوا تَقاسَمُوا بِاللَّهِ» قیل فی معناه قولان:

أحدهما- قالوا متقاسمین إلا انه یحذف منه قد.

و الآخر- انه أمر، و لیس بفعل ماض. «لَنُبَیِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» حکایة أنهم قالوا: (لنبیتنه) فمن قرأ بالنون أراد إنا نفعل بهم ذلک لیلا. و من قرأ بالتاء، فعلی انه خاطب بعضهم بعضاً بذلک. و لمعنی انهم تحالفوا: لنطرقنهم لیلا، التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۰۳

یقال لکل عمل باللیل تبییت، و منه قوله (إِذْ یُبَیِّتُونَ ما لا یَرْضی مِنَ الْقَوْلِ)

«۱» و انشد ابو عبیدة:

اتونی فلم ارض ما بیتوا و کانوا اتونی بأمر نکر

لا نکح أمهم منذراً و هل ینکح العبد حر لحر «۲»

و قال ابن إسحاق انهم لما أتوا صالحاً لتبییته، دفعتهم الملائکة بالحجارة، (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِیِّهِ) معناه إنهم قالوا إذا قال لنا ولیه و ناصره: من فعل هذا قلنا له (ما شَهِدْنا مَهْلِکَ أَهْلِهِ) فمن ضم المیم أراد ما رأینا إهلاکه. و من فتح المیم أراد مکان هلاکهم او إهلاکهم یرید المصدر (وَ إِنَّا لَصادِقُونَ) فی هذا القول.

ثم اخبر تعالی انهم «مَکَرُوا» بهذا القول «وَ مَکَرْنا» نحن ایضاً مکراً بأن جازیناهم علی مکرهم و جعلنا و باله علیهم فانا أهلکناهم عن آخرهم. و قیل:

ان اللَّه أرسل علیهم صخرة أهلکتهم. و یحتمل أن یکون المعنی فی «مَکَرْنا» انا أنجینا المؤمنین بالمکر بالکفار بکل ما یقدرون علیه من الإضرار بهم، و إلجائهم الی الایمان. و انما نسبه الی نفسه لما کان بأمره.

قوله تعالى: [سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۱۰۳

فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (۵۱) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۵۲) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۵۳) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۵۴) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵)

---

(۱) سورة ۴ النساء آية ۱۰۷

(۲) مر تخريجه فى ۳/ ۲۶۹، ۳۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۰۴

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و يعقوب «أنا دمرناهم» بفتح الالف. الباقون بكسرها و من فتح احتمل وجهين:

أحدهما- النصب على البدل من (كيف) و (كيف) نصب ب (انظر).

و الثانى- ان يكون (كيف) فى موضع الحال و (دمرنا) خبر (كان) و تلخيصه، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أى عاقبة أمرهم التدمير.

و قيل: هو نصب بتقدير بأنا، فلما حذف الباء نصب، و قال الكسائى: هو فى موضع الجر.

و يحتمل الرفع أيضاً على البدل من (عاقبة). و يحتمل أيضاً على الجواب، كأنه قيل:

ما كان عاقبة أمرهم؟ فقيل: تدميرنا لهم.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) «انظر» يا محمد و فكر «كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ» أى هؤلاء الكفار الذين كفروا و دمرناهم. و العاقبة الحال التى يؤدى اليها البادئ تقول: اعقبنى هذا الدواء صحة. و أعقب هذا الطعام الردىء مرضاً، و كذلك المعاصى تعقب النار. و قيل: ان بيوتهم هذه المذكورة بوادى القرى موضع بين الشام و المدينة. و المكر الأخذ بالحيلة للإيقاع فى بلية، فلما مكر أولئك الكفار بصالح (ع) ليقتلوه، و من آمن و لم يتم مكرهم، و أدى مكرهم الى هلاكهم و تدميرهم و التدمير التقطيع بالعذاب، فدمر اللَّه قوم صالح بأن قطعهم بعذاب الاستئصال فى الدنيا قبل الآخرة، فلم يبق لهم باقية. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۰۵

ثم اخبر تعالى ان بيوت أولئك الكفار «خاوِيَةً» أى خالية فارغة و كان رسمهم أن يكونوا فيها و يأوون اليها، فلما أهلكهم اللَّه، صاروا عبرة لمن نظر اليها و اعتبر بها، و قيل هذه البيوت المذكورة بوادى القرى.

و قوله «وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ» اخبار منه تعالى انه أنجى و خلص المؤمنين من قوم صالح لأنهم كانوا يتقون معاصى اللَّه، خوفاً من عقابه، فالاتقاء الامتناع من البلاء بما يرد عن صاحبه ان ينزل به. و التقى هو العامل بما يتقى عنه العقاب. و قيل: ان اللَّه تعالى دمر التسعة الرهط الذين يفسدون فى الأرض و قومهم.

و قوله «وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل أمرين:

أحدهما- نصب (لوطاً) بتقدير و أرسلنا لوطاً. الثانى- و اذكر لوطاً حين قال لقومه منكراً عليهم أفعالهم «أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» يعنى الخصلة القبيحة الشنيعة، الظاهرة القبح، و هى إتيانهم الذكران فى أدبارهم «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى تعلمون أنها فاحشة. و قيل معناه: «وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى يرى بعضكم من بعض ان ذلك عتواً و تمرداً. ثم بين الفاحشة التى كانوا يفعلونها بقوله «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ» التى خلقهن اللَّه لكم. ثم اخبر تعالى عن لوط انه قال لهم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» اى تفعلون أفعال الجهال لجهلكم بمواقع نعم اللَّه سبحانه و تعالى عليكم.

قوله تعالى:[سورة النمل (۲۷): الآيات ۵۶ الى ۶۰] ..... ص : ۱۰۵

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ (٥٧) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَةٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٠٦

خمس آيات بلا خلاف.

نصب (جَوابَ قَوْمِهِ) بأنه خبر (كان) و اسمها (أن قالوا) و لا يجوز وقع جواب- هاهنا- لان ما بعد الإيجاب و ما قبلها نفى، و النفى أحق بالخبر من الإيجاب، و مثله «ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا» «١».

اخبر اللَّه تعالى عن قوم لوط حين قال لهم لوط ما تقدم ذكره، منكراً عليهم انه لم يكن لهم جواب عن ذلك، بل عدلوا إلى أن قالوا، بعضهم لبعض خرجوا لوطاً و من تبعه «مِنْ قَرْيَتِكُمْ» فإنهم «أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ» أى يتطهرون عن عملكم فى إتيان الذكران من العالمين إذ تأمرونهم، و يتنزهون عن ذلك، فلا تجاوروهم و هذه صفتهم- و هو قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- فأخبر اللَّه تعالى أنه أهلك هؤلاء القوم بأجمعهم و أنجى لوطاً و أهله الذين آمنوا به من

---

(١) سورة ٤٥ الجاثية آية ٢٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٠٧

ذلك الهلاك و استثنى من جملة أهله امرأته، و اخبر انه «قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ» أى جعلها من الغابرين لأن جرمها على مقدار جرمهم، فلما كان تقديرها كتقديرهم فى الاشراك بالله جرت مجراهم فى انزال العذاب بهم. و قيل:

«قَدَّرْناها» أى بما كتبنا إنها من الغابرين، و اخبر تعالى انه أمطر عليهم مطراً. قال الحسن: أمطرت الحجارة على من خرج من المدينة، و خسف المدينة باهلها، فهم يهوون الى يوم القيامة «فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ» و هم الذين أبلغهم لوط النذارة، و أعلمهم بموضع المخافة ليتقوها، فخالفوا ذلك. و نقيض النذارة البشارة، و هى الاعلام بموضع الأمن ليجتبى، و النذير البشير ينذر بالنار و يبشر بالجنة.

ثم قال لنبيه محمد (ص) قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» شكراً على نعمه بأن وفقنا للايمان «وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى يعنى اجتباهم، الله و اختارهم يقال:

صفا يصفو صفاء، و أصفاه بكذا إصفاء، و اصطفاه اصطفاء، و يصفى تصفياً و صفاء و تصفية، و صافاه مصافاة.

و قوله «أَمَّا يُشْرِكُونَ» من قرأ- بالتاء- وجهه الى انه خطاب لهم. و من قرأ- بالياء- فعلى الخبر. و قوله «آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا» معناه خير لنا منا لأنفسا، و لفظ أفعل لا يدخل إلا بين شيئين يشتركان فى حكم و يفضل أحدهما على صاحبه، و ما يعبدون من دون الله لا خير فيه. قال ابو على: يجوز أن يقع ذلك فى الخير الذى لا شر فيه، و الشر الذى لا خير فيه. و إن كان يتوهم بعض الجهال الأمر على خلاف ما هو به، فتقول: هذا الخير خير من الشر. و أنكر على من خالف هذا. و أجاز قوم من اهل اللغة ذلك على ما مضى القول فيه فى غير موضع.

ثم قال لهم: أمن الذى «خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بأن انشأها و اخترعها التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٠٨

«وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً (فَأَنْبَتْنا بِهِ) بذلك الماء (حدائق) و هى جمع حديقة، و هى البستان إذا كان عليه حائط يحوطه (ذاتَ بَهْجَةٍ) انما وصف (الحدائق) بلفظ الواحد فى قوله (ذات) لان معناه جماعة ذات بهجة. و قيل: الحديقة البستان الذى فيه النخل، و (البهجة) منظر حسن ابتهج به إذا سر.

ثم قال (ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها) أى لم تكونوا تقدرون على إنبات شجر الحديقة، لان الله تعالى هو القادر عليه لا غيره. ثم قال منكراً عليهم (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ) يقدر على ذلك. ثم قال (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) بالله غيره لجهلهم، و قيل: يعدلون عن الحق. و معنى الآية

التنبيه على أن من قدر على إنبات الحدائق ذات الشجر و إخراج الشجر بأكرم الثمار، يجب اخلاص العبادة له، و إن من عدل الى الاشراك به كافر بهذه النعمة الخفية.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ۶١ الى ۶۵] ..... ص : ١٠٨

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۶١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (۶٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶٣) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۶۴) قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (۶۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٠٩

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل البصرة و عاصم «عما يشركون» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابو عمرو و هشام و روح «قليلا ما يذكرون» بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فى الموضعين جعله للمخاطبين و من قرأ بالتاء فالى الغائبين.

يقول اللَّه تعالى منبهاً على مواقع نعمه على خلقه، ممتناً بها عليهم بأن قال «أَمَّنْ» الذى «جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً» بأن أسكنها للاستقرار عليها، و إمكان التصرف عليها، فمن جعلها كذلك لمصالح عباده بها على ما يحتاجون اليه منها عالم حكيم، و هو أولى بالعبادة من الأصنام «وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً» يعنى خلال الأرض و هى المسالك فى نواحيها «أنهاراً» جمع نهر و هى المجرى الواسع من مجارى الماء، و أصله الاتساع، فمنه النهار لاتساع ضيائه، و منه انهار الدم إذا جرى، كالنهر «وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ» يعنى الجبال الثابتة، رست ترسو رسواً إذا ثبتت فلم تبرح من مكانها كالسفينة و غيرها، و منه المراسى.

و قوله «وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً» فالحاجز هو المانع بين الشيئين، أن يختلط أحدهما بالآخر، و قد يكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه. و فى ذلك دلالة على إمكان كف النار عن الحطب، حتى لا تحرقه و لا تسخنه كما كف الماء المالح عن الاختلاط بالعذب. ثم قال «أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ» يقدر على ذلك، التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١١٠

تبكيتاً لهم على الاشراك به. ثم قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما ذكرناه لعدولهم عن النظر فى الدلالة المؤدية اليه. و قيل «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ما لهم و عليهم فى العبادة إن أخلصوها، او أشركوا فيها.

ثم قال «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ» فاجابة دعاء المضطر هو فعل ما دعا به، لأجل طلبه، و ذلك لا يكون إلا من قادر عليه مختار له، لأنه يقع على ما دعا به الداعى «وَ يَكْشِفُ السُّوءَ» يعنى الآلام يصرفها عنكم «وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ» أى يجعل أهل كل عصر يخلفون العصر الاول «أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ» يقدر على ذلك ثم قال «قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ» أى تفكرون قليلا بما قلناه و نبهنا عليه. ثم قال «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» بما نصب لكم من الدلالات التى تستدلون بها، من الكواكب و غيرها (و من) الذى (يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) يعنى بين يدى المطر و الغيث.

و من قرأ بالنون أراد ملقحات. و قيل: معناه منتشرة. و من قرأ بالباء أراد مبشرات بالمطر.

ثم نزه نفسه عن الاشراك به و اتخاذ إله معه فقال (تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ثم قال (أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) يبدؤهم بأن يخترعهم ابتداء، ثم يعيدهم بعد أن يميتهم، و يعيدهم الى ما كانوا عليه (وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) من السماء بالغيث و المطر، و من الأرض بالنبات و انواع الثمار (أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ) يقدر على ذلك (قل) لهم يا محمد (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) و حجتكم (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى قولكم محقين فى الاشراك معه، فإذا لم تقدروا على اقامة البرهان على ذلك، فاعلموا انه لا إله معه، و لا يستحق العبادة سواه، لان

كل ما يكون حقاً من أمر الدين لا بد أن يكون عليه دلالهٔ و برهان. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۱۱
ثم قال لنبيه (ص) (قل) يا محمد (لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) يعنى الغائب عن الخلق لا يعلم به إلا اللَّه تعالى أو من أعلمه اللَّه، ثم اخبر انهم لا يشعرون متى يبعثون و يحشرون يوم القيامهٔ.

قوله تعالى: [سورهٔ النمل (۲۷): الآيات ۶۶ الى ۷۰] ..... ص : ۱۱۱

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (۶۶) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذا كُنَّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ (۶۷) لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۶۸) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (۶۹) وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (۷۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير، و أهل البصرهٔ بل «أدراك» بقطع الهمزهٔ، يقال: تدارك زيد أمره و أدارك بمعنى واحد. و مثله «إنا لمدركون» «۱» و قد شدد الأعرج و روى السمونى- بكسر اللام- و وصل الهمزهٔ و تشديد الدال من غير ألف.

الباقون «بل ادارك» بمعنى تتابع علمهم و تلاحق حتى كمل. و المعنى بل ادارك فى الآخرهٔ أى حين لم ينفعهم اليقين مع شكهم فى الدنيا- على ما ذكره ابن عباس- و قيل: انه قرأ «بلى ادارك» و ادارك العلم لحاق الحال التى يظهر فيها

---

(۱) سورهٔ ۲۶ الشعراء آيهٔ ۶۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۱۲

معلومه، ففى الآخرهٔ يظهر الحق بما يرى من الأمور التى من شأنها أن يقع عندها علم بمقتضى ما يحدث من عظم الأمور و قيل: معنى «بَلِ» هاهنا (هل) فكأنه قال: هل ادارك علمهم، و معناه انهم لا يعلمون الآخرهٔ «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها» و من شدد الدال قال أصله تدارك فأدغموا التاء فى الدال و قلبوا ألف الوصل.

و قرأ أهل المدينهٔ «إذا» على الخبر. الباقون بهمزتين على الاستفهام، و يحقق الهمزتين ابن عامر و أهل الكوفهٔ و روح، إلا أن هشاماً يفصل بينهما بالف، و ابن كثير و ابو عمرو و رويس يخففون الأولى و يلينون الثانيهٔ. و يفصل بينهما بالف أبو عمرو، و اما «ائنا» فقراءته على الخبر، و زاد فيه نوناً ابن عامر و الكسائى.

الباقون بهمزتين و خففهما عاصم و حمزهٔ و خلف و روح. الباقون يخففون الأولى و يلينون الثانيهٔ، و يفصل بينهما بالف أهل المدينهٔ إلا ورشاً، و ابو عمرو. و قد مضى تعليل هذه القراءات فيما مضى.

لما اخبر اللَّه تعالى عن الكفار أنهم لا يشعرون متى يحشرون يوم القيامهٔ و انهم ساخرون فى ذلك، أخبر انهم يعلمون حقيقهٔ ذلك يوم القيامهٔ حين يبعثهم اللَّه، و انه لا ينفعهم علمهم فى ذلك الوقت مع شكهم فى دار الدنيا. و أخبر انهم فى شك من البعث فى دار الدنيا، و أنهم عمون عن معرفهٔ حقيقته. و هو جمع (عمى) و شبه جهلهم بذلك بالعمى، لان كل واحد منها يمنع بوجوده من ادراك الشيء على ما هو به، لأن الجهل مضاد العلم، و العمى مناف الرؤيهٔ.

ثم حكى عن الكفار انهم قالوا متعجبين من البعث و النشور «أَ إِذا كُنَّا تُراباً» و يكون «آباؤُنا» تراباً ايضاً «أَ إِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من قبورنا و مبعوثون، يقولون ذلك مستهزئين منكرين. ثم اخبر انهم يحلفون و يقولون «لَقَدْ وُعِدْنا هذا» البعث «نَحْنُ» فيما مضى و كذلك وعد به «آباؤُنا» و لم نعرف حقيقهٔ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۱۳

ذلك، ثم حكى انهم يقولون ليس «هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و انما اشتبه عليهم النشأهٔ الثانيهٔ لطول المدهٔ فى النشأهٔ الاولى على مجرى العادهٔ، و لو نظروا فى أن من اجرى هذه العادهٔ حكيم، و انه قادر على نقض العادهٔ، كما قدر على إجرائها لزالت شبهتهم.

ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» لأنهم يرون آثار آبائهم و كيف أهلكهم اللّه و خرب ديارهم كعاد و ثمود و غيرهم، فيعلمون عند ذلك صحة ما قلناه، و لا يأمنوا أن يحل بهم مثل ما حل بهم.

ثم نهى نبيه (ص) ان يحزن عليهم و يتأسف على تركهم الايمان و أن لا يكون فى ضيق نفسه «مِمَّا يَمْكُرُونَ»، فان وبال مكرهم عائد عليهم.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٧١ الى ٧۵] ..... ص : ١١٣

وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (٧۴) وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (٧۵)

خمس آيات بلا خلاف.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١١۴

حكى اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم «يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ» الذى توعدنا به «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى اخباركم بذلك فى البعث و النشور، و الوعد من الحكيم على ضربين:

أحدهما- ان يكون مقيداً بوقت، فإذا جاء ذلك الوقت فلا بد أن يفعل فيه ما وعد به.

و الثانى- ان يكون مطلقاً غير موقت إلا انه لا بد أن يكون معلوماً لعلام الغيوب الوقت الذى يفعل فيه الموعود به، فإذا كان ذلك الوقت معلقاً بزمان تعين عليه الفعل فى ذلك الوقت، فلا بد للموعود به من وقت، و إن لم يذكر مع الوعد.

ثم امر نبيه (ص) ان يقول لهم «عَسى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» فعسى من اللّه واجبة، و المعنى ان الذى وعدكم اللّه به لا بد أن يردفكم، و الردف الكائن بعد الأول قريباً منه. و الفرق بينه و بين التابع أن فى التابع معنى الطلب لموافقة الأول، و ترادف إذا تلاحق، تلاحقا ترادفا، و اردفه ارادفاً. و معنى «رَدِفَ لَكُمْ» قرب منكم ودنا- فى قول ابن عباس- و قيل:

تبع لكم. و الاستعجال طلب الأمر قبل وقته، فهؤلاء الجهال طلبوا العذاب قبل وقته تكذيباً به. و قد أقام اللّه عليهم الحجة فيه. و (ردف) من الافعال التى تتعدى بحرف و بغير حرف، كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات تطرحن بالفتى و هم تعنانى معناً ركائبه «١»

و قيل: ان الباء انما دخلت للتعدية. و قيل: انما دخلت لما كان معنى تطرحن ترمين، و كذلك لما كان معنى «رَدِفَ لَكُمْ» دنا، قال «لكم» قال المبرد: معناه

---

(١) البيت فى مجمع البيان ۴/ ٢٣١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١١۵

ردفكم و اللام زائدة. و قيل «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» يوم بدر. و قيل:

عذاب القبر.

ثم قال «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» و الفضل الزيادة على ما للعبد بما يوجبه الشكر، فالعدل حق العبد. و الفضل فيه واقع من اللّه لا محالة إلا انه على ما يصح و تقتضيه الحكمة.

ثم اخبر ان «أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ» اللّه على نعمه بل يكفرونه.

ثم قال لنبيه (ص) «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَيَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ» أى ما تخفيه صدورهم، يقال: كننت الشىء فى نفسى، و أكننته إذا

سترته فى نفسك، فهو مكن و مكنون لغتان. قال الرمانى: الأكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى لمانع يصد عنه «وَ ما يُعْلِنُونَ» أى يعلم ما يظهرونه ايضاً.

ثم قال «وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» أى ليس شيء يغيب علمه عن أهل السماء و الأرض «إِلَّا» و يبينها اللّه «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» و هو الكتاب المحفوظ. و قال الحسن: الغائبة القيامة. و قال النقاش: ما غاب عنهم من عذاب السماء و الأرض. و قيل: هو ما أخفاه الإنسان عن قلبه و عينه. و قال البلخى: معنى «فِي كِتابٍ مُبِينٍ» أى هو محفوظ لا ينساه كما يقول القائل: أفعالك عندى مكنونة أى محفوظة.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٧۶ الى ٨٠] ..... ص : ١٥

إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧۶) وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١١۶

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «و لا يسمع» بياء مفتوحة و فتح الميم «الصم» بالرفع.

و مثله فى الروم. الباقون «تسمع» بالتاء و كسر الميم «الصم» بالنصب، فوجه قراءة ابن كثير انه أضاف الفعل الى الصم، فلذلك رفعه. و وجه قراءة الباقين أنهم أضافوا الفعل الى النبى (ص) و جعلوا الصم مفعولا ثانياً.

اخبر اللّه تعالى أن هذا القرآن الذى أنزله على نبيه محمد (ص) «يَقُصُّ عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ» الأشياء التى اختلفوا فيها الكفار. و القصص كلام يتلو بعضه بعضاً فيما ينبئ عن المعنى، و من أجاب غيره عما سأل لم يقل له انه يقص لأنه اقتصر على مقدار ما يقتضيه السؤال. و الاختلاف ذهاب كل واحد الى خلاف ما ذهب اليه صاحبه. و الاختلاف ايضاً امتناع احد الشيئين أن يسد مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته. و اختلاف بنى إسرائيل نحو اختلافهم فى المسيح حتى قالت اليهود فيه ما قالت، و كذبت بنبوته. و قالت النصارى ما قالته من نبوته، و وجوب إلهيته، و كاختلاف اليهود فى نسخ الشريعة، فأجازه قوم فى غير التوراة و أباه آخرون، فلم يجيزوا النسخ أصلا، و اعتقدوا أنه بدأ.

و كاختلافهم فى المعجز، فقال بعضهم: لا يكون إلا بما لا يدخل تحت مقدور العباد. و قال آخرون: قد يكون إلا أنه ما يعلم أنه لا يمكن العباد الإتيان به، التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١١٧

و كاختلافهم فى صفة المبشر به فى التوراة، فقال بعضهم: هو يوشع بن نون.

و قال آخرون: بل هو منتظر لم يأت بعد. و كل ذلك قد دل القرآن على الحق فيه. و قيل: قد بين القرآن اختلافهم فى من سلف من الأنبياء. و قيل: ان بنى إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضاً كالإسماعيلية و العنانية و السامرة.

ثم وصف تعالى القرآن ب «إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» معناه انه بيان للحق فيما وقع الاختلاف فيه من بنى إسرائيل و غيرهم إذا رجعوا اليه علموا مفهومه، و انه من عند حكيم، لا يقول إلا بالحق، فالهدى الدلالة على طريق الحق الذى من سلكه اداه الى الفوز بالنعيم فى جنة الخلد، فالقرآن هدى من هذا الوجه، و رحمة للمؤمنين فى تأديته الى ما فيه من مرضات اللّه تعالى.

ثم خاطب نبيه (ص) فقال (ان ربك) يا محمد (يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) أى العزيز فى انتقامه من المبطلين العليم بالمحق المبين منهم من المبطل. و قيل: العليم بصحة ما يقضى به العزيز بما لا يمكن رد قضائه، فهو يقضى بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد و لا يلتبس بغير الحق.

و فى الآيـة تسـلية للمحقين الـذين خولفوا فى أمر الـدين، لان أمرهم يؤول الى ان يحكم بينهم رب العـالمين بمـا لاـ يمكن دفعه و لا تلبيسه.

ثم خاطب بينه (ص) فقال (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يا محمـد (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) الظاهر البين فى ما تـدعو اليه. ثم شـبه الكفار بالموتى الـذين لا يسـمعون ما يقال لهم، و بالصم الـذين لا يـدركون دعاء من يـدعوهم، من حيث انهم لم ينتفعوا بـدعائه و لم يصـيروا الى ما دعـاهم اليه، فقـال (انـك) يـا محمـد (لاـ تُسْـمِعُ الْمَوْتى لأـن ذلك محال (وَ لا تُسْـمِعُ الصُّمَّ الـدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُـدْبِرِينَ) أى اعرضوا عن دعائك و لم يلتفتوا اليه و لم يفكروا فى مـا تـدعوهم اليه، فهؤلاـء الكفار بترك الفكر فى ما يـدعوهم التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١١٨

اليه النبى (ص) بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، و بمنزلة الصم الذين لا يدركون الأصوات.

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٨١ الى ٨٥] ..... ص : ١١٨

وَ ما أَنْتَ بِهادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (٨٢) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذا جاؤُ قالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمَّا ذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ (٨٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة «تهدى» بالتاء مفتوحة و بسكون الهاء «العمى» بنصب الياء.

و يقف على «تهدى» بالياء. الباقون «بهاد» بباء مكسورة و بألف بعد الهاء، و خفض الياء من «العمى» على الاضافة فى الموضعين. فقراءة حمزة تفيد الفعل المضارع.

و قراءة الباقين اسم الفاعل.

يقول اللّه تعالى لنبيه لست يا محمد تهدى العمى عن ضلالتهم. و الهادى هو الذى يدعو غيره الى الحق و يرشد اليه. و قد يدعو بالنطق بأن يقول: هو صواب و قد يدعو اليه بأن يبين أنه صواب، فانه ينبغى أن يعمل عليه و يعتقد صحته. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١١٩

و الضـلالة الذهاب عن طريق الصواب و هو الهلاك بالذهاب عنه. و إنما شبه اللّه تعالى الكفار بأنهم عمى، لأنهم من حيث لم يهتدوا الى الحـق، و لم يصـيروا اليه فكـأنهم عمى، و انمـا نفى أن يهـديهم الى الحق بـأن يحملهم عليه او يجبرهـم عليه، و لم ينتف أن يكون هادياً لهم بالدعاء اليه، و يبين لهم الحق فيه.

و قوله «إِنْ تُسْـمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنـا» معناه لا تسـمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا و لا يلبث أن يسلم، لان الـدلائل تظهر له، و عقله يخاصمه حتى يقول بالحق و يعتقده. و انما قال انه يسمع المؤمنين، من حيث أنهم الذين ينتفعون به و يسلمون له.

و قوله «وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» قال قتادة: معناه وجب الغضب عليهم، و قال مجاهـد: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. و قيل: معناه إذا وقع القول عليهم بأنهم قـد صاروا الى منزلة من لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسـببهم، أخذوا حينئذ بمنادى العقاب بإظهار البراءة منهم.

و قال ابن عمر، و عطية: إذا لم يأمر الناس بالمعروف و ينهوا عن المنكر تخرج الدابة. و قيل: انها تخرج من بين الصفا و المروة. و روى محمد بن كعب القرطى عن على (عليه السلام) انه سئل عن الدابة، فقال: (اما و اللّه ما لها ذنب و إن لها لحية)

و فى هـذا القول منه (ع) إشـارة الى انه من ابن آدم. و قال ابن عباس: دابـة من دواب اللّه لها زغب و ريش لها أربعـة قوائم. و قال ابن عمر: انها تخرج حتى يبلغ رأسها الغيم، فيراها جميع الخلق. و معنى «تكلمهم» قيل فيه قولان:

أحـدهما- تكلمهم بما يسوؤهـم من انهم صائرون الى النار، من الكلام بلسان الآدميين الـذى يفهمونه و يعرفون معناه، فتخاطب واحـداً

واحداً، فتقول له: يا مؤمن يا كافر. و قيل «تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٢٠

أى بهذا القول. ذكره ابن مسعود.

الثانى- تكلمهم من الكلام. و قيل

إنها تكتب على جبين الكافر أنه كافر و على جبين المؤمن أنه مؤمن. و روى ذلك عن النبى (ص).

ثم قال «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ» و استدل به قوم على صحة الرجعة فى الدنيا، لأنه قال: من كل أمة، و هى للتبعيض فدل على ان هناك يوماً يحشر فيه قوم دون قوم، لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس عامة، كما قال «وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً» «١». و من حمل الآية على أن المراد باليوم يوم القيامة قال: إن (من) زائدة، و التقدير و يوم نحشر كل أمة فوجاً أى فوجاً فوجاً من الذين كذبوا بآيات اللّه و لقاء الآخرة «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يجمعون. و قال ابن عباس: معناه يدفعون. و قيل: يساقون. و قيل: يوقف أولهم على آخرهم.

و قوله «وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا» أى صاروا الى منزلة من لا- يفلح احد منهم، و لا- احد بسببهم، «فَهُمْ» فى ذلك الوقت «لا يَنْطِقُونَ» بكلام ينتفعون به. و يجوز أن يكون المراد «لا ينطقون» أصلا لعظم ما يرونه و يشاهدونه من أهوال القيامة.

و قرأ اهل الكوفة «تكلمهم أن الناس» بفتح الالف، لان ابن مسعود قرأ «بأن الناس» فلما سقطت الباء نصبوا (أن). الباقون بالكسر على الاستئناف. و روى عن ابن عباس «تكلمهم» مخففاً اى تسمهم و تجرحهم تقول العرب كلمت زيداً إذا جرحته. و قد يقال ايضاً بالتشديد من الجراح، و لا يقال فى الكلام إلا بالتشديد.

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ۴٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٢١

قوله تعالى:[سورة النمل (٢٧): الآيات ٨۶ الى ٩٣] ..... ص : ١٢١

أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨۶) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

ثمان آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٢٢

قرأ حمزة و الكسائى و خلف و حفص عن عاصم «و كل أتوه» مقصورة على وزن (فلوه) الباقون «آتوه» ممدودة و مضمومة التاء على وزن (فالوه) و قرأ اهل الكوفة (من فزع) منوناً (يومئذ) بفتح الميم. الباقون بغير تنوين على الاضافة إلا- ورشاً فانه نصب الميم من (يومئذ) مع الاضافة. و وجه هذه القراءة انه جعل (يوم) مع (إذ) كالاسم الواحد، لان إضافة (يوم) الى (إذ) ليست محضة، لان الحروف لا- يضاف اليها، و لا الى الافعال، و انما أجازوا فى اسماء الزمان الاضافة الى الحروف و الى الافعال نحو: هذا يوم ينفع، لما خص و كثر، و قرأ اهل البصرة و ابن كثير و ابو بكر إلا يحيى و الداجونى عن ابن ذكوان (يفعلون) بالياء، الباقون بالتاء. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (عما تعملون) بالتاء. الباقون بالياء.

يقول اللَّه تعالى منبها لخلقه على وجه الاعتبار و التنبيه على النظر بالفكر بجعله تعالى الليل ليسكن فيه خلقه، من الحيوان من الحركات، لأن من جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع، فإنما ذلك باختياره دون الطبع، و ما يجرى مجراه مما ليس مختار، ففى ذلك بطلان قول كل مخالف فيه. و قوله (وَ النَّهارَ مُبْصِراً) يحتمل أمرين:

أحدهما- انه جعل النهار ذا إبصار، كما قال (عِيشَةٍ راضِيَةٍ) «۱» أى ذات رضا، و كما قال النابغة:

كلينى لهم يا أمية ناصب «۲»

أى لهم ذى نصب.

---

(۱) سورة ۶۹ الحاقة آية ۲۱ و سورة ۱۰۱ الزلزال آية ۷ [.....]

(۲) مر تخريجه فى ۵/ ۹۵، ۳۲۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۲۳

الثانى- لأنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عنها فقيل هو كقول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم «۱»

اى بالذى ينام فيه. ثم قال (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ) يعنى دلالات واضحات لقوم يصدقون باللَّه و بتوحيده. و قوله (وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) منصوب بتقدير: و اذكر (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) أى و ذلك يوم ينفخ فى الصور، يعنى قوله (وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا ... يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) و يجوز أن يكون على حذف الجواب، و تقديره و تكون البشارة الثانية يوم ينفخ فى الصور. و قيل: تقديره و يوم ينفخ فى الصور يفزع، لان المعنى إذا نفخ فى الصور فزع إلا أنه لما جاء الثانى بالفاء اغنى عن (يفعل) لأنها ترتب.

و قال الحسن و قتادة: الصور صور الخلق. و قال مجاهد: هو قرن كالبوق ينفخ فيه. و قيل: النفخة الأولى نفخة الفزع. و الثانية نفخة الصعق، و الثالثة نفخة القيام لرب العالمين.

و قيل: معنى (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) من شدة الاسراع و الاجابة، يقال: فزعت اليك فى كذا إذا أسرعت الى ندائه فى معونتك و قيل: هو ضد الأمن، و هو الأولى. و قيل: وجه النفخ فى الصور أنه على تصور ضرب البوق للاجتماع على المسير الى أرض الجزاء بالحال التى تعرف فى دار الدنيا. و من ذهب الى أنه جمع صورة قال: المعنى نفخ الأرواح فى الأجساد بردها الى حال الحياة التى كانت عليها. و قوله (إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ)

روى فى الخبر أن الشهداء من جملة الخلق لا يفزعون ذلك اليوم.

و قيل:

---

(۱) مر تخريجه فى ۵/ ۴۶۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۲۴

(إِلَّا مَنْ شاءَ اللَّهُ) يعنى من الملائكة الذين يثبت اللَّه قلوبهم. و قيل:

إسرافيل هو النافخ فى الصور بأمر اللَّه تعالى. ثم قال (وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ) معناه إن جميع الخلق جاءوا للَّه داخرين أى صاغرين. فمن قصر، حمله على انهم أتوه أى جاءوه. و من مدّ، حمله على أنهم جايئوه على وزن (فاعلوه).

و لفظة (كل) هاهنا معرفة، لأنها قطعت عن الإضافة، كما قطع قوله (من قبل و من بعد) «۱» إلا أنه لم يبن، لأنه قطع عن متمكن التمكن التام. و ليس كذلك (من قبل و من بعد) لأنه كان ظرفاً لا يدخله الرفع.

و قوله (وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) قال ابن عباس: تحسبها قائمة و هى تسير سيراً حثيثاً سريعاً قال النابغة

الجعدى:

نازعن مثل الطود يحسب أنهم وقوف لحاج و الركاب تهملج «٢»

أى من أجل كثرتهم و التفافهم يحسب انهم وقوف، فكذلك الجبال.

و قوله (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) نصب (صُنْعَ اللَّهِ) بما دل عليه ما تقدم من الكلام من قوله (تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ) فكأنه قال: صنع اللَّه صنع الذى أتقن كل شىء إلا انه اظهر اسم اللَّه فى الثانى، لأنه لم يذكر فى الأول و انما دل عليه. و الإتقان حسن إيناق. و قوله (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ) أى عليم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب.

ثم بين كيفية الجزاء، فقال (مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ) يعنى بالخصلة الحسنة (فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) أى خير يصيبه منها. و قيل: فله أفضل منها فى عظم النفع لأن له بقيمتها و بالوعد الذى وعده اللَّه بها كأنه قال: من أتى بالحسنة التى هى الايمان و التوحيد و الطاعة للَّه يوم القيامة يكون آمناً لا يفزع كما يفزع الكفار

---

(١) سورة ٣٠ الروم آية ۴

(٢) تفسير الطبرى ٢٠/ ١۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٢٥

و الفساق. و قيل: هم من فزع الموت فى الدنيا آمنون فى الآخرة. و قيل: من فزع يوم القيامة فى الجنة آمنون. ثم قال (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية الكبيرة التى هى مثل الكفر و الشرك، و ما جرى مجراهما. و قال جميع المفسرين:

إن السيئة- هاهنا- الشرك، فان اللَّه تعالى يكبه على وجهه فى النار. و يقال:

كبه و أكبه إذا نكسه، و يقال لهم (هَلْ تُجْزَوْنَ) بهذا العقاب (إلا) مكافأة لما كنتم تفعلون و تعملون فى دار التكليف من المعاصى.

ثم قال لنبيه (قل) لهم (إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ) يعنى مكة- فى قول ابن عباس- و قال غيره: منى، أى أمرت بعبادة رب هذه البلدة لم أؤمر بعبادة سواه (الَّذِي حَرَّمَها) و قيل: معنى (حرمها) عظم حرمتها من أن يسفك دم حرام فيها أو يظلم أحد فيها أو يصطاد صيدها أو يخلى خلاؤها و قيل: حرمها حتى أمن الوحش فيها، فلا يعدو الكلب على الغزال، و لا على الطير و لو خرج من الحرم لنفر أشد النفور، فذكر لهذه الآية فى الحرم (وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ) أى يملك كل شىء بالتصرف فيه على وجه يريده و يختاره، و ليس لأحد منعه منه (وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) الذين يسلمون بتوحيده و اخلاص العبادة له مستسلمين له (وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ) عليكم و أدعوكم الى ما فيه (فَمَنِ اهْتَدى الى الحق و العمل بما فيه (فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأن جزاء ذلك و ثوابه يصل اليه دون غيره (و من ضل) عنه و جار و لم يعمل بما فيه و لم يهتد الى الحق (و قل) له يا محمد (إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) الذين يخوفون بعقاب اللَّه من معاصيه، و يدعون الى طاعته. و فى ذلك دلالة على فساد قول المجبرة الذين يقولون: ان اللَّه يخلق الايمان و الهداية و الكفر و الضلالة.

ثم امر نبيه (ص) بان يقول (الحمد للَّه) اعترافا بنعمه (سَيُرِيكُمْ التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٢۶

آياتِهِ)

يعنى دلالاته التى ليس يمكنكم جحدها. و قال الحسن: معناه يريكم آياته فى الآخرة فتعرفون انها على ما قال فى الدنيا، و قيل: يركم فى الدنيا ما ترون من الآيات فى السماء و الأرض، فتعرفونها أنها حق. ذكره مجاهد. ثم قال و ليس ربك يا محمد (بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من قرأ بالياء يعنى عما يفعله المشركون. و من قرأ بالتاء، فعلى تقدير: قل لهم: ليس ربكم بغافل عما تعملونه بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليه، و فى ذلك غاية التهديد.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٢٧

۲۸-سورة القصص ..... ص : ۱۲۷

اشارة

مكية فى قول قتادة و الحسن و عطاء و عكرمة و مجاهد ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال ابن عباس آية منها نزلت بالمدينة و قيل بالجحفة و هى قوله «إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلی مَعادٍ» و هى ثمانون و ثمان آيات بلا خلاف فى جملتها و اختلفوا فى رأس آيتين سأذكرها عند كتابتها

[سورة القصص (۲۸): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۱۲۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
طسم (۱) تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ (۲) نَتْلُوا عَلَیْکَ مِنْ نَبَإِ مُوسی وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۳) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِیَعاً یَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ یُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ یَسْتَحْیِی نِساءَهُمْ إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ (۴)
وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ (۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۲۸

خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه. عد الكوفى «طسم» آية و لم يعدها الباقون.

قد بينا معنى هذه الحروف فى أوائل السور فى عدة مواضع، فلا فائدة فى إعادته، و قوينا قول من قال: إنها اسماء للسور.

و قوله «تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ» أى تلك آيات الكتاب التى وعدتم بانزالها. و قيل معناه هذا القرآن هو الكتاب المبين- ذكره الحسن- و قيل: فى معنى «المبين» قولان: أحدهما- قال قوم: المبين أنه من عند اللَّه. و قال قتادة: المبين الرشد من الغى. و المبين هو البين أيضاً. و أضاف الآيات الى الكتاب، و هى الكتاب كما قال «إِنَّهُ لَحَقُّ الْیَقِینِ» «۱».

ثم خاطب نبيه (ص) فقال «نَتْلُوا عَلَیْکَ» يا محمد طرفاً من اخبار «مُوسی وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ» على حقيقة البيان و هو اظهار المعنى للنفس بما تميزه من غيره مشتق من أبنت كذا من كذا إذا فصلته منه. و البرهان إظهار المعنى للنفس بما يدعو الى انه حق مما هو حق فى نفسه. و التلاوة الإتيان بالثانى بعد الأول فى القراءة بما يتلوه تلاوة، فهو تال لمقدم، و المقدم و التالى مثل الأول و الثانى.

و النبأ الخبر عما هو أعظم شأناً من غيره. و الحق هو ما يدعو اليه العقل، و نقيضه الباطل، و هو ما صرف عنه العقل.

و قوله «لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ» معناه إنا نتلو عليك هذه الأخبار لقوم يصدقون باللَّه، و بما أنزل عليك، لأنهم المنتفعون به، و الايمان الصديق بفعل ما يؤمن من العقاب.

ثم اخبر تعالى فقال «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ» أى تجبر و بغى- فى

---

(۱) سورة ۹۶ الحاقة آية ۵۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۲۹

قول قتادة و غيره- ببغيه و استعباده بنى إسرائيل، و قتل أولادهم. و قيل: بقهره و ادعائه الربوبية. و قيل: بشدة سلطانه «وَ جَعَلَ أَهْلَها شِیَعاً» أى قوماً «یَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ» فيستعبدهم و «یُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ یَسْتَحْیِی نِساءَهُمْ» أى يستبقى بناتهم فلا يقتلهن، و قيل: إنه كان يأمر بإخراج أحيائهن الذى فيه الولد و الأول هو الصحيح.

ثم اخبر تعالى و حكم بأن فرعون «کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ» فى الأرض و العاملين بمعاصى اللَّه. ثم وعد تعالى فقال «وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ» و هو عطف على قوله «یَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ» و نحن نريد أن نمن.

و قال قتادة: يعنى من بنى إسرائيل «وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم «وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» لمن تقدمهم من قوم فرعون.

و

روى قوم من أصحابنا أن الآية نزلت فى شأن المهدى (ع) و أن اللّه تعالى يمن عليه بعد أن استضعف. و يجعله إماماً ممكناً، و يورثه ما كان فى ايدى الظلمة.

قال السدى: إن فرعون رأى فى منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل فسأل علماء قومه، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده، فأمر بذبح أبنائهم و استحياء نسائهم، و أسرع الموت فى شيوخ بنى إسرائيل، فقالت القبط لفرعون: ان شيوخ بنى إسرائيل قد فنوا، و صغارهم قد قتلتهم، فاستبقهم لعملنا و خدمتنا، فأمرهم أن يستحيوا فى عام، و يقتلوا فى عام، فولد فى عام الاستحياء هارون، و ولد فى عام القتل موسى، قال الضحاك: عاش فرعون التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٣٠

أربع مائة سنة، و كان قصيراً و سيماً، و هو أول من خضب بالسواد. و عاش موسى مائة و عشرين سنة. و قيل: ان فرعون كان من أهل الإصطخر.

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ۶ الى ١٠] ..... ص : ١٣٠

وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ (۶) وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (٨) وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (٩) وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و حزناً» بضم الحاء، و اسكان الزاى.

الباقون بفتحهما، و هما لغتان. يقال: حزن و حزن مثل نجل و نجل. و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «و يرى فرعون و هامان» بالياء و رفع (فرعون، و هامان) بإسناد الرؤية اليهما. الباقون بالنون، و نصب (فرعون و هامان) بإسناد الفعل الى اللّه، و كونهما مفعولين. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٣١

لما اخبر اللّه تعالى أنه يريد ان يمن على الذين استضعفوا فى الأرض و يجعلهم ائمة، أخبر فى هذه الآية أنه يريد أن يمكنهم فى الأرض، و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل و لا يحصل إلا معه: من القدرة و الآلة و اللطف و غير ذلك.

و قال الرمانى: اللطف لا- يدخل فى التمكين، لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكناً، و لكن يقال: انه من باب ازاحة العلة. ثم بين انه تعالى «نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما مِنْهُمْ» يعنى من بنى إسرائيل «ما كانُوا يَحْذَرُونَ» من زوال ملكهم على يد رجل من بنى إسرائيل، و لذلك ذبح فرعون أبناءهم.

و من قال: ان الآية فى شأن المهدى (ع) حمل فرعون و هامان على فرعون هذه الأمة و هامانها، و الكناية فى «مِنْهُمْ» عائدة على أنصار المهدى (ع) قالوا: و هذه أولى، لأنه بلفظ الاستقبال، لأن فى أوله النون او الياء على اختلاف القراءتين و هما للمضارعة.

و الحذر توقى ما فيه المضرة، فهؤلاء الذين طلبوا الحذر فى غير وجهه، إذ قتلوا الأطفال ظلماً لأجله، و لو طلبوه بالرجوع الى اللّه، و دعائه ليكشف عنهم لكانوا طالبين له من وجهه.

و قوله «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أى ألهمناها، و قذفنا فى قلبها، و ليس بوحى نوم، و لا نبوة- فى قول قتادة و غيره- و قال الجبائى: كان الوحى رؤيا منام عبر عنه مؤمن به من علماء بنى إسرائيل. و قوله «أَنْ أَرْضِعِيهِ» أى ألهمناها إرضاع موسى «فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي

الْيَمِّ» فالخوف توقع ضرر لا يؤمن به.

و قال الزجاج: معنى «أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى اعلمناها، و قوله «فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ» أمر من اللَّه تعالى لأم موسى انها إذا خافت على موسى من فرعون أن ترضعه و تطرحه فى اليم. و اليم البحر، و يعنى به النيل «وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي» نهى من اللَّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۱۳۲

لها من الخوف و الحزن، فانه تعالى أراد أن يزيل خوف أم موسى بما وعدها اللَّه من سلامته على أعظم الأمور فى القائه فى البحر الذى هو سبب الهلاك فى ظاهر التقدير، لو لا لطف اللَّه تعالى بحفظه حتى يرده الى أمه. و وعدها بأنه يرده عليها بقوله «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ» و وعدها أيضاً بان يجعله من جملة الأنبياء المرسلين بقوله «وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ».

ثم اخبر ان آل فرعون التقطوه، و فى الكلام حذف، لان تقديره ان أم موسى طرحته فى البحر و مضى فى البحر الى أن بلغ قصر فرعون فالتقطه آل فرعون. و الالتقاط هو اصابة الشىء من غير طلب، و من اللقطة قال الراجز:

و منهل وردته التقاطا لم ألق إذ وردته فراطا «۱»

و قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً» اللام لام العاقبة، لأنهم لم يلتقطوه لأن يصير لهم عدواً و حزناً، بل التقطوه ليكون قرة عين لهم، و مثله قول الشاعر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب «۲»

و منه قوله «وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً» «۳». ثم اخبر تعالى «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ» عاصين للَّه فى أفعالهم، ثم حكى تعالى أن امرأة فرعون لما جىء بموسى اليها و رأته و عطف اللَّه بقلبها عليه جاءت به الى فرعون، و قالت «قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ» أى قرة عين هذا الولد لى و لك «لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً» إذا ربيناه و كبر «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» بأن هلاكهم على يديه، فى قول قتادة.

ثم قال «وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً» قال ابن عباس و قتادة و الضحاك:

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۰/ ۱۹ و القرطبى ۱۳/ ۲۵۲

(۲) مر فى ۳/ و ۶ و ۵/ ۴۳

(۳) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۱۳۳

معناه فارغاً من كل شىء إلا من ذكر موسى. و قال الحسن و ابن زيد و ابن إسحاق: فارغاً من وحينا بنسيانه، فإنها نسيت ما وعدها اللَّه به. و قيل: فارغاً من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج سكوناً الى ما وعد اللَّه و قبلت به. و قوله «إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ» قال ابن عباس و قتادة و السدى: معناه كادت لتبدى بذكر موسى. و تقول: يا ابناه. و قيل: ان كادت لتبدى بالوحى. و قوله «لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها» فالربط على القلب تقويته على الأمر حتى لا يخرج منه الى ما لا يجوز، و جواب (لو لا) محذوف، و تقديره لو لا أن ربطنا على قلبها لأظهرته. و قوله «لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» معناه فعلنا ذلك بها لتكون من جملة المؤمنين المصدقين بتوحيد اللَّه و عدله.

قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۱۳۳

وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۱) وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (۱۲) فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۴) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ

فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ الَّذِی مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵)

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۳۴

خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت لأخت موسى: قصيه أی اتبعی اثره، يقال قصه يقصه قصاً إذ اتبع اثره، و منه القصص، لأنه حديث يتبع بعضه بعضاً يتبع الثانی للأول، و الاقتصاص اتباع الجانی فی الأخذ بمثل جنايته فی النفس.

«فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ» معنى (فَبَصُرَتْ بِهِ) رأته، و هو لا يتعدى إلا بحرف الجر. و الرؤية تتعدى بنفسها، و قال مجاهد: معناه عن بعد، و مثله أبصرته عن جنابة قال الأعشى:

أتيت حريثاً زائراً عن جنابة فكان حريث عن عطائی جامداً «۱»

أی عن بعد، و قيل: معنى «عن جنب» عن مكان جنب، و هو الجانب لأن الجنب صفة وقعت موقع الموصوف لظهور معناه، و كان ذلك احسن و أوجز «وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ» قال قتادة: معناه و آل فرعون لا يشعرون انها أخته.

و قوله «وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ» و هی جمع مرضعة و معناه منعناه منهن و بغضناهن اليه، فكان ذلك كالمنع و النهی، لا أن هناك نهياً عن الفعل، قال الشاعر:

جاءت لتصرعنی فقلت لها اقصری انی امرؤ صرعی عليك حرام «۲»

ای ممتنع فانی فارس أمنعك من ذلك، و مثله قولهم: فلان حرم على

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۴۳

(۲) مر هذا البيت فی ۳/ ۴۸۹.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۳۵

نفسه كذا بالامتناع منه، كالامتناع بالنهی. و قوله «من قبل» أی من قبل ردّه على أمه «فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ» معناه يضمنونه برضاعه و القيام عليه، و ينصحونه فی ذلك، فقيل لأخته من أين قلت: انهم ناصحون له أ عرفت أهله، فقالت: إنما عنيت ناصحون للملك. و النصح اخلاص العمل من شائب الفساد، و هو نقيض الغش: نصح ينصح نصحاً، فهو ناصح فی عمله، و ناصح فی نفسه فی توبته إذا أخلصها. و قوله «فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ» قيل: إن فرعون سأل أمه كيف يرتضع منك، و لم يرتضع من غيرك؟! قالت: لأنی امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أؤتى بصبی إلا ارتضع منی. و بين تعالى انه إنما فعل ذلك «كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها» يعنی عين أمه، فرده عليها «وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» لا بد من كونه. ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ» ای الخلق «لا يَعْلَمُونَ» حقيقة ما يراد بهم. و قيل: من قوم فرعون ما علمته أم موسى، و من لطيف تدبير الله تسخير فرعون لعدوه حتى تولى تربيته.

و قوله «وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى قال قتادة: أشده ثلاث و ثلاثون سنة، و استوائه أربعون سنة. و قيل استواء قوته (آتيناه) يعنی أعطيناه (حُكْماً وَ عِلْماً) قال السدی: يعنی النبوة. و قال عكرمة: يعنی العقل.

و قال مجاهد: الفرقان. و الحكم الخبر بما تدعو اليه الحكمة. و المعنى علمناه من الحكمة ما تقتضی المصلحة، و أوحينا اليه بذلك.

ثم قال: و مثل ما فعلنا به نجزی أيضاً من فعل الإحسان. و فعل الطاعات و الافعال الحسنة.

ثم اخبر تعالى ان موسى (دَخَلَ الْمَدِينَةَ) يعنی مصر، و قيل: غيرها (عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها) قيل: إنه كان وقت القائلة. و قيل: لأنهم

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۳۶

غفلوا عن ذكره لبعد عهدهم به. و قيل: انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم و لعبهم. و قوله (فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ

شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ) قال مجاهد: يعنى من شيعته إنه كان اسرائيلياً، و الآخر إنه كان قبطياً. و قال ابن إسحاق: كان أحدهما مسلماً، و الآخر كافراً (فَاسْتَغاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) أى استنصره لينصره (فَوَكَزَهُ مُوسى اى دفع فى صدره، و جميع كفه (و لكزه) مثل وكزه و لهزه (فقضى عليه) اى مات، فقال عند ذلك موسى (هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) اى من اغوائه حتى زدت من الإيقاع به، و إن لم اقصد قتله. و قيل: ان الكناية عن المقتول، فكأنه قال: ان المقتول من عمل الشيطان اى عمله عمل الشيطان. ثم وصف الشيطان بأنه (عدّو) للبشر ظاهر العداوة. و قوله (هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ) إشارة الى الرجلين اللذين أحدهما من شيعة موسى، و الآخر من عدوه إنما هو على وجه الحكاية للحاضر إذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته و هذا من عدوه.

قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ١٣٦

قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَ ما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٣٧

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن موسى انه حين قتل القبطى ندم على ذلك و قال يا «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» بقتله و سأله ان يغفر له، فحكى اللَّه تعالى انه «غفر له» لان «اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ» لعباده «الرَّحِيمُ» بهم المنعم عليهم. و عند أصحابنا أن قتله القبطى لم يكن قبيحاً، و كان اللَّه أمره بقتله، لكن كان الأولى تأخيره الى وقت آخر لضرب من المصلحة، فلما قدم قتله كان ترك الأولى و الأفضل، فاستغفر من ذلك لا أنه فعل قبيحاً. و قال جماعة: ان ذلك كان منه صغيرة غير انها وقعت مكفرة لم يثبت عليها عقاب، و يكون قوله «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» على الوجه الأول أى بخست نفسى حقها بأن لم أفعل ما كنت أستحق به ثواباً زائداً. و على المذهب الثانى مذهب من يقول بالموازنة يقول: لأنه نقص من ثوابه، و كان بذلك ظالماً لنفسه، فأما من قال: إن ذلك كان كبيرة منه و ظلماً فخارج عما نحن فيه، لأن ادلة العقل دلت على أن الأنبياء لا يجوز عليهم شيء من القبائح، لا كبيرها و لا صغيرها. و من قال: إنه كان ذلك صغيرة، قال:

كان دفعه له المؤدى الى القتل صغيرة، لا أنه قصد القتل و كان صغيرة. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٣٨

و قوله «قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ» معناه إن أنعمت على فلن أكون، فهو مشبه بجواب الجزاء، و لذلك دخلت الفاء فى الجواب، و إذا وقع الانعام قيل لما أنعمت، فلن أكون، لأنها فى كلا الموضعين تدل على أن الثانى وقع من أجل الاول.

و يحتمل أن يكون ذلك قسماً من موسى بنعم اللَّه عليه، بمغفرته، و فنون نعمه بأن لا يكون معيناً على خطيئة، و لا يكون ظهيراً. و الظهير المعين لغيره بما به يصير كالظهر له الذى يحميه من عدوه.

و قوله «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خائِفاً يَتَرَقَّبُ» معناه إن موسى أصبح خائفاً من قتل القبطى، يترقب الأخبار- فى قول ابن عباس- و الترقب التوقع.

و قوله «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» يعنى رأى من كان استنصره بالأمس، بأن طلب نصرته على عدوه «يستصرخه» أى يطلب نصرته أيضاً.

و قيل: يطلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الإيقاع بمن قد تعرض له «قالَ لَهُ مُوسى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» أى عادل عن الرشد، ظاهر الغواية، و معناه انك لغوى فى قتالك من لا تطيق دفع شره عنك، من أصحاب فرعون، خائب فيما تقدر أن تفعله.

و قوله «فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما» قيل: إن موسى هم أن يدفع العدو عن نفسه و عن صاحبه، و يبطش به «قالَ يا مُوسى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ» قال الحسن: هو من قول الفرعوني، لأنه كان قد اشتهر أمر القتل بالأمس أنه قتله بعض بنى إسرائيل. و قال ابن عباس و اكثر اهل العلم انه من قول الإسرائيلى، لأنه قال له موسى انك لغوى مبين، خاف على نفسه فظن أنه يريد الإيقاع به، فقال ما قال. و قوله «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ» اى لست تريد بقتل من قتلته التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۱۳۹

بالأمس إلا أن تكون جباراً متكبراً فى الأرض «وَ ما تُرِيدُ» اى و لست تريد «أَنْ تَكُونَ مِنَ» جملة «الْمُصْلِحِينَ».

و قوله «وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى قيل هو مؤمن آل فرعون «قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ» أى يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

و قيل: يأتمرون معناه يرتاءون، قال نمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة و فى كل حادثه يؤتمر «۱»

أى يرتاء، و قال آخر:

ما تأتمر فينا فأم رك فى يمينك أو شمالك

فقوله «فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» حكاية ما قال الرجل لموسى، و انه ناصح له بقوله، يحذره من أعدائه. و قال الزجاج: و قوله «انى لك» ليست من صلة «الناصحين» لان الصلة لا تقدم على الموصول، لكن تقديره: إني من الناصحين الذين ينصحون لك، يقال: نصحت لك و نصحتك، و الاول اكثر.

قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۱۳۹

فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۱) وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ (۲۲) وَ لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكُما قالَتا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ (۲۳) فَسَقى لَهُما ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (۲۴) فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا فَلَمَّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۲۵)

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۰/ ۳۱ و القرطبى ۱۳/ ۲۶۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۴۰

خمس آيات كوفى، و ست فيما عداه، عد الكل «يسقون» آية إلا الكوفيين فإنهم عدوها و ما بعدها الى «كبير» آية. قرأ ابو عمرو، و ابن عامر، و ابو جعفر «حتى يصدر» بفتح الياء و ضم الدال. الباقون- بضم الياء و كسر الدال- و الصدر الانصراف عن الماء: صدر يصدر صدراً و أصدره غيره إصداراً، و منه و الصدر، لان التدبير يصدر عنه، و المصدر لان الافعال تصدر عنه. فمن فتح الياء أسند الفعل الى الرعاء، و من ضمه أراد اصدارهم عنه و مواشيهم.

حكى اللَّه تعالى ان موسى لما أنذره مؤمن آل فرعون، و أن اشراف قومه و رؤساءهم قد ائتمروا على قتله، و أمره بالخروج من المدينة خرج (ع) «خائِفاً يَتَرَقَّبُ» أى يطلب ما يكون و يتوقعه، و الترقب طلب ما يكون من المعنى على حفظه للعمل عليه، و مثله التوقع و هو طلب ما يقع من الأمر متى يكون. و قال قتادة:

و خرج منها خائفاً من قتله النفس يترقب الطلب. و قيل خرج بغير زاد و كان لا يأكل إلا حشاش الصحراء الى أن بلغ ماء مدين.

و قوله «قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» حكاية ما دعا به موسى ربه، و انه سأله أن يخلصه من القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم

بالكفر باللَّه، و ذلك يدل على أن خوفه كان من القتل. التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۱۴۱
و قوله «وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ» فالتوجه صرف الوجه الى جهة من الجهات، و يقال: هذا المعنى يتوجه الى كذا أى هو كالطالب له بصرف وجهه اليه، و تلقاء الشي‌ء حذاه، و يقال: فعل ذلك من تلقاء نفسه أی من حذا داعی نفسه، و (مدين) لا ينصرف، لأنه اسم بلدة معرفة، قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا و العصم من شعف العقول الغادر «۱»

الشعف أعلى الجبل، و الغادر الكبير. و قال ابن عباس: بين مصر و مدين ثمان ليال، نحو ما بين الكوفة و البصرة.
و قوله «عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ» حكاية ما قال موسى فی توجهه، فانه قال: عسى أن يدلنی ربی على سواء السبيل، و هو وسط الطريق المؤدی الى النجاة، لأن الأخذ يميناً و شمالا بباعد عن طريق الصواب، و يقرب منه لزوم الوسط على السنن، فهذا هو المسعى فی الهداية، و قال الشاعر:

حتى اغيب فی سواء الملحد

ای فی وسطه، و قال عطاء: عرضت له أربع طرق لم يدر أيها يسلك، فقال ما قال. ثم أخذ طريق مدين حتى ورد على شعيب، و هو قول عكرمة. ثم حكى تعالى أن موسى «لَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً» يعنی جماعة «مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» بهائمهم و يستسقون الماء من البئر «وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ» يعنی دون الناس «امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ» أی يحبسان غنمهما و يمنعانها من الورود الى الماء يقال: ذاد شاته و إبله عن الشي‌ء يذودها ذوداً إذا احبسها عنه بمنعها منه، قال سويد بن كراع:

---

(۱) مر تخريجه فی ۳/ ۶۰۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۱۴۲

أبيت على باب القوا فی كأنما أذود بها سرباً من الوحش شرعاً «۱»

و قال الآخر:

و قد سلبت عصاك بنو تميم فما تدری بأی عصاً تذود «۲»

و قال الفراء: لا يقال: ذدت الناس، و إنما قالوا ذلك فی الغنم و الإبل، و قال قتادة: كانتا تذودان الناس عن شائهما. و قال السدی: تحبسان غنمهما فقال لهما موسى «ما خَطْبُكُما» أی ما شأنكما؟ فی قول ابن إسحاق، قال الراجز:

يا عجبا ما خطبه و خطبی «۳»

و الخطب الأمر الذی فيه تفخيم، و منه الخطبة، لأنها فی الأمر المعظم، و من ذلك خطبة النكاح و الخطاب، كل ذلك فيه معنى العظم.
فأجابتاه بأننا لا نسقی غنمنا حتى يصدر الرعاء و واحد الرعاء راع، و يجمع ايضاً رعاة و رعياناً، و المعنى انا لا نسقی حتى ينصرف الرعاء- فيمن فتح الياء- أو يصرفون غنمهم- فيمن ضم الياء- لأنا لا قوة بنا على الاسقاء، و إنما ننتظر فضول الماء فی الحوض- فی قول ابن عباس و قتادة و ابن إسحاق- «وَ أَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر على أن يتولى ذلك بنفسه. و قوله «فَسَقى لَهُما» قال شريح: رفع لهما حجراً عن بئر لا يقدر على رفعه إلا عشرة رجال ثم استقى لهما. و قال ابن إسحاق: إنه زحم الناس عن الماء حتى آخرهم عنه حتى سقى لهما. و قوله «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» معناه إنی الى ما أنزلت فاللام بمعنى الى، و (لَهُما) بمعنى الذی و ما بعده من صلته و (لما) متعلق بقوله (فقير) و تقديره أی فقير

---

(۱) تفسير الطبری ۲۰/ ۳۳ و القرطبی ۱۳/ ۲۶۶.

(۲) تفسير الطبری ۲۰/ ۳۳ و القرطبی ۱۳/ ۲۶۸. [.....]

(۳) قاله رؤبة. تفسير القرطبى ۱۳/ ۲۶۸ و الطبرى ۲۰/ ۳۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۴۳

الى ما أنزلت الى من خير. قال ابن عباس: أدرك موسى جزع شديد، فقال «رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ» و فى الكلام حذف، لان التقدير إن المرأتين عادتا الى أبيهما و شكرتا فعله، فقال أبوهما لإحداهما ادعيهٔ لى لأجزيه على فعله «فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِی عَلَی اسْتِحْیاءٍ» قيل: معناه متسترهٔ بكم درعها أو قميصها، فقالت له «إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ» ليكافيك على ما سقيت لنا و إن موسى مشى معها حتى وصل اليه «وَ قَصَّ عَلَیْهِ الْقَصَصَ» من اخباره و ما مر عليه، فقال له الشيخ «لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ» قال ابن عباس معناه ليس لفرعون سلطان بأرضنا. و قيل: كان الشيخ أبوهما شعيباً (ع) و قال الحسن: بل كان رجلا مسلماً على دين شعيب أخذ الدين عنه، و شعيب مات قبل ذلك، و قال قوم: انه كان ابن اخى شعيب (ع).

قوله تعالى: [سورهٔ القصص (۲۸): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۱۴۳

قالَتْ إِحْداهُما یا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِینُ (۲۶) قالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ وَ ما أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِینَ (۲۷) قالَ ذلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا الْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَیَّ وَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ (۲۸) فَلَمَّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَةِ الْمُبارَکَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (۳۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۴۴

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم (جذوة) بفتح الجيم، و قرأ حمزة و خلف بضمها، الباقون- بكسر الجيم- و فيه ثلاث لغات- فتح الجيم و ضمها و كسرها. و الكسر أكثر و افصح. و الجذوة القطعهٔ الغليظهٔ من الحطب فيها النار، و هى مثل الحزمهٔ من أصل الشجر، و جمعها جذى قال الشاعر:

كانت حواطب ليلى يلتمس لها جزل الجذى غير خوار و لا ذعر «۱»

و قال قتادة: الجذوة الشعلهٔ من النار. حكى اللَّه تعالى أن احدى المرأتين قالت لأبيها «یا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» و الاستئجار طلب الاجارهٔ، و هى العقد على أمر بالمعاوضهٔ، يقال: أجره أجراً، و آجره إجارهٔ و إيجاراً، و استأجره استئجاراً و منه الأجير، و الماجور. و الأجر الثواب، و هو الجزاء على الخير. ثم حكى أنها قالت لأبيها «إِنَّ خَیْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِینُ» قال قتادة: عرفت قوته بأنه سقى الماشيهٔ بدلو واحد، و عرفت أمانته بغض طرفه، و أمره إياها بأن تمشى خلفه. و القوى القادر العظيم المقدور، و منه وصف اللَّه تعالى بأنه القوى العزيز، و أصل القوهٔ شدهٔ الفتل من قوى الحبل، و هى طاقاته التى يفتل عليها، ثم نقل الى معنى القدرهٔ على الفعل. و الأمانهٔ خاصهٔ للتأديهٔ على ما يلزم فيها،

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۲۸۱ و الطبرى ۲۰/ ۴۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۴۵

و هى ضد الخيانهٔ، و الثقهٔ مثل الأمانهٔ.

ثم حكى ما قال ابو المرأتين لموسى (ع)، فانه قال له «إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ» أى أزوجك إحداهما، فالانكاح عقد ولى المرأهٔ على غيره الزوجيهٔ، و هو تزويجه إياها، و النكاح تزوج الرجل المرأهٔ، يقال نكحها نكاحاً إذا تزوجها. و قوله «عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ» معناه على أن تجعل أجرى على تزويجى إياك ابنتى رعى ماشيتى ثمانى سنين، لأنه جعل صداق ابنته هذا الذى

عقد علیه، و جعل الزیادة علی المدة الیه الخیار فیها، فلذلک قال «فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ» أی هبة منک غیر واجب علیک. ثم اخبر انه قال «وَ ما أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ» بأن ألزمک عشر سنین «ستجدنی» فیما بعد (إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ) جملة (الصالحین) الذین یفعلون الخیرات، و تعلیق الصلاح بمشیئة اللّه فی الآیة یحتمل أمرین:

أحدهما- ان یرید بها الصلاح فی الدنیا من صحة الجسم و تمام القوة، فان اللّه تعالی یجوز ان یفعل بأنبیائه أمراضاً امتحاناً لهم و لطفاً، فلذلک قال إن شاء اللّه.

و الثانی- ان یکون أراد ان شاء اللّه تبقیتی، لأنه یجوز أن یخترمه اللّه فلا یفعل الصلاح الدینی، فلذلک علقه بمشیئة اللّه. و یحتمل أن یکون ذلک لاتفاق الکلام، و لا یکون خبراً قاطعاً، فلا یکون بمشیئة اللّه شرط فی فعل الصلاح و قال ابن عباس: ان موسی قضی أتما الأجلین و أوفاهما، و قیل: انه کان جعل لموسی کل سخلة تولد علی خلاف شبه أمها فأوحی اللّه (عز و جل) الی موسی ان الق عصاک فی الماء فولدت کلهن خلاف شبههن. و قیل: جعل له کل التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۴۶

بلقاء فولدن کلهن بلقاً.

ثم حکی تعالی ان موسی قال له (ذلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا الْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَیَّ) أی لا تعدی علی لانی مخیر فی ذلک (وَ اللَّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ) أی کاف و حسیب، و قیل: انه من قول الشیخ، ثم حکی تعالی ان موسی لما قضی الأجل تسلم زوجته و سار بها الی أن (آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً) ای ابصر امراً یؤنس بمثله، و الطور الجبل قال العجاج:

آنس جربان فضاء فانکدر دانی جناحیه من الطور فمر «۱»

فلما رأی ذلک قال لأهله: البثوا مکانکم، فانی أبصرت ناراً، فامضی نحوها (لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ) یعرف منه الطریق، فانه روی انه کان قد ضل عن الطریق

(أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ) ای قطعة من الحطب غلیظة فیها النار، و قیل الجذوة الشعلة من النار، لکی تصطلوا بها. و قیل: انهما کانا وجدا البرد، فلذلک قال ما قال.

ثم حکی تعالی ان موسی لما اتی النار بان قرب منها (نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ) ای من جانبه و هو الشط، و یجمع شواطئ و شطآناً (فِی الْبُقْعَةِ الْمُبارَکَةِ) یقال: بقعة و بقعة بالضم و الفتح، و جمعه بقاع، و وصفها بأنها مبارکة لأنه کلم اللّه فیها موسی (من الشجرة) قیل ان الکلام و النداء سمعه موسی من ناحیة الشجرة، لأن اللّه تعالی فعل الکلام فیها لا أن اللّه تعالی کان فی الشجرة، لأنه لا یحویه مکان، و لا یحل فی جسم، فتعالی اللّه عن ذلک «أَنْ یا مُوسی أی ناداه بان قال له یا موسی (إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ)

---

(۱) تفسیر الطبری ۲۰/ ۴۰ و روایته «آنس جریان قض»، و قد مر قسم من هذا الرجز فی ۱/ ۲۸۶ و ۷/ ۳۵۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۴۷

الذی خلقت جمیع الخلائق و أخرجتهم من العدم الی الوجود.

قوله تعالی:[سورة القصص (۲۸): الآیات ۳۱ الی ۳۵] ..... ص : ۱۴۷

وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ (۳۱) اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۳۲) قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ (۳۴) قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ (۳۵)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ (من الرهب) بفتح الراء و الهاء- ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابو عمرو. الباقون- بضم الراء و سكون الهاء- إلا حفصاً، فانه قرأ- بفتح الراء و سكون الهاء- و قرأ ابن كثير و ابو عمرو (فذانك) مشددة النون.

الباقون بالتخفيف. و قرأ نافع (رداً) بفتح الدال من غير همز منوناً. و قرأه ابو جعفر بالف بعد الدال من غير همز و غير تنوين. الباقون بسكون الدال و بعدها همزة مفتوحة منونة. و قرأ عاصم و حمزة (يصدقنى) بضم القاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٤٨

الباقون بالجزم.

الرهب و الرهب لغتان مثل النهر و النهر، و السمع و السمع. و قيل فى تشديد (ذانك) ثلاثة اقوال: أحدها- للتوكيد، الثانى- للفرق بين النون التى تسقط للاضافة. و بين هذه النون. الثالث- للفرق بين بنية الاسم المتمكن و غير المتمكن. و روى عن ابن كثير انه قرأ (فذانيك) قال ابو على: وجه ذلك انه أبدل من احدى النونين ياء، كما قالوا: تظنيت و تظننت. و من جزم (يصدقنى) جعله جواباً للأمر و فيه معنى الشرط. و تقديره: إن أرسلته صدقنى و من رفع جعله صفة للنكرة. و تقديره رداً مصدقاً لى. و قال مقاتل: الرهب الكم، و يقال وضعت الشىء فى رهبى اى فى كمى، ذكر الشعبى انه سمع ذلك من العرب. و من شدد (ذانك) جعله تثنية (ذلك) و من خفف جعله تثنية (ذاك).

اخبر اللَّه تعالى انه لما قال لموسى (إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ) أمره ايضاً ان يلقى عصاه، و انه ألقاها أى طرحها و أخرجها من يده الى الأرض فانقلبت بإذن اللَّه ثعباناً عظيماً (تهتز) بإذن اللَّه (كأنها جان) فى سرعة حركته، و شدة اهتزازه، فعلم موسى عند ذلك ان الذى سمعه من الكلام صادر من اللَّه، و ان اللَّه هو المكلم له دون غيره، لأن ذلك إنما يعلمه بضرب من الاستدلال.

و قوله (وَلَّى مُدْبِراً، وَ لَمْ يُعَقِّبْ) اى لم يرجع، اى خاف بطبع البشرية و تأخر عنها و لم يقف، فقال اللَّه تعالى له (يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ) من ضررها. و العصا عود من خشب كالعمود، و فى انقلابه حية دليل على ان الجواهر من جنس واحد، لأنه لا حال ابعد الى الحيوان من حال الخشب. و ما جرى مجراه من الجماد، و ذلك يقتضى صحة قلب الأبيض الى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٤٩

حال الأسود، و الاهتزاز شدة الاضطراب فى الحركة، و الحيوان له حركة تدل عليه إذا رئى عليها لا يشك فى انه حيوان بها. و هى التصرف بالنفس من غير ريح، و لا سبب يولد التصرف مع كونه على البنية الحيوانية. و قيل:

ان اللَّه أمره ان يدخل يده فى فيها، ففعل فعادت عصاً كما كانت. ثم أمره الله ان يسلك يده فى جيبه، أى بأن يدخلها فيه، و كانت سمرة شديدة السمرة فلما أخرجها خرجت بيضاء نقية (مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) اى من غير برص.

و قوله (وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ) قال ابن عباس و مجاهد: يعنى يدك (من الرهب) يعنى من الرعب، و الفرق الذى لحقه لأجل الحية- فى قول مجاهد، و قتادة- و قال قوم: ان معناه امر له بالعزم على ما أريد له مما امر به، و حثه على الجد فيه، و يمنعه ذلك من الخوف الذى لحقه، و لا يستعظم ذلك، فيكون ذلك مانعاً مما امر به، كما قال (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ) و لم يرد خلاف الحل فكذلك الضم ليس يراد به الضم المزيل للفرجة. و مثله قول الشاعر:

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك و لا تجزع من الموت إذا حل بواديك «١»

و انما يريد تأهب له. ثم قال «فَذانِكَ» يعنى قلب العصا حية و إخراج اليد البيضاء «بُرْهانانِ» أى دليلان، واضحان من اللَّه فى ارسالك الى فرعون و اشراف قومه.

ثم اخبر تعالى أن فرعون و قومه «كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» خارجين من طاعة اللَّه الى معاصيه. ثم حكى تعالى ما قال موسى، فانه قال يا رب «إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً» يعنى القبطى الذى وكزه فقضى عليه «فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بدله.

---

(١) اللسان (حزم) نسبه الى على (ع).

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ١٥٠

و قال ايضاً «وَ أَخِي هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِساناً» لان موسى كان فى لسانه عقدة و لم يكن كذلك هارون، و سأل اللَّه تعالى أن يرسل هارون معه «ردءاً» أى عوناً، و الردء العون الذى يدفع السوء عن صاحبه، و منه ردء الشىء يردأه رداءً فهو ردىء، فالرد المعين فى دفع الردا عن صاحبه. و يقال: ردأته أردؤه ردءاً إذا أعنته. و اردأته ايضاً لغتان. و قوله «يصدقنى» من جزمه جعله جواباً للأمر، و من رفعه جعله صفة للنكرة، و تقديره ردءاً مصدقاً «إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» فى ادعاء النبوة و الرسالة، و قيل: ان موسى ما سأل ذلك إلا بإذن اللَّه، لأنه لا يجوز ان يسأل نبى أن يرسل معه إنساناً آخر نبياً، و هو لا يعلم أنه يصلح لذلك، فلا يجاب اليه، فان ذلك ينفر عنه. فقال اللَّه تعالى «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» أى سنقويك به بأن نقرنه اليك فى الرسالة لنقوى بعضكما ببعض.

«وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً» يعنى حجة و قوة، و هى التى كانت لهما بالعصا. و السلطان القوة التى يدفع بها على الأمر. و السلطان الحجة الظاهرة، و تقديره و نجعل لكما سلطاناً ثابتاً «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» فيه تقديم و تأخير.

ثم قال تعالى «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» يعنى فرعون، و قومه لا يتمكنون من قتلكما، و لا أذاكما، ثم قال «بِآياتِنا» أى بحجبنا و براهيننا «أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا» من بنى إسرائيل و غيرهم «الغالبون» لفرعون، فعلى هذا يكون «أنتما» مبتدءاً، «و من اتبعكما» عطفاً عليه «و الغالبون» خبره «و بآياتنا» متعلق بقوله «الغالبون». و على الوجه الآخر يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «وَ نَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً ... بِآياتِنا» قال الزجاج: يجوز أن يكون «بآياتنا» متعلقاً بقوله «فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما» بآياتنا و حججنا، و كل ذلك محتمل.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ١٥١

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ١٥١

فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَ قالَ مُوسى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَ قالَ فِرْعَوْنُ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ (٣٨) وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير «قال موسى» بلا واو، و كذلك هو فى مصاحف أهل مكة. الباقون- بالواو- و كذلك هو فى المصاحف.

و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً «من يكون» بالياء. الباقون بالتاء.

من قرأ بالياء فلأن تأنيث العاقبة ليس بحقيقى. و من قرأ بالتاء، فلأن لفظه مؤنث. و تقدير الكلام إن موسى مضى الى فرعون «فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا» أى حججنا «بَيِّناتٍ» أى ظاهرات «قالُوا» يعنى فرعون و قومه ليس «هذا» الذى يدعيه «إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرىً» أى مختلق مفتعل. و الفرق التبيان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ١٥٢

بين (لو) و (لما) أن (لو) لتقدير وقوع الثانى بالأول، و (لما) للإيجاب فى وقوع الثانى بالأول. و قولك: و لو جاءهم موسى بآياتنا قالوا، ليس فيه دليل انهم قالوا و فى (لما) دليل على انهم قالوا عقيب مجىء الآيات. و قوله (سِحْرٌ مُفْتَرىً) اى سحر مختلق لم يبن على اصل صحيح، لأنه حيلة موهم خلاف الحقيقة، فوصفوا الآيات بالسحر و الاختلاق، على هذا المعنى جهلا منهم و ذهاباً عن الصواب.

و قوله (ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ) أى لم نسمع ما يدعيه و يدعو اليه فى آبائنا الذين كانوا قبلنا، و انما قالوا (ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ) مع شهرة قصة قوم نوح و صالح و غيرهم من النبيين الذين دعوا الى توحيد اللَّه و اخلاص عبادته لأحد أمرين:

أحدهما- للفترة التى دخلت بين الوقتين و طول الزمان جحدوا أن تقوم به حجته.

و الآخر- إن آباءهم ما صدقوا بشىء من ذلك، و لا دانوا به، و وجه الشبهة فى أنهم ما سمعوا بهذا فى آبائهم الأولين أنهم الكثير

الـذين لو كان حقاً لأدركوه، لأنه لا يجوز أن يدرك الحق إلا نقص فى العقل و الرأى، و لا يدركه الأفضل منهما، و هذا غلط، لأن ما طريقه الاستدلال قد يصيبه من سلك طريقه و لا يصيبه من لم يسلك طريقه.

ثم حكى ما قال موسـى بأنه قال (رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی أى بالدين الواضح و الحق المبين من عنده، و وجه الاحتجاج بقوله (رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُـدی مِنْ عِنْـدِهِ) أنه عالم بما يـدعو الى الهـدى مما يـدعو الى الضـلال، فلا يمكن من مثل ما أتيت به من يدعوا الى الضلال، لأنه عالم بما فى ذلك من فساد العباد التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٥٣

ثم بين هـذا بقوله (إِنَّهُ لا ـ يُفْلِـحُ الظَّالِمُونَ) و ان عاقبـة الصـلاح لأهـل الحق و الانصـاف، و هو كمـا تقول على طريق المظـاهرة بحمل الخطاب: اللّه أعلم بالمحق منا من المبطل و حجتى ظاهرة، فاكسـرها ان قـدرت على ذلك (وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَـةُ الـدَّارِ) يعنى الجنة و الثواب فى الآخرة (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ) أى لا يفوز بالخير من ظلم نفسه و عصى ربه و كفر نعمه.

ثم حكى تعـالى مـا قـال فرعون عنـد سـماع كلام موسـى لقومه فانه قال لهم (يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِی) فلا تصـغوا الى قوله، حين أعياه الجواب و عجز عن محاجته. ثم قال لهامان (فَأَوْقِدْ لِی يا هامانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً) قال فالصرح البناء العالى كالقصر، و منه التصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر:

بهن نعام بناها الرجا ل تحسب اعلامهن الصروحا «١»

جمع صرح و هى القصور، و قال قتادة: أول من طبخ الآجر و بنى به فرعون و يقال: الآجر بالتخفيف، و التثقيل. و الآجور ثلاث لغات. و قوله (لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی فالاطلاع الظهور على الشـىء من عل، و هو الاشراف عليه. و قوله (وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكاذِبِينَ) حكاية ما قال فرعون فانه قال: أظن موسـى من جملـة الـذين يكـذبون، ثم اخبر تعالى ان فرعون اسـتكبر، و كـذلك جنوده، و اسـتكبروا (فِی الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنـا لا ـ يُرْجَعُونَ) الى اللّه و الى ثوابه و عقـابه. و قوله (فَأَخَـذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَـذْناهُمْ فِی الْيَمِّ) اخبـار منه تعالى انه أخذ فرعون و جنوده أى جمعهم و طرحهم فى البحر، و غرقهم. و النبذ الإلقاء، قال ابو الأسود الدؤلى:

---

(١) تفسير القرطبى ١٣/ ٢٠٩ و الطبرى ٢٠/ ٤١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٥٤

نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا «١»

و قال قتادة: البحر الذى غرق فيه فرعون يقال له: اسناد، على مسيرة يوم من مصر.

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ١٥٤

وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَـرُونَ (٤١) وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هـذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَی الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولی بَصائِرَ لِلنَّاسِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَـيْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَ لكِنَّا أَنْشَأْنـا قُرُونـاً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِی أَهْلِ مَـدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)

خمس آيات بلا خلاف.

اخبر اللّه تعالى انه جعل فرعون و قومه (أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انا عرفنا الناس انهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل شرّ بتعريفه حاله. و الثانى- انا حكمنا عليهم بذلك، كما قال

---

(١) مر تخريجه فى ١/ ٣٦٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٥٥

(ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ) «١» و كما قال (وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ) «٢» و انما قال ذلك، و أراد انهم حكموا بذلك، و سموه. و الجعل على اربعة اقسام:

أحدها- بمعنى الأحداث، كقوله (وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ) «٣» و قوله (وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً) «۴».

الثاني- بمعنى قلبه من حال الى حال كجعل النطفة علقة الى ان تصير إنساناً الثالث- بمعنى الحكم انه على صفة، كما قال انه جعل رؤساء الضلالة يدعون الى النار اى حكم بذلك.

الرابع- بمعنى اعتقد انه على حال كقولهم جعل فلان فلاناً راكباً إذا اعتقد فيه ذلك. و الامام هو المقدم للاتباع يقتدون به، فرؤساء الضلالة قدموا فى المنزلة لاتباعهم فيما يدعون اليه من المغالبة. و انما دعوهم الى فعل ما يؤدى بهم الى النار، فكان ذلك كالدعاء الى النار. و الداعى هو الطالب من غيره ان يفعل إما بالقول او ما يقوم مقامه، فداعى العقل بالإظهار الذى يقوم مقام القول. و كذلك ظهور الارادة يدعو الى المراد.

و قوله (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ) معناه: إنهم كانوا يتناصرون فى الدنيا، و هم لا ينصرون فى الآخرة بنصر بعضهم لبعض، و لا غيره و لا احد ينصرهم.

و قوله (وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً) معناه الحقنا بهم فى هذه الدنيا لعنة بأن لعناهم و ابعدناهم من رحمتنا. و قال ابو عبيدة معناه ألزمناهم بأن أمرنا بلعنهم، قوماً بعد قوم (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) مع اللعنة.

---

(١) سورة ۵ المائدة آية ١٠۶.

(٢) سورة ۶ الانعام آية ١٠٠.

(٣) سورة ١٧ الإسراء آية ١٢.

(۴) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١۵۶

و الاتباع إلحاق الثانى بالأول، فهؤلاء الدعاة الى الضلالة ألحقوا اللعنة تدور معهم حيث ما كانوا، و فى ذلك أعظم الزجر عن القبيح. و قيل: المقبوح المشوه بخلقته لقبيح عمله، و يقال: قبحه اللَّه يقبحه قبحاً، فهو مقبوح إذا جعله قبيحاً و قال ابو عبيدة: معنى (المقبوحين) المهلكين.

ثم اخبر تعالى انه أعطى موسى الكتاب يعنى التوراة من بعد ان أهلك القرون الاولى من قوم فرعون و غيرهم، و انه فعل ذلك «بَصائِرَ لِلنَّاسِ» و هى جمع بصيرة يتبصرون بها و يعتبرون بها و جعل ذلك هدى يعنى ادلة و بياناً و رحمة اى و نعمة عليهم لكى يتذكروا و يتفكروا فيعتبروا به. و قوله «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» معناه ما كنت بجانب الغربى أى الجبل- فى قول قتادة- حين قضينا اليه الأمر اى فصلنا له الأمر بما ألزمناه و قومه و عهدنا اليه فيهم، فلم تشهد انت ذلك «وَ لكِنَّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى مقيماً فالثاوى المقيم قال الأعشى:

أثوى و قصر ليلة ليزّودا و مضى و أخلف من قتيلة موعدا «١»

«تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» و المعنى انك لم تشهد إحساننا الى عبادنا بإرسال الرسل و نصب الآيات و انزال الكتب بالبيان و الهدى و ما فيه الشفاء للعمى كأنه يقول لم تر أى شيء كان هناك، تفخيماً لشأنه مع إنك انما تخبر به عنا، و لو لا ما أعلمناك منه لم تهتد له.

قوله تعالى: [سورة القصص (٢٨): الآيات ۴۶ الى ۵٠] ..... ص : ١۵۶

وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۶) وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۴۷) فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (۴۸) قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۰)

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١۵٧

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة «سحران» بغير الف. الباقون «ساحران» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال مجاهد أراد موسى و هارون.

و الثانى- قال ابن عباس: أراد موسى و محمداً «تَظاهَرا»: اى تعاونا.

و من قرأ «سحران» قال ابن عباس: أراد التوراة و القرآن. و قال الضحاك: أراد الإنجيل و القرآن. و قال عكرمة: أراد التوراة و الإنجيل.

و من اختار «ساحران» فلأنه قال تظاهرا و ذلك إنما يكون بين الساحرين دون التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١۵٨

السحرين. و من قرأ «سحران» قال: فى ذلك ضرب من المجاز، كما قال «بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى » (١) و الكتاب يهتدى به، و لا يهدى.

و انما يقال ذلك مجازاً.

يقول اللَّه تعالى لنبيه (ص) «ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ» الذى كلم اللّه عليه موسى حين ناداه و كلمه. و قال له «إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ» (٢) «يا مُوسى أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ» (٣) «فَخُذْها بِقُوَّةٍ» (۴) و قيل: إن هذه المرة الثانية التى كلم اللَّه فيها موسى «وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» و معناه لكن آتيناك علم ذلك رحمة من ربك، و نعمة عليك، لما فيه من العبرة و الموعظة، و إن سبيلك لسبيل غيرك من النبيين فى التأييد و المعجزة الدالة على النبوة.

و قوله «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» فالانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى، فالنبى (ص) نذير لأنه معلم بالمعاصى، و ما يستحق عليها من العقاب، لتتقى بالطاعات، و النذر العقد على ضرب من البر بالسلامة من الخوف و المعنى إنا أعلمناك لتخوف قوماً لم يأتهم مخوف قبلك ليتذكروا و يعتبروا، و ينزعوا عن المعاصى. و (التذكر) طلب الذكر بالفكر و النظر.

و قوله «وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» أى لو لا أن تلحقهم مصيبة جزاء على ما كسبت أيديهم فيقولوا حينئذ «لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا» اى هلا أرسلت إلينا من ينهانا عن المعاصى و يدعونا الى الطاعات (فَنَتَّبِعَ آياتِكَ) أى أدلتك و بيناتك (وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوحدانيتك لما أهلكناهم عاجلا بكفرهم، فجواب (لو لا) محذوف لدلالة الكلام عليه، لأن

---

(١) آية ۴٩ من هذه السورة

(٢) سورة ٢٠ طه آية ١۴.

(٣) آية ٣١ من هذه السورة. [.....]

(۴) سورة ٧ الاعراف آية ١۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۵۹

معنى الكلام الامتنان عليهم بالامهال حتى يتذكروا ما أتى به الرسول (ص).

و قال قوم جواب (لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا).

و فى الآية دلالة على وجوب فعل اللطف، لأنه لو لم يكن فعله واجباً لم يكن للآية معنى صحيح. ثم اخبر تعالى انه (فَلَمَّا جاءَهُمُ) يعنى الكفار (الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا) من عند اللَّه من القرآن و الادلة الدالة على توحيده (قالوا) عند ذلك: هلا أوتى محمد من المعجزات (مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ: من فلق البحر و قلب العصا حية و غير ذلك. فقال اللَّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ) قال الجبائى معنى (او لم يكفروا) اى او لم يكفر من كان فى عصر موسى و هارون، و نسبوهما الى السحر ف (قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا) اى موسى و محمد- فى قول ابن عباس، و فى قول مجاهد: موسى و هارون. و من قرأ (سحران) أراد التوراة و القرآن او التوراة و الإنجيل او الإنجيل و القرآن. على ما حكيناه بخلاف فيه و أنهم قالوا مع ذلك (إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) اى بكل ما امر به، و ذكر انه من عند اللَّه. و يحتمل ان يكون المراد بموسى و هارون. و قال الحسن: المعنى بقوله (إِنَّا بِكُلٍّ كافِرُونَ) مشركوا العرب الذين كفروا بالتوراة و الإنجيل و القرآن.

ثم امر تعالى نبيه (ص) أن يقول لكفار قومه (فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما) يعنى من كتاب موسى و كتاب محمد- فى قول ابن زيد- «أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فيما تدعونه، ثم قال لنبيه (ص) «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» مع ظهور الحق «فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ» أى ما تميل طباعهم اليه، لأن الهوى ميل الطبع الى المشتهى. و ما عمل على انه حسن للهوى فلا يجوز أن يكون طاعة لكنه أبيح أن يفعله على هذا الوجه، كما أبيح أن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۶۰

يفعله للذة و الشهوة، و الاستمتاع به. و انما يكون طاعة للَّه ما عمل على أنه حسن لان الحكم دعا اليه او لان الحكمة دعت اليه إذ كلما دعت اليه الحكمة بالترغيب فيه فالحكم داع اليه.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يهديهم الى طريق الجنة. و يجوز ان يكون المراد لا يحكم بهدايتهم، لأنهم عادلون عن طريق الحق.

قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۱۶۰

وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۵۱) الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (۵۲) وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (۵۳) أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۵۴) وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ (۵۵)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى إنا «وصلنا» لهؤلاء الكفار «القول» و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- قال ابن زيد «وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ» فى الخبر عن أمر الدنيا و الآخرة الثانى- قال الحسن البصرى «وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ» بما أهلكنا من القرون التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۶۱

قرناً بعد قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، و قوم هود بكذا، و قوم صالح بكذا «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن كان قبلهم.

و اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض. و منه قول الشاعر:

فقل لبنى مروان ما بال ذمة و حبل ضعيف ما يزال يوصّل «۱»

و المعنى انا اتبعنا القرآن بعضه بعضاً. و قيل: معناه فصلنا لهم القول.

و قوله «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى التوراة (من قبله) يعنى من قبل القرآن و قد تقدم ذكره فى قوله «فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ».

و قوله «هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» أى هم بالقرآن يصدقون من قبل نزوله و بعد نزوله. و يحتمل أن تكون الكناية عن النبى صلى اللَّه عليه و آله، و تقديره الذين آتيناهم الكتاب من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون، لأنهم كانوا يجدون صفته فى التوراة ثم قال (وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ) يعنى القرآن «قالُوا آمَنَّا بِهِ» أى صدقنا به «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا» من قبل نزوله «مسلمين» به مستمسكين بما فيه.

ثم اخبر تعالى ان هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله أجرهم اى ثوابهم على ما صبروا فى جنب الله «مرتين» إحداهما- لفعلهم الطاعة، و الثانية للصبر عليها لما يوجبه العقل من التمسك بها، و الصبر حبس النفس عما تنازع اليه فيما لا يجوز أن يتخطأ اليه، و لذلك مدح الله الصابرين. و الصبر على الحق مر إلا أنه يؤدى الى الثواب الذى هو أحلى من الشهد، فهؤلاء صبروا على الامتناع من المعاصى، و على فعل الطاعات. و قيل: صبروا على الأذى فى جنب الله.

---

(١) تفسير القرطبى ١٣/ ٢٩٥ و الطبرى ٢٠/ ٥١ مع اختلاف قليل فى الرواية.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١۶٢

ثم وصف الصابرين الذين ذكرهم فقال «وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» يعنى يدفعون بالتوبة المعاصى، لان الله تعالى يسقط العقاب عندها. و قيل: معناه يدفعون بالكلام الجميل اللغو من كلام الكفار. و قيل: ان ذلك قبل الأمر بقتالهم، و لا يمتنع أن يؤمروا، بالاعراض عن مكالمتهم مع الأمر بقتالهم، و لا تنافى بينهما على حال.

ثم قال «وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» أى جعلنا لهم التصرف فيها، و ملكناهم إياها ينفقون فى طاعة الله، و فى سبيل الخير، و إذا سمعوا لغواً من الكلام، و رأوا لغواً من الفعل أعرضوا عنه، و لم يخاصموا فيه فقالوا لفاعل اللغو «لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ» أى لنا جزاء أعمالنا و لكم جزاء أعمالكم «سَلامٌ عَلَيْكُمْ» أى و يقولون لهم قولا يسلمون منه. و يقولون «لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ» أى لا نطلبهم و لا نجازيهم على لغوهم. و اللغو الفعل الذى لا فائدة فيه، و انما يفعله فاعله على توهم فاسد، و اللغو و اللغا بمعنى واحد. قال الشاعر:

عن اللغا و رفث التكلم «١»

و من احسن الأدب الاعراض عن لغو الكلام. و قيل: ان هذه الآيات نزلت فى عبد الله بن سلام، و تميم الدارى، و الجارود العبدى، و سلمان الفارسى لما اسلموا نزلت فيهم هذه الآيات- على ما ذكره قتادة- و قال غيره: انها نزلت فى أربعين رجلا من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبى صلى الله عليه و آله قبل مبعثه:

اثنان و ثلاثون رجلا من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب وقت قدومه، و ثمانية قدموا من الشام: منهم بحيرا، و أبرهة، و الأشرف، و عامر، و ايمن و إدريس، و نافع. قال قتادة: آتاهم الله أجرهم مرتين، لايمانهم بالكتاب

---

(١) مر تخريجه فى ٢/ ١٣٢، ١۶۴، ٢٣٠ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١۶٣

الأول و إيمانهم بالكتاب الثانى.

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ۵۶ الى ۶٠] ..... ص : ١۶٣

إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۵۶) وَ قالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۵۷) وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها

فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَ كُنَّا نَحْنُ الْوارِثِينَ (٥٨) وَ ما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلاَّ وَ أَهْلُها ظالِمُونَ (٥٩) وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و رويس «يجبى» بالياء. الباقون بالتاء. و قرأ ابو عمرو إلا السوسى «يعقلون» بالياء.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله «إِنَّكَ» يا محمد «لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» هدايته. و قيل: معناه من أحببته لقرابته. و المراد بالهداية- هاهنا- اللطف التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٦٤

الذى يحتاج اليه ليختار عنده الايمان، و ذلك لا يقدر عليه غير اللَّه لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه، لأنه لا يعلم ما يصلح العبد فى دينه إلا اللَّه تعالى، فإذا دبر الأمور على ما فيه صلاحه كان لاطفاً له، و هذا التدبير لا يتأتى من أحد سوى اللَّه تعالى، فلذلك نفى اللَّه ذلك عن نبيه، و يؤيد ما قلناه قوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» و معناه هو أعلم بمن يهتدى باللطف ممن لا يهتدى، فهو تعالى يدبر الأمور على ما يعلم من صلاح العباد، على التفصيل من غير تعليم.

و هذه الآية نزلت لأن النبى صلى اللَّه عليه و آله كان يحرص على إيمان قومه و يؤثر أن يؤمنوا كلهم، و يحب أن ينقادوا له و يقروا بنبوته، و خاصة أقاربه. فقال اللَّه تعالى له: إنك لا تقدر على ذلك، و ليس فى مقدورك ما تلطف بهم فى الايمان ذلك بل فى مقدور اللَّه يفعله بمن يشاء إذا علم أنهم يهتدون عند شيء فعله بهم فلا ينفع حرصك على ذلك. و روى عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتادة و غيرهم أنها نزلت فى أبى طالب. و

عن أبى عبد الله و أبى جعفر إن أبا طالب كان مسلماً

و عليه اجماع الامامية، لا يختلفون فيه، و لهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها.

ثم قال تعالى حاكياً عن الكفار انهم قالوا: إن نتبع محمداً و ما يدعونا اليه و نقول انه هدى و موصل الى الحق «نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا» و قيل: انها نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد مناف، فانه قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله انا لنعلم أن قولك حق و لكن يمنعنا أن نتبع الذى معك، و نؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعنى مكة، و لا طاقة لنا بالعرب فقال الله تعالى (أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً) فالتخطف أخذ الشيء على الاستلاب من كل وجه: تخطف تخطفاً و اختطف اختطافاً و خطفه يخطفه خطفاً قال امرؤ القيس: التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٦٥

تخطف خزان الشرّبة بالضحى و قد حجرت منها ثعالب أورال «١»

فقال الله تعالى لهم «أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً» و قيل فى وجه جعله الحرم آمناً وجهان:

أحدهما- بما طبع النفوس عليه من السكون إليه بترك النفور مما ينفر عنه فى غيره كالغزال مع الكلب، و الحمام مع الناس و غيرهم.

و الوجه الآخر- بما حكم به على العباد و أمرهم أن يؤمّنوا من يدخله و يلوذ به، و لا يتعرض له، و فائدة الآية إنا جعلنا الحرم آمنا لحرمة البيت مع أنهم كفار يعبدون الأصنام حتى أمنوا على نفوسهم و أموالهم، فلو آمنوا لكان أحرى بأن يؤمنهم الله، و أولى بأن يمكنهم من مراداتهم.

و قوله «يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ» أى يجلب الى هذا الذى جعلناه حرماً ثمرات كل شيء.

فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الثمرات. و من قرأ بالياء، فلأن التأنيث غير حقيقى.

و قوله «رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا» نصب على المصدر، و تقديره رزقاً رزقناه من عندنا «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» ما أنعمنا به عليهم. ثم قال «وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ» اى من أهل قرية استحقوا العقاب «بَطِرَتْ مَعِيشَتَها» قال الفراء:

معناه أبطرتها معيشتها، كقولهم ابطرك مالك، فذكرت المعيشة، لان الفعل كان لها فى الأصل فحول الى ما أضيفت اليه فنصبت كما

قال «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً» «٢» فالبطر و الأشر واحد، و هو شق العصا بتضييع حق نعم

---

(١) شرح ديوانه ١۶۶ (حسن السندوبى)

(٢) سورة ۴ النساء آية ٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨ ص: ١۶۶

الله، و الطغيان فيها بجحدها، و الكفر بها.

ثم اخبر تعالى فقال «فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ» يعنى مساكن الذين أهلكهم الله «لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» من الزمان. ثم هلكوا و ورث الله تعالى مساكنهم لأنه لم يبق منهم احد. ثم خاطب نبيه صلى الله عليه و آله فقال «وَ ما كانَ رَبُّكَ» يا محمد «مُهْلِكَ الْقُرى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولًا» و قيل فى معنى «أمها» قولان:

أحدهما- فى أم القرى، و هى مكة.

و الآخر فى معظم القرى فى سائر الدنيا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا» اى يقرأ عليهم حجج الله و بيناته «وَ ما كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلَّا وَ أَهْلُها ظالِمُونَ» لنفوسهم بارتكاب المعاصى، و كفران نعمه.

ثم خاطب خلقه فقال «وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى ما أعطيتم من شيء «فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا» اى هو شيء تنتفعون به فى الحياة الدنيا، و تتزينون فيها (وَ ما عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب و نعيم الجنة (خَيْرٌ وَ أَبْقى من هذه النعم، لأنها باقية، و هذه فانية (أ فلا تعقلون) ذلك و تتفكرون فيه.

و قوله (ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ) قيل: ان (كل) هنا البعض، لأنا نعلم انه ليس يجبى الى مكة كثير من الثمرات. و قال قوم: ظاهر ذلك يقتضى انه يجبى اليه جميع الثمرات إما رطباً او يابساً، و لا مانع يمنع منه.

و من قرأ (تعقلون) بالتاء فلقوله (وَ ما أُوتِيتُمْ) و من قرأ بالياء فتقديره (أ فلا يعقلون) يا محمد.

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ۶١ الى ۶۵] ..... ص : ١۶۶

أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (۶١) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۶٢) قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ (۶٣) وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ (۶۴) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (۶۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨ ص: ١۶٧

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى منبهاً لخلقه على عظيم ما أنعم به عليهم و رغبهم فيه من ثواب الجنة «أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ وَعْداً حَسَناً» يعنى من ثواب الجنة جزاء على طاعاته يكون بمنزلة من متعناه متاع الحيا الدنيا؟! و قال السدى المعنى بقوله «أَ فَمَنْ وَعَدْناهُ» حمزة بن عبد المطلب، و على بن أبى طالب عليه السلام وعدهما اللَّه الجنة.

و قيل: النصر فى الدنيا و الجنة فى الآخرة- ذكره الضحاك و مجاهد- «كَمَنْ مَتَّعْناهُ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا» يعنى به أبا جهل «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» فى النار. و قيل للجزاء. و قيل: نزلت فى النبى صلى اللَّه عليه و آله و أبى جهل و المتعة هى المنفعة. و قد فرق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ فى الحال، و النفع قد يكون بألم يؤدى الى لذة فى العاقبة، فكل متعة منفعة، و ليس كل منفعة متعة. و المتاع على وجهين:

أحدهما- كالادوات التى يتمتع بها من نحو الفرس، و الأثاث و الثياب و غيرها التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٦٨

و الثاني- يكون بمعنى المتعة. و المراد- هاهنا- متعة الحياة الدنيا.

و قوله- «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» يعنى من المحضرين للجزاء بالعقاب، لأنه تعالى ذكر من وعد وعداً حسناً، فدل ذلك على أهل الثواب ثم ذكر انه لا يستوى أهل الثواب و غيرهم، فدل على اهل العقاب، لبعد حال كل فريق من الفريقين عن الآخر. و الإحضار إيجاد ما به يكون الشي‏ء بحيث يشاهد، فلما كان هؤلاء القوم يوجدون يوم القيامة ما به يكرهون بحيث يشاهدهم الخلائق، كانوا محضرين. ثم قال «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ» و تقديره: و اذكر يوم ينادى اللّه الكفار، و هو يوم القيامة «فيقول» لهم على وجه التوبيخ لهم و التقريع «اين الذين» اتخذتموهم شركائى فعبدتموهم معى على قولكم و زعمكم و الزعم القول فى الأمر عن ظن أو علم، و لذلك دخل فى باب العلم، و أخواته قال الشاعر:

فان تزعمينى كنت أجهل فيكم فأنى شريت الحلم بعدك بالجهل «١»

ثم حكى ان «الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» بالعقاب: من الشياطين و الانس و الذين أغووا الخلق من الانس يقولون فى ذلك اليوم «ربنا هؤلاء» يعنى من ضل بهم من الناس و اتخذوا شركاء من دون اللّه هم «الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ» اى تبرأ بعضهم من بعض، و صاروا أعداء. و يقولون لم يكن الانس يعبدوننا. ثم حكى اللّه فقال «و قيل» لهم «ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ» الذين عبدتموهم من دون اللّه. ثم حكى انهم يدعونهم «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ» و قيل فى معناه قولان:

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٦١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٦٩

أحدهما- لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب.

و الثاني- لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب.

ثم قال «وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» فيما دعوكم اليه من توحيد اللّه و عدله و اخلاص العبادة له.

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ١٦٩

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحانَ اللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (٦٩) وَ هُوَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولى وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى اللّه تعالى أنه ينادى الكفار يوم القيامة و يقررهم عما أجابوا به المرسلين، أخبر انهم تعمى عليهم الحجج، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً. و العمى آفة تنافى صحة البصر «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْباءُ» فيه تشبيه بالعمى عن الأبصار لانسداد طريق الاخبار عليهم، كما تنسد طرق الأرض على الأعمى، و معنى «فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ» أى هم لانسداد طرق الاخبار عليهم لم يجيبوا عما سئلوا التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٧٠

عنه، و لا يسأل بعضهم بعضاً عنه، لانقطاعهم عن الحجة، و لا ينافى قوله «فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ» قوله فى موضع آخر «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» «١» لان يوم القيامة مواطن يختلف فيها حالهم، فمرة تطبق عليهم الحيرة، فلا يتساءلون، و مرة يفيقون فيتساءلون. و قال الحسن: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه شيئاً كما كانوا فى الدنيا.

ثم اخبر تعالى «فَأَمَّا مَنْ تابَ» من المعاصی و رجع عنها الى الطاعات، و أضاف الى ذلک الاعمال الصالحات «فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» و انما أدخل (عسى) فی اللفظ مع انه مقطوع بفلاحه، لأنه على رجاء أن يدوم على ذلک، فيفلح، و قد يجوز أن يزول فيما بعد، فيهلک، فلهذا قال «فعسى» على انه قيل: إن عسى من اللَّه فی جميع القرآن واجبة.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ رَبُّكَ» يا محمد «يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» قيل فی معناه قولان:

أحدهما- يختار الذی كان لهم فيه الخيرة، فدل بذلک على شرف اختياره لهم.

الثانی- أن تكون (ما) نفياً أی لم يكن لهم الخيرة على اللَّه بل للَّه الخيرة عليهم، لأنه مالک حكيم فی تدبيرهم، فيكون على هذا الوجه الوقف على قوله «و يختار» و هو الذی اختاره الزجاج. و قال الحسن: معناه «ما كان لهم الخيرة» ای أن يختاروا الأنبياء، فيبعثوهم. و قال مجاهد «لا يتساءلون» بالأنساب و القرابات. و قيل «لا يتساءلون» بما فيه حجج لهم، و قوله «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ» معناه ما عظم اللَّه حق عظمته من أشرک فی عبادته، لأن من تعظيمه اخلاص الالهية له، و انه الواحد فيما تفرد به على

---

(۱) سورة ۳۷ الصافات آية ۲۷ و سورة ۵۲ الطور آية ۲۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۱

استحقاق العبادة، و انه لا يجوز أن يستغنى عنه بغيره، فمن أشرک فی عبادته فما عظمه حق تعظيمه، فهذا قد قبح فيما أتى وضيع حق نعمه.

ثم قال تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «وَ رَبُّكَ يا محمد يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ» أی عالم بما يخفونه و ما يظهرونه، يقال: أكننت الشیء فی صدری أی أخفيته و (كننته) بغير ألف صنته. و قيل: كننت الشیء و أكننته لغتان.

ثم اخبر تعالى انه الإله الذی لا إله سواه، و لا يستحق العبادة غيره فی جميع السموات و الأرض، و انه يستحق الثناء و الحمد و المدح و التعظيم، على ما أنعم به على خلقه فی الدنيا و الاخرة «وَ لَهُ الْحُكْمُ» بينهم بالفصل بين المختلفين بما يميز به الحق من الباطل. و ان جميع الخلق يرجعون اليه يوم القيامة الذی لا يملک احد الحكم غيره. و قيل قوله «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ» ذلک فی الوليد بن المغيرة حين قال «لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» «۱» فبين اللَّه تعالى أن له أن يختار ما يشاء لنبوته و رسالته بحسب ما يعلم من يصلح لها.

قوله تعالى: [سورة القصص (۲۸): الآيات ۷۱ الى ۷۵] ..... ص : ۱۷۱

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ (۷۱) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (۷۲) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۳) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۷۴) وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۷۵)

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۳۱.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۲

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عبدوا معی آلهة تنبيهاً لهم على خطئهم (أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً) أی دائماً (إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ) بلا نهار و لا ضياء (مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ) كضياء النهار تبصرون فيه، فإنهم لا

يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى اللّه تعالى، فحينئذ يلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غير اللّه و هذا تنبيه منه لنبيه صلى اللّه عليه و آله و لخلقه على وجه الاستدلال على توحيده و يبطل ذلك قول من قال: المعارف ضرورية. لأنه لو كان تعالى معلوماً ضرورة لما احتاج الأمر الى ذلك، لان كونه معلوماً ضرورة يغنى عن الاستدلال عليه، و ما لا يعلم ضرورة من أمر الدين، فلا يصح معرفته إلا ببرهان يدل عليه.

و قوله (ا فلا تسمعون) معناه أ فلا تقبلونه و تتفكرون فيه؟ و فى ذلك تبكيت لهم على ترك الفكر فيه، لأنهم إذا لم يفكروا فيما يسمعونه من حجج اللّه فكأنهم ما سمعوه. و قيل فى قوله (أ فلا تسمعون) قولان:

أحدهما- ا فلا تسمعون هذه الحجة فتتدبرونها و تعملون بموجبها إذ كانت بمنزلة الناطقة بأن ما أنتم عليه خطأ و ضلال يؤدى الى الهلاك. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٧٣

و الثانى- ان معناه أ فلا تقبلون. ثم نبههم ايضاً فقال (أ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً) أى دائماً (الى يوم القيامة) بلا ليل تسكنون فيه، فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بما يدل على فساد معتقدهم، و هو انه لا يقدر على ذلك غير اللّه، فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة سواه.

و قوله (ا فلا تبصرون) معناه أ فلا تتفكرون فيما ترونه، لأن من لا يتدبر بما يراه من الحجج و البراهين فكأنه لم يرها. و قيل معناه أ فلا تعلمون ثم قال (و من رحمته) أى من نعمه عليكم أن (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا) فى الليل (وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) بالنهار بالسعى فيه، و لكى تشكروا هذه النعم التى أنعم بها عليكم، و الهاء فى قوله (لتسكنوا فيه) يحتمل وجهين:

أحدهما- ان يعود الى الليل خاصة، و يضمر مع الابتغاء هاء أخرى.

الثانى- ان يعود الضمير اليهما إلا انه وحد، لأنه يجرى مجرى المصدر فى قولهم: إقبالك و ادبارك يؤذينى، و الاول أصح، لان الليل للسكون فيه، و النهار للتصرف و الحركة، و لكنه يحتمل ليكونوا فى هذا على التصرف و فى ذاك على الهدوء و قطع التصرف، و انما كان الفساد فى ادامة النهار فى دار التكليف، و لم يكن فى دار النعيم، لأن دار التكليف لا بد فيها من التعب و النصب الذى يحتاج معه الى الاستحمام و الراحة، و ليس كذلك دار النعيم، لأنه انما يتصرف فيها بالملاذ. و قوله «أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» قد مضى تفسيره. و انما كرر النداء ب «أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» لان النداء الأول للتقرير بالإقرار على اليقين بالغى الذى كانوا عليه و دعوا اليه.

و الثانى- للتعجيز عن اقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الاشهاد مع التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٧٤

تقريع حاصل به بالاشراك بعد تقريع.

ثم اخبر تعالى انه نزع «من كل أمة» من الأمم «شهيداً» يشهد على تلك الامة بما كان فيها، و معنى (نزعنا) أخرجنا و أحضرنا يقال: فلان ينزع الى وطنه بأن يحن اليه حنيناً يطالبه بالخروج اليه. قال قتادة و مجاهد:

شهيدها نبيها الذى يشهد عليها بما فعلوه، و قيل هؤلاء الشهود: هم عدول الآخرة الذين لا يخلو زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا من عصيانهم.

و قوله (هاتُوا بُرْهانَكُمْ) حكاية عما يقول اللّه تعالى للكفار فى الآخرة فانه يقول لهم هاتوا حجتكم على ما ذهبتم اليه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) ثم اخبر تعالى انهم عند ذلك يعلمون (أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ) أى ان التوحيد للّه و الإخلاص فى العبادة له دون غيره لان معارفهم ضرورة (وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) أى بطل ما عبدوه من دون اللّه، و افتراءهم هو ادعاءهم الالهية مع اللّه تعالى

قوله تعالى:[سورة القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٠] ..... ص : ١٧٤

إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْهِمْ وَ آتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ ما إِنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا

يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (۷۶) وَ ابْتَغِ فِيما آتاکَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِيبَکَ مِنَ الدُّنْيا وَ أَحْسِنْ کَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْکَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (۷۷) قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِی أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَکْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (۷۸) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِی زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۷۹) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَکُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (۸۰)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۵

خمس آيات بلا خلاف.

هذا اخبار من اللَّه تعالى (إِنَّ قارُونَ کانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى قال ابن إسحاق: کان موسى ابن أخيه، و قارون عمه. و قال ابن جريج: کان ابن عمه لأبيه و أمه (فَبَغى عَلَيْهِمْ) قال قتادة: إنما بغى عليهم بکثرة ماله. و البغی طلب العلو بغير حق. و منه قيل لولاة الجور: بغاة، يقال: بغى يبغی بغياً، فهو باغ و ابتغى کذا ابتغاء إذا طلبه، و يبتغی فعل الحسن أی يطلب فعله بدعائه الى نفسه. و (قارون) اسم أعجمی لا ينصرف، و

روی أنه کان عالماً بالتوراة فبغى على موسى و قصد الى تکذيبه، و الإفساد عليه.

و قوله (وَ آتَيْناهُ مِنَ الْکُنُوزِ) أی أعطيناه کنوز الأموال و الکنز جمع المال بعضه على بعض، و بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض، و لا يطلق اسم الکنوز فی الشرع الا على مال لا يخرج زکاته، لقوله تعالى (وَ الَّذِينَ يَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِی سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) «۱» فوجه الوعيد عليه منه تعالى

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۳۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۶

على فعلهم يدلک على صحة ما قلناه.

و قوله (ما ان مفاتحه) المفتاح عبارة عما يفتح به الاغلاق، و جمعه مفاتيح و مفاتيح جمع مفتح، و معناهما واحد، و قال قوم: کانت مفاتيحه من جلود و قال آخرون: مفاتحه خزائنه. قال الزجاج: و هو الأشبه.

و قوله (لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ) أی ليثقل فی حمله، يقال: ناء بحمله ينوء نوءاً إذا نهض به مع ثقله عليه، و منه أخذت الانواء، لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها. و قال ابو زيد: ناءنی الحمل إذا اثقلنی. و العصبة الجماعة الملتفة بعضها ببعض. و قال قتادة: العصبة ما بين العشرة الى الأربعين. و قال ابن عباس: قد يکون العصبة ثلاث. و انما قال لتنوء بالعصبة و المعنى العصبة تنوء بها، لان المعنى تميل بها مثقلة. و قيل: هو يجری مجرى التقديم و التأخير کما قال الشاعر:

و نرکب خيلا لا هوادة بينها و تشقى الرماح بالضياطرة الحمر «۱»

و انما تشقى الضياطرة بالرماح، و قال آخر:

فديت بنفسه نفسی و مالی و ما آلوه إلا ما يطيق «۲»

و المعنى بنفسی و مالی نفسه، و قال الفراء: کان الأصل ان يقول لتنوء العصبة أی يثقلهم، بحذف الياء و مثله قوله، و هو مقلوب:

إن سراجاً لکريم مفخرة تحلى به العين إذا ما تجهره «۳»

فالوجه ان الرجل يعجب العين و کان ينبغی ان يقول يحلى بالعين، کقوله:

---

(۱) قائله خداش بن زهير امالی الشريف المرتضى ۱/ ۴۶۶ و اللسان (ضطر)

(۲) قائله عباس بن مرداس أمالى الشريف المرتضى ۱/ ۲۱۷.

(۳) مر تخريجه فى ۲/ ۷۹، ۱۹۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۷

حليت بعينك ريطة مطوية قال الرمانى- التأويل الأول هو الصحيح، لأنه ليس من باب التقديم و التأخير لما فى ذلك من قلب المعنى و ليس كالذى تبنيه الاعراب. و قوله (إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) حكاية عما قال قوم قارون لقارون حين خوفوه باللَّه و نهوه عن الفرح بما آتاه اللَّه من المال، و أمروه بالشكر عليه. و الفرح المرح الذى يخرج الى الانس، و هو البطر. و لذلك قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) لأنه إذا أطلقت صفة فرح فهو الخارج بالمرح الى البطر، فأما قوله «فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» «۱» فحسن جميل بهذا التقييد، و قال مجاهد: الفرحين هو فرح البطر. و قال الشاعر:

و لست بمفراح إذا الدهر سرنى و لا جازع من صرفه المتقلب «۲»

و قال آخر:

و لا ينسينى الحدثان عرضى و لا أرخى من الفرح الازارا «۳»

و قوله «وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» حكاية عما قال لقارون قومه المؤمنون بموسى و بتوحيد اللَّه. و قال قوم: إن المخاطب له كان موسى و إن ذكر بلفظ الجمع و معناه اطلب فيما أعطاك اللَّه من الأموال «الدَّارَ الْآخِرَةَ» بأن ينفقها فى وجوه البر و سبيل الخير «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» قال ابن عباس: منعاه أن يعمل فيها بطاعة اللَّه، و قال الحسن معناه: أن يطلب الحلال

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۱۷۰.

(۲) تفسير القرطبى ۱۳/ ۳۱۳ و يروى (المتحول) بدل (المتقلب) و مجاز القرآن ۲/ ۱۷۸. [.....]

(۳) قائله ابن احمر، مجاز القرآن ۲/ ۱۱۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۱۷۸

«وَ أَحْسِنْ» اى افعل الجميل الى الخلق. و تفضل عليهم، كما تفضل اللَّه عليك «وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ» أى لا تطلب الفساد بمنع ما يجب عليك من الحقوق، و انفاق الأموال فى المعاصى «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» أى لا يريد منافع من يفسد فى الأرض، و لا يريد أن يفعل بهم ثواب الجنة.

و قوله «قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي» حكاية عما قال قارون فى جواب قومه، فانه قال لهم: أوتيت هذه الأموال على علم بأنى مستحق لذلك، لعلمى بالتوراة، و قال قوم: لانى أعمل الكيمياء، و قال قوم لعلمى بوجوه المكاسب، و بما لا يتهيأ لأحد أن يسلبنى إياه، فقال اللَّه تعالى موبخاً على هذا القول «أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ» قارون «أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً» كقوم عاد، و ثمود، و قوم لوط و غيرهم، فما اغنى عنهم جمعهم و لا قوتهم حين أراد اللَّه إهلاكهم، فكيف ينفع قارون ماله و جمعه.

و قوله «وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال الفراء تقديره: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم، فالهاء و الميم للمجرمين، كما قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ» «۱» و قال الحسن لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون لنعلم ذلك من قبلهم، و إن سئلوا سؤال تقريع و توبيخ.

ثم حكى تعالى أن قارون «فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ» التى كان يتزين بها. و قيل: إنه كان خرج مع قومه عليهم فى الديباج الأحمر على الخيل، فلما رآه الذين يريدون الحياة الدنيا من الكفار و المنافقين و الضعيفى الايمان بما للمؤمنين عند اللَّه من ثواب الجنة قالوا «يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ» تمنوا

(۱) سورة ۵۵ الرحمان آية ۳۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۱۷۹

مثل منزلته، و مثل ماله و إنهم قالوا ان قارون «لَذُو حَظٍّ» من الدنيا و نعيمها «عَظِيمٍ». ثم حكى ما قال المؤمنون بثواب اللَّه المصدقون بوعده فى جوابهم «وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» مما أوتى قارون، و حذف لدلالة الكلام عليه. و قوله «وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ» أى ما يلقى مثل هذه الكلمة إلا الصابرون على أمر الله. و قيل: و ما يلقى نعمة الله من الثواب إلا الصابرون.

فان قيل: أ ليس عندكم أن الله لا يؤتى الحرام أحداً؟ و قد قال- هاهنا- «وَ ابْتَغِ فِيما آتاكَ اللَّهُ» فأخبر انه آتاه.

قيل: لا يعلم أن ذلك المال كان حراماً، و يجوز أن يكون حلالا ورثه أو كسبه بالمكاسب و المتاجر، ثم لم يخرج حق الله منه و طغى فسخط الله عليه و عاقبه لطغيانه و عصيانه لا على كسب المال.

قوله تعالى:[سورة القصص (۲۸): الآيات ۸۱ الى ۸۸] ..... ص : ۱۷۹

فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (۸۱) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۸۲) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۸۴) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۸۵)

وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ (۸۶) وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۸۷) وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۸۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۱۸۰

ثمان آيات بلا خلاف.

روى عن الكسائى الوقف على «وى» من قوله تعالى «وى كأن الله» و من قوله «وى كأنه» و روى عن ابن عمر الوقف على الكاف منهما قال ابو طاهر: الاختيار اتباع المصحف، و هما فيه كلمة واحدة، و قرأ حفص و يعقوب «لخسف بنا» بفتح الخاء و السين. الباقون بضم الخاء و كسر السين على ما لم يسم فاعله.

حكى اللَّه تعالى أنه خسف بقارون و بداره الأرض، فمن يهوى فيها حتى زهقت نفسه على أسوء حالها، و الخسف ذهاب فى الأرض فى جهة السفل.

ثم اخبر تعالى انه لم يكن لقارون (فئة) أى جماعة منقطعة اليه. و الفئة التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۱۸۱

مشتق من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعته، و تصغيرها فئية (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى يمنعونه من عذاب الله الذى نزل به، و انما ذكر امتناع النصرة من الله مع أنه معلوم أنه كذلك، لان المراد أنه لم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته و جنده، لان الذى غره قوته و تمكنه حتى تمرد فى طغيانه. ثم اخبر انه كما لم يكن له من ينصره لم يكن هو ايضاً ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك و قصوره عنه. ثم حكى أن (الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ) حين خرج عليهم على زينته لما رأوه خسف الله به، أصبحوا يقولون (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ) أى يوسع رزقه على من يشاء و يضيق على من يشاء، اعترفوا بذلك. و معنى (وى) التنبيه على أمر من الأمور، و هى حرف مفصول من (كأن)- فى قول الخليل و سيبويه- و اختاره الكسائى. و ذلك انهم لما رأوا الخسف

تنبهوا فتكلموا على قدر علمهم عند التنبيه لهم، كما يقول القائل إذا تبين له الخطأ: وى كنت على خطأ، و قال زيد بن عمرو بن نفيل:

سألتانى، الطلاق إذ رأتانى قل مالى قد جئتمانى بنكر

وى كأن من يكن له نشب يح بب و من يفتقر يعيش عيش ضر «۱»

و قيل (وى كأنه) بمنزلة (ألا كأنه، و أما كأنه) و قيل هى: ويك إن الله، كأنه قال ينبهك بهذا إلا انه حذف، قال عنترة:

و لقد شفى نفسى و أذهب سقمها قيل الفوارس و يك عنتر أقدم «۲»

و قال قوم: هى بمنزلة (ويلك) إلا انه حذف اللام تخفيفاً، و نصب انه بتقدير اعلم انه لا يفلح، و هذا ضعيف، لان العلم لا يضمر و يعمل. و قال

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۳۱۸.

(۲) ديوانه ۳۰ من معلقته.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۲

الفراء: سألت امرأة زوجها عن أبيه فقال ويك إنه وراء الحائط، و معناه ألا ترينه وراء الحائط. و قيل المعنى إن (اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ (مِنْ عِبادِهِ) وَ يَقْدِرُ) لا لكرامة عليه، كما بسط لقارون (و يقدر) أى يضيق لا لهوانة عليه، كما ضيق على أنبيائه.

ثم قالوا (لَوْ لا- أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا) و عفى عنا لخسف بنا، كما خسف بقارون (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ) أى لا يفوز بثوابه و ينجو من عقابه من يجحد نعم اللَّه و يعبد معه سواه. و قيل: إن قارون جعل لبغىّ جعلا على أن ترمى موسى بالفاحشة، فلما حضرت فى الملأ كذبت قارون و أخبرت بالحق فخر موسى ساجداً يبكى، فأوحى اللَّه اليه ما يبكيك قد سلطتك على الأرض فمرها بما شئت، فقال موسى يا أرض خذيهم، فأخذتهم الى ركبهم. ثم قال يا أرض خذيهم، فأخذتهم الى حقويهم ثم قال يا ارض خذيهم، فاخذتهم الى أعناقهم و هم فى كل ذلك ينادون يا موسى يا موسى ارحمنا- ذكره ابن عباس- و

روى أن اللَّه تعالى قال: لو قالوا مرة واحدة يا اللَّه ارحمنا لرحمتهم.

ثم قال تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) يعنى الجنة (نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) و انما قبح طلب العلو فى الأرض، لأنه ركون اليها، و ترك لطلب العلو فى الآخرة، و معاملة لها بخلاف ما أراده اللَّه بها من أن تكون دار ارتحال لا دار مقام فيها (و لا فسادا) أى و لا يريدون فساداً فى الأرض بفعل المعاصى (وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) اخبار منه تعالى بأن العاقبة الجميلة من الثواب للذين يتقون معاصى اللَّه و يفعلون طاعاته. و قيل: علوّاً فى الأرض معناه تكبراً عن الحق.

ثم اخبر تعالى ان من جاء بطاعة من الطاعات و حسنة من الحسنات التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۱۸۳

(فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها) ثواباً عليها و جزاء عليها، لان له بالواحدة عشراً (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ) يعنى بالمعصية (فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ) يعنى الذين عملوا المعاصى إلا على قدر استحقاقهم على ما فعلوه من غير زيادة، كما قال (وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها) «۱».

و قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله يقول اللَّه له إن الذى أوجب عليك الامتثال بما يضمنه القرآن و أنزله عليك (لَرادُّكَ إِلى مَعادٍ) قال الحسن: معناه الى المرجع يوم القيامة. و قال مجاهد: إلى الجنة.

و قال ابن عباس: الى الموت. و فى رواية أخرى عن ابن عباس: الى مكة.

و الأظهر من الأقوال: لرادك الى معاد فى النشأة الثانية الى الجنة. و اكثر أقوال المفسرين انه أراد الى مكة قاهراً لأهلها.

ثم قال له (قل) يا محمد (رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدى الذى يستحق به الثواب ممن لم يجىء به، و ضل عنه، لا يخفى عليه المؤمن من الكافر، و لا من هو على الهدى، و لا من هو ضال عنه.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (و ما كنت) يا محمد (تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ)

قال الفراء: تقديره إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك، فهو استثناء منقطع. و معناه و ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين و قصصهم تتلوها على أهل مكة، و لم تشهدها و لم تحضرها بدلالة قوله (وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا) «٢» أى انك تتلو على أهل مكة قصص مدين و موسى و لم تكن هناك ثاوياً مقيماً فتراه فتسمعه و كذلك

---

(١) سورة ۶ الانعام آية ١۶٠

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ۴۵.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٨۴

قوله (وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ) «١» فها أنت تتلو قصصهم و أمرهم، فهذه رحمة من ربك. و معنى (فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً) اى لا تكونن معيناً لهم (و لا يصدنك) يعنى هؤلاء الكفار أى لا يمنعك «عن» اتباع (آيات اللَّه) و حججه (بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ) على ما بينها فى القرآن (وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ) الذى خلقك و أنعم عليك (وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الذين يتخذون مع اللَّه معبوداً سواه (وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ) فتستدعى حوائجك من جهته (لا إِلهَ إِلَّا هُوَ) اخبار منه تعالى أنه لا معبود إلا الله وحده لا شريك له.

ثم اخبر أن كل من سوى الله هالك، فان (كُلُّ شَيْ‌ءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) و معناه إلا ذاته. و قيل: معناه كل شي‌ء هالك إلا ما أريد به وجهه.

قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه و العمل «٢»

ثم قال (له الحكم) لأنه ليس لأحد أن يحكم بشي‌ء إلا بأمر الله تعالى.

و يجعل الحكم له عقلياً كان او شرعياً و «اليه» الى الله (ترجعون) يوم القيامة ى الى الموضع الذى لا يملك أحد التصرف فيه سواه، لان الله تعالى قد ملك فى الدنيا لكثير من البشر التصرف فيها.

---

(١) سورة ۶ القصص آية ۴۴.

(٢) تفسير القرطبى ١٣/ ٣٢٨.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٨۵

٢٩- سورة العنكبوت ..... ص: ١٨۵

اشارة

قال قوم: هى مكية، و قال قتادة: العشر الأول مدنى، و الباقى مكى. و قال مجاهد: هى مكية، و هى تسع و ستون آية بلا خلاف فى جملتها، و فى تفصيلها خلاف

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ۵] ..... ص: ١٨۵

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۴)

مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۵)

خمس آيات كوفى و أربع فيما عداه عدوا «الم» آية. و لم يعده الباقون.

قال قتادة: نزلت فى أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨۶

المشركون، فرجعوا، فنزلت الآية فيهم، فلما سمعوها خرجوا، فقتل منهم من قتل و خلص من خلص، فنزلت فيهم (وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا) الآية «١» و قيل: نزلت فى عمار، و من كان بقرب مكة- ذكره ابن عمر- و قيل:

نزلت فى قوم أسلموا قبل فرض الجهاد و الزكاة، فلما فرضا منعا، فنزلت الآية فيهم.

قد بينا فى غير موضع اختلاف الناس فى ابتداء السور بحروف الهجاء و ذكرنا أن أقوى الأقوال قول من قال: إنها اسماء للسور. و قال قوم:

إنها اسماء للقرآن.

و قوله (الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) اختلف الناس فى (الم) و قد ذكرناه فيما مضى «٢». و قوله (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا) خطاب من الله لخلقه على وجه التوبيخ لهم بأن قال أ يظن الناس أن يتركهم اللَّه إذا قالوا آمنا أى صدقنا و نقتصر منهم على هذا القدر، و الحسبان و الظن واحد. و قوله (أ حسب) معناه التوهم و التخيل. و قيل: الحسبان مشتق من الحساب، لأنه فى حساب ما يعمل عليه. و منه الحسيب، لأنه فى حساب ما يختبى، و «هم لا يفتنون» أى أ يظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا؟!. و المعنى انهم يعاملون معاملة المختبر لتظهر الافعال التى يستحق عليها الجزاء. و قيل: فى معنى «أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» قولان: أحدهما- يتركوا لأن يقولوا. الثانى- أ حسبوا أن يقولوا على البدل و قال مجاهد: معنى «يُفْتَنُونَ» يبتلون فى أنفسهم و أموالهم.

و قيل: معنى يفتنون يصابون بشدائد الدنيا أى ان ذلك لا يجب أن يرفع فى الدنيا لقولهم آمنا. و قال ابن عمر: أ ظنوا ان لا يؤمروا و لا ينهوا.

---

(١) آية ۶٩ من هذه السورة.

(٢) انظر ١/ ۴٧- ۵١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ١٨٧

و قال الربيع: ألا يؤذوا و لا يقتلوا؟! ثم اقسم تعالى انه فتن الذين من قبلهم «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ» فيه. و انما قال «فليعلمن» مع أنه للاستقبال و اللَّه تعالى عليم فيما لم يزل، لحدوث المعلوم فلا تصح الصفة إلا على معنى المستقبل إذ لا يصلح و لا يصح لم يزل عالماً بأنه حادث، لانعقاد معنى الصفة بالحادث، و هو إذا حدث علمه تعالى حادثاً بنفسه. و قيل: معنى «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» ليجازيهم بما يعلم منهم. و قيل: معناه يعلم اللَّه الذين صدقوا فى أفعالهم، كما قال الشاعر:

[ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا «١»

و قال ابن شجرة «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ» معناه فليظهرن اللَّه لرسوله صدق الصادق.

و قال النقاش: معناه فليميزن اللَّه الصادقين من الكاذبين. و هو قول الجبائى.

ثم قال تعالى ممدداً لخلقه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا» اى أ يظن الذين يفعلون القبائح و المعاصى ان يفوتونا؟! كما يفوت السابق لغيره.

ثم قال «ساءَ ما يَحْكُمُونَ» اى بئس الشيء الذى يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا.

ثم قال «مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله.

و قال سعيد بن جبير و السدى: معناه من كان يخاف عقاب الله، كما قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها «۲»

أی لم یخف ف (من) رفع بالابتداء، و خبرها (کان) و جواب الجزاء، کقولک زید إن کان فی الدار فقد صدق الوعد. و قوله

(۱) قائله زهیر بن ابی سلمی دیوانه: ۴۳.

(۲) قد مر تخریجه فی ۲/ ۲۱۰ و ۳/ ۳۱۵ و ۷/ ۴۹۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۱۸۸

«فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» أی الوقت الذی وقته الله للثواب و العقاب آت لا محالة و الله «هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالکم «الْعَلِيمُ» بما تضمرونه فی نفوسکم، فیجازیکم بحسب ذلک.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۱۸۸

وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ (۶) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ (۷) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (۹) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذابِ اللَّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ (۱۰)

خمس آیات بلا خلاف.

یقول الله تعالى «وَ مَنْ جاهَدَ» أی من جاهد نفسه بأن یصبر علی ما أمره اللَّه به، و یعمل بسنته، و منه الجهاد، و هو الصبر فی الحرب علی ما جاء به الشرع «فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ» لان ثواب صبره عائد علیه و واصل الیه دون الله تعالى، لأنه تعالى غنی عن جمیع الخلائق غیر محتاج الی طاعاتهم، و لا غیر ذلک.

ثم قال تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» أی صدقوا بوحدانیته و أقروا بنبوة التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۱۸۹

نبیه، و اعترفوا بما جاء به من عند اللَّه «لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ» التی اقترفوها قبل ذلک. و من قال بالإحباط قال: تبطل السیئة الحسنة التی هی أکبر منها حتی یصیر بمنزلة ما لم یعمل، کما قال «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» «۱» و الإحباط هو إبطال الحسنة بالسیئة التی هی اکبر منها. و السیئة الخصلة التی یسوء صاحبها عاقبتها. و الحسنة الخصلة التی یسر صاحبها عاقبتها. و کل حسنة طاعة للَّه، و کل سیئة هی معصیة له تعالى.

و قوله «لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ» قال الجبائی: معناه أحسن ما کانوا یعملون: طاعاتهم للَّه، لأنه لا شیء فی ما یعمله العباد أحسن من طاعاتهم للَّه. و قال قوم: معناه و لنجزینهم بأحسن أعمالهم، و هو الذی أمرناهم به، دون المباح الذی لم نأمرهم به و لا نهیناهم عنه.

و قوله «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً» معناه أمرناه أن یفعل حسناً و ألزمناه ذلک. ثم خاطب کل واحد من الناس، فقال «وَ إِنْ جاهَداكَ» یعنی الوالدین أیها الإنسان «لِتُشْرِكَ بِي» فی العبادة «ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلا تُطِعْهُما» فی ذلک. و قیل: نزلت فی سعد بن أبی وقاص، لأنه لما هاجر حلفت أمّه انها لا یظلها سقف بیت حتی یعود. فنزلت الآیة.

ثم قال مهدداً للجمیع «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أی إلیّ مآلکم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أی أخبرکم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فی دار التکلیف، ثم اجازیکم بحسبه. ثم قال تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» بتوحید اللَّه و اخلاص العبادة له و صدق أنبیائه و أضافوا الی ذلک الأعمال الصالحات «لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي» جملة «الصَّالِحِينَ» الذین فعلوا الطاعات و یجازیهم اللَّه ثواب الجنة.

(١) سورة ١١ هود آية ١١٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٩٠

ثم اخبر ان «مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ» بلسانه «آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ» أى إذا لحقه شدة فى جنب الله «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ» أى عذاب الناس إياهم «كَعَذابِ اللَّهِ» اى خافوا عذاب الخلق، كما يخاف عذاب الله، فيرتدون.

«وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» و هذا الذى ذكره صفة المنافقين الذين إذا جاهدوا الكفار و كانت الدائرة على المسلمين جعلوا ذلك مثل ما يعذبهم الله، و متى ظفروا بأعدائهم قالوا للمؤمنين «إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» فى الجهاد فلنا مثل ما لكم من الغنيمة، فقال تعالى «أَ وَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِي صُدُورِ الْعالَمِينَ» أى الله يعلم بواطن أحوالهم و سرائر ما فى نفوسهم، فيجازيهم على حسب ذلك.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ١٩٠

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ (١١) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (١٢) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ (١٥)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٩١

اقسم الله تعالى بأنه يعلم الذين يؤمنون بالله على الحقيقة ظاهراً و باطناً فيجازيهم على ذلك بثواب الجنة، و ذلك ترغيب لهم «وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ» فيه تهديد للمنافقين مما هو معلوم من حالهم التى يستترون بها و يتوهمون انهم نجوا من ضررها، باخفائها، و هى ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها، و تلك الفضيحة العظمى بها.

ثم حكى تعالى أن الذين كفروا نعم الله و جحدوها يقولون للذين آمنوا بتوحيده و صدق أنبيائه «اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ» نحن «خَطاياكُمْ» أى نحمل ما تستحقون عليها من العقاب يوم القيامة عنكم هزؤاً بهم و اشعاراً بأن هذا لا حقيقة له، فالمأمور بهذا الكلام هو المتكلم به أمر نفسه فى مخرج اللفظ و معناه يضمن إلزام النفس هذا المعنى، كما يلزم بالأمر، قال الشاعر:

فقلت ادعى وادع فان اندى لصوت أن ينادى داعيان «١»

معناه و لادع. و فيه معنى الجزاء و تقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم.

ثم نفى تعالى أن يكونوا هم الحاملين لخطاياهم من شىء، و انهم يكذبون فى هذا القول، لأن الله تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، فلا يصح إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره، كما قال تعالى «أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى «٢»» و ليس ذلك بمنزلة تحمل الدية عن غيره، و لان الفرض فى الدية أداء المال عن نفس المقتول، فلا فصل بين ان يؤديه زيد عن نفسه، و بين ان يؤديه عمرو عنه، لأنه بمنزلة قضاء الدين.

---

(١) شرح الفية بن مالك ٢٦٧ و تفسير القرطبى ١٣/ ٣٣٤. [.....]

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦۴ و سورة ١٧ الإسراء آية ١٥ و سورة ٣٥ فاطر آية ١٨ و سورة ٣٩ الزمر آية ٧ و سورة ٥٣ النجم آية ٣٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٩٢

و قوله «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ» معناه انهم يحملون خطاياهم فى أنفسهم التى لا يعملونها بغيرهم، و يحلون الخطايا التى ظلموا بها غيرهم، فحسن لذلك فيه التفصيل الذى ذكره الله.

و قوله «وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ» أى يعملون. و معناه إنهم يسألون سؤال تعنيف و توبيخ و تبكيت و تقريع، لا سؤال استعلام كسؤال التعجيز فى الجدل، كقولك للوثنى ما الدليل على جواز عبادة الأوثان، و كما قال تعالى «هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» «١».

ثم اخبر تعالى انه أرسل نوحاً الى قومه يدعوهم الى توحيد الله و إخلاص العبادة له، و انه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلم يجيبوه، و كفروا به «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ» جزاء على كفرهم، فأهلكهم الله تعالى «وَ هُمْ ظالِمُونَ» لنفوسهم بما فعلوه من عصيان اللَّه تعالى و الاشراك به، و الطوفان الماء الكثير الغامر، لأنه يطوف بكثرته فى نواحى الأرض قال الراجز:

أفناهم طوفان موت جارف «٢»

شبه الموت فى كثرته بالطوفان. ثم اخبر تعالى انه أنجى نوحاً و الذين ركبوا معه السفينة من المؤمنين به، و جعل السفينة آية أى علامة للخلائق يعتبرون بها إلى يوم القيامة، لأنها فرقت بين المؤمنين و الكفار و العاصين و الأخيار، فهى دلالة للخلق على صدق نوح و كفر قومه.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ١٩٢

وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١١١ و سورة ٢٧ النمل آية ۶۴

(٢) تفسير القرطبى ١٣/ ۵٣۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٩٣

خمس آيات بلا خلاف قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «أو لم تروا» بالتاء. الباقون بالياء. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو «النشاءة» بفتح الشين ممدودة- هنا- و فى النجم، و الواقعة. الباقون- بسكون الشين مقصوراً- و من قرأ بالتاء، فعلى الخطاب تقديره: قل لهم يا محمد «أو لم تروا» حين أنكروا البعث و النشور «أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ» أى إذا أنكرتم الاعادة كان الابتداء أولى بالنكرة. و حيث أقروا بان اللَّه خالقهم ابتداء فيلزمهم أن يقروا بالاعادة ثانياً. و من قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم «و يبدئ» فيه لغتان اتى بهما القرآن بدأ اللَّه الخلق، و أبدأهم، قال اللَّه تعالى «وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» فمصدر أبدأ يبدؤ إبداءاً، فهو مبدئ. و من قرأ (بدأ) يبدؤ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ١٩۴

بدءاً، فهو بادىء، و ذاك مبدوء، و يقال: رجع عوده على بدئه بالهمز، و بدا يبدو، بغير همز: ظهر. و قال ابو عمرو (غلام تغلب): يجوز رجع عوده على يده- بغير همز- بمعنى الظهور كقولهم: ما عدا مما بدا. و النشاءة و النشأة بالمد و القصر، لغتان. كقولهم: رأفة و رآفة، و كأبة و كآبة و هما مصدران.

فالنشأة المرة الواحدة، يقال: نشأ الغلام، فهو ناشئ، و امرأة ناشئة، و الجمع نواشئ، و يقال للجوارى الصغار نشأ قال نصيب:

و لو لا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار «١»

و انشأهم اللَّه إنشاء، فهو منشئ، و نشت- بغير همز- ريحاً طيبة، و رجل نشوان من الشراب. و رجل نشيان للخير إذا كان يتخير الخير، حكاه تغلب.

قوله «وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ» يحتمل نصبه أمرين:

أحدهما- ان يكون عطفاً على قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ» و تقديره و أرسلنا إبراهيم أيضاً.

الثانى- بتقدير و اذكر «ابراهيم» حين «قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده لا شريك له، و اتقوا عقابه باتقاء معاصيه «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما هو خير لكم مما هو شر لكم.

و قوله «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً» حكاية عما قال ابراهيم لقومه كأنه قال لهم ليس تعبدون من دون اللَّه إلا اوثاناً، و هو جمع وثن، و هو ما يعبد من دون اللَّه. و قيل: ما يعمل من حجر و طين يسمى وثناً. و (ما) فى قوله «إنما» كافة، و ليست بمعنى الذى، لأنها لو كانت بمعنى الذى، لكان (أوثان) رفعاً.

---

(١) مر تخريجه فى ۴/ ۳۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٩٥

و قوله «وَ تَخْلُقُونَ إِفْكاً» أى تعملون أصناماً، و سماها إفكاً لادعائهم أنها آلهة- و هو قول قتادة، و الجبائى- و قال ابن عباس: و تصنعون كذباً، و تحقيقه يصنعون على ما يقدرون، ثم قال لهم ابراهيم أيضاً (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) يعنى الأصنام (لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً) أى لا يقدرون على أن يرزقوكم، و إنما يبتغى الرزق من القادر على المنع، و هو اللَّه الرازق. و الملك قدرة القادر على ماله أن يتصرف فيه أتمّ التصرف، و ليس ذلك إلا للَّه- عز و جل- على الحقيقة لأن له التصرف و القدرة على جميع الأشياء بلا مانع، و الإنسان إنما يملك ما يملكه الله، و يأذن له فى التصرف فيه. فأصل الملك لجميع الأشياء لله. و من لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة، لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة. و الأصنام لا تقدر على ذلك، فإذاً لا يحسن عبادتها.

ثم قال لهم (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) أى اطلبوا الرزق من عند اللَّه دون من سواه (و اعبدوه) على ما أنعم به عليكم من أصول النعم، و أعلى مراتب الفضل (وَ اشْكُرُوا لَهُ) ايضاً، لأنكم اليه ترجعون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم. فمن عبده و شكره جازاه بالثواب. و من عبد غيره و كفر نعمه جازاه بالعقاب. و يقال: شكرته و شكرت له يؤكد باللام. فمعنى الشكر له اختصاصه بنفسه من غير احتمال لغيره. ثم قال (و إن تكذبوا) بما أخبركم به من عند الله، و ما أدعوكم اليه من اخلاص عبادته (فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) أنبياءهم الذين بعثوا فيهم و ليس (عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) يعنى الا أن يوصل اليهم و يؤدى اليهم ما أمر به لكونه بياناً ظاهراً يمكنهم معرفته و فهمه، و ليس عليه حملهم على الايمان.

ثم قال (أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) اى أ لم يفكروا فيعلموا كيف التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ١٩٦

اخترع الله الخلق من العدم (ثم يعيده) ثانياً إذا اعدمهم بعد وجودهم. قال قتادة: معنى (/ ثم يعيده) بالبعث بعد الموت. و قيل ينشئه بالاحياء (ثم يعيده) بالرد الى حال الموت. و الأول أصح (إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) غير متعذر، لأن من قدر على الاختراع و الإنشاء أولا كان على الاعادة أقدر.

و معنى (يسير) لا تعب عليه فيه و لا نصب، و كل فعل كان كذلك، فهو سهل يسير. و الاحتجاج فى ذلك أن من قدر على ذلك قادر على إرسال الرسول الى العباد.

ثم قال لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (قُلْ) لهؤلاء الكفار (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الله الْخَلْقَ) و فكروا فى آثار من كان قبلكم، و الى اى شىء صار أمرهم لتعتبروا بذلك فيما يؤديكم الى العلم بربكم.

و قوله (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) فالنشأة الآخرة اعادة الخلق كرة ثانية من غير سبب كما كان أول مرة، لان معنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب (إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اخبار منه تعالى انه قادر على كل شىء يصح ان يكون مقدوراً له.

قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ١٩٦

يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۲۲) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۲۳) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۲۴) وَ قالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْواكُمُ النَّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۵)

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۹۷

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو، و الكسائى «مودة بينكم» بالرفع و الاضافة، و قرأ نافع و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر «مودة بينكم» منوناً منصوباً، و روى الأعشى عن أبى بكر برفع «مودة» و «بينكم» نصب، و قرأ حفص عن عاصم و حمزة «مودة بينكم» نصباً غير منون مضاف.

من رفع يحتمل وجهين أحدهما- ان يجعل «انما» كلمتين يجعل (ما) بمعنى الذى، و هو اسم (ان) و (مودة) خبره، و مفعول اتخذتم (هاء) محذوفة، و تقديره: إن الذى اتخذتموه مودة بينكم، كما قال الشاعر:

ذرينى إنما خطائى وصوا بى على و انما أهلكت مالى

يريد ان الذى أهلكته مالى. الثانى- ان يرفعها بالابتداء، و «فِي الْحَياةِ الدُّنْيا» خبرها.

و من نصب جعل (المودة) مفعول (اتخذتم).

و من أضاف جعل البين الوصل. التبيان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۹۸

و من لم ينون و لم يضف جعل (البين) ظرفاً. و هو الفراق ايضاً. يقال:

بينهما بين بعيد، و بون بعيد، و جلس زيد بيننا، و بينا بالإدغام، ذكره ابن زيد عن ابن حاتم عن الاصمعى، يقال: بان زيد عمراً: إذا فارقه يبونه بوناً قال الشاعر:

كأن عينى و قد بانونى غرباً نصوح غير محنونى

و قرأ أبى «اثماً مودة بينكم».

اخبر اللَّه تعالى انه «يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ» من عباده إذا استحقوا العقاب (وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشاءُ) منهم فيعفو عنهم بالتوبة و غير التوبة (وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) معاشر الخلق أى اليه تحشرون و ترجعون يوم القيامة. و القلب الرجوع و الرد، فتقلبون أى تردون الى حال الحياة فى الآخرة بحيث لا يملك الضر و النفع فيه إلا اللَّه. و القلب نفى حال بحال يخالفها. ثم قال: و لستم بمعجزين فى الأرض أى بفائتين، فالمعجز الفائت بما يعجز القادر عن لحاقه، و لهذا فسروا (وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى بفائتين، و المعنى لا تغتروا بطول الامهال (فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ) اى لستم تفوتونه فى الأرض، و لا فى السماء لو كنتم فيها، فانه قادر عليكم حيث كنتم. و قيل فى ذلك قولان: أحدهما- لا يفوتونه هرباً فى الأرض، و لا فى السماء. الثانى- و لا من فى السماء بمعجزين، كما قال حسان:

أ من يهجو رسول اللَّه منكم و يمدحه و ينصره سواء «۱»

و تقديره و من يمدحه و ينصره سواء أم لا يتساوون؟! و قوله (وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ) أى و ليس لكم ولى و لا ناصر من دون الله يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد بكم، فالولى هو الذى

---

(۱) مر تخريجه فى ۱/ ۴۱۰.

التبيان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۱۹۹

يتولى المعونـة بنفسه، و النصير قد يدفع المكروه عن غيره تارة بنفسه و تارة بان يأمر بذلك. ثم قال تعالى (وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ) اى جحدوا أدلة الله و لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة (أُولئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي) اخبار عن اياسهم من رحمة الله، لعلمهم انها لا تقع بهم ذلك اليوم (وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ) اى مؤلم. و فى ذلك دلالة على ان المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يجوز ان ييأس من رحمة الله.

ثم قال (فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ) و فى ذلك دلالـة على ان جميع ما تقدم حكاية ما قال ابراهيم لقومه، و انهم لما عجزوا عن جوابه بحجة عدلوا الى ان قالوا اقتلوه او حرقوه و فى الكلام حذف، و تقديره:

إنهم أوقدوا ناراً و طرحوه فيها (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ) واضـحة و حجة بينة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بصـحة ما أخبرناك به من توحيد الله و اخلاص عبادته.

ثم عـاد الى حكايـة قـول ابراهيم و انه قـال لهم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً) قال قتادة: كل خلـة تنقلب يوم القيامـة عـداوة إلا خلـة المتقين كما قال (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) «۱» و معنى الآيـة ان ابراهيم قال لقومه: انما اتخذتم هذه الأوثان آلهة من دون الله لتتوادوا بها فى الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرؤ بعضكم من بعض و يلعن بعضكم بعضاً، و مستقركم النار، و ما لكم من ينصركم بدفع عذاب اللَّه عنكم.

ثم قال لهم «وَ مَأْواكُمُ النَّارُ» أى مستقركم و «ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ»

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۶۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۰۰

يـدفعون بـالقهر و الغلبـة. و روى عبـد اللَّه بن احمـد بن حنبـل عن أبيه فى كتـاب التفسير أن جميع الـدواب و الهوام كانت تطفى عن ابراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ النار، فأمر بقتلها. و روى أيضاً انه لم ينتفع احد يوم طرح ابراهيم فى النار بالنار فى جميع الدنيا.

قوله تعالى: [سورة العنكبوت (۲۹): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۲۰۰

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّي مُهاجِرٌ إِلى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۶) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (۲۷) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (۲۸) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۲۹) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

ست آيات حجازى و خمس فى ما عداه عدوا «السبيل» آية و لم يعدها الباقون.

قرأ اهل الحجاز و ابن عامر و حفص و يعقوب «إنكم لتأتون الفاحشـة» بهمزة واحدة على الخبر. و قرأه اهل الكوفة. إلا حفصاً بهمزتين مخففتين على الاستفهام. و قرأ ابو عمرو كذلك إلا انه بلين الثانية، و يفصل بينهما التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۰۱

بـألف، و أمـا «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجـالَ» فـإنهم على أصولهم. حكى اللَّه سـبحانه ان ابراهيم لما دعا قومه الى اخلاص عبادة اللَّه و ترك عبـادة الأوثان، و قبـح فعلهم فى ذلك أنه صـدق به لوط عليه السـلام و آمن به. و كان ابن أخته، فإبراهيم خاله و هو قول ابن عباس و ابن زيـد و الضـحاك و جميع المفسـرين. و قـال لوط «إِنِّي مُهـاجِرٌ إِلى رَبِّي» معناه اى خارج من جملـة الظالمين على جهـة الهجر لهم لقبـح أفعـالهم الى حيث أمرنى ربى، و من هـذا هجرة المسـلمين من مكـة الى المدينـة و الى أرض الحبشـة، لأـنهم هجروا ديـارهم و أوطانهم لأذى المشـركين لهم فأمروا بأن يخرجوا عنها. و قيل: هاجر ابراهيم و لوط من كوثى، و هى من سواد الكوفـة الى أرض الشام فى قول قتـادة. و قـال «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» الـذى لاـ تضـيع الطاعـة عنـده، العزيز الـذى لا يـذل من نصـره. ثم قال «وَ وَهَبْنا لَهُ» يعنى

لإبراهيم «إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ، وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ» قيل: إنما لم يذكر إسماعيل مع انه نبى معظم، لأنه قد دل عليه بقوله «وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ» فترك ذكر اسمه. لأنه يكفى فيه الدلالة عليه لشهرته و عظم شأنه، و ذكر ولد ولده فى سياقه ذكر ولده، لأنه يحسن اضافته اليه، لأنه الأب الأكبر له.

و قوله «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا» قال ابن عباس: الأجر فى الدنيا الثناء الحسن، و الولد الصالح، و قال الجبائى: هو ما أمر اللَّه به المكلفين من تعظيم الأنبياء. قال البلخى: و ذلك يدل على انه يجوز أن يثيب اللَّه فى دار التكليف ببعض الثواب. و (الكتاب) أريد به الكتب، من التوراة و الإنجيل و الزبور و القرآن، غير انه خرج مخرج الجنس. «وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٠٢

اخبار منه تعالى أن ابراهيم مع انه آتاه أجره و ثوابه فى الدنيا إنه فى الآخرة يحشره اللَّه من جملة الصالحين العظيمى الاقدار، لما قاموا به من النبوة على ما أمر اللَّه به. و قوله «وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ» يحتمل نصبه أيضاً بشيئين:

أحدهما- و (أرسلنا لوطا) عطفاً على (نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ).

و الثاني- بتقدير و اذكر لوطاً حين قال لقومه «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ» من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الاستعلام. و من قرأ على الخبر أراد إن لوطاً أخبرهم بذلك منكراً لفعلهم لا مفيداً لهم، لأنهم كانوا يعلمون ما فعلوه. و الفاحشة- هاهنا- ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران فى أدبارهم «ما سَبَقَكُمْ بِها» بهذه الفاحشة أحد من الخلائق. ثم فسر ما أراد بالفاحشة فقال «أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ» يعنى فى أدبارهم، و الفاحش الشنيع فى القبح، فحش فلان يفحش فحشاً و تفاحش تفاحشاً إذا شنع فى قبحه، و هو ظهوره بما تقتضى العقول بالبديهة ردّه و إنكاره.

و قوله «وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ» قيل: انهم كانوا يقطعون الطريق لأخذ الأموال، و قيل: يقطعون سبيل الولد بإتيان الذكران فى الأدبار، و قيل: بالعمل الخبيث، لأنهم كانوا يطلبون الغرباء «وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» قال ابن عباس: كانوا يضرطون فى مجالسهم، و قال السدى: كانوا يحذفون من مرّ بهم. و قال مجاهد: كانوا يأتون الرجال فى مجالسهم. و قال الكلبى: منها الحذف، و الصفير، و مضغ العلك، و الرمى بالبندق، و حل أزرار القبا و القميص. و هى ثمانى عشرة خصلة. و قال غيره: هى عشر خصال.

و قوله «فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٠٣

مِنَ الصَّادِقِينَ»

حكاية عما قال قوم لوط فى جوابه حين عجزوا عن مقاومته بالحجة و انهم قالوا له «ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى دعواك النبوة و أن اللَّه أرسلك و أمرك بما تدعو اليه، فقال عند ذلك لوط «رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» الذين فعلوا المعاصى و ارتكبوا القبائح و أفسدوا فى الأرض و المعنى اكفنى شرّهم و أذاهم، و يجوز أن يريد اهلكهم، و انزل عذابك عليهم.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٢٠٣

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (٣١) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٢) وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

خمس آيات قرأ حمزة و الكسائى و خلف و يعقوب «لننجينه» بالتخفيف. الباقون بالتثقيل، و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف و ابو بكر و يعقوب «منجوك» غير متحرك بالتخفيف. الباقون بالتشديد و قرأ ابن عامر و الكسائى التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٠٤

عن أبى بكر (منزلون) بالتشديد. الباقون بالتخفيف. من قرأ «لننجينه» بالتشديد و بتحريك النون، فلقوله (وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ) «۱» و لقوله (إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ) «۲» و من خفف فلقوله (فَأَنْجاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) «۳» يقال: نجا زيد و أنجيته و نجيته، مثل فرح و فرحته و أفرحته.

و من قرأ (منزلون) بالتشديد، فلان أصله نزل، كما قال (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) «۴». فإذا عديته ثقلته إما بالهمزة او بالتضعيف و التضعيف يدل على التكرار.

و قوله (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ) نصب (أهلك) على انه مفعول به عطفاً على موضع الكاف، و قوله (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ) «۵» انما كسر اللام و موضعها النصب، لان العرب تقول: رأيت أهلك يريدون جميع القرابات.

و منهم من يقول: أهليك، و يجمع اهل على أهلين، فإذا أضافه ذهبت النون للاضافة، فالياء علامة الجمع و النصب. و كسرت اللام لمجاورتها الياء. و

فى الحديث (ان للَّه أهلين) قيل: من هم يا رسول اللَّه؟ قال (اهل القرآن هم اهل اللَّه و خاصته)

و من العرب من يجمع (أهلا) أهلات انشد ابن مجاهد:

فهم اهلات حول قيس بن عاصم إذا ادلجوا بالليل يدعون كوثرا

قال ابن خالويه: الصواب أن يجعل اهلات جمع اهلة. قال: فان قيل:

هل يجوز أن تقول أهلون؟- بفتح الهاء- كما يقولون: أرضون إذ كان الأصل ارضات، قال: إن (أهلا) مذكر تصغيره أهيل، و ارضاً مؤنثة تصغيرها

---

(۱) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۱۸.

(۲) سورة ۵۴ القمر آية ۳۴.

(۳) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۲۴.

(۴) سورة ۲۶ الشعراء آية ۱۹۳.

(۵) سورة ۶۶ التحريم آية ۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۰۵

أريضة، و التاء سابقة فى المؤنث ممتنعة فى المذكر، فهذا يفصل ما بينهما، قال و ما علمت احداً تكلم فيه.

اخبر اللَّه تعالى انه لما جاء ابراهيم رسل اللَّه، و هم من الملائكة بالبشرى يبشرونه بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب، و البشرى البيان، و هو الخبر بما يظهر سروره فى بشرة الوجه. و قيل: للاخبار بما يظهر سروره او غمه فى البشرة: بشرى، و يقوى ذلك قوله (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ) «۱» غير انه غلب عليه البشارة بما يسر به.

و قوله (قالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ) حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم فإنهم قالوا له: بعثنا اللَّه و أرسلنا لإهلاك هذه القرية التى فيها قوم لوط. و الإهلاك الاذهاب بالشيء الى ما لا يقع به احساس، فلما كانوا بالعذاب قد اذهبوا هذا الاذهاب كانوا قد اهلكوا، و القرية البلدة التى يجتمع اليها للايواء من جهات مختلفة، و هى من قريت الماء فى الحوض أقريه قرياً. إذا جمعته. و منه قرى الضيف لأنك تجمعه اليك بما تعده له من طعام. و (الظالم) من فعل الظلم و هو صفة ذم.

فقال لهم ابراهيم عند ذلك (إِنَّ فِيها لُوطاً) كيف تهلكونها، فقالوا فى جوابه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها) و الأعلم الأكثر معلوماً، فإذا كان الشيء معلوماً لعالم من جهات مختلفة و لعالم آخر من بعض تلك الوجوه دون بعض كان ذلك اعلم. ثم قالوا (لننجينه) أى لنخلصنه من العذاب (و أهله) أى و نخلص أيضاً اهله المؤمنين منهم (إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ) أى من الباقين

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٢١ و سورة ٩ التوبة آية ٣۵ و سورة ٨۴ الانشقاق آية ٢۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٠۶

فى العذاب، قال المبرد: و (أهلك) عطف على المعنى، لأن موضع الكاف الخفض، و لا يجوز العطف على المضمر المخفوض على اللفظ، و مثل ذلك قول لبيد:

فان لم تجد من دون عدنان والداً و دون معد فلترعك العواذل «١»

فنصب (و دون) على الموضع. ثم حكى تعالى أن رسل اللَّه لما جاءت (لُوطاً سِي‌ءَ بِهِمْ) و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- سي‌ء بالملائكة أى ساء مجيؤهم لما طلبوا منه الضيافة لما يعلم من خبث فعل قومه- فى قول قتادة-.

الثانى- سي‌ء بقومه ذرعاً أى ضاق بهم ذرعاً، لما علم من عظم البلاء النازل بهم، فلما رأته الملائكة على تلك الصفة (قالوا) له (لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ) اى مخلصوك و مخلصوا (أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ) اى من الباقين فى العذاب. و انما قال (من الغابرين) على جمع المذكر تغليباً للمذكر على المؤنث إذا اجتمعا. و قيل: كانت من الباقين لأنه طال عمرها، ذكره ابو عبيدة، و قالوا له (إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً) اى عذاباً رجزاً (بِما كانُوا يَفْسُقُونَ) و يخرجون من طاعة اللَّه الى معصيته.

ثم اخبر تعالى فقال (وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها) يعنى من القرية انه بينه، قال قتادة الآية البينة الحجارة التى أمطرت عليهم. و قال غيره عفو آثارهم مع ظهور هلاكهم (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) ذلك و يبصرونه و يتفكرون فيه و يتعظون به، فيزجرهم ذلك عن الكفر باللَّه و اتخاذ شريك معه فى العبادة.

(١) الكتاب لسيبويه ١/ ٣۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٠٧

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٣۶ الى ۴٠] ..... ص : ٢٠٧

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣۶) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (٣٧) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ (٣٩) فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قوله «وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً» عطف على قوله «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ» و تقديره و أرسلنا الى مدين، و قد فسرنا معنى (مدين) فيما تقدم «١» «أَخاهُمْ شُعَيْباً» و انه قال لهم «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده لا شريك له و لا تشركوا معه فى العبادة غيره «وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» يحتمل أن

(١) انظر ۶/ ۴٧. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٠٨

يكون أراد و خافوا عقاب اليوم الآخرة بمعاصى اللَّه، و يحتمل ان يكون أراد و اطلبوا ثواب يوم القيامة بفعل الطاعات «وَ لا تَعْثَوْا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» معناه لا تضطربوا بحال الجهالة يقال: عثى يعثى عثى، كقولهم عاث يعيث عيثاً و فيه معنى الأمر بالاستقامة، لأنه إنما يخرج عن اضطراب الجهال إلى الاستقامة فى الأفعال. و الفساد كل فعل ينافى العقل أو الشرع، فهو عبارة عن معاصى اللَّه.

ثم اخبر أن قومه كذبوه فى ادعائه النبوة و لم يقبلوا منه فعاقبهم اللَّه بعذاب الرجفة، و هى زعزعة الأرض تحت القدم، يقال: رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفاً، و رجفة شديدة، و الإرجاف هو الأخبار بما يضطرب الناس لأجله من غير أن يحققونه «فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» قال قتادة: ميتين بعضهم على بعض. و قيل: باركين على ركبهم، و الجاثم البارك على ركبتيه مستقبلا بوجهه الأرض.

و قوله «وَ عاداً وَ ثَمُودَ» أى و أهلكنا أيضاً عاداً و ثمود جزاء على كفرهم «وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ» معاشر الناس كثير «مِنْ مَساكِنِهِمْ».

ثم اخبر أنه «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» التى كفروا بها و عصوا اللَّه فيها، و ذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك الى اللَّه.

ثم اخبر أن الشيطان صدهم و منعهم عن طريق الحق «فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ» اليه لاتباعهم دعاء الشيطان. و عدولهم عن الطريق الواضح «وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» أى و كانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له و فكرهم فيه. و قال مجاهد و قتادة «وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» فى ضلالتهم لعجبهم به، فتصوروه بخلاف صورته. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٠٩

ثم اخبر انه تعالى أهلك قارون، و فرعون، و هامان. و يجوز أن يكون عطفاً على (الهاء و الميم) فى قوله «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» و كأنه قال فصد عاداً و ثمود، و صد قارون و فرعون و هامان. و أنهم «جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ» يعنى بالحجج الواضحات: من فلق البحر و قلب العصا و غير ذلك «فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ» أى طلبوا التجبر فيها، و لم ينقادوا للحق و أنفوا من اتباع موسى «وَ ما كانُوا سابِقِينَ» أى فائتين للَّه، كما يفوت السابق.

ثم اخبر تعالى فقال «فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ» أى أخذنا كلا بذنبه «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً» و هو الريح العاصفة التى فيها حصباء و هى الحصى الصغار، و شبه به البرد و الجليد، قال الأخطل:

و لقد علمت إذا العشار تروحت هدج الرئال تكبهن شمالا

ترمى الرياح بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاة جفالا «١»

و قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن منثور «٢»

و الذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط- فى قول ابن عباس، و قتادة- و الذين أخذتهم الصيحة ثمود و قوم شعيب- فى قولهما- «وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ» يعنى قارون، «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا» يعنى قوم نوم و فرعون.

ثم اخبر تعالى أنه لم يظلمهم بما فعل معهم «وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بجحدهم نعم اللَّه و اتخاذهم مع اللَّه آلهة عبدوها، و طغيانهم و فسادهم فى الأرض.

و ذلك يدل على فساد قول المجبرة الذين قالوا: إن الظلم من فعل اللَّه، لأنه

---

(١) مر تخريجه فى ٧/ ٨.

(٢) مر تخريجه فى ٦/ ٥٠٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٠

لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۴۲) وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ (۴۳) خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (۴۴) اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ (۴۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و يعقوب و عاصم- فى رواية حفص- و العليمى، و العبسى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» بالياء على الخبر عن الغائب. الباقون بالتاء على الخطاب. قال ابو على: (ما) استفهام و موضعها النصب ب (يدعون) و لا يجوز أن يكون نصباً ب (يعلم) و لكن صارت الجملة التى هى منها فى موضع نصب، و تقديره إن اللَّه يعلم أوثاناً يدعون من دونه، لا يخفى عليه ذلك.

و مثله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ» «۱» و المعنى سيعلمون آلمسلم

---

(۱) سورة ۶ الانعام آية ۱۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۱۱

يكون له عاقبة الدار أم الكافر؟. و كل ما كان من هذا فهكذا القول فيه، و هو قياس قول الخليل.

شبه اللَّه سبحانه حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة فى الوهن و الضعف بحال العنكبوت الذى يتخذ بيتاً ليأوى اليه، فكما أن بيت العنكبوت فى غاية الوهن و الضعف، فكذلك حال من اتخذ من دون اللَّه أولياء مثله فى الضعف و الوهن. و المثل قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول. و (الاتخاذ) أخذ الشيء على اعداده لنائبة، و هو (افتعال) من (الأخذ) فلما أخذوا عبادة غير اللَّه إعداداً لنائبة كانوا اتخذوا الأولياء من دون اللَّه، و ذلك فاسد لأن عبادة اللَّه هى العاصمة من المكاره دون عبادة الأوثان. و المولى هو المتولى للنصرة، و هو أبلغ من الناصر، لان الناصر قد يكون ناصراً بأن يأمر غيره بالنصرة، و الولى هو الذى يتولى فعلها بنفسه. و العنكبوت هو دابة لطيفة تنسج بيتاً تأويه، فى غاية الوهن و الضعف، و يجمع عناكب، و يصغر عنيكب و وزنه (فعللوت) و هو يذكر و يؤنث، قال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت كأن العنكبوت هو ابتناها «۱»

و يقال: هو العنكباء. ثم اخبر تعالى «إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» الذى شبه اللَّه حال من اتخذ من دونه أولياء به، فإذا حاله أضعف الأحوال.

و قوله «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناهم به و يتحققونه، لكنهم كفار بذلك، فلا يعلمونه ف (لو) متعلقة بقوله «اتخذوا» أى لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيفاً لم يتخذوهم أولياء، و لا يجوز أن تكون متعلقة بقوله «وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» لأنهم كانوا عالمين بأن

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۳/ ۳۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۱۲

بيت العنكبوت واه ضعيف.

ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» سواء كان صنماً أو وثناً أو ما كان مثل ذلك «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقامه الذى لا يغالب فى ما يريده «الْحَكِيمُ» فى جميع أحواله و أفعاله، واضع لها فى مواضعها. ثم قال «وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ» و هى الاشباه و النظائر، قال

الشاعر:

هل يذكر العهد فى تنمص إذ يضرب لى قاعدة بها مثلا «١»

«نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ» أى ما يدركها إلا من كان عالماً بمواقعها. ثم اخبر تعالى انه «خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» و أخرجهما من العدم الى الوجود «بِالْحَقِّ» أى على وجه الحكمة دون العبث الذى لا فائدة فيه و انه قصد بها الدلالة على توحيده «إِنَّ فِي ذلِكَ» يعنى فى خلق الله ذلك على ما ذكره «لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» المصدقين بتوحيد الله، لأنهم المنتفعون بها دون الكفار الذين لم ينتفعوا بها لتفريطهم، فلذلك أسندها الى المؤمنين.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ» يا محمد يعنى القرآن- على المكلفين، و اعمل بما تضمنه «وَ أَقِمِ الصَّلاةَ» بحدودها «إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ» يعنى فعلها فيه لطف للمكلف فى فعل الواجب و الامتناع عن القبيح، فهى بمنزلة الناهى بالقول إذا قال: لا تفعل الفحشاء و لا المنكر، و ذلك لأن فيها: التكبير، و التسبيح، و القراءة، و صنوف العبادة، و كل ذلك يدعو إلى شكله و يصرف عن ضده، كالأمر و النهى بالقول، و كل دليل مؤد الى المعرفة بالحق، فهو داع اليه و صارف عن ضده من الباطل. و قال ابن مسعود: الصلاة تنهى عن المنكر و تأمر بالمعروف. و به

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١١٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢١٣

قال ابن عباس. و قال ابن مسعود: الصلاة لا تنفع إلا من أطاع.

و قوله «وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» معناه و لذكر الله إياكم برحمته اكبر من ذكركم إياه بطاعته- ذكره ابن عباس، و سلمان، و ابن مسعود، و مجاهد- و قيل:

معناه ذكر العبد لربه أفضل من جميع عمله- فى رواية أخرى- عن سلمان، و هو قول قتادة و ابن زيد و أبى الدرداء. و قال ابو مالك: معناه إن ذكر العبد لله تعالى فى الصلاة أكبر من الصلاة. و قيل: ذكر الله بتعظيمه اكبر من سائر طاعاته. و قيل: و لذكر الله اكبر من النهى عن الفحشاء.

و قوله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ» من خير و شر، فيجازيكم بحسبه. و فى الآية دلالة على بطلان قول من قال: ان المعرفة ضرورة، و دلالة على بطلان قول المجبرة فى أن الله خلق الكافر للضلال.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٢١٣

وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَ كَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ (٤٧) وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢١٤

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و ابن كثير، و نافع، و ابن عامر، و حفص عن عاصم و قتيبة عن الكسائى «لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ» على الجمع لقوله «قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ». و قرأ الباقون «آية» على التوحيد. و معناهما واحد، لأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير. قال قتادة: الآية

الأولى منسوخة بالجهاد و القتال. و قال غيره: هى ثابتة، و هو الأولى، لأنه لا دليل على ما قاله، فكيف و قد أمر بالجدال بالذى هو أحسن، و هو الواجب الذى لا يجوز غيره كما قال «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» «١» فالآية خطاب من اللَّه تعالى لنبيه و جميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب: من اليهود و النصارى «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» و قيل: معناه إلا بالجميل من القول فى التنبيه على آيات اللَّه و حججه و الأحسن الأعلى فى الحسن من جهة تقبل العقل له. و قد يكون الأعلى فى الحسن من جهة تقبل الطبع له، و قد يكون فى الامرين، و (الجدال) فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه. و فى ذلك دلالة على حسن المجادلة، لأنها لو كانت قبيحة على كل حال، لما قال «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ».

و أصل الجدال شدة القتل، يقال: جدلته أجدله جدلا إذا فتله فتلا شديداً، و منه الأجدل: للصقر لشدة فتل بدنه. و قيل: انه يجوز أن يغلظ

---

(١) سورة ١٩ النحل آية ١٢٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٥

المحق فى الجدل على الظالم فيه، بتأديب اللَّه تعالى فى الآية فى قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» فاستثنى الظالم عن المجادلة بالتى هى أحسن.

فان قيل: لم استثنى الذين ظلموا؟ و كلهم ظالم لنفسه بكفره! قيل: لان المراد «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» فى جدالهم أو فى غيره مما يقتضى الاغلاظ لهم، و لهذا يسع الإنسان ان يغلظ على غيره، و الا فالداعى الى الحق يجب أن يستعمل الرفق فى أمره. قال مجاهد: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» بمنع الجزية. و قال ابن زيد: الذين ظلموا بالاقامة على كفرهم بعد إقامة الحجة عليهم.

ثم قال تعالى للمؤمنين «وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنا» من القرآن «وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ» من التوراة و الإنجيل، و قولوا «وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ واحِدٌ» لا شريك له «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» طائعون.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و مثل ما أنزلنا الكتاب على موسى و عيسى من التوراة و الإنجيل «أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ» القرآن «فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى الذين آتيناهم علم الكتاب يصدقون بالقرآن لدلالته عليه «وَ مِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» أى من غير جهة علم الكتاب. و قيل «فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ» يعنى به عبد اللَّه بن سلام و أمثاله. و «مِنْ هؤُلاءِ» يعنى أهل مكة «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ». و يحتمل ان يكون أراد ب (فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ) الذين آتاهم القرآن: المؤمنين منهم و (و من هؤلاء) يعنى من اليهود و النصارى «من يؤمن به» أيضاً، و الهاء فى قوله (به) يجوز أن تكون راجعة الى النبى، و يجوز أن تكون راجعة الى القرآن «وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ» لان كل من جحد بآيات اللَّه من المكلفين، فهو كافر: معانداً كان أو غير معاند.

ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال «وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ» يعنى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٦

لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى اليك بالقرآن «وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ» معناه و ما كنت أيضاً تخط بيمينك. و فيه اختصار، و تقديره و لو كنت تتلو الكتاب و تخطه بيمينك «إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ» و قال المفسرون: إنه لم يكن النبى صلى الله عليه و آله يحسن الكتابة. و الآية لا تدل على ذلك بل فيها إنه لم يكن يكتب الكتاب و قد لا يكتب الكتاب من يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه، و ليس ذلك بنهى، لأنه لو كان نهياً لكان الأجود أن يكون مفتوحاً، و إن جاز الضم على وجه الاتباع لضمة الخاء، كما يقال: (ردّه) بالضم و الفتح و الكسر، و لكان أيضاً غير مطابق للأول. و لو أفاد أنه لم يكن يحسن الكتابة قبل الإيحاء، لكان دليله يدل على انه كان يحسنها بعد الإيحاء اليه، ليكون فرقاً بين الحالتين.

ثم بين تعالى أنه لم يكتب، لأنه لو كتب لشك المبطلون فى القرآن و قالوا هو قرأ الكتب أو هو يصنفه، و يضم شيئاً الى شىء فى حال بعد حال فإذا لم يحسن الكتابة لم تسبق اليه الظنة.

ثم قال «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» و قيل: معناه بل هى آيات واضحات فى صدور العلماء، بأنه أمى لا يقرأ و لا يكتب، على صفته فى التوراة و الإنجيل- فى قول ابن عباس- و قال الحسن: بل القرآن آيات بينات فى صدور العلماء. ثم قال (وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا) أى لا ينكر حججنا و يجحدها إلا الذين ظلموا نفوسهم بترك النظر فيها، أو العناد لها بعد طول المدة و حصول العلم بها. ثم حكى عن الكفار انهم قالوا: هلا انزل على محمد آية من ربه؟ يريدون آية يقترحونها، و آية كآية موسى: من فلق البحر و قلب العصا حية، فقال اللَّه تعالى لهم (قل) لهم يا محمد (إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ) ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه (وَ إِنَّما أَنَا نَذِيرٌ) أى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٧

منذر مخوف من معصية اللَّه (مبين) طريق الحق من طريق الباطل.

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٢١٧

أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٥٢) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة و نافع «يقول» بالياء على معنى: و يقول لهم الموكلون بعذابهم. الباقون- بالنون- على وجه الاخبار من اللَّه تعالى عن نفسه. و فى قراءة عبد اللَّه و يقال لهم: على ما لم يسم فاعله.

لما حكى اللَّه تعالى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آيات التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٨

اقترحوها او آيات كما أنزل على موسى و عيسى، قال اللَّه لهم «أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتابَ» يعنى القرآن «يُتْلى عَلَيْهِمْ» فبين أن فى القرآن دلالة واضحة و حجة بالغة ينزاح معه العلة و تقوم به الحجة لا يحتاج معه الى غيره فى الوصول الى العلم بصحة نبوته و أنه مبعوث من عند اللَّه، مع أن اظهار المعجزات مع كونها لازاحة العلة يراعى فيها المصلحة. فإذا كانت المصلحة فى اظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها، و لو اظهر اللَّه الاعلام التى اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت فى الأمم الماضية، و قد وعد اللَّه أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال «وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» «١». و الكفاية بلوغ حد ينافى الحاجة، يقال: كفى يكفى كفاية، فهو كاف. و قيل: إن الآية نزلت فى قوم كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب شبه الخرافات. فقال اللَّه تعالى (أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ) القرآن تهديداً لهم و منعاً من التعرض لغيره. و قولهم: كفى الله معناه أنه فعل ما ينافى الحاجة بالنصرة. و التلاوة هى القراءة و سميت تلاوة لأنه يتلو حرف حرفاً فى التلاوة. و القرآن مشتق من جمع الحروف بعضها الى بعض.

ثم بين الله تعالى (إن فى ذلك) أى القرآن (لرحمة) أى نعمة (و ذكرى) اى ما يتذكر به و معتبر (لقوم يؤمنون) يصدقون به و يعتبرون و انما أضافه اليهم، لأنهم الذين ينتفعون به. ثم أمر نبيه صلى الله عليه و آله أن يقول (كفى بالله) أى كفى الله. و الباء زائدة (بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً) يشهد بالحق.

و الشاهد و الشهيد واحد، و فيه مبالغة، و الشهادة هى الخبر بالشيء عن مشاهدة تقوم به الحجة فى حكم من أحكام الشرع، و لذلك لم يكن خبر من لا تقوم به

---

(١) سورة ١٧ الإسراء آية ٥٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢١٩

الحجة- فى الزنا- شهادة و كان قذفاً، ثم بين أن الشهيد الذى هو الله (يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) و يعلم الذين صدقوا بالباطل و جحدوا وحدانيته.

ثم اخبر عنهم انهم الخاسرون الذين خسروا ثواب الجنة بارتكابهم المعاصى و جحدهم بالله، فكان ذلك الخسران الذى لا يوازيه خسران مال. و قوله (وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ) انما وصفهم بالايمان مقيداً بالباطل، كما يقال: فلان كافر بالطاغوت مقيداً، و انما الإطلاق لا يجوز فيهما.

ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال (وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ) يعنى هؤلاء الكفار (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ) أن ينزل عليهم بجحودهم صحة ما تدعوهم به، كما قالوا (فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ) «١» و (لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى) يعنى وقتاً قدره الله أن يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة و أجل قدره الله أن يبقيهم اليه لضرب من المصلحة، و قال الجبائى: ذلك يدل على أن التبقية لا تجب لكونه أصلح، لأنه علله بأنه قدر له أجلا (لَجاءَهُمُ الْعَذابُ) الذى استحقوه (و ليأتينهم) العذاب الذى يوعونه (بغتة) أى فجأة (وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه.

ثم قال (يستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) أى يطلبون العذاب عاجلا قلة يقين منهم بصحته (وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ) أى كأنها محيطة بهم لما قد لزمهم بكفرهم من كونهم فيها. و قيل: معناه انه إذا كان يوم القيامة أحاطت بهم. و وجه ثالث- أنها تحيط بهم (يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى تكسبون أى ذوقوا جزاء أعمالكم المعاصى التى اكتسبتموها.

---

(١) سورة ٨ الانفال آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٢٠

قوله تعالى:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٢٢٠

يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُها وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ يحيى و العليمى «ثم إلينا يرجعون» بالياء على الخبر عن الغائب.

الباقون بالتاء على الخطاب. و قرأ أهل الكوفة إلا عاصماً «لنثوينهم» بالثاء من أثويته منزلا أى جعلت له منزل مقام، و الثواء المقام، الباقون بالباء من قولهم: بوأته منزلا، كما قال تعالى «مبوأ صدق» فى قوله «وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ» «١» و «إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ» «٢» و يحتمل ان تكون اللام زائدة، كقوله (رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ) «٣» و يحتمل ان يكون المراد (بوأنا) لدعاء إبراهيم (مكان البيت) و يقول القائل: اللهم بوّئنا مبوأ صدق أى أنزلنا منزل صدق و التبوء اتخاذ منزل يرجع اليه من يأوى اليه، و أصله

---

(١) سورة ١٠ يونس آية ٩٣.

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٢٦.

(٣) سورة ٢٧ النمل آية ٧٢.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٢٢١

الرجوع من قوله (باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) «١» أی رجعوا، و منه قول الحارث ابن عباد: (بوئوا بشسع كليب) و قيل: معناه لننزلنهم من الجنة علالی.

يقول اللَّه تعالی لخلقه الذين صدقوا بوحدانيته و أقروا بنبوة نبيه (يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ)

لبعد أقطارها، فاهربوا من أرض من منعكم فيها من الايمان و اخلاص عبادتی فيها. و قيل: نزلت فی مؤمنی مكة أمروا بالهجرة عنها، و هو قول سعيد بن جبير و مجاهد و عطاء و ابن زيد. و قيل (أَرْضِي واسِعَةٌ)

بما أخرج فيها من الرزق لكم- ذكره مطرف بن عبد اللَّه بن السخير العامری. و قال الجبائی: معناه إن ارض الجنة واسعة، و اكثر اهل التأويل علی ان المراد به ارض الدنيا.

و قوله (فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)

أی اعبدونی خالصاً، و لا تطيعوا احداً من خلقی فی معصيتی. و قيل: دخول الفاء فی الكلام للجزاء و تقديره إن ضاق موضع بكم فاياى فاعبدون لأن أرضی واسعة. و (إياى) منصوب بمضمر يفسره ما بعده.

ثم اخبر تعالی ان (كل نفس) أحياها اللَّه بحياة خلقها فيها (ذائِقَةُ الْمَوْتِ) و الذائق الواجد للجسم بحاسة إدراك الطعم (ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ) أی تردون إلينا فنجازيكم علی قدر استحقاقكم من الثواب و العقاب. و فی ذلك غاية التهديد و الزجر. ثم قال (وَ الَّذِينَ آمَنُوا) أی صدقوا بوحدانية اللَّه، و أقروا بنبوة نبيه صلی اللَّه عليه و آله (و عملوا) مع ذلك الاعمال (الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) أی لننزلنهم (من الجنة) التی وعدها اللَّه المتقين (غرفاً) أی مواضع عاليات (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) لان الغرف تعلو عليها. و قيل: تجری من تحت

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١ و سورة ٣ آل عمران آية ١١٢.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٢٢٢

أشجارها المياه. و قيل: انهار الجنة فی أخاديد تحت الأرض (خالِدِينَ فِيها) أی يبقون فيها ببقاء الله.

ثم اخبر تعالی ان ذلك (نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ) أی نعم الثواب و الأجر للعالمين بطاعة الله (الذين صبروا) علی الأذی فی الله، و صبروا علی مشاق الطاعات، و وكلوا أمورهم الی الله و توكلوا عليه فی أرزاقهم و جهاد أعدائهم و مهمات أمورهم.

ثم قال تعالی «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ» معنی كاين (كم) و قد فسرناه فی ما مضی «١» «لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» أی لا تدخره لغد- فی قول علی بن الأقمر- و قال الحسن «لا تحمل رزقها» للادخار. و قيل: ان الحيوان أجمع من البهائم و الطير و نحوهما لا تدخر القوت لغدها- إلا ابن آدم و النملة و الفارة- بل تأكل منه كفايتها فقط. و قال مجاهد: معناه «لا تحمل رزقها» لا تطيق حمل رزقها لضعفها «اللَّه يرزقها» يعنی تلك الدابة الضعيفة التی لا تقدر علی حمل رزقها «و إياكم» أی و يرزقكم أيضاً «وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يعنی «السميع» لما يقول القائل فی فراق وطنه «العليم» بما فی نفسه، لأنه عالم بجميع الأشياء و قيل: الآية نزلت فی أهل مكة: المؤمنين منهم، فإنهم قالوا لرسول اللَّه: ليس لنا بالمدينة اموال، و لا منازل، فمن أين المعاش، فأنزل اللَّه الآية.

قوله تعالی:[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الی ٦٦] ..... ص : ٢٢٢

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)

لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۶۶)

---

(۱) انظر ۳/ ۱۰ و ۶/ ۲۰۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۲۳

سبع آيات بصرى و شامى، و ست فى ما عداه عدوا «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف، و المسيبى، و الأعشى، و البرجمى و الكسائى عن أبى بكر (ليكفروا، و ليتمتعوا) ساكنة اللام. الباقون بالكسر إلا نافعاً، لأنه اختلف عنه فيه. قال ابو على: من كسرها و جعلها الجارة جعلها متعلقة بالاشراك، و كأن المعنى: يشركون ليكفروا، أى لا فائدة لهم فى الاشراك إلا الكفر و التمتع بما يتمتعون به عاجلا من غير نصيب آجلا. و من سكن جعل (ليكفروا) بمنزلة الأمر، و عطف عليه، و كان التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۲۴

على وجه التهديد. و قال غيره: تحتمل هذه اللام أن تكون (لام كى) أى كأنهم أشركوا ليكفروا إذ لا يدفع الشرك فى العبادة من كفر النعمة. و يجوز أن يكون لام الأمر على وجه التهديد بدلالة قوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ).

يقول اللّه تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه و آله و لئن سألت هؤلاء الكفار الذين جحدوا توحيدى و كفروا بنبوتك (مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) و المنشئ لها و المخرج لها من العدم الى الوجود (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ) فى دورانها على طريقه واحدة لا تختلف؟؟ (ليقولن) فى جواب ذلك (اللّه) الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم، و النشأة الأولى، و يعترفون بأن الأصنام لا تقدر على ذلك. ثم قال (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) هؤلاء أى كيف يصرفون عن صانع ذلك و الإخلاص لعبادته- فى قول قتادة-.

ثم قال (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ) أى يوسعه لمن يشاء من عباده بحسب ما تقتضيه المصلحة (و يقدر) أى يضيق مثل ذلك على حسب المصلحة و منه قوله (وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) «۱» بمعنى ضيق على قدر ما فيه مصلحته. و قيل:

معنى و يقدر- هاهنا- و يقبض رزق العبد بحسب ما تقتضيه مصلحته. و خص بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عالم بما يصلح العبد و بما يفسده فهو يوسع الرزق و يبسط بحسب ذلك. ثم قال «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» يعنى هؤلاء الذين ذكرناهم «مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً»؟ يعنى مطراً «فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ» فى الجواب عن ذلك «اللَّه» ف «قل» يا محمد عند ذلك «الحمد للّه» على فنون نعمه على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده و اخلاص

---

(۱) سورة ۶۵ الطلاق آية ۷. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۲۵

عبادته. ثم قال «بل أكثرهم» يعنى هؤلاء الخلق «لا يعقلون» ما قلناه لعدولهم عن طريق المفضى اليه. ثم قال تعالى و ليس «هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ» لأنها تزول كما يزول اللهو و اللعب، لا بقاء لها، و لا دوام، كما يزول اللهو و اللعب «وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ» أى الحياة على الحقيقة لكونها دائمة باقية «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناك به. و قال ابو عبيدة: الحيوان و الحياة واحد.

ثم قال تعالى مخبراً عن حال هؤلاء الكفار انهم «فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ» و هى السفن و هاجت به الرياح و خافوا الهلاك «دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا يوجهون دعاءهم إلى الأصنام و الأوثان «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ» أى خلصهم إلى البر «إذا هم يشركون» أى يعودون الى ما كانوا عليه من الاشراك معه فى العبادة «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» أى يفعلون ما ذكرناه من الاشراك مع اللّه ليجحدوا نعم اللّه التى أعطاهم إياها «و ليتمتعوا» أى و ليتلذذوا فى العاجل من دنياهم، فالتمتع يكون بالمناظر الحسنة، و الأصوات المطربة، و المشام الطيبة و المآكل الملذة، ثم قال مهدداً لهم «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أى لا بد أن يعلموا جزاء ما يفعلونه من الأفعال من طاعة او معصية، فان اللّه يجازيهم بحسبها و ذلك غاية التهديد.

قوله تعالى: [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦٧ الى ٦٩] ..... ص : ٢٢٥

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ (٦٨) وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٢٦

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى لهؤلاء الكفار «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» و معناه او لم يعلموا «أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» أى يتناول الناس من حوالى مكة بسرعة، و تؤخذ أموالهم. و منه خطف البصر لسرعته. و منه اختطاف الطير لصيده. و منه الخطاف الذى يخرج الدلو. و المعنى بذلك تنبيههم على جميل صنع اللَّه بهم، و سبوغ نعمه عليهم، بأن جعلهم فى أمن مع ان الناس يؤخذون من حولهم. و ذلك لا يقدر عليه غير الله. ثم قال مهدداً لهم «أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ»! أى يصدقون بعبادة الأصنام و هى باطلة مضمحلة «وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» التى أنعم بها عليهم «يكفرون»؟! ثم قال «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» أى من اظلم لنفسه ممن جحد آيات الله و أضاف اليه ما لم يقله و لم يأمر به من عبادة الأصنام و غيرها «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُ» من نبوة محمد صلى اللَّه عليه و آله من القرآن الذى أنزل عليه. ثم قال «أَ لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ» أى موضع مقام الذين يجحدون نعم الله، و يكفرون بآياته.

ثم قال «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا» يعنى جاهدوا للكفار بأنفسهم، و جاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصى و إلزامها فعل الطاعة لوجه الله «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» أى نرشدهم السبيل الموصل إلى الثواب. و قيل: معناه لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزدادوا ثوابهم. و قيل: معناه لنرشدنهم إلى الجنة «وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» أى ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنة، و يدفع عنهم أعداءهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٢٧

٣٠- سورة الروم ..... ص : ٢٢٧

اشارة

و هى مكية فى قول مجاهد و قتادة ليس فيها ناسخ و لا منسوخ. و قال الحسن: كلها مكية إلا قوله (فَسُبْحانَ اللَّهِ) إلى قوله (وَ حِينَ تُظْهِرُونَ) و هى ستون آية كوفى و بصرى و مدنى الأول و شامى. و تسع و خمسون فى المدنى الأخير و المكى.

[سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٢٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)

خمس آيات كوفى و بصرى و شامى، و أربع فى ما عداه، عد الكوفيون (ألم) و عدوا (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد البصرى و الشامى (غُلِبَتِ الرُّومُ) التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٢٨

و عدوا (فِي بِضْعِ سِنِينَ) وعد المدنى (غُلِبَتِ الرُّومُ) و عد إسماعيل و المكى (غُلِبَتِ الرُّومُ، فِي بِضْعِ سِنِينَ).

قرأ ابن عمر، و ابو سعيد الخدرى (غلبت الروم) بفتح الغين، فقيل لابن عمر: على أى شيء غلبوا قال على ريف الشام، و هذا غلط، فان

عند جميع المفسرين القراءة بالضم. و السبب فى ذلك معروف، و هو ان الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك من حيث ان اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب، و ساء ذلك المسلمين، فأخبر اللَّه تعالى ان الروم و إن غلبهم فارس، فان الروم ستغلب فى ما بعد فارس (فِي بِضْعِ سِنِينَ) أى فى ما بين ثلاث سنين إلى عشر، فكان كما اخبر، و كان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبى صلى الله عليه و آله و

روى أن جماعة من الصحابة راهنوا أبى بن خلف و قيل: أبا سفيان، إن لم يصح الخبر و وافقوهم على اربع سنين، فلما أخبروا النبى صلى الله عليه و آله قال: (زيدوهم فى الخطر و استزيدوا فى الأجل) ففعلوا، فغلبت الروم لفارس قبل المدة.

اخبر اللَّه تعالى ان الروم غلبت عليها فارس فى أدنى الأرض من أرض الشام الى ارض فارس، و انهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبون فى ما بعد فى بضع سنين. و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله ان البضع- هاهنا- ما بين الثلاث الى العشر.

و

روى ان سبب ذلك ان الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك و قالوا:

أهل فارس لا- كتاب لهم غلبوا اهل الروم، و هم اهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمداً الذى معه كتاب، فانزل اللَّه تعالى هذه الآيات تسلية للنبى و المؤمنين.

و إن الروم و إن غلبها فارس، فإنها ستغلب فارس فى ما بعد فى بضع سنين. قال ابو سعيد الخدرى: كان النصر يوم بدر للفريقين للنبى صلى اللَّه عليه و آله التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۲۹

و الروم على فارس، ففرح المؤمنون بالنصرين. و قيل: كان يوم الحديبية.

و قال الفراء: قوله «مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ» تقديره غلبتهم، فحذف الهاء للاضافة.

كما قال «وَ إِقامِ الصَّلاةِ» «۱».

قال الزجاج: الغلب و الغلبة مصدران، مثل الحلب و الحلبة، و الغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر، غلب يغلب فهو غالب و ذلك مغلوب، و تغلب تغلباً إذا تعرض للغلبة، غالبه مغالبة و (الأدنى) الأقرب، و نقيض الأدنى الأقصى، و نقيض الأقرب الأبعد. و المراد أدنى الأرض إلى جهة عدوهم.

و البضع القطعة من العدد ما بين الثلاث إلى العشر، اشتقاقه من بضعته إذا قطعته تبضيعاً، و منه البضاعة القطعة من المال فى التجارة، و منه البضعة القطعة من البدن، و المبضع، لأنه يقطع به العرق. و المباضعة الجماع. و قال المبرد البضع ما بين العقدين فى جميع الاعداد.

ثم اخبر تعالى بأن «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» تقديره من بعد غلبهم و من قبل غلبهم، فقطع عن الاضافة و بنى لأنه على الغاية و تفسيرها انه ظرف قطع عن الاضافة التى هى غاية، فصار كبعض الاسم، فاستحق البناء و بنى على الحركة، لان له أصلا فى التمكن يستعمل. و بنى على الضمة لأنها حركة لا تكون له فى حال الاعراب. فهى ادل على البناء.

ثم قال «وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ» أى يوم يغلب الروم لفارس يسر المؤمنون تفاؤلا بأن يغلبوا هم المشركين. ثم بين بما ذا يفرحون، فقال «بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ من عباده وَ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقامه من أعدائه «الرحيم» إلى من أناب اليه من خلقه.

---

(۱) سورة ۲۴ النور آية ۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۳۰

قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۲۳۰

وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۶) يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ (۷) أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ (۸) أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۹) ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الحجاز و البصرة و البرجمى، و السمونى، و الكسائى عن أبى بكر «عاقبة الذين» بالرفع. الباقون بالنصب. من نصب جعلها خبر (كان) و قدمها على الاسم، و اسمها يحتمل ان يكون السوء و تقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين. و يحتمل ان يكون ما بعد (أن) فى قوله «ان كذبوا». و من رفع [عاقبة] جعلها اسم (كان) و الخبر السوء. و يحتمل ان يكون الخبر التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۳۱ (ان كذبوا) و تقديره ثم كان عاقبة المسيء التكذيب بآيات اللَّه، أى لم يظفر فى شركه و كفره إلا بالتكذيب، و يكون السوء على هذا نصباً على المصدر فى قوله «وعد الله» نصب على المصدر، و تقديره: إن ما ذكره الله تعالى من ان الروم ستغلب فارس فى ما بعد، وعد وعداً لله لا يخلف وعده، و تقديره وعداً لله وعده كما قال الشاعر:

يسعى الوشاة جنابيها و قيلهم إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول «۱»

أى و يقولون: قيلهم، و الأخلاف فعل خلاف ما تقدم الوعد به، و سبيل الوعد بالخبر و الوعيد بالشر واحد فى انه إذا وقع فيه خلاف ما تضمنه كان خلفاً، ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» صحة ما أخبرناك به لجهلهم بالله و تفريطهم فى النظر المؤدى إلى معرفة الله، و لا يناقض قوله «لا يعلمون» لقوله «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا» لأن ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذم لتضييعهم على ما يلزمهم من أمر الله، كأنهم لا يعلمون شيئاً. ثم بين حالهم فى ما عقلوا عنه، و ما عملوه. و معنى «يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا» أى عمران الدنيا متى يزرعون و متى يحصدون، و كيف يبنون و من أين يعيشون و هم جهال بأمر الآخرة، و له مضيعون- ذكره ابن عباس- أى عمروا الدنيا و اخربوا الآخرة. و الظاهر هو الذى يصح ان يدرك من غير كشف عنه. فالله تعالى ظاهر بالأدلة، باطن عن حواس خلقه. و الأمور كلها ظاهرة له، لأنه يعلمها من غير كشف عنها و لا دلالة تؤديه اليها. و كلما يعلم بأوائل العقول ظاهر و كلما يعلم بدليل العقل باطن، لأن دليل العقل يجرى مجرى الكشف عن صحة المعنى- فى صفته- و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم، و نقيضه

---

(۱) مر هذا البيت فى ۱/ ۳۰۰ و ۵/ ۳۸۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۳۲

اليقظة. و هى حضور المعنى للنفس كحال المنتبه. و نقيضه السهو.

ثم قال تعالى منبهاً لخلقه على وجه الدلالة على توحيده «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ» فيعلموا ان الله لم يخلق «السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ» بمعنى الاستدلال بهما على توحيده «وَ أَجَلٍ مُسَمًّى» للأشياء التى للعباد فيها مصلحة بالاعتبار به إذا تصوروا ذلك فى الاخبار عنه انه مع كثرته و عظمه محصل بتسمية تنبئ عنه، لا يتأخر و لا يتقدم، بالأوصاف التى ذكرها الله تعالى عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه شيء منه.

ثم قال «وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ» أى بلقاء ثواب الله و عقابه كافرون يجحدون صحة ذلك و لا يعترفون به.

ثم قال منبهاً لهم دفعة أخرى «أَ وَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم «كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ أَثارُوا الْأَرْضَ» أى حرثوها لعمارتها- فى قول مجاهد و السدى- و «عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها» هؤلاء يعنى أهل مكة «وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّناتِ» يعنى أتتهم الرسل بالـدلالات من عنـد الله. و فى الكلام حذف، لان تقديره، فكذبوا بتلك الرسل، و جحدوا الآيات فأهلكهم الله بأنواع العـذاب. ثم قال «فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بأن يهلكهم من غير اسـتحقاق ابتـداء، و فى ذلك بطلان قول المجبرة: ان الله يبتدئ خلقه بالهلاك.

ثم قال «وَ لكِنْ كانُوا» هم «أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن جحدوا نعم الله و أشركوا فى العبادة معه غيره، و كذبوا رسله و عصوه بأنواع العصيان، حتى استحقوا العقاب عاجلا و آجلا.

ثم قال «ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى اخبار منه تعالى بأن عاقبة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٣٣

الذين أساؤا الى نفوسـهم بالكفر باللَّه تعالى، و تكذيب رسله و ارتكاب معاصيه «السوء» و هى الخصلة التى تسوء صاحبها إذا أدركها، و هى عـذاب النار- فى قول ابن عباس و قتادة و غيرهما- «أَنْ كَذَّبُوا» و معناه لأن كـذبوا «بِآياتِ اللَّهِ» أى جحدوا أدلته و لم يؤمنوا بها «وَ كانُوا بِها» بتلك الادلة «يَسْتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون منها و يتهزءون بها. و قيل: معنى الآية أنهم حفروا الأنهار و غرسوا الأشجار و شيدوا البنيـان و صاروا الى الهلاك على أسوء حال بالعصيان و لم يفكروا فى الموت، و انهم يخرجون من الـدنيا و يصـيرون الى الحساب و الجزاء.

قوله تعالى:[سورة الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص : ٢٣٣

اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ (١٣) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ فَأُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٣٤

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو، و روح و يحيى و العليمى «ثم اليه يرجعون» بالياء على وجه الخبر. الباقون- بالتاء- على الخطاب.

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه أنه هو الـذى يبـدؤ الخلق ثم يعيـده يبدؤهم ابتداء فيوجدهم بعد أن كانوا معدومين على وجه الاختراع ثم يعيـدهم أى يميتهم و يفنيهم بعـد وجودهم، ثم يعيـدهم ثانياً كما بـدأهم أولا، ثم يرجعون اليه يوم القيامـة ليجازيهم على أفعالهم، على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب.

و اسـتدل قوم بهذه الآية على صحة الرجعة بأن قالوا «اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ» معناه ابتداء خلقهم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» إذا أماته فى زمان الرجعة «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامـة، و هـذا ليس بمعتمـد، لاـن لقائل أن يقول: قوله «ثُمَّ يُعِيدُهُ» يجوز أن يكون المراد به احياءهم فى القبر للمساءلة التى لا خلاف فيها «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة، فلا يمكن الاعتماد عليه. و (البدء) أول الفعل و هو على وجهين:

أحدهما- انه أول الفعل و هو جزء منه مقدم على غيره.

و الثانى- انه موجود قبل غيره من غير طريق الفعليـة، يقال: بـدأ يبدؤ بدءاً و ابتدأ يبتدئ ابتداء. و الابتداء نقيض الانتهاء، و البدؤ نقيض العود. و الخلق- هاهنا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٣٥

- بمعنى المخلـوق. و مثله قوله «هـذا خَلْقُ اللَّهِ» و تقول هـذا الخلق من النـاس، و قـد يكون الخلق مصـدراً من خلق الله العبـاد، و الخلق كالاحداث و المخلوق كالمحدث.

و الاعادة فعل الشـىء ثانية. و قولهم: أعاد الكلام فهو على تقدير ذلك، كأنه قد اتى به ثانية إذا اتى بمثله، و إن كان الكلام لا يبقى و

لا يصح إعادته. و قد يكون الاعادة فعل ما به يكون الشيء الى ما كان من غير إيجاد عينه كاعادة الكتاب الى مكانه. و مثل الاعادة الرجعة و النشأة الثانية.

و قوله «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» قيل: معناه ييئسون، و قيل: يتحيرون، و قيل: تنقطع حججهم، فالابلاس التحير عند لزوم الحجة، فالمجرم يبلس يوم القيامة، لأنه تظهر جلائل آيات الآخرة التى تقع عندها على الضرورة فيتحير أعظم الحيرة، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه و أبلسا «۱»

و قوله «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ» أى لم يكن فى أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، و يزعمون أنها تشفع لهم عند الله من يشفع لهم. و قيل: شركاؤهم لأنهم كانوا يجعلون لها نصيباً فى أموالهم.

و قيل: شركاؤهم الذين جعلوهم شركاء فى العبادة «وَ كانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ» أى يجحدون شركاءهم ذلك اليوم، لأنه يحصل لهم المعرفة بالله ضرورة. و أصل الشرك إضافة الملك الى اثنين فصاعداً على طريق القسمة التى تمنع من اضافته الى الواحد، فالإنسان على هذا يكون شريكاً لإنسان آخر فى الشيء إذا ملكاه جميعاً، و الله تعالى مالك له، ملكه هذا الإنسان

---

(۱) قد مر فى ۱/ ۱۵۳ و ۲/ ۳۰۹ و ۳/ ۵۷۸ و ۴/ ۵۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۳۶

او لم يملكه.

و قوله «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» يعنى القيامة «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» قيل: يتميز المؤمنون من الكافرين. و قيل: معناه لا يلوى واحد منهم على حاجة غيره، و لا يلتفت اليه، و فى ذلك نهاية الحث على الاستعداد و التأهب لذلك المقام.

ثم قال «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» يعنى صدقوا بتوحيد الله و صدق رسله، و عملوا الصالحات، و تركوا القبائح «فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ» أى يسرون سروراً تبين أثره عليهم، و منه الحبرة و هى المسرة، و منه الحبر العالم، و التحبير التحسين الذى يسر به. و انما خص ذكر الروضة- هاهنا- لأنه لم يكن عند العرب شيء أحسن منظراً و لا أطيب ريحاً من الرياض، كما قال الشاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة و لا بأحسن منها إذ دنا الأصل «۱»

و الحبرة هى السرور و الغبطة، قال العجاج:

فالحمد لله الذى أعطى الحبر موالى الحق إن المولى شكر «۲»

ثم بين تعالى أن الكفار فى ضد ما فيه اهل الجنة، فقال «وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» بنعم الله و جحدوا آياته ثم أنكروا لقاء ثوابه و عقابه يوم القيامة «فهم فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ» أى محضرون فيها، و لفظة الإحضار لا تستعمل إلا

---

(۱) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) ۱۴۵

(۲) اللسان (حبر).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۳۷

فيما يكرهه الإنسان، و منه حضور الوفاة، و يقال: احضر فلان مجلس السلطان إذا جيء به بما لا يؤثره، و الإحضار إيجاد ما به يكون

الشيء حاضراً إما بإيجاد عينه كاحضار المعنى فى النفس او بإيجاد غيره، كايجاد ما به يكون الإنسان حاضراً.

ثم قال تعالى «فَسُبْحانَ اللَّهِ» أى تنزيها لله تعالى مما لا يليق به و لا يجوز عليه من صفات نقص او ينافى عظمه، و ما اختص به من الصفات، و قوله «حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» فالامساء الدخول فى المساء، و المساء مجىء الظلام بالليل، و الإصباح نقيضه، و هو الدخول فى الصباح، و هو مجىء ضوء النهار.

ثم قال «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّماواتِ» يعنى الثناء و المدح فى السموات «وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا» أى و فى العشى «وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» أى حين تدخلون فى الظهيرة و هى نصف النهار. و إنما خص تعالى العشى و الاظهار فى الذكر بالحمد و إن كان الحمد واجباً فى جميع الأوقات، لأنها أحوال تذكر بإحسان الله، و ذلك أن انقضاء، احسان أول الى احسان يقتضى الحمد عند تمام الإحسان و الأخذ فى الآخر، كما قال تعالى «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» «۱».

و قيل: إن هذه الآية تدل على الصلوات الخمس فى اليوم و الليلة، لأن قوله «حِينَ تُمْسُونَ» يقتضى المغرب و العشاء الآخرة «وَ حِينَ تُصْبِحُونَ» يقتضى صلاة الفجر (و عشياً) يقتضى صلاة العصر (وَ حِينَ تُظْهِرُونَ) يقتضى صلاة الظهر- ذكره ابن عباس، و مجاهد-.

ثم اخبر تعالى انه الذى (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)

---

(۱) سورة ۱۰ يونس آية ۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۳۸

قال ابن عباس و ابن مسعود: معناه يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى فانه يخرج الإنسان و هو الحى من النطفة، و هى الميتة، و يخرج الميتة و هى النطفة من الإنسان و هو حى. و قال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، و الكافر من المؤمن.

و قوله (وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) اى يحييها بالنبات بعد جدوبها، و لا يجوز أن يكون المراد إحياء الأرض حقيقة، كما لا يكون الإنسان أسداً حقيقة إذا قيل فلان اسد، لأنه يراد بذلك التشبيه و الاستعارة، فكذلك احياء الأرض بعد موتها، كأنها تحيا بالنبات الذى فيها. و قوله (وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ) قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً و الأعشى من طريق الطبرى- بفتح التاء- أضاف الفعل الذى هو الخروج اليهم. الباقون- بالضم- بمعنى يخرجهم الله، و المعنيان قريبان، لأنهم إذا أخرجوا، فقد خرجوا، و المعنى مثل ما يخرج النبات من الأرض كذلك يخرجكم الله بعد ان لم يكن كذلك، تخرجون الى دار الدنيا بعد ان لم تكونوا، و يعيدكم يوم القيامة بعد ان كنتم قد اعدمكم الله أى لا يشق عليه ذلك، كما لا يشق عليه هذا.

ثم قال تعالى (و من آياته) أى أدلته الواضحة (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ) يعنى انه خلق آدم الذى هو أبوكم و أصلكم- فى قول قتادة و غيره- (ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) من نسله و ذريته، و (تتفرقون) فى أطراف الأرض فهلا دلكم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى؟ و انه الذى يستحق العبادة دون غيره من جميع خلقه.

و فى هذه الآيات- دلالة واضحة على صحة القياس العقلى، و حسن النظر بلا شك، بخلاف ما يقول قوم: ان النظر باطل. فأما دلالته على القياس التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۳۹

الشرعى فبعيد لا يعوّل على مثله.

قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۲۳۹

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱) وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (۲۲) وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۲۳) وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢۴) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢۵)

خمس آيات بلا خلاف.

روى حفص عن عاصم «العالمين» بكسر اللام الأخيرة. الباقون بفتحها فمن كسرها أسند (الآيات) الى العلماء، لأنهم الذين ينظرون فيها، و يعتبرون بها، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «١» و من فتح اللام أسند (الآيات) الى جميع

---

(١) سورة ٢ البقرة ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢۴٠

المكلفين الذين يتمكنون من الاستدلال بها و الاعتبار بها، سواء كانوا عالمين بها او جاهلين، لأن الإمكان حاصل لجميعهم و هو أعظم فائدة.

يقول اللَّه سبحانه مخاطباً لخلقه منبهاً لهم على توحيده و إخلاص العبادة له ب «أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها» و النفس هى الذات فى الأصل ثم يستعمل على وجه التأكيد لقولهم: رأيت زيداً نفسه، و يعبر بها عن الروح و غير ذلك. و قد بيناه «١» و قال قتادة المعنى- هاهنا- أنه خلقت حواء من ضلع آدم. و قال غيره: المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجاً، و قال الجبائى: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم. قال البلخى: و ذلك يدل على قوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها، فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً» «٢» انه يريد بعض الخلق دون بعض. و الزوجة المرأة التى وقع عليها عقد النكاح. و الزوج الرجل الذى وقع عليه عقد النكاح.

و قد يقال: للمرأة زوج إذا لم يلبس للاشعار بأنهما نظيران فى عقد النكاح عليهما قال اللَّه تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» «٣» و قوله (لِتَسْكُنُوا إِلَيْها) يعنى سكون إنس و طمأنينة، بأن الزوجة من النفس إذ هى من جنسها و من شكلها فهو أقرب الى الالفة و الميل بالمودة منها لو كانت من غير شكلها.

و قوله (وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً) أى جعل بينكم رقة التعطف إذ كل واحد من الزوجين يرق على الآخر رأفة العطف عليه، بما جعله اللَّه فى قلب كل واحد لصاحبه ليتم سروره.

---

(١) انظر ۵/ ۶٣- ۶۴.

(٢) سورة ٧ الاعراف آية ١٨٨.

(٣) سورة ٢ البقرة آية ٣۵ و سورة ٧ الاعراف آية ١٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢۴١

ثم قال (إن فى ذلك) يعنى فى خلق الازواج مشاكلة للرجال (لآيات) أى لدلالات واضحات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك و يعتبرون به، و الفكر و الاعتبار و النظر واحد، فالفكر فى أن الازواج لأى شيء خلقت؟ و من خلقها؟

و من أنعم بها؟ و من جعلها على الأحوال التى يعظم السرور بها؟ و كيف لا يقدر احد من العباد على ذلك؟ و ذلك من أعظم الدلالة على أن لها خالقاً مخالفاً لها و منشئاً حكيماً يستحق العبادة، و لا يستحقها غيره.

ثم نبه على آية أخرى فقال (و من آياته) الدالة على توحيده و وجوب اخلاص العبادة له «خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و ما فيهما من عجائب خلقه من النجوم و الشمس و القمر و جريانها على غاية الحكمة و النظام الذى يعجز كل أحد عنها و بما فى الأرض من أنواع الأشجار و النبات و أصناف الجمادات التى ينتفع بها و فنون النعم التى يكثر الانتفاع بها «وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ» فالالسنة جمع

لسان، و اختلافها ما بناها اللّه تعالى، و هيأتها مختلفة فى الشكل و الهيئة و تأتى الحروف بها «وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ» أى اختلاف مخارجها التى لا يمكن الكلام إلا بكونها كذلك. و قال قوم المراد بالالسنة اختلاف اللغات، و هو جواب من يقول: إن اللغات أصلها من فعل اللّه دون المواضعة. فأما من يقول: اللغات مواضعة فان تلك المواضعة من فعلهم دون فعل اللّه، غير أنه لما كانت الآلات التى تتأتى بها هذه الضروب لا يقدر على تهيئها كذلك غير اللّه جاز أن تضاف اللغات اليه تعالى على ضرب من المجاز «وَ أَلْوانِكُمْ» أى و اختلاف ألوانكم من البياض و الحمرة و الشقرة و الصفرة، و غير ذلك «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ» أى إن فى خلق جميع ذلك لدلالات واضحات لجميع خلقه الذين خلقهم، و أكمل عقولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۲۴۲

و من كسر اللام أضاف الاعتبار بها الى العلماء، لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم فكأنها خلقت لهم دون غيرهم، كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «۱» و إن كانت لجميع المكلفين.

ثم قال «و من آياته» الدالة على توحيده و اخلاص العبادة له (مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ) فالمنام و النوم واحد، لان فى النوم راحة للأجساد من الكد الذى يلحقها، و التعب الذى يصيبها (و ابتغاؤكم) أى طلبكم المعاش و ما ينفعكم (من فضله) أى مما يتفضل اللّه به عليكم. قال البلخى: و يجوز ان يكون المراد بالابتغاء المبتغى، فلذلك كان دلالة عليه دون فعل العباد، و انما يكون فعل اللّه دلالة عليه لما كان باقداره و إهدائه الى مراشده و ترغيبه فيه و تسهيله له (إن فى) خلق اللّه تعالى (ذلك لآيات) واضحات على توحيده (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) ذلك و يقبلونه و يفكرون فيه، لأن من لا يفكر فيه و لا ينتفع به كأنه لم يسمعه.

ثم قال (وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً) و البرق نار تحدث فى السحاب، بين تعالى أنه إنما يخلقه ليخافوا من عذابه بالنار على معصيته و الكفر به، و يطمعوا فى ان يتعقب ذلك مطر فينتفعون به (وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً) يعنى غيثاً و مطراً (فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها) أى بعد انقطاع الماء عنها و جدوبها. و قيل: (خوفاً) من المطر فى السفر (و طمعاً) فيه فى الحضر.

و قيل: (خوفاً) من الصاعقة (و طمعاً) فى الغيث (إن فى) خلق اللّه (ذلك لآيات) أى دلالات واضحة (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) أى يفكرون فيه، لان من لا يفكر فيه و لا ينتفع به و إن كان عاقلا، فكأنه لا عقل له. و قيل:

---

(۱) سورة ۲ البقرة آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۲۴۳

فى قوله (وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ) ثلاثة أقوال:

أحدهما- ان تقديره و من آياته أن يريكم. فحذف (أن) كما قال طرفة:

ألا ايهذا اللائمى احضر الوغى و أن اشهد اللذات هل انت مخلدى «۱»

الثانى- انه حذف (أنه) لدلالة (من) عليها، كما قال الشاعر:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و اخرى ابتغى العيش اكدح «۲»

أى فتارة أموت. و فى الآية حذف تقديره: و من آياته آية يريكم البرق.

الثالث- و يريكم البرق من آياته على التقديم و التأخير من غير حذف.

ثم قال (و من آياته) الدالة على ما ذكرناه (أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بلا دعامة تدعمها و لا علاقة تعلق بها، بل لان اللّه تعالى يسكنها حالا بعد حال لأعظم دلالة على أنه لا يقدر عليه سواه (ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) أى أخرجكم من الأرض من قبوركم بعد أن كنتم أمواتاً يبعثكم ليوم الحساب فعبر عن ذلك بما هو بمنزلة الدعاء، و بمنزلة (كُنْ فَيَكُونُ) فى سرعة تأتى ذلك، و امتناع التعذر عليه، و إنما ذكر هذه المقدورات على اختلافها و عظم شأنها ليدل على انه القادر الذى لا يعجزه شيء. و فى الآيات دلالة واضحة على فساد مذهب القائلين بان المعارف ضرورية لأنها لو كانت ضرورة لم يكن للتنبيه على هذه الأدلة وجه و لا فائدة فيه لان

ما يعلم ضرورة لا يمكن الاستدلال عليه.

(١) ديوانه (دار بيروت) ٣٢ و قد مر فى ١/ ٣٢٧ من هذا الكتاب.

(٢) قائله ابن مقبل، الكتاب لسيبويه و قد مر فى ٣/ ٢١٢ و ۴/ ٧٧ من هذا الكتاب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢۴۴

قوله تعالى:[سورة الروم (٣٠): الآيات ٢۶ الى ٣٠] ..... ص : ٢۴۴

وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (٢۶) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِي ما رَزَقْناكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَواءٌ تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى بعد أن ذكر ما يدل على توحيده، و إخلاص العبادة له أن (لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) من العقلاء فانه يملكهم و يملك التصرف فيهم، و ليس لاحد منعه منه و الاعتراض عليه، و خص العقلاء بذلك لأن ما عداهم فى حكم التبع.

ثم اخبر عن جميع من فى السموات و الأرض بأنهم قانتون له. قال مجاهد: التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢۴۵

معناه مطيعون و قال ابن عباس: معناه مصلون. و قال عكرمة: مقرون له بالعبودية. و قال الحسن: كل له قائم بالشهادة فالقانت الدائم على أمر واحد فالملائكة و غيرهم من المؤمنين دائمون على أمر واحد فى الذلة للَّه فى لزوم الطاعة للَّه تعالى، و الكافرون و غيرهم من الفساق دائمون على أمر واحد فى الذلة لله- عز و جل- إلا أن منهم من هو بخلقته و فعله، و منهم من هو بخلقته.

ثم قال تعالى (وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ) اى يخترعهم ابتداء و ينشئهم «ثُمَّ يُعِيدُهُ» إذا أعدمه (وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) قال ابن عباس و قتادة و مجاهد:

اى هو أيسر، و كل هين. و روى عن ابن عباس ايضاً: ان معناه و هو هين عليه، ف (افعل) بمعنى (فاعل) و قال بعضهم (وَ هُوَ أَهْوَنُ) على الخلق، لأن الإنشاء أولا من نطفة الى علقة و من علقة الى مضغة على التدريج، و فى الاعادة يعادون دفعة واحدة. و حكى عن ابن عباس: انه قال المعنى و هو أهون عليه عندكم، لأنكم أقررتم بأنه يبدؤ الخلق، فاعادة الشيء عند المخلوقين أهون من ابتدائه، قال الشاعر- فى أهون بمعنى هين:

تمنى رجال أن أموت و ان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد «١»

أي بواحد. و قال الراجز:

قبحتموا يا آل زيد نفرا الام قوم أصغراً و اكبرا

أي صغيراً و كبيراً، و قال معن بن أوس:

لعمرك ما ادرى و انى لاوجل على أينا تعدو المنية أول «٢»

أي لواجل. و اللَّه أكبر بمعنى كبير. و يقال للسلطان: الأعظم

(١) قد مر فى ٧/ ١۶١. [.....]

(۲) قد مر فی ۵/ ۹۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۲۴۶

بمعنی عظیم.

و قوله (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) قال قتادة و هو قول:

لا- إله إلا اللَّه وحده لا شریک له، لأنه دائم فی السموات و الأرض، یقول الثانی فیه کما قال الأول. و قیل: المعنی و له الصفة العلیا، لأنها دائرة یصفه بها الثانی کما یصفه بها الأول. و قیل: النشأة الثانیة یا أهل الکفر ینبغی أن تکون أهون علیه. ثم قال (وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فذلک دلیل علی انه مثل ضربه اللَّه.

ذکره الفراء.

و قوله (وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ) یعنی فی انتقامه من أعدائه، الحکیم فی تدبیره لخلقه. ثم قال (ضَرَبَ لَکُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِکُمْ هَلْ لَکُمْ مِنْ ما مَلَکَتْ أَیْمانُکُمْ مِنْ شُرَکاءَ فِی ما رَزَقْناکُمْ فَأَنْتُمْ فِیهِ سَواءٌ) المعنی إنکم إذا لم ترضوا فی عبیدکم أن یکونوا شرکاء لکم فی أموالکم و أملاککم، فکیف ترضون لربکم ان یکون له شرکاء فی العبادة!!. و قال قتادة: کما لا ترضون أن یکون عبیدکم شرکاءکم فی فراشکم و أزواجکم کذلک لا ترضوا فی ربکم الذی خلقکم أن یعدل به أحد من خلقه فیشرک بینهما فی العبادة.

و قوله (تَخافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ) قال ابو مخلد: معناه تخافون عبیدکم أن یشارکوکم فی أموالکم کما تخافون الشریک من نظرائکم. و قیل: تخافون ان یرثوکم کما یرث بعضکم من بعض- ذکره ابن عباس- و قیل: معناه تخافونهم کخیفتکم أنفسکم فی إتلاف المال بإنفاقه.

ثم قال (کَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ) أی کما میزنا لکم هذه الأدلة نفصل الأدلة لقوم یعقلون، فیتدبرون ذلک و یفکرون فیها.

و قال سعید ابن جبیر: کان اهل الجاهلیة إذا لبوا قالوا: لبیک اللهم لبیک لا شریک التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۲۴۷

لک إلا شریک هو لک تملکه و ما ملک. فأنزل اللَّه الآیة رداً. علیهم و إنکار لقولهم ثم قال تعالی (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ بِغَیْرِ عِلْمٍ) معناه إن هؤلاء الکفار لم یتفکروا فی أدلة اللَّه، و لا انتفعوا بها بل اتبعوا أهواءهم و شهواتهم بغیر علم منهم بصحة ما اتبعوه.

ثم قال (فَمَنْ یَهْدِی مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) و قیل: المعنی من یهدی الی الثواب من أضله اللَّه عنه. و قیل: المعنی من یحکم بهدایة من حکم اللَّه بضلالته. ثم قال (وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِینَ) أی لیس لهم من ینصرهم و یدفع عذاب اللَّه إذا حل بهم.

ثم قال تعالی مخاطباً لنبیه صلی اللَّه علیه و آله و المراد به جمیع المکلفین (فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً) أمرهم اللَّه بأن یوجهوا عبادتهم الی اللَّه علی الاستقامة دون الاشراک فی العبادة. ثم قال (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها) قال مجاهد:

فطرة اللَّه الإسلام. و قیل: فطر الناس علیها و لها و بها بمعنی واحد، کما یقول القائل لرسوله: بعثتک علی هذا و لهذا و بهذا بمعنی واحد. و نصب (فِطْرَتَ اللَّهِ) علی المصدر، و قیل تقدیره: اتبع فطرة اللَّه التی فطر الناس علیها، لأن اللَّه تعالی خلق الخلق للایمان، و منه قوله صلی اللَّه علیه و آله (کل مولود یولد علی الفطرة فأبواه یهودانه و ینصرانه و یمجسانه)

و معنی الفطر الشق ابتداء یقولون: أنا فطرت هذا الشیء ای أنا ابتدأته، و المعنی خلق اللَّه الخلق للتوحید و الإسلام.

و قوله (لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) قال مجاهد و قتادة و سعید بن جبیر و الضحاک و ابن زید و ابراهیم: لا تبدیل لدین الله الذی أمرکم به من توحیده و عدله و إخلاص العبادة له، و هو قول ابن عباس و عکرمة. و قیل: المراد نفی التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۲۴۸

الخطأ. ثم قال (ذلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ) أی ما بیناه من التوحید و العدل و اخلاص العبادة لله هو الدین القیم أی المستقیم الذی یجب اتباعه (وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ) صحة ذلک لعدولهم عن النظر فیه.

قوله تعالی: [سورة الروم (۳۰): الآیات ۳۱ الی ۳۵] ..... ص : ۲۴۸

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و ابن عامر (فارقوا) بألف و تخفيف الراء. الباقون بغير الف و تشديد الراء. من قرأ بألف أراد: فارقوا دينهم الذى أمروا باتباعه. و من شدد أراد: انهم اختلفوا فى دينهم.

قوله (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) نصب على الحال و تقديره فأقم وجهك للدين يا محمد أنت و المؤمنون منيبين الى اللّه، و لا يجوز أن يكون حالا من (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها) لأنه ما فطرهم منيبين، و الانابة الانقطاع الى اللّه تعالى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٤٩ بالطاعة و أصله على هذا القطع. و منه الناب، لأنه قاطع، و أناب فى الأمر إذا نشب فيه، كما ينشب الناب المقاطع، و يجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة، فيكون على هذا الانابة التوبة التى يجددها مرة بعد مرة.

ثم قال (و اتقوه) أى اجتنبوا معاصيه، و اتقوا عقابه (وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ) التى أمركم اللّه تعالى بها أى دوموا عليها، و قوموا بأدائها، فالصلاة و إن كانت فى حكم المجمل، و لم يبين شروطها- فى الآية- فقد أحال على بيان النبى صلى اللّه عليه و آله هذا إذا أراد بالصلاة تعريف الجنس، و إن أراد العهد الذى استقر فى الشرع، فهو على ما قد استقر فى الشرع (وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نهى لهم عن أن يكونوا من جملة. من أشرك بعبادة اللّه سواه، ثم قال (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً) قال الفراء: يجوز ان يكون التقدير: و لا تكونوا من المشركين من جملة الذين فرقوا دينهم، و يجوز أن يكون من الذين فرقوا ابتداء، و تقديره الذين تفرقوا و كانوا شيعاً (كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فالتفريق جعل أحد الشيئين مفارقاً لصاحبه و ضده الجمع، و هو جمع أحد الشيئين الى صاحبه، فتفريق الدين جعل أحدهما ليس مع الآخر فى معنى ما يدعو اليه العقل، و هو منكر لمخالفته داعى العقل، و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء، و دين الإسلام العمل الذى عليه الثواب. و لو جمعوا دينهم فى أمر اللّه و نهيه لكانوا مصيبين، و لكنهم فرقوا بإخراجه عن حد الأمر و النهى من اللّه و كانوا بذلك مبطلين خارجين عن الحق الذى أمر اللّه به. و من قرأ (فارقوا) بألف أراد: فارقوا دينهم الذى أمرهم اللّه باتباعه. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥٠

و قوله (وَ كانُوا شِيَعاً) أى فرقاً، و الشيع الفرق التى يجتمع كل فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، و شيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق. و كذلك شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هم الذين اجتمعوا معه على الحق و قال قتادة: المعنى بقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) اليهود و النصارى، و قال غيره: كل من خالف دين الحق الذى أمر اللّه به داخل فيه و هو أعم فائدة.

ثم اخبر تعالى ان (كل حزب) أى كل فريق (بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) من الاعتقاد الذى يعتقدونه يسرون به لاعتقادهم أنه الحق دون غيره.

و قوله «وَ إِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» قال الحسن: إذا أصابهم مرض او فقر دعوا اللّه تعالى راجعين اليه مخلصين فى الدعاء له «ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر نعمة منه تعالى عليهم «إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى يعودون الى عبادة غير اللّه بخلاف ما يقتضى العقل فى مقابلة النعمة بالشكر. ثم بين أنهم يفعلون ذلك «لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ» أى بما آتاهم اللّه من نعمه. ثم قال تعالى مهدداً لهم «فَتَمَتَّعُوا» أى انتفعوا بهذه النعم الدنيوية كيف شئتم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» ما فيه من كفركم و معصيتكم أى تصيرون فى العاقبة الى عذاب اللّه و أليم عقابه.

و قوله «أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً» اى هل أنزلنا عليهم برهاناً و حجة يتسلطون به على ما ذهبوا اليه، و يحتمل أن يكون المراد هل أرسلنا اليهم رسولا- فإذا حمل على البرهان، فهو بمنزلة الناطق بالأمر لإظهاره إياه. و قوله «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» اى هل أنزلنا عليهم سلطاناً اى رسولا يتكلم بأنا أرسلناه بما يدعونه من الاشراك مع الله فى العبادة، فإنهم لا يقدرون على ذلك و لا يمكنهم ادعاء حجة عليه و لا برهان، و الكلام و إن خرج مخرج التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥١

الاستفهام فالمراد به التبکیت.

قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآیات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۲۵۱

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ إِذا هُمْ یَقْنَطُونَ (۳۶) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنَّ اللَّهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ وَ یَقْدِرُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۳۷) فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ ذلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُرِیدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۳۸) وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ رِباً لِیَرْبُوَا فِی أَمْوالِ النَّاسِ فَلا یَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاةٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (۳۹) اللَّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ ثُمَّ رَزَقَکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا یُشْرِکُونَ (۴۰)

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ نافع و ابو جعفر «لتربوا» بالتاء و سکون الواو، الباقون بالیاء و فتح الواو، و قرأ ابن کثیر «و ما أتیتم من ربا» بالقصر. الباقون بالمد. و اتفقوا على المد فی قوله «وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاةٍ» و قرأ حمزة و الکسائی و خلف «عَمَّا یُشْرِکُونَ» بالیاء. الباقون بالتاء. قال ابو علی: المعنى و ما آتیتم من هدیة التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۲۵۲

أهدیتموها لتعوضوا اکثر منها، فلا یربو عند اللَّه، لأنکم قصدتم زیادة العوض دون وجه اللَّه، و هو کقوله «وَ لا تَمْنُنْ تَسْتَکْثِرُ» «۱» فمن مدّ أراد أعطیتم من قوله «فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْیا» «۲» و من قصره فالمعنى یؤل الى قول من مد إلا انه على لفظ (فعلتم) و مدهم لقوله «وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاةٍ» فلقوله «وَ إِیتاءِ الزَّکاةِ» «۳» و لو قال أتیت الزکاة لجاز أن یعنى به: فعلتها و لکن لفظ القرآن على الإیتاء. و من ضم «لتربوا» فالمعنى لتصیروا ذوی زیادة فی ما آتیتم من أموال الناس أی یستدعونها من أربى إذا صار ذا زیادة مثل أقطف و اضرب. و من فتح أسند الفعل الى الربوا المذکور و قدر المضاف، فحذفه کما قیل: اجتذاب أموال الناس و اجتلابه. و یجوز ذلک. و سمى هذا المدفوع على هذا الوجه ربا لما کان فیه من الاستزادة.

یقول اللَّه تعالى مخبراً عن خلقه بأنه إذا أذاقهم رحمة من عنده بأن ینعم علیهم بضروب النعم و یصح أجسامهم و یدرّ أرزاقهم و یکثر مواشیهم و غیر ذلک من النعم، إنهم یفرحون بذلک و یسرون به ف (إذا) شرط و جوابه «فَرِحُوا بِها» و إنما جاء الجزاء ب (إذا) و لم یجیء ب (حین)، لأن (إذا) أشبه بالفاء من جهة البناء، و الزم للفعل من جهة أنه لا یضاف الى مفرد، فصار بمنزلة الفاء فی ترتیب الفعل، و لیس کذلک (حین). و شبه إدراک الرحمة بإدراک الطعم، فسماه ذوقاً. «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَیِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ» هو اخبار منه تعالى أنه إن أصابهم عذاب من اللَّه تعالى جزاء على ما کسبته أیدیهم «إِذا هُمْ یَقْنَطُونَ»

---

(۱) سورة ۷۴ المدثر آیة ۶.

(۲) سورة ۳ آل عمران آیة ۱۴۸.

(۳) سورة ۲۴ النور آیة ۳۷ و سورة ۲۱ الأنبیاء آیة ۷۳.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۲۵۳

أی ییأسون من رحمة اللَّه، و القنوط الیأس من الفرج، قال جهد الأرقط:

قد وجدوا الحجاج غیر قانط «۱»

و إنما قال «بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ» و لم یقل بما قدموا على التغلیب للاکثر الأظهر، لان اکثر العمل و أظهره للیدین، و العمل بالقلب و إن کان کثیراً فهو أخفى، و انما یغلب الأظهر. و یجوز أن یکون ما یصیبهم- من مصائب الدنیا و الآلام بها- بعض العقاب، فلذلک قال «بِما قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ» و یجوز ان یکون لما فعلوا المعاصی اقتضت المصلحة أن یفعل بهم ذلک، و إن لم یکن عذاباً.

ثم قال تعالى منبهاً لهم على توحيده «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى او لم يفكروا فيعلموا «أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» اى يوسعه «لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ» اى و يضيق على من يشاء على حسب ما تقتضيه مصالحهم، و بسط الرزق الزيادة على مقدار القوت منه بما يظهر حاله، و اصل البسط نشر الشيء بما يظهر به طوله و عرضه، و بسط الرزق مشبه به. ثم قال «إِنَّ فِي ذلِكَ» يعنى فى البسط للرزق لقوم و تضييقه لقوم آخرين «لَآياتٍ» اى لدلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» باللَّه، لأنهم يعلمون ان ذلك من فضل اللَّه الذى لا يعجزه شيء.

ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال «فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» اى أعط ذوى قرباك يا محمد حقوقهم التى جعلها اللَّه لهم فى الأخماس- و هو قول مجاهد- و

قيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى اللَّه عليه و آله اعطى فاطمة فدكاً، و سلمه اليها- روى ذلك ابو سعيد الخدرى و غيره- و هو المشهور عن أبى جعفر، و أبى عبد اللَّه عليهما السلام.

و قال السدى: الآية نزلت فى قرابة النبى صلى اللَّه عليه و آله. و قال قوم:

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٢٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥٤

المراد به قرابة كل انسان. و الأول اظهر، لأنه خطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله «وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» تقديره و أعط- ايضاً- المسكين، و هو الفقير، و ابن السبيل و هو المنقطع به، حقوقهم التى جعلها الله لهم فى الصدقات و غيرها، و الخطاب و إن كان متوجهاً الى النبى صلى اللَّه عليه و آله فهو متوجه الى جميع المكلفين.

ثم قال «ذلِكَ خَيْرٌ» يعنى إعطاء الحقوق المستحقة خير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» بالإعطاء دون الرياء و السمعة «وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بثواب اللَّه. ثم قال «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِي أَمْوالِ النَّاسِ» قال ابن عباس:

هو إعطاء الرجل العطية ليعطى اكثر منها لأنه لم يرد بها طاعة اللَّه. و قال ابن عباس: و ابو جعفر الربوا رباءان أحدهما- حلال، و الآخر حرام، فالأول هو ان يعطى الإنسان غيره شيئاً لا يطلب اكثر منه فهو مباح، و لا يربوا عند اللَّه. و الآخر- الربوا الحرام. و قال ابن طاوس عن أبيه: إذا أهدى الرجل الهدية ليهدى له أفضل منها فليس فيه أجر و لا وزر، و كلما فعله الفاعل على أنه حسن للشهوة فليس فيه حد و لا أجر، و شهوته و شهوة غيره فى هذا سواء، و قيل: المعنى فى الآية التزهيد فى الربو، و الترغيب فى إعطاء الزكاة. و قال الحسن:

هو كقوله «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ» «١» و لا خير فى العطية إذا لم يرد بها وجه اللَّه. و قال الجبائى: و ما أتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم «فَلا يَرْبُوا» لأنه لا يملكه المرابى بل هو لصاحبه، و لا يربو «عِنْدَ اللَّهِ» لأنه يستحق به العقاب، و إعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة فمنه إعطاؤه على وجه الصدقة.

و منه إعطاؤه على وجه الهدية. و منه الصلة. و منه الودائع. و من ذلك قضاء

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥٥

الدين، و منه البر و منه الزكاة. و منه القرض. و منه النذر و غير ذلك.

ثم قال «وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» أى ما أخرجتموه على وجه الزكاة و أعطيتموه أهله تريدون بذلك وجه الله دون الربو «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» أى يضاعف لهم الحسنات كقوله «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «١» و قال الكلبى: تضاعف أمواله فى الدنيا، فالمضعف ذو الاضعاف كما أن الميسر ذو اليسار.

ثم خاطب تعالى خلقه فقال «اللَّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ» بعد ان لم تکونوا موجودین «ثُمَّ رَزَقَکُمْ» من أنواع الملاذ و ملککم التصرف فیها و أباحها لکم «ثُمَّ یُمِیتُکُمْ» بعد ذلک إذا شاء لیصح ایصالکم الی ما عوضکم له من الثواب «ثُمَّ یُحْیِیکُمْ» لیجازیکم علی أفعالکم علی الطاعات بالثواب و علی المعاصی بالعقاب «هَلْ مِنْ شُرَکائِکُمْ» الذین عبدتموهم من دون الله «مَنْ یَفْعَلُ مِنْ ذلِکُمْ مِنْ شَیْءٍ» أو یقدر علیه فیجوز لذلک توجه العبادة الیه فإنهم لا یقدرون علی أن یقولوا:

نعم یقدرون علیه و انما یعترفون بعجزها عن ذلک، فیعلموا عند ذلک انها لا تستحق العبادة فلذلک نزه نفسه عقیب ذلک عن أن یشرک معه فی العبادة و یتخذ معه معبوداً سواه فقال «سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمَّا یُشْرِکُونَ» فمن قرأ بالیاء وجه الخطاب الی الغائب. و من قرأ بالتاء وجهه الی المخاطبین، و فی ذلک تنبیههم علی وجوب ضرب الأمثال لله تعالی دون غیره من المخلوقات.

قوله تعالی:[سورة الروم (٣٠): الآیات ٤١ الی ٤٥] ..... ص : ٢٥٥

ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما کَسَبَتْ أَیْدِی النَّاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلُ کانَ أَکْثَرُهُمْ مُشْرِکِینَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ یَوْمَئِذٍ یَصَّدَّعُونَ (٤٣) مَنْ کَفَرَ فَعَلَیْهِ کُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ یَمْهَدُونَ (٤٤) لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا یُحِبُّ الْکافِرِینَ (٤٥)

---

(١) سورة ٦ الانعام آیة ١٦٠.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥٦

خمس آیات بلا خلاف.

قرأ ابن کثیر- فی روایة ابن مجاهد- عن قنبل و روح «لنذیقهم» بالنون. الباقون بالیاء. فمن قرأ بالنون فعلی وجه اخبار الله عن نفسه أنه الذی یذیقهم. و من قرأ بالیاء فالمعنی لیذیقهم الله بعض الذی عملوا.

یقول الله تعالی «ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» قیل: فساد البر هو ما یحصل فیها من المخاوف المانعة من سلوکه، و یکون بخذلان الله عز و جل لأهل العقاب به، و فساد البحر اضطراب أمره حتی لا یکون متصرفاً فیه، و کل ذلک لیرتدعوا عن معاصیه. و قال قتادة: المعنی ظهر الفساد فی أهل البر و البحر فأهل البر أهل البادیة و أهل البحر أهل القری الذین علی الأنهار العظیمة و یکون قوله «بِما کَسَبَتْ أَیْدِی النَّاسِ» معناه یخلی الله بینهم و بین المعاصی جزاء علی ما سبق منهم من المعاصی. و قال مجاهد: البر ظهر الأرض و البحر هو

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌٨، ص: ٢٥٧

البحر المعروف، لأنه یؤخذ فیه کل سفینة غصباً. و قیل: البر الأرض القفر و البحر المجری الواسع للماء عذباً کان أو ملحاً، و سمی البر براً، لأنه یبر بصلاح المقام فیه خلاف البحر، و منه البر لأنه یبرّ بصلاحه فی الغذاء أتم الصلاح.

و قیل: الفساد المعاصی و دلیله قوله تعالی «وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ» «١» و التقدیر.

ظهر عقاب الفساد فی البر و البحر، و الظهور خروج الشیء الی حیث یقع علیه الاحساس و العلم به بمنزلة الإدراک له. و قد یظهر الشیء بخروجه عن وعاء أو وجوده عن عدم أو ظهوره بدلیل. و قیل: بالعدل ینبت الله الزرع و یدر الضرع، و بالظلم یکون القحط و ضیق الرزق، و قوله «بِما کَسَبَتْ أَیْدِی النَّاسِ» أی جزاء علی ما فعله الناس. و الکسب فعل الشیء لاجتلاب نفع الی نفس الفاعل أو دفع ضرر عنه، فالقادر لنفسه یقدر علی مثله فی الحالتین لاجتلاب نفع الی غیره أو دفع ضرر عنه، غیر انه لا یوصف بهذه الصفة و إن قدر علی مثله. و قوله «لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا» معناه لیصیبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التی عملوها من المعاصی «لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ» أی لیرجعوا عنها فی المستقبل، و تقدیره فعل الله تعالی القحط و الشدائد و الجدب و قلة الثمار و هلاک النفوس عقوبة علی معاصیهم

ليذيقهم بذلك عقاب بعض ما عملوا من المعاصى ليرجعوا عنها فى المستقبل، ليذيقهم عقابه غير انه اجرى على بعض العمل لأنهم بذواقهم جزاءه كأنهم ذاقوه، و هذا من الحذف الحسن، لأنه حذف المسبب و إقامة السبب الذى أدى اليه مقامه.

ثم بين تعالى انه فعل بهم هذا ليرجعوا عن معاصيه الى طاعته.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٠٥

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٥٨

ثم خاطب تعالى نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال له «قُلْ» لهم يا محمد «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ» أى فكروا فيمن تقدم من الأمم التى أشركت باللّه أكثرهم، و المؤمنون كانوا قليلين فيهم كيف أهلكهم اللّه و دمر عليهم.

ثم قال لنبيه صلى اللّه عليه و آله «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» و معناه استقم للدين المستقيم بصاحبه الى الجنة أى لا يعدل عنه يميناً و لا شمالا، فإنك متى فعلت ذلك أداك الى الجنة، و هو مثل قوله «ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» «١» مجانس فيه للبلاغة و منه قوله «يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ» و منه «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ». «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أى استقيموا على الطريق المستقيم قبل يوم القيامة الذى تتفرقون فيه فرقتين، فريق فى الجنة و فريق فى السعير- ذكره قتادة- و قال الحسن:

الدين القيم الطاعة لله.

ثم قال «مَنْ كَفَرَ» بالله و جحد نعمه «فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى فعليه جزاء كفره لا يعاقب أحد بذنب غيره، كما قال «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى «٢» «وَ مَنْ عَمِلَ صالِحاً» يعنى الايمان بالله و أفعال الطاعات «فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» و التمهيد و التمكين و التوطيد نظائر أى ثواب ذلك واصل اليهم و تتمهد أحوالهم الحسنة عند الله. و قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْ فَضْلِهِ» اخبار منه تعالى أنه الذى يجزى الذين يطيعون الله تعالى و يجتنبون معاصيه ثواب الجنة

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ١٢٨.

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦۴ و سورة ١٧ الإسراء آية ١٥ و سورة ٣٥ فاطر آية ١٨ و سورة ٣٩ الزمر آية ٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٥٩

من فضله على خلقه «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ» أى لا يريد منافعهم و لا ثوابهم، و انما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

قوله تعالى:[سورة الروم (٣٠): الآيات ۴۶ الى ۵٠] ..... ص : ٢۵٩

وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۴۶) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (۴٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (۴٨) وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (۴٩) فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۵٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو جعفر و ابن ذكوان «كسفاً» بسكون السين. الباقون بتحريكها.

و قرأ اهل الكوفة و ابن عامر «الى آثار» على الجمع و آماله الكسائى إلا أبا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٦٠
الحارث. الباقون على التوحيد. من سكن السين من كسف أراد جمع كسفة و هى القطعة الواحدة من السحاب، مثل سدرة و سدر. و يحتمل ان يكون الضمير فى (خلاله) راجعاً اليه. و يحتمل ان يكون راجعاً الى الخلال. و من فتح السين أعاد الضمير الى السحاب لا غير. و من أفرد «اثر» فلأنه مضاف الى مفرد و جاز الجمع لان (رحمة الله) يجوز ان يراد بها الكثرة.

يقول الله تعالى إن من الأدلة الدالة على توحيدى و وجوب اخلاص العبادة لى إرسال الرياح مبشرات بالغيث و المطر. و إرسال الرياح تحريكها و اجراؤها فى الجهات المختلفة تارة شمالا و تارة جنوباً وصبا، و أخرى دبوراً على حسب ما يريده الله و يعلم فيه من المصلحة، و ذلك لا يقدر عليه غيره تعالى، لأن العباد و إن قدروا على جنس الحركة فلو اجتمع جميع الخلائق من الجن و الانس على أن يردوا الريح إذا هبت شمالًا الى كونها جنوباً و إذا هبت جنوباً الى كونها شمالا او صبا او دبوراً لما قدروا عليه، فمن قدر على ذلك يعلم أنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء مستحق للعبادة خالصة له، و انما سماها مبشرات، لأنها بمنزلة الناطقة إذا بشرت بأنه يجيء مطر و غيث يحيي به الأرض لما فيها من إظهار هذا المعنى و دلالتها على ذلك بجعل جاعل، لأنه من طريق العادة التى أجراها الله تعالى.

و قوله «وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» معطوف على المعنى، و تقديره أن يرسل الرياح للبشارة و الاذاقة من الرحمة «وَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ» بها «بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى تطلبوه، فارسال الرياح لهذه الأمور، و معنى «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لتشكروا اللَّه على نعمه، و إنما اتى بلفظ (لعلكم) تلطف فى الدعاء الى الشكر كالتلطف فى الدعاء الى البر، فى قوله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٦١
حَسَناً»

«١» ثم خاطب نبيه صلى اللَّه عليه و آله على وجه التسلية عن قومه فى تكذيبهم إياه فقالَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ»

يا محمدُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ»

يعنى بالمعجزات، و فى الكلام حذف، لأن تقديره فكذبوهم و جحدوا بهم فاستحقوا العذابَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»

أى أوجبناه على نفوسنا أن ننصر المؤمنين من عبادنا.

ثم قال تعالى «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً» أى تنشئ سحاباً فانشاء السحاب و إن كان من فعل اللَّه لكن لما كان السحاب سبباً منه جاز أن يسند اليها «فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ» أى يبسط ذلك السحاب كيف شاء فى السماء من كثافة ورقة و غير ذلك «وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً» أى قطعاً- فى قول قتادة- «فَتَرَى الْوَدْقَ» يعنى المطر، قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها و لا أرض ابقل ابقالها «٢»

«يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ» يعنى من خلال السحاب «فَإِذا أَصابَ بِهِ» يعنى بذلك المطر «مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» أى يفرحون و يبشر بعضهم بعضاً به «وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ» المطر «مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ» اى قانطين يائسين- فى قول قتادة- و قوله «من قبله» فى الموضعين فيه قولان: أحدهما- انه للتوكيد. و الآخر من قبل الإرسال، و الأول من قبل الانزال. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين «فَانْظُرْ» يا محمد «إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» يحييها بالنبات بعد جدوبها

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٤٥ و سورة ٥٧ الحديد آية ١١.

(٢) مر هذا البيت فى ١/ ١٢٦ و ٥/ ٣٦١ و ٧/ ٤٤٦.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٦٢

«إِنَّ ذلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتى» أى مثل ذلك يحيى اللَّه الموتى بعد ان كانوا جماداً «وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى قادر و فيه مبالغة.

قوله تعالى:[سورة الروم (۳۰): الآيات ۵۱ الى ۵۵] ..... ص : ۲۶۲

وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (۵۱) فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (۵۲) وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآياتِنا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (۵۳) اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (۵۴) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ (۵۵)

ست آيات مدنى و خمس فى ما عداه عد المدنى «يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ» و لم يعده الباقون.

قرأ ابن كثير (و لا تسمع) بفتح التاء (الصم) رفعاً الباقون- بضم التاء- (الصم) نصباً. و هذا مثل ضربه اللَّه للكفار، و المعنى كما إنك يا محمد لا تسمع الميت لتعذر استماعه فكذلك لا تسمع الكفار، و المعنى انه لا ينتفع بسماعه، لأنه لا يعمل به، فإذا كان كذلك فالمعنيان متقاربان، لان المعنى إنك التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۶۳

لا تسمع الكافر ما فى القرآن من حكمة و موعظة، كما لا تسمع الأصم المدبر عنك.

و ضم التاء و نصب الميم أحسن لتشاكل ما قبله من اسناد الفعل اليك أيها المخاطب و حكم المعطوف يجب ان يكون مشاكلًا حكم المعطوف عليه. و قرأ عاصم و حمزة (من ضعف) بفتح الضاد فى الثلاثة. الباقون بالضم فيهن، و هما لغتان.

يقول اللَّه سبحانه (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً) مؤذنة بالهلاك (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) فالهاء يجوز أن يكون كناية عن السحاب، و تقديره فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك كان غير ممطر، و يحتمل أن يكون راجعاً الى الزرع، و تقديره، فرأوا الزرع مصفراً- و الثانى قول الحسن- و جواب لئن فى الشرط أغنى عنه جواب القسم، لأن المعنى ليظلن كما أن (أرسلنا) بمعنى أن يرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين. و كان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط و لو تقدم الشرط لكان الجواب له، كقولك: ان أرسلنا ريحاً ظلوا و اللَّه يكفرون. و (الاصفرار) لون بين الحمرة و البياض، و هو من النبات الذى يصفر بالريح للجفاف و يحول عن حال الاخضرار، فيصير الى الهلاك و يقنط صاحبه الجاهل بتدبير ربه فى ما يأخذ به من الشدة بأمره تارة و الرخاء أخرى ليصح التكليف بطريق الترغيب و الترهيب، و معنى (ظل يفعل) أى جعل يفعل فى صدر النهار، و هو الوقت الذى فيه الى ظل الشمس. و (أضحى يفعل) نظير ظل يفعل إلا أنه كثر حتى صار بمنزلة (جعل يفعل).

ثم قال لنبيه «فَإِنَّكَ» يا محمد «لا تُسْمِعُ الْمَوْتى وَ لا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» شبه الكفار فى ترك تدبرهم لما يدعوهم اليه النبى صلى اللَّه عليه و آله تارة بالأموات و تارة بالصم، لأنهم لا ينتفعون بدعاء داع، لأنهم لا يسمعونه، التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۶۴

و كذلك من يسمع و لا يصغى و لا يفكر فيه، و لا يتدبره فكأنه لم يسمعه.

و قوله «إِذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» معناه إذا أعرضوا عن أدلتنا و عن الحق ذاهبين الى الضلال غير طالبين لسبيل الرشاد. و لذلك لزمهم الذم و صفة النقص.

و قوله «وَ ما أَنْتَ بِهادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ» معناه ليس فى هؤلاء حيلة أن يقبلوا الهداية فصار العمى بالضلال صنفين أحدهما- يطلب الهداية فهو يجدها عندك. و الآخر لا يطلب الهداية، فليس فيه حيلة. ثم قال (إن) يعنى ليس (تسمع إلا من يصدق بآياتنا و أدلتنا) لأنهم المنتفعون بدعائك و اسماعك (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) لك ما تدعوهم اليه.

ثم قال (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) و فيه لغتان- الضم، و الفتح- مثل الفقر و الفقر، و الكره و الكره، و الجهد و الجهد، و المعنى انه خلقهم ضعفاء لأنهم كانوا نطفاً، فحولهم الى أن صاروا أحياء أطفالا لا قدرة لهم (ثم جعل) لهم (مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) أى من بعد هذا الضعف (قوة) إذا شبوا و ترعرعوا و كملوا (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً) فى حال الشيخوخة و الشيب (يَخْلُقُ ما يَشاءُ) كيف

يشاء (وَ هُوَ الْعَلِيمُ) بما فيه مصالح خلقه قادر على فعله فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم.

ثم اخبر تعالى عن حال الكفار أنهم (يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ) انهم (ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ) و قيل: فى قسمهم بذلك مع أن معارفهم ضرورية قولان:

أحدهما- قال ابو بكر بن الأخشاد: ذلك يقع منهم قبل إكمال عقولهم. و يجوز قبل الإلجاء ان يقع منهم قبيح.

و الثانى- قال الجبائى: ان المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٦٥

(كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) أى يكذبون لأنه اخبار عن غالب الظن بما لا يعلمون قال: و لا يجوز أن يقع منهم القبيح فى الآخرة، لان معارفهم ضرورة. و قيل:

(كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ) فى دار الدنيا و يجحدون البعث و النشور مثل ما حلفوا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة، قال الفراء: و تقديره كما كذبوا فى الدنيا بالبعث كذلك يكذبون بقولهم ما لبثنا غير ساعة. و من استدل بذلك على نفى عذاب القبر فقد أبطل، لأن المراد أنهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلا ساعة.

قوله تعالى:[سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٢٦٥

وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ (٦٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة «لا ينفع» بالياء، لان تأنيث المعذرة غير حقيقى. الباقون التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٦٦

بالتاء، لان اللفظ لفظ التأنيث.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن الذين قد أعطاهم اللَّه العلم و آتاهم إياه بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له، و نظروا فيها فحصل لهم العلم، فلذلك أضافه الى نفسه لما كان هو الناصب للادلة الدالة على العلوم، و التصديق باللَّه و رسوله (لَقَدْ لَبِثْتُمْ) أى مكثتم (فِي كِتابِ اللَّهِ) و معناه إن لبثكم مذكور ثابت فى كتاب اللَّه بينه اللَّه فيه، فصار من أجل ان بيانه فى كتابه كأنه فى الكتاب، كما تقول كلما يكون فهو فى اللوح المحفوظ أى هو مبين فيه، و قيل (فِي كِتابِ اللَّهِ) أى فى كتابه الذى أخبرنا به، و اللبث لا- يكون إلا- فى المكان، كما لا يكون السكون إلا- فيه، و البقاء قد يكون لا- فى مكان، و لذلك يوصف تعالى بالباقى، و لا يوصف ب (لابث) و (إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ) يعنى يوم يبعث اللَّه فيه خلقه و يحشرهم. و اصل البعث جعل الشيء جاريا فى أمر، و منه انبعث الماء إذا جرى و انبعث من بين الأموات إذا خرج خروج الماء، و يوم البعث يوم إخراج الناس من قبورهم الى أرض المحشر.

ثم يقول المؤمنون للكفار «فَهذا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا- تَعْلَمُونَ» صحة ذلك و كنتم شاكين فيه. و قال الحسن: لقد قدرنا آجالكم الى يوم البعث و لكنكم لا تعلمون ان البعث حق.

ثم اخبر تعالى ان ذلك اليوم لا تقبل معذرتهم، و المعذرة إظهار ما يسقط اللائمة، و انما لا تقبل معذرتهم لأنهم ملجئون فى تلك الحال، و لا يصح اعتذارهم و قوله «وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يقبل عتبهم، و لا يطلب منهم الاعتاب.

و الاستعتاب طلب صلاح المعاتب بالعتاب و ذلك بذكر الحقوق التى تقتضى خلاف ما عمله العامل بما لا ينبغى أن يكون عليه مع الحق اللازم له و ليس فى قولهم التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٦٧

ما علمنا أنه يكون و لا أننا نبعث عذر، لأنه قد نصب لهم الدلالة عليه و دعوا اليه.

ثم اخبر تعالى انه ضرب للناس المكلفين فى القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى اللّه عليه و آله من كل مثل، يحثهم به على الحق و اتباع الهدى. ثم قال لنبيه «وَ لَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ» يا محمد أى معجزة باهرة «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» فى دعواكم البعث و النشور، عناداً و جحداً للأمور الظاهرة. ثم قال مثل ما طبع اللّه على قلوب هؤلاء بأن حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون كذلك حكم فى كل من لا يؤمن. و قيل: الطبع علامة يجعلها اللّه فى قلوب الكافرين يفصل بها الملائكة بينه و بين المؤمن. ثم قال لنبيه «فاصبر» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و مقامهم على كفرهم «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» فى ما وعدك به من النصر و إعزاز دينك «وَ لا يَسْتَخِفَّنَّكَ» أى و لا يستفزنك «الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ» فالاستخفاف طلب الخفة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۶۸

۳۱-سورة لقمان ..... ص : ۲۶۸

اشارة

هى مكية- فى قول مجاهد و قتادة- ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و قال الحسن: هى مكية إلا آية واحدة و هى قوله (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ) لان الصلاة و الزكاة مدنيتان و هى ثلاث و ثلاثون آية حجازى و أربع و ثلاثون آية فى ما عدا الحجازى.

[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۲۶۸

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم (۱) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (۲) هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (۳) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (۴)

أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۵)

خمس آيات كوفى و أربع بلا خلاف فيما عدا الكوفى.

قرأ حمزة «هدى و رحمة» رفعاً. الباقون نصباً. من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو هدى و رحمة، و يجوز أن يكون بدلا من «تلك آيات» أى تلك هدى و رحمة، و من نصب فعلى المصدر و تقديره يهدى به هدى و يرحم به رحمة، و يجوز أن يكون على الحال، و تقديره هادياً أى فى حال الهداية و الرحمة- ذكره الزجاج- «للمحسنين» الذين يفعلون الافعال الحسنة من الطاعات و يتفضلون على غيرهم. و قد بينا أن أقوى الأقوال فى معنى «الم» قول من التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۶۹

قال هو اسم للسورة، و ذكرنا ما فى الأقوال فى ما تقدم. قال الرمانى: انما جعل اسم السورة على الاشتراك للمناسبة بينها و بين ما يتصل بها مع الفصل بالصفات و ذلك انها استحقت بذكر الكتاب و المؤمنين به غير العادلين عنه، كما هو فى البقرة.

و قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ» اشارة الى آيات الكتاب التى وعدهم اللّه بانزالها عليهم فى الكتب الماضية، قال ابو عبيدة «تلك» بمعنى هذه «آيات الكتاب» و إن كانت هى الكتاب فهو جائز، كما قال «حق اليقين» «۱» و كما قالوا: مسجد الجامع، و غير ذلك. و قد بيناه فى ما مضى «الحكيم» من صفة الكتاب، فلذلك جره و إنما وصف الكتاب بأنه (حكيم) مع انه محكم لأنه يظهر الحق و الباطل بنفسه، كما يظهره الحكيم بقوله، و لذلك يقال:

الحكمة تدعو الى الإحسان و تصرف عن الاساءة. و قال ابو صالح: أحكمت آياته بالحلال و الحرام. و قال غيره: أحكمت بأن أتقنت «لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ» «۲».

ثم قال هذا الكتاب «هُدىً وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ» أى دلالة موصلة لهم الى الصواب و ما يستحق به الثواب، و رحمة رحمهم اللّه بها و

أضافه الى المحسنين و إن كان هدى لغيرهم لما كانوا هم المنتفعين به دون غيرهم كما قال «هُدىً لِلْمُتَّقِينَ» «۳» و الإحسان النفع الذى يستحق به الحمد فكل محسن يستحق الحمد و كل مسيئ يستحق الذم، و ما يفعله الفاعل على انه لا ظلم فيه لاحد لينقطع به عن قبيح فى انه احسان فهو احسان يستحق عليه الحمد، لان الحكمة تدعو الى

---

(۱) سورة ۵۶ الواقعة آية ۹۵.

(۲) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۴۲ [.....]

(۳) سورة البقرة آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۰

فعله على هذا الوجه، و لا يدعو الى ان يفعله للشهوة، و لا للهوى.

ثم وصف المحسنين فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ» أى يديمون فعلها و يقومون بشرائطها و أحكامها و يخرجون الزكاة الواجبة عليهم فى أموالهم.

و هم بالآخرة مع ذلك يوقنون، و لا يرتابون بها. ثم اخبر أن هؤلاء الذين وصفهم بهذه الصفات «عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ» أى على حجة من ربهم «وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الفائزون بثواب اللَّه و رحمته.

قوله تعالى:[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۲۷۰

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (۶) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۷) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (۸) خالِدِينَ فِيها وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۹) خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۱۰)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «و يتخذها» نصباً، الباقون رفعاً من قرأ بالنصب عطفه على «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها» أى يشترى لهو الحديث التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۱

للأمرين. و من رفع عطف على قوله «يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... وَ يَتَّخِذَها هُزُواً» و من قرأ «ليضل»- بضم الياء و كسر الضاد- أراد يفعل ذلك ليضل غيره. و من- فتح الياء- أراد ليضل هو نفسه بذلك.

اخبر اللَّه تعالى ان «من» جملة «النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» أى يستبدل لهو الحديث. و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- انه يشترى كتاباً فيه لهو الحديث.

الثانى- انه يشترى لهو الحديث عن الحديث. و اللهو الأخذ فى ما يصرف الهم من غير الحق، تقول: لهى فلان يلهو لهواً، فهو لاه، و تلهى تلهياً و ألهاه إلهاء، و اللهو و اللعب و الهزل نظائر. و الحديث الخبر عن حوادث الزمان. و قال ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد: لهو الحديث الغناء، و هو المروى عن أبى جعفر عليه السلام.

و قال قوم: هو

شراء المغنيات. و روى ابو أمامة عن النبى صلى اللَّه عليه و آله تحريم ذلك.

و قال قتادة: هو استبدال حديث الباطل على حديث الحق. و قيل: كلما كان من الحديث ملهياً عن سبيل اللَّه الذى أمر باتباعه الى ما نهى عنه، فهو لهو الحديث. و قيل: الآية نزلت فى النضر ابن الحارث بن كلدة كان اشترى كتباً فيها أحاديث الفرس: من حديث رستم

و إسفنديار، فكان يلهيهم بذلك و يطرف به، ليصد عن سماع القرآن و تدبر ما فيه.

و قوله «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليتشاغل بما يلهيه عن سبيل اللّه. و قال ابن عباس: سبيل اللّه قراءة القرآن، و ذكر اللّه، لان حجة اللّه قائمة عليه بالدواعى التى تزعجه الى النظر فيما يؤديه الى العلم بالواجب ليعمل، فيتشاغل ليخفّ ذلك الإزعاج. و من قرأ بالضم أراد ليضل غيره بذلك. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۲

و قوله «وَ يَتَّخِذَها هُزُواً» أى يتخذ سبيل اللّه سخرية، فلا يتبعها و يشغل غيره عن اتباعها. و الضمير فى قوله «و يتخذها» يجوز أن يكون راجعاً الى الحديث، لأنه بمعنى الأحاديث. و يجوز أن يكون راجعاً الى (سبيل اللّه) و السبيل يؤنث و يذكر. و يجوز أن يكون راجعاً الى (آيات اللّه) فى قوله «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ».

ثم اخبر تعالى أن من هذه صفته «لَهُ عَذابٌ مُهِينٌ» أى عذاب بذله.

و الاذلال بالعداوة هو الهوان. فأما إذلال الفقر و المرض، فليس بهوان، و لا إذلال على الحقيقة. و إذلال العقاب لا يكون إلا هواناً، و إن كان العذاب على وجه الامتحان، فلا يكون هواناً أيضاً.

ثم اخبر تعالى عن صفة هذا الذى يتخذ آيات اللّه هزواً و يشترى لهو الحديث أنه «إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا» التى هى القرآن «وَلَّى مُسْتَكْبِراً» أى اعرض عنها تكبراً عن استماعها. و الفكر فيها، كأنه «لَمْ يَسْمَعْها» من حيث لم يفكر فيها، و لم يعتبر بها و «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً» أى ثقلا يمنع من سماعه. ثم امر نبيه صلى اللّه عليه و آله أن يبشر من هذه صفة «بِعَذابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجع.

ثم اخبر تعالى عن صفة المؤمنين المصدقين بتوحيد اللّه و صدق أنبيائه فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ» أى صدقوا باللّه و نبيه و فعلوا الطاعات «لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» يوم القيامة يتنعمون فيها (خالِدِينَ فِيها) أى مؤبدين فى تلك البساتين (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أى وعده اللّه حقاً، لا خلف لوعده (وَ هُوَ الْعَزِيزُ) فى انتقامه (الحكيم) فى أفعاله، إذ لا يفعل إلا ما فيه المصلحة و وجه من وجوه الحكمة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه بأنه (خَلَقَ السَّماواتِ) فأنشاها و اخترعها التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۳

(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها) أى ليس لها عمد يسندها، لأنه لو كان لها عمد لرأيتموها فلما لم تروها دل على أنه ليس لها عمد، لأنه لو كان لها عمد لكانت اجساماً عظيمة حتى يصح منها إقلال السموات، و لو كانت كذلك لاحتاجت الى عمد آخر، فكان يتسلسل. فإذاً لا عمد لها، بل اللّه تعالى سكنها حالا بعد حال بقدرته التى لا توازيها قدرة قادر. و قال مجاهد: لها عمد لا ترونها، و هذا فاسد لأنه لو كان لها عمد لكانت أجساماً عظيمة، لأنه لا يقل مثل السموات و الأرض إلا ما فيه الاعتمادات العظيمة. و لو كانت كذلك لرأيت، و كان يؤدى الى ما ذكرناه من التسلسل.

ثم قال (وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ) يعنى الجبال الثابتة (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) و قيل معناه لئلا تميد بكم، كما قال الراجز:

و المهر يأبى أن يزال ملهبا

بمعنى لا- يزال. و قال قوم: معناه كراهة أن تميد بكم (وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ) أى فرق فيها من كل دابة أى من كل ما يدب على الأرض «وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَنْبَتْنا فِيها» بذلك الماء (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) أى من كل نوع حسن النبت طيب الريح و الطعم.

قوله تعالى:[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۱۱ الى ۱۵] ..... ص : ۲۷۳

هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۱۱) وَ لَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (۱۲) وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (۱۳) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (۱۴) وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ

بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١۵)

التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٧۴

خمس آيات بلا خلاف.

هـذا اشـارة الى ما تقـدم ذكره من خلق السـموات و الأرض على ما هى به من عظمها و كبر شأنها من غير عمـد يمنع من انحـدارها، و ألقى الرواسـى فى الأـرض لئلاـ تميـد بأهلهـا «وَ بَثَّ فِيهـا مِنْ كُـلِّ دابَّةٍ» للاعتبار و الانتفاع بها، و أنزل من السـماء ماء لإخراج كل نوع كريم على ما فيه من بهجة و لذة يسـتمتع بها. فهذا كله خلق اللَّه فأين خلق من اشركتموه فى عبادته حتى جاز لكم أن تعبدوه من دونه و هذا لا يمكن معه معارضة. و فيه دليل على توحيده تعالى.

ثم اخبر تعالى فقال «بَلِ الظَّالِمُونَ» لأنفسـهم بترك الاعتبار بآيات اللَّه «فِي ضَـلالٍ مُبِينٍ» أى عدول عن الحق بين ظاهر و ما دعاهم الى عبادتها انها تخلق شيئاً و لكن ضلالهم بالجهل الذى اعتقدوه من التقرب بذلك الى اللَّه و انها التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٧۵ تقربهم الى اللَّه زلفى.

ثم اخبر تعالى انه اعطى لقمان الحكمة، فقال ابن عباس و مجاهد و قتادة:

لم يكن لقمان نبياً. و قال عكرمـة: كان نبياً. و قيل: انه كان عبـداً أسوداً حبشـياً ذا سـفة. فقال له بعض الناس: أ لست الذى كنت ترعى معنا؟ فقال: نعم.

فقال له: من اين أوتيت ما أرى؟ فقال: بصدق الحديث و الصمت عما لا يعنينى.

و الحكمـة التى آتى اللَّه لقمان هو معرفته بتوحيـده، و نفى الشـرك عنه. و ما فسـرناه فى ما بعد و هو ان أمره بأن يشـكر للَّه على نعمه التى أنعم بها عليه.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ مَنْ يَشْـكُرْ فَإِنَّما يَشْـكُرُ لِنَفْسِهِ» أى من يشـكر نعمة اللَّه و نعمة من أنعم عليه، فانه يشـكر لنفسه، لأن ثواب شكره عائـد عليه «وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيـدٌ» أى من جحـد نعمـة اللَّه، فانه تعالى غنى عن شـكره حميد على أفعاله، و عقاب ذلك عائد على الكفار دون غيرهم، و الشـكر لا يكون إلا على نعمة سـبقت، فهو يقتضى منعماً، فلا يصح على ذلك أن يشكر الإنسان نفسه، لأنه لاـ يجوز أن يكون منعمـاً عليها، و هو جرى مجرى الـدين فى أنه حق لغيره عليه يلزمه أداؤه، فكما لا يصـح أن يقرض نفسه فيجب أن يقضـى ذلك الدين لنفسه، فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه فيلزمه شكر تلك النعمة ثم قال تعالى و أذكر يا محمد «إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يـا بُنَيَّ لاـ تُشْـرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» إذ قال له لا تعبـد مع اللَّه غيره فان من فعل ذلك فقـد ظلم نفسه ظلماً عظيماً. و يجوز أن يتعلق قوله «وَ إِذْ قـالَ لُقْمـانُ» بقوله «وَ لَقَـدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَـةَ ... إِذْ قالَ (لُقْمانُ) لِابْنِهِ ... لا تُشْـرِكْ بِاللَّهِ» ثم قال تعالى «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ» أى وصيناه و أمرناه بالإحسان الى والديه.

و الرفق بهما «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ» قال الضحاك: معناه ضعفاً على ضعف التبيان فی تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٧۶

أى ضـعف نطفة الوالد الى ضـعف نطفة الأم. و قيل: هو ما يلحقها بحملها إياه مرة بعد مرة من الضعف. و قيل: بل المعنى شدة الجهد، قال زهير:

فان يقولوا بجعل واهن خلق لو كان قومك فى أسبابه هلكوا «١»

و قال ابن عباس «وهن على وهن» أى شدة على شدة. و قيل: ضعف الولد حالا بعد حال، لأنه كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم مولوداً.

و قوله «وَ فِصـالُهُ فِي عامَيْنِ» يعنى قطامه فى انقضاء عامين. و قيل: نزلت فى سـعد بن أبى وقاص حلفت أمّه لا تأكل طعاماً حتى تموت أو يرجع سـعد ابنها فلما رأته بعد ثلاث لا يرجع عن الإسـلام أكلت. ثم قال «أَنِ اشْـكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ» أى وصـيناه بأن اشكر لى على نعمى، و اشـكر والـديك أيضاً على مـا أنعمـا عليـك. ثم قـال «إِلَى الْمَصِـيرُ» فيه تهديـد أى إلىّ مرجعكم، فاجازيكم أيها الناس على

حسب عملكم.

ثم قال «إِنْ جاهَداكَ» يعنى الوالدين أيها الإنسان «عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي» معبوداً آخر «فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً» أى احسن اليهما فى الدنيا و ارفق بهما. ثم قال «وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ» أى رجع الى طاعتى من النبى و المؤمنين «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى منقلبكم «فَأُنَبِّئُكُمْ» أى أخبركم «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا من الاعمال. و اجازيكم عليها بحسبه، و قرأ ابن كثير، إلا ابن فليح «يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» بسكون الياء الباقون بتشديدها و كسرها، إلا حفصاً فانه فتحها على أصله

(۱) هو زهير بن أبى سلمى. ديوانه (دار بيروت) ۵۱ و روايته (فلن) بدل (فان).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۷

«يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ» بفتح الياء، و ابن كثير إلا قنبلًا و حفص، الباقون بكسر الياء فوجه السكون أنه أجرى الوصل كالوقف، و وجه الفتح على الاضافة و حذف ما قبلها لاجتماع ثلاث يا آت .. و الكسر على الاجتزاء بها من ياء الاضافة، و عندنا أن الرضاع بعد الحولين يحرم لقوله «وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ» و لقوله عليه السلام لا رضاع بعد الحولين.

قوله تعالى:[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۱۶ الى ۲۰] ..... ص : ۲۷۷

يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (۱۶) يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۱۷) وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (۱۸) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (۱۹) أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ (۲۰)

خمس آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۷۸

قرأ ابن كثير و عاصم و ابن عامر «و لا تصعر» بغير ألف فى التصعير.

الباقون «تصاعر» بألف. و قرأ اهل المدينة «مثقال حبة» رفعاً. الباقون نصباً من رفعه جعل (كان) بمعنى حدث، و وقع، و لم يجعل لها خبراً. و من نصب فعلى أنه خبر (كان) و الاسم مضمر فيها أى إن تك الحبة مثقال. و قرأ نافع و أبو جعفر و ابن كثير و ابو عمرو و حفص عن عاصم «نعمه» على لفظ الجمع.

الباقون «نعمة» على التوحيد.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن لقمان و وصيته لابنه، و أنه قال «يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» من خير أو شر (فتكن) عطف على الشرط فلذلك جزمه. و تقديره: إن تلك الحبة لو كانت فى جوف صخرة، و هى الحجر العظيم او تكون فى السموات او الأرض «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» و يحاسب عليها و يجازى لأنه لا يخفى عليه شىء منها، و لا يتعذر عليه الإتيان بها أى موضع كانت، لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء عالم لنفسه لا تخفى عليه خافية.

و قوله «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» معناه إنه يجازى بها و يواقف عليها فكأنه أتى بها و إن كانت أفعال العباد لا يصح إعادتها، و لو صح إعادتها لما كانت مقدورة للَّه.

و إنما أراد ما قلناه، و فى ذلك غاية التهديد و الحث على الأخذ بالحزم. و الهاء فى قوله «انها» قيل: انها عماد و هو الضمير على شريطة التفسير. و قيل:

(إِنَّها) كناية عن الخطيئة او الفعلة التى تقتضى الجزاء، و هى المضمرة فى تلك و انما أنث مثقال، لأنه مضاف الى مؤنث و هى الحبة،

كما قيل: ذهبت بعض أصابعه. و كما قيل:

[و تشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم «۱»

---

(۱) قائله الأعشى، ديوانه ۱۸۳، و اللسان (شرق).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۷۹

و الصخرة و إن كانت فى الأرض أو فى السماء، فذكر السموات و الأرض بعدها مبالغة كقوله «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ» «۱» و قد قال بعض المفسرين: ان الصخرة خارجة عن السموات و الأرض، و هو ايضاً جائز. و قرأ قتادة «فتكن فى صخرة» بكسر الكاف مخففاً من (و كن يكن) أى جعل الصخرة كالوكنة. و هو عش الطائر. ذكره ابن خالويه. و حكاه عن ابن مجاهد سماعاً، و استحسنه.

و قوله «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» قال قتادة: معناه- هاهنا- لطيف باستخراجها، خبير بمستقرها. و اللطيف القادر الذى لا يحفو عن عمل شيء، لأن من القادرين من يحفو عن عمل أشياء كثيرة كإخراج الجزء الذى لا يتجزأ و تأليفه الى مثله، فهو فان كان قادراً عليه، فهو ممتنع منه، لأنه يحفو عن عمل مثله. و الخبير العالم و فيه مبالغة فى الصفة، مشتق من الخبر. و لم يزل اللّه خبيراً عالماً بوجوه ما يصح أن يخبر به، و المثقال مقدار يساوى غيره فى الوزن، فمقدار الحبة مقدار حبة فى الوزن. و قد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار، فإذا قيل:

مثقال كافور او عنبر، فمعناه مقدار الدينار بالوزن.

ثم حكى ما قاله لقمان لابنه ايضاً قال له «يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ» أى دم عليها و أقم حدودها و شرائطها «وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» و المعروف هو الطاعات «وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هى القبائح سواء كانت قبائح عقلية او شرعية «وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ» من الناس فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من المشقة و الأذى و فى ذلك دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إن كان فيه

---

(۱) سورة ۹۶ العلق آية ۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۲۸۰

بعض المشقة. ثم قال «إِنَّ ذلِكَ» أى ما ذكره من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر «مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح، و العزم العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله، و هى الارادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت، لان التلون فى الرأى يناقض العزم. قال اللّه تعالى «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» «۱».

ثم حكى ما قال لقمان لابنه، فانه قال له ايضاً، «وَ لا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» و معناه لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً- ذكره ابن عباس- و اصل الصعر داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها حتى يلفت أعناقها فتشبه به الرجل المتكبر على الناس. و قال عمر بن جنى الثعلبى و اضافه المبرد الى الفرزدق:

و كنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من مثله فتقوما «۲»

قال ابو على الفارسى: يجوز أن يكون تصعر و تصاعر بمعنى، كقولهم ضعف و ضاعف، قال ابو الحسن (لا تصاعر) لغة اهل الحجاز و (لا تصعر) لغة بنى تميم. و المعنى و لا تتكبر، و لا تعرض عنهم تكبراً «وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً» أى مشى مختال متكبر «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ» فالاختيال مشية البطر، قال مجاهد: المختال المتكبر، و الفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع، يقال: فخر يفخر فخراً و فاخره مفاخرة و فخاراً، و تفاخرا تفاخراً و افتخر افتخاراً.

ثم قال له «وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ» أى اجعل مشيك مشى قصد، لا تمشى مشى مختال و لا متكبر «وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» أى لا ترفع

صوتك متطاولًا لأنه مذموم «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» قال الفراء: معناه إن أشد

(١) سورة ۴۶ الأحقاف آية ٣۵.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨١

الأصوات. و قال غيره: معناه أقبح الأصوات- فى قول مجاهد- كما يقال:

هذا وجه منكر. ثم نبههم على وجوه نعم اللّه على خلقه. فقال «أَ لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ» أى ذلك لكم تتصرفون فيه بحسب ما تريدون من أنواع الحالات من الثمار و البهائم، و غير ذلك «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ» ظاهرة أى وسع عليكم نعمه، و السابغ الواسع الذى يفضل عن مقدار القوت. و قوله «ظاهِرَةً وَ باطِنَةً» أى من نعمه ما هو ظاهر لكم لا يمكنكم جحده: من خلقكم، و احيائكم و أقداركم، و خلق الشهوة فيكم و ضروب نعمه، و منها ما هو باطن مستور لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل: النعم الباطنة مصالح الدين و الدنيا، مما لا يشعرون به. و قيل: سخر لكم ما فى السموات من شمس و قمر و نجم و سحاب، و ما فى الأرض من دابة و شجر و ثمار، و غير ذلك مما تنتفعون به فى اقواتكم و مصالحكم.

ثم قال تعالى (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) اى يخاصم و لا علم له بما يقوله، و يجادل فيه (و لا هدى) أى و لا حجة على صحة ما يقوله (وَ لا كِتابٍ مُنِيرٍ) أى، و لا كتاب من عند اللّه منير أى ظاهر عليه نور و هدى.

قوله تعالى:[سورة لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢۵] ..... ص : ٢٨١

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (٢١) وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَ مَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ (٢۴) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨٢

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللّه سبحانه عن الكفار و سوء اختيارهم أنه (إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن و الأحكام و اعملوا بموجبه و اقتدوا به (قالوا) فى الجواب عن ذلك (بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا) من عبادة الأصنام، و لا نتبع ذلك، فقال اللّه تعالى منكراً عليهم (أَ وَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ) و معناه إنكم تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، و لو كان ذلك يدعوكم الى عذاب جهنم!. و ادخل على واو العطف ألف الاستفهام على وجه الإنكار.

ثم قال (وَ مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أى يوجه طاعته الى الله و يقصد وجهه بها دون الرياء و السمعة (وَ هُوَ مُحْسِنٌ) اى لا يخلط طاعاته بالمعاصى (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى أى من فعل ما وصفه فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا يخشى انتقاضها، و التوثق امتناع سبب الانتقاض، لأن البناء الموثق قد جعل على امتناع سبب الانتقاض، و ما ليس بموثق على سبب الانتقاض.

ثم قال (وَ إِلَى اللَّهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ) أى اليه ترجع أواخر الأمور على وجه التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨٣

لا يكون لأحد التصرف فيها، و لا الأمر و النهى.

ثم قال لنبيه (وَ مَنْ كَفَرَ) يا محمد من هؤلاء الناس (فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ) اى لا يغمك ذلك (إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا) اى نعلمهم بأعمالهم و نجازيهم على معاصيهم بالعقاب، (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ) أى بما تضمره الصدور، لا يخفى عليه شىء منها.

ثم قال (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا) اى نتركهم يتمتعون فى هذه الدنيا مدة قليلة (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) أى نصيرهم مكرهين (إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ) يغلظ عليهم و يصعب و هو عذاب النار. ثم قال (وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ) يعنى هؤلاء الذين كفروا بآيات الله (مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ)؟ ليقولن فى جواب ذلك: الله خلق ذلك، لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا خلق ذلك الأصنام و الأوثان، لأنهم يقرون بالنشأة الأولى، و لأنهم لو قالوا ذلك لعلم ضرورة بطلان قولهم، فقل عند ذلك يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هدايته و توفيقه لنا بالمعرفة له (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) انكم وفقكم الله لمعرفته.

قوله تعالى: [سورة لقمان (٣١): الآيات ٢۶ الى ٣٠] ..... ص : ٢٨٣

لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢۶) وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨۴

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو و يعقوب و ابن شاهى (و البحر يمده) نصباً. الباقون رفعاً. من نصبه عطفه على (ما) فى قوله (أن ما) لأن موضعها نصب ب (أن) لأن الكلام لم يتم عند قوله (أقلام) فأشبه المعطوف قبل الخبر. قال ابن خالويه:

و هذا من حذق أبى عمرو، وجودة تمييزه. و إنما لم يتم الكلام مع الإتيان بالخبر لأن (لو) يحتاج الى جواب. و من رفع استأنف الكلام.

اخبر اللَّه تعالى أن له جميع ما فى السموات و الأرض ملك له يتصرف فيه بحسب إرادته لا يجوز لأحد الاعتراض عليه. ثم اخبر انه تعالى (هُوَ الْغَنِيُّ) الذى لا يحتاج الى شىء من جميع المخلوقات كما يحتاج غيره من الأحياء المخلوقين و أنه (الحميد) مع ذلك، يعنى المستحق للحمد العظيم، و نقيضه الذميم و يقال (محمود) بمعنى حميد. و معناه أنه اهل الحمد.

ثم قال تعالى (وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) و فيه حذف، لأن المعنى يكتب به كلام الله (ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ) و الآية تقتضى انه ليس لكلمات الله نهاية بالحكم، لأنه يقدر منها على ما لا نهاية له. و قال قوم: المعنى ان وجه الحكمة و عجيب الصنعة و إتقانها لا ينفد، و ليس المراد به الكلام. و قال ابو عبيدة: المراد بالبحر- هاهنا- العذب، لأن المالح لا ينبت الاقلام. و قال ابن عباس: نزلت الآية جواباً التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٢٨٥

لليهود، لما قالوا قد أوتينا التوراة، و فيها كل الحكمة، فبين الله تعالى أن ما يقدر عليه من الكلمات لا حصر له و لا نهاية. و الشجر جمع شجرة مثل تمرة و تمر، و هو كل نبات يقوم على ساق و يورق الاغصان. و منه اشتقت المشاجرة بين الناس فى الأمر. و منه قوله (فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ) و شجر تشجيراً و تشاجروا تشاجراً، و مد البحر إذا جرى غيره اليه حالا بعد حال. و منه المد و الجزر.

و مد النهر و مده نهر آخر يمده مداً. و قال الفراء: يقولون: أمددتك الفاً فمددت.

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) معناه عزيز فى انتقامه من أعدائه (حكيم) فى أفعاله. ثم قال (ما خلقكم) معشر الخلق (وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) أى إلا كبعث نفس واحدة أى لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم، و أن جميع ذلك من سعة قدرة اللَّه كالنفس الواحدة، إذ المراد أن خلقها لا يشق عليه.

و قوله (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) أى يسمع ما يقول القائلون فى ذلك (بصير) بما يضمرونه فى قوله «ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ» و فى ذلك تهديد على المخالفة فيه. ثم قال «أ لم تر» يا محمد، و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ

فِي اللَّيْلِ» قال قتادة: معناه ينقص من الليل فى النهار، و من النهار فى الليل. و قال غيره: معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي) لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان بحسب ما سخرهما له، كل ذلك يجرى (إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى) قدره اللّه ان يفنيه فيه. و قال الحسن: الأجل المسمى القيامة (وَ أَنَّ اللَّهَ) عطف على (أ لم تر) فلذلك نصبه، و تقديره: و تعلم (أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) من التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۸۶

قرأ بالياء- و هو عياش عن أبى عمرو- أراد الاخبار. و من قرأ بالتاء حمله على الخطاب. و هو الأظهر. و المعنى (أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ) معشر المكلفين (خبير) أى عالم، فيجازيكم بحسب ذلك ليطابق قوله (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ) ثم قال (ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الذى يجب توجيه العبادة اليه (وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ). و من قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم.

و من قرأ بالتاء على وجه الخطاب.

يقول الله تعالى: أ لم تعلم ان ما يدعون هؤلاء الكفار من الأصنام هو الباطل. و من قرأ بالياء فعلى: قل لهم يا محمد (وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) فالعلى هو الذى علا على الأشياء و اقتدر عليها، و الكبير معناه العظيم فى صفاته لا يستحق صفاته غيره تعالى. و ذكر ابو عبيدة- فى كتاب المجاز- ان البحر المذكور فى الآية البحر العذب، لأن المالح لا ينبت الأقلام.

قوله تعالى:[سورة لقمان (۳۱): الآيات ۳۱ الى ۳۴] ..... ص : ۲۸۶

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (۳۱) وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (۳۲) يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (۳۳) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (۳۴)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۸۷

خمس آيات بصرى و شامى و اربع فيما عداهما عدوا (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) و لم يعده الباقون.

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيه صلى اللّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين منبهاً لهم على جهات نعمه التى أنعم بها عليهم و ما يدلهم على انه يستحق العبادة خالصاً، فقال (ا لم تر) و معناه ا لم تعلم (ان الفلك) و هى السفن تجرى فى البحر بنعمة الله عليكم (لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ) اى ليريكم بعض أدلته الدالة على وحدانيته، و وجه الدلالة فى ذلك ان الله تعالى يجرى الفلك بالرياح التى يرسلها فى الوجوه التى تريدون المسير فيها، و لو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك فى بعض الجهات مخالفاً لجهة الرياح لما قدروا على ذلك. و فى ذلك أعظم دلالة على ان المجرى لها بالرياح هو القادر الذى لا يعجزه شيء، و ذلك بعض الأدلة التى تدل على وحدانيته، فلذلك قال (من آياته) ثم قال (إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ) يعنى فى تسخير الفلك و إجرائها فى البحر على ما بيناه لدلالات (لكل صبار) يعنى الصبار على مشاق التكليف. و على الم المصائب، و أذى الكفار (شكور) لنعم الله عليهم و أضاف الآيات اليهم لما كانوا هم المنتفعين بها، و انما ذكر (لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) لأن الصبر عليه بأمر الله، و الشكر لنعم الله من أفضل التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۸۸

ما فى المؤمن. و قال الشعبى: الصبر نصف الايمان، و الشكر نصف الايمان فكأنه قال: لكل مؤمن.

ثم قال تعالى (وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ) يعنى إذا غشى اصحاب السفن الراكبى البحر موج، و هو هيجان البحر (كالظلل) اى الماء فى ارتفاعه و تغطيته ما تحته كالظلل، قال النابغة الجعدى: يصف البحر:

يغاشيهن اخضر ذو ظلال على حافاته فلق الدنان «۱»

شبه الموج لأنه يجيء منه شيء بعد شيء بالسحاب الذى يركب بعضه فوق بعض، و يكون اسوداً بما فيه من الماء «دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

لَهُ الدِّينَ» أی طاعة العبادة، فالاخلاص إفراد المعنی من کل شائب کان من غیره، أی یخلصون الدعاء فی هذه الحال للّه تعالی دون الأصنام و جمیع ما یعبدونه من دون اللّه «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» أی خلصهم الی البر و سلمهم من هول البحر «فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ» قال قتادة: یعنی منهم مقتصد فی قوله مضمر لکفره. و قال الحسن: المقتصد المؤمن.

و قیل: مقتصد علی طریقة مستقیمة «وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا کُلُّ خَتَّارٍ کَفُورٍ» فالختار الغدار بعهده أقبح الغدر، و هو صاحب ختل و ختر أی غدر قال عمرو ابن معدی کرب:

فإنک لو رأیت أبا عمیر ملأت یدیک من غدر و ختر «٢»

و قال الحسن و مجاهد و قتادة و الضحاک و ابن زید: الختار الغدار، ثم خاطب تعالی جمیع المکلفین من الناس فقال «یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمْ» أمرهم باجتناب معاصیه خوفاً من عقابه «وَ اخْشَوْا یَوْماً لا یَجْزِی والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ...»

(١، ٢) مجاز القرآن ٢/ ١٢٩.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٨، ص: ٢٨٩

یعنی یوم القیامة الذی لا یغنی فیه أحد من احد، لا والد عن ولده و لا ولد عن والده، یقال: جزیت عنک أجزی إذا أغنیت عنک. و فیه لغة أخری: أجزأ یجزئ من أجزأت بالهمزة. ثم قال «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» ای الذی وعدته من الثواب و العقاب حق لا خلف فیه «فَلا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» قال مجاهد و قتادة و الضحاک: الغرور الشیطان. و قال سعید بن جبیر: هو یمنیک المغفرة فی عمل المعصیة. قال ابو عبیدة: الغرور کل شیء غرک حتی تعصی اللّه، و تترک ما أمرک به اللّه، شیطاناً کان أو غیره، فهو غرور. و هو أحسن، لأنه أعم. ثم قال تعالی «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» یعنی وقت قیام القیامة یعلمه تعالی لا یعلمه سواه «وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ» أی و هو الذی یعلم وقت نزول الغیث بعینه و هو الذی «یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ» من ذکر او أنثی «وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» یقال: بأی ارض و بأیة ارض. من قال: بأی، فلأن تأنیث الأرض بالصیغة لا باللفظ. و من قال: بأیة ارض فلان الأرض مؤنثة. و المعنی انه لا یعلم موت الإنسان فی أی موضع من البلاد یکون سواه. و

قد روی عن النبی صلی اللّه علیه و آله إن هذه الخمسة أشیاء مما لا یعلمها غیره تعالی علی التفصیل و التحقیق «إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ» بتفصیل ذلک «خَبِیرٌ» به لا یخفی علیه شیء من ذلک.

و سأل البلخی نفسه، فقال: إذا قلتم: إن من اعتقد الشیء علی ما هو به تقلیداً أو تخمیناً أو تنجیماً یکون عالماً، فلو أن إنساناً أعتقد ان امرأة تلد ذکراً أو رجلا یموت فی بلد بعینه او یکسب فی الغد کذا، فوافق ذلک اعتقاده، فیجب التبیان فی تفسیر القرآن، ج٨، ص: ٢٩٠

ان یکون عالماً، و یبطل الاختصاص فی الآیة؟! و أجاب: إن ذلک و إن کان جائزاً، فانه لا یقع لظاهر الآیة. و هذا غیر صحیح، لان من المعلوم ضرورة أن الإنسان یخبر شیئاً فیعتقده، فیکون علی ما اعتقده من هذه الأشیاء الخمسة، و انما لا یکون علماً، لأنه لا تسکن نفسه الی ذلک، فأما المنع من وقوعه فمعلوم خلافه.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٨، ص: ٢٩١

٣٢-سورة السجدة ..... ص : ٢٩١

اشارة

مکیة فی قول قتادة و مجاهد و غیرهما. و قال الکلبی و مقاتل: ثلاث آیات منها مدنیة قوله «أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً» الی تمام ثلاث آیات. و

هی ثلاثون آیة کوفی و حجازی و شامی. و تسع و عشرون آیة بصری.

[سورة السجده (۳۲): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۲۹۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیم

الم (۱) تَنْزِیلُ الْکِتابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۲) أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ (۳) اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَیْنَهُما فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ ما لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا شَفِیعٍ أَ فَلا تَتَذَکَّرُونَ (۴)

یُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَی الْأَرْضِ ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (۵)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۲۹۲

خمس آیات کوفی و أربع فیما عداه عدوا «ألم» آیة و لم یعدها الباقون.

روی عن النبی صلی اللَّه علیه و آله أنه کان یقرأ فی کل لیلة سورة السجدة «الم تَنْزِیلُ» و «تَبارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ».

و «تنزیل» رفع علی انه خبر ابتداء محذوف، و تقدیره «الم» هو تنزیل.

و یجوز أن یکون (تنزیل) رفعاً بالابتداء، و خبره «لا رَیْبَ فِیهِ» ذکره الزجاج.

و قد تکرر القول بأن أوائل أمثال هذه السور أقوی الأقوال فیها انها أسماء للسورة، و رجحناه علی غیره من الأقوال. و التلفظ بحروف الهجاء ینبغی ان یکون علی الوقف، لأنها مبنیة علی السکون من حیث کانت حکایة للأصوات.

و قوله «تَنْزِیلُ الْکِتابِ» أی هذه الآیات هی تنزیل الکتاب الذی وعدتم به «لا رَیْبَ فِیهِ» أی لا شک فیه أنه وحی من اللَّه. و المعنی أنه لا ریب فیه عند المهتدین، و إن کان ارتاب به خلق من المبطلین. و هو مثل قول القائل: لا ریب فی هذا انه ذهب أی عند من رآه و اعتبره. و قیل: معنی «لا رَیْبَ فِیهِ» خبر و المراد به النهی، و المعنی لا ترتابوا به، و الریب الشک.

و قیل: هو أقبح الشک. و وجوه الحکم فی الکتاب البیان عن کل ما تدعو الحکمة الی تمیز الحق فیه من الباطل بالبرهان علیه مما یحتاج الیه فی الدین الذی یرضی به رب العالمین، و هو علی وجهین: حجة، و موعظة، و اعتماد الحجة علی تبین ما یؤدی الی العلم بصحة الأمر، و اعتماد الموعظة علی الترغیب و الترهیب، و فی الموعظة من جهة التحذیر بما تضمنه أی یقرب ما فی السورة المسمی به من الحکم، و فیه حجة علی العبد من جهة انه قد دل به علی ما یجب أن یعتقد تعظیمه و یعمل به.

و قوله «مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ» أی هو تنزیل من عند اللَّه الذی خلق الخلائق.

و قوله «أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ» فهذه (أم) منقطعة، و معناها (بل) و تقدیره: التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۲۹۳

بل یقولون افتراه، ففیها معنی (بل) و الألف إذا کانت معادلة فمعناها (او) مع الاستفهام، و (افتراه) معناه افتعله، بل قال تعالی لیس الأمر علی ما قالوه «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» من عند اللَّه و الحق هو کل شیء کان معتقده علی ما هو به مما یدعو العقل الیه و استحقاق المدح علیه. و تعظیمه الکتاب حق، لأن من اعتقد أنه من عند اللَّه کان معتقده علی ما هو به. و الباطل نقیض الحق، و هو ما کان معتقده لا علی ما هو به.

و قوله «بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ» فیه دلالة علی بطلان مذهب المجبرة لان اللَّه تعالی أنزله لیهتدی به الخلق لا لیضلوا به عن الدین، و المجبرة تزعم انه أراد ضلال الکفار عن الدین فیجب کونه منزلا لیضل الکفار عن الدین.

و قوله «لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ» لا ینافی قوله «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِیها نَذِیرٌ» «۱» لان الحسن، قال: المعنی و إن من أمة أهلکت بالعذاب إلا من بعد أن جاءهم نذیر ینذرهم بما حل بهم. و هذا خطاب للنبی صلی اللَّه علیه و آله یقول اللَّه تعالی له «لتنذر» أی لتخوف یا محمد «قوماً» لم یأتهم مخوف قبلک، یعنی أهل الفترة من العرب، فکانوا کأنهم فی غفلة عما لزمهم من حق نعم

اللَّه و ما خلقهم له من العبادة. و قد كان إسماعيل عليه السلام نذيراً لمن أرسل اليه.

ثم قال «اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» أی اخترعهما و انشأهما و خلق «ما بَیْنَهُما فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ» أی فی ما قدره ستة أیام، لأنه قبل خلق الشمس لم یکن لیل و لا نهار. و قوله «ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ» أی استوی علیه بالقهر و الاستعلاء، و قد فسرناه فی ما مضی «٢» و دخلت «ثم» علی (اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ)

---

(١) سورة ٣۵ فاطر آیة ٢۴.

(٢) انظر ۴/ ۴۵٢.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٨، ص: ٢٩۴

و إن کان مستعلیاً علی الأشیاء قبلها، کما دخلت حتی فی قوله «وَ لَنَبْلُوَنَّکُمْ حَتَّی نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ مِنْکُمْ وَ الصَّابِرِینَ» «١» و تقدیره ثم صح معنی استوی علی العرش باحداثه، و کذلک حتی یصح معنی «نَعْلَمَ الْمُجاهِدِینَ» أی معنی وصفهم بهذا و ذلک لا یکون إلا بعد وجود الجهاد من جهتهم.

و قوله «ما لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا شَفِیعٍ» نفی منه تعالی أن یکون للخلق ناصر ینصرهم من دون اللَّه أو شفیع یشفع لهم، کما کانوا یقولون: نعبدهم لیقربونا الی اللَّه زلفی.

ثم قال «أَ فَلا تَتَذَکَّرُونَ» فی ما قلناه و تعتبرون به، فتعلموا صحة ما بیناه لکم. و قوله «یُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَی الْأَرْضِ» معناه ان الذی خلق السموات و الأرض و ما بینهما فی هذه المدة یدبّر الأمور کلها، و یقدرها علی حسب إرادته فی ما بین السماء و الأرض، و ینزله مع الملک الی الأرض «ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ» یعنی الملک یصعد الی المکان الذی أمره اللَّه تعالی أن یعرج الیه، کما قال ابراهیم:

«إِنِّی ذاهِبٌ إِلی رَبِّی» «٢» أی ارض الشام التی أمرنی ربی. و لم یکن اللَّه بأرض الشام، و مثله قوله تعالی «وَ مَنْ یَخْرُجْ مِنْ بَیْتِهِ مُهاجِراً إِلَی اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» «٣» یرید الی المدینة. و لم یکن اللَّه فی المدینة. و قوله «فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» قال ابن عباس، و الضحاک: معناه یوم کان مقداره لو ساره غیر الملک ألف سنة مما یعده البشر. و قیل: معناه خمس مائة عام نزول و خمس مائة عام صعود، فذلک ألف سنة. و قال قوم: یجوز ان یکون یوم القیامة یوماً له أول و لیس له آخر. وقته اوقاتاً یسمی بعضها الف سنة و بعضها خمسین الف

---

(١) سورة ۴٧ محمد آیة ٣١.

(٢) سورة ٣٧ الصافات آیة ٩٩.

(٣) سورة ۴ النساء آیة ٩٩.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج٨، ص: ٢٩۵

سنة. و قیل: ان معنی «وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَةٍ» انه فعل فی یوم واحد من الأیام الستة التی خلق فیها السموات و الأرض ما لو کان یجوز أن یفعله غیره لما فعله إلا فی الف سنة. و قیل: ان معناه إن کل یوم من الأیام الستة التی خلق فیها السموات کألف سنة من أیام الدنیا.

قوله تعالی:[سورة السجده (٣٢): الآیات ۶ الی ١٠] ..... ص : ٢٩۵

ذلِکَ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ (۶) الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلاً ما تَشْکُرُونَ (٩) وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِی

الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ (١٠)

خمس آيات عراقى لم يعدوا «جديد» آية. و ست فى ما عداه، لأنهم عدوا «جديد» آية.

قرأ ابن كثير، و ابو عمرو، و ابن عامر «احسن كل شىء خلقه» بإسكان اللام. الباقون بفتحها. من سكن اللام فعلى تقدير: الذى أحسن خلق كل شىء اى جعلهم يحسنونه و المعنى انه ألهمهم جميع ما يحتاجون اليه. قال الزجاج: و يجوز ان يكون على البدل، و المعنى: احسن كل شيء. و يجوز أن يكون على المصدر و تقديره الذى خلق كل شيء خلقه. و من فتح اللام جعله فعلا ماضياً، و معناه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٩۶

احسن اللَّه كل شىء خلقه على إرادته و مشيئته، و أحسن الإنسان و خلقه فى احسن صورة. و قيل: معناه إن وجه الحكمة قائم فى جميع أفعاله، و وجوه القبح منتفية منها، و وجه الدلالة قائم فيها على صانعها، و كونه عالماً. و الضمير فى قوله «خلقه» كناية عن اسم اللَّه.

لما اخبر اللَّه تعالى انه الذى خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام و استولى على العرش، و انه الذى يدبر الأمور ما بين السموات و الأرض بين- هاهنا- ان الذى يفعل ذلك و يقدر عليه هو «عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ» أى يعلم السر و العلانية «العزيز» فى انتقامه من أعدائه «الرحيم» بعباده، المنعم عليهم، و (الغيب) خفاء الشىء عن الإدراك. و الشهادة ظهوره للإدراك فكأنه قال: يعلم ما يصح أن يشاهد، و ما لا يصح أن يشاهد فيدخل فى ذلك المعدوم و الحياة و الموت و القدرة و جميع ما لا يصح عليه الرؤية. و العزيز: هو القادر على منع غيره و لا يقدر الغير على منعه، و أصله المنع من قولهم: من عز بزّ، من غلب سلب، لأن من غلب أسيره فمنعه أخذ سلبه.

ثم قال الذى أحسن كل شىء خلقه، و معنى ذلك فى جميع ما خلقه اللَّه تعالى و أوجده فيه وجه من وجوه الحكمة، و ليس فيه وجه من وجوه القبح.

و ذلك يدل على ان الكفر و الضلال و سائر القبائح ليست من خلقه. و لفظة (كل) و إن كانت شاملة للأشياء كلها، فالمراد به الخصوص- هاهنا- لأنه أراد ما خلقه اللَّه تعالى من مقدوراته دون مقدور غيره، و نصب قوله «خلقه» بالبدل من قوله «كل شىء» كما قال الشاعر:

و ظعنى اليك الليل حضنيه اننى لتلك إذا هاب الهداى فعول «١»

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٣٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٢٩٧

و تقديره و ظعنى حضنى الليل اليك. و قال الآخر:

كأن هنداً ثناياها و بهجتها يوم التقينا على أدحال دباب «١»

و المعنى كأن ثنايا هند و بهجة هند. و قوله «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ» أى ابتدأ خلق الإنسان من طين، يريد انه خلق آدم الذى هو أول الخلق من طين، لأن اللَّه تعالى خلق آدم من تراب، فقلبه طيناً، ثم قلب الطين حيواناً، و كذلك قال «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» «٢» و قال- هاهنا- و «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ» و كل ذلك لما فى التصريفين دليل و قوله «ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ» يعنى نسل الإنسان الذى هو آدم و ولده من سلالة، و هى الصفوة التى تنسل من غيرها خارجة، قال الشاعر:

فجاءت به عضب الأديم غضنفراً سلالة فرج كان غير حصين «٣»

«مِنْ ماءٍ مَهِينٍ» قال قتادة: المهين الضعيف. و هو (فعيل) من المهنة.

و قوله «ثُمَّ سَوَّاهُ» أى عدله و رتب جوارحه «وَ نَفَخَ فِيهِ» يعنى فى ذلك المخلوق (من روحه) فأضافه الى نفسه اضافة اختصاص و إضافة ملك على وجه التشريف. ثم قال «وَ جَعَلَ لَكُمُ» معاشر الخلق «السمع» لتسمعوا به الأصوات «و الأبصار» لتبصروا بها المرئيات «و الافئدة» أى و خلق لكم القلوب لتعقلوا بها (قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ) أى تشكرون نعم اللَّه قليلا- من كثير و (ما) زائدة، و يجوز ان تكون مصدرية، و التقدير قليلا شكركم، لأن نعم

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۳۰. [.....]

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۵۹.

(۳) مر تخريجه فى ۷/ ۳۵۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۹۸

اللَّه لا تحصى. ثم حكى عن الكفار فقال (وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ) و فيه لغتان فتح اللام و كسرها، و كل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه، فقد ضل فيه، قال الأخطل:

كنت القذى فى موج اكدر مزيد قذف الأتى به فضل ضلالا «۱»

و قال مجاهد و قتادة: معنى (ضللنا) هلكنا. و قال ابو عبيدة: همدنا فلم يوجد لهم دم و لا لحم (أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) حكاية عن تعجبهم و قولهم كيف تخلق خلقاً جديداً، و قد هلكنا و تمزقت أجسامنا. ثم قال (بل) هؤلاء الكفار (بِلِقاءِ رَبِّهِمْ) بالعذاب و العقاب (كافرون) أى جاحدون، فلذلك قالوا: أ إذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد، جعل (إذا) منصوبة ب (ضللنا) و تكون فى معنى الشرط، و لا- توصل إلا بذكر الفاء بعدها، لأن (إذا) قد وليها الفعل الماضى و لا يجوز أن تنصب (إذا) بما بعدها إذ لا خلاف بين النحويين فيه. و قرأ الحسن (صللنا) بالصاد غير منقوطة. و معناه احد شيئين: أحدهما- انتنا و تغيرنا و تغيرت صورنا، يقال صل اللحم، و أصل إذا أنتن، و الثاني- صللنا صرنا من جنس الصلة و هى الأرض اليابسة.

قوله تعالى: [سورة السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٢٩٨

قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (۱۱) وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ (۱۲) وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۳) فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا إِنَّا نَسِيناكُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۴) إِنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (۱۵)

---

(۱) مر فى ۱/ ۴۰۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۲۹۹

خمس آيات بلا- خلاف أمر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يخاطب المكلفين بأن يقول لهم «يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» أى يقبض أرواحكم، قال قتادة يتوفاكم و معه أعوان من الملائكة، و التوفى أخذ الشيء على تمام، قال الراجز:

ان بنى أدرد ليسوا من أحد و لا توفاهم قريش فى العدد «۱»

و منه قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها» «۲» و يقال: استوفى الدين إذا قبضه على كماله، فملك الموت يتوفى الإنسان بأخذ روحه على تمام فيعرج بها الى حيث أمره اللَّه تعالى. و قوله «يتوفاكم» يقتضى أن روح الإنسان هى الإنسان فالاضافة فيها وقعت كما وقعت فى نفس الإنسان، و الملك مشتق من الألوكة و هى الرسالة كما قال الهذلى.

الكنى اليها و خير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر «٣»

و قوله «الَّذِی وُکِّلَ بِکُمْ» صفة للملک الذی یتوفی الأنفس، و أن اللَّه

(١) مر فی ٣/ ٣٠٤ و ٤/ ١۶٩.

(٢) سورة ٣٩ الزمر آیة ٤٢.

(٣) مر فی ٨/ ١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨ ص: ٣٠٠

قد وكله بمعنى فوض اليه قبض الأرواح. و التوكيل تفويض الأمر الى غيره للقيام به، و كله توكيلًا، و توكل عليه توكلًا، و وكله يوكله وكالة.

و قوله «ثُمَّ إِلى رَبِّکُمْ تُرْجَعُونَ» معناه إنكم الى جزاء اللَّه من الثواب و العقاب تردون، و انما جعل الرجوع الى الجزاء رجوعاً اليه تفخيماً للأمر.

و قيل: معناه تردون الى ان لا يملك لكم أحد ضراً و لا نفعاً إلا اللَّه تعالى. و فيه تعظيم لهذه الحال. و اقتضى الوعيد. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «وَ لَوْ تَرى يا محمد «إِذِ الْمُجْرِمُونَ» فجواب (لو) محذوف و تقديره: و لو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم إذا بعثوا، من الندم على تفريطهم فى الايمان لرأيتم ما تعتبرون به. و الخطاب للنبى صلى اللَّه عليه و آله و المراد به الأمة «ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ» من الغم. و قيل:

من الحياء و الخزى مما ارتكبوه من المعاصى «عند ربهم» يعنى يوم القيامة الذى يتولى اللَّه تعالى حساب خلقه. و فى الكلام حذف لان تقديره قائلين «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا» و معناه أبصرنا الرشد و سمعنا الحق، و قيل: معناه أبصرنا صدق وعدك و سمعنا تصديق رسلك. و قيل معناه: إنا كنا بمنزلة العمى، فقد أبصرنا، و بمنزلة الصم، فسمعنا «فارجعنا» أى ردنا الى دار التكليف «نَعْمَلْ صالِحاً» من الطاعات غير الذى كنا نعمل من المعاصى «إِنَّا مُوقِنُونَ» اليوم لا نرتاب بشىء من الحق و الرسالة.

ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه «وَ لَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها» و معناه الاخبار عن قدرته انه يقدر على إلجائهم الى الايمان بان يفعل أمراً من الأمور يلجئهم الى الإقرار بتوحيد اللَّه، لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف، لان المقصود استحقاق الثواب، و الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب و قال الجبائى يجوز أن يكون المراد و لو شئنا لأجبناهم الى ما سألوا و لرددتهم الى دار التكليف التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨ ص: ٣٠١

ليعملوا بالطاعات «وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أن أجازيهم بالعقاب، و لا أردهم و قيل: و لو شئنا لهديناهم الى الجنة «وَ لكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أى أخبرت و أوعدت أنى «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» بكفرهم باللَّه و جحدهم وحدانيته و كفرانهم نعمه. ثم حكى تعالى ما يقال لمن تقدم ذكره الذين طلبوا الرجوع الى دار التكليف، فانه يقال لهم يوم القيامة، إذا حصلوا فى العذاب «فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا» أى انما فعلتم فعل من نسى لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتم ما أمركم اللَّه به و عصيتموه «إِنَّا نَسِيناكُمْ» أى فعلنا معكم جزاء على ذلك فعل من نسيكم يعنى من ثوابه، و ترككم من نعيمه. و النسيان الترك. و منه قوله «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ» «١» و قال النابغة:

سفود شرب نسوه عند مفتأد «٢»

أى تركوه فلم يستعملوه، قال المبرد، لأنه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه «وَ ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ» الذى لا فناء له جزاء «بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى.

ثم اخبر تعالى عن حال المؤمنين و وصفهم بأن المؤمن على الحقيقة الكامل الايمان بآيات اللَّه و بحججه هم الذين إذا ذكروا بحجج

اللَّه و تليت عليهم آياته خروا سجداً شكراً على ما هداهم لمعرفته و أنعم عليهم من فنون نعمه و نزهوا اللَّه تعالى عما لا يليق به من الصفات و عن الشرك به حامدين لربهم غير مستكبرين و لا مستنكفين من الطاعة.

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ١١٥.

(٢) مر هذا البيت كاملا فى ٦/ ٨٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٠٢

قوله تعالى:[سورة السجده (٣٢): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٣٠٢

تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْواهُمُ النَّارُ كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ «اخفى» بإسكان الياء حمزة و يعقوب. الباقون- بفتح الياء- من سكن الياء جعله فعلا مستقبلا و حجته قراءة عبد اللَّه «ما تخفى لهم» و من فتح جعله فعلا ماضياً على ما لم يسم فاعله، فعلى قراءة حمزة (ما) نصب مفعول به، و على ما فى القرآن إن موضع (ما) رفع بما لم يسم فاعله. و اللَّه فاعله و (قُرَّةِ أَعْيُنٍ) شيء أعده اللَّه لعباده لم يطلعهم عليه فى دنياهم، كما

قال النبى صلى اللَّه عليه و آله (هو ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر)

وصف اللَّه تعالى المؤمنين الذين ذكرهم فى الآية الأولى فى هذه الآية بأن قال: و هم الذين لا يستنكفون عن عبادته «تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ» أى يرتفعون عن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٠٣

مواضعهم التى ينامون عليها فالتجافى تعاطى الارتفاع عن الشيء، و مثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفاء إذا نبا عنه. و تجافى عنه يتجافى تجافياً، و استجفاه استجفاء و المضجع موضع الإضجاع، و الاضطجاع هو إلقاء النفس «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» أى داعين ربهم الذى خلقهم و أوجدهم (خوفاً) من عذابه يسألونه المغفرة (و طمعاً) فى ثوابه. و انتصب (خَوْفاً، وَ طَمَعاً) على انه مفعول له أى للخوف و للطمع (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة اللَّه و سبيل ثوابه. و وجه المدح بذلك أن هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالدعاء للَّه عن طيب المضطجع لما يأملون به من الخير و البركة من اللَّه تعالى، لأن آمالهم مصروفة اليه، و اتكالهم فى أمورهم عليه، و قال الشاعر فى التجافى:

و صاحبى ذات هباب دمشق و ابن ملاط متجاف ادفق «١»

أى متنح عن كركرتها، و قال أنس و قتادة: انه مدح قوماً كانوا يتنفلون بين المغرب و العشاء. و قال الضحاك: انهم كانوا يذكرون اللَّه بالدعاء و التعظيم و قال قتادة: (خوفاً) من عذاب اللَّه (و طمعاً) فى رحمة اللَّه (وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) فى طاعة اللَّه. و

قال ابو جعفر، و ابو عبد اللَّه عليهما السلام الآية متناولة لمن يقوم الى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه وقت السحر

، و به قال معاذ و الحسن و مجاهد، و قال عبد اللَّه بن رواحة فى صفة النبى صلى اللَّه عليه و آله:

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ثم قال تعالى (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) تحتمل (ما) فى قوله (ما أخفى) أن تكون بمعنى الذى و يكون موضعها النصب، و يحتمل أن تكون بمعنى (أن) و يكون موضعها الرفع، و تكون الجملة فى موضع نصب، و المعنى

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۳۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۰۴

ليس يعلم أحد كنه ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين الذين تقدم وصفهم من انواع اللذات و الأشياء التى تقرّ أعينهم بها على كنه معرفتها. و قولهم قرت عيناه أى فرحها الله، لأن المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شئونه. و الباكى جزعاً يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد، و منه قولهم: سخنت عينه- بكسر الخاء- (جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) من الطاعات فى دار التكليف، و انما نفى العلم عنهم مع أن المؤمن يعلم أنه مستحق للثواب، لان العلم بالشيء يكون من وجهين:

أحدهما- ان يعلم الشيء على طريق الجملة، و هو الذى يحصل للمؤمن فى دار التكليف.

و الآخر- ان يحصل على طريق التفصيل، و ذلك موقوف على مشاهدتهم للثواب الذى يرونه عند زوال التكليف و حضور الثواب.

ثم قال تعالى (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً) مصدقا بالله عارفاً به و بأنبيائه عاملا بما أوجبه اللّه عليه و ندبه اليه (كَمَنْ كانَ فاسِقاً) خارجاً عن طاعة الله بارتكاب معاصيه على وجه الإنكار لذلك، فلذلك جاء به على لفظ الاستفهام، ثم اخبر تعالى بأنهم (لا يستوون) قط، لان منزلة المؤمن الثواب و انواع اللذات، و منزلة الفاسق العذاب و فنون العقاب. ثم فسر ذلك بما قال بعده فقال (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله و صدقوه و صدقوا أنبياءه (وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) و هى الطاعات مع ذلك (فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوى فالمأوى المقام اى لهم هذه البساتين التى وعدهم الله بها يأوون اليها (نُزُلًا بِما كانُوا يَعْمَلُونَ) أى فى مواضع لهم ينزلون فيها مكافأة لهم على طاعاتهم التى عملوها. و قال الحسن: (نزلا) أى عطاء نزلوه (وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بخروجهم عن طاعة الله الى معاصيه (فَمَأْواهُمُ النَّارُ) يأوون اليها نعوذ بالله منها (كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها) أى كلما كادوا و هموا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۰۵

بالخروج منها لما يلحقهم من العذاب (أُعِيدُوا فِيها) أى ردوا فيها و قال الحسن:

كلما كادوا الخروج منها لأنها ترميهم بلهبها ضربوا بمقامع حتى يعودوا فيها، و قيل:

لهم مع ذلك على وجه التقريع و التبكيت (ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) اى العذاب الذى كنتم به تجحدون فى دار الدنيا و لا تصدقون به.

و قال ابن أبى ليلى: نزلت الآية فى رجل من قريش و على عليه السلام و قال غيره:

إن هذه الآيات نزلت فى على ابن أبى طالب عليه السلام و الوليد بن عقبة بن أبى معيط، فالمؤمن المراد به على عليه السلام و الفاسق هو الوليد بن عقبة،

روى انه لقيه يوماً فقال لعلى: انا أبسط منك لساناً واحد منك سناناً، فقال على: عليه السلام ليس كما قلت يا فاسق. فنزل قوله (أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً ...)

فقال قتادة: و الله ما استووا، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة و لا عند الموت.

قوله تعالى:[سورة السجده (۳۲): الآيات ۲۱ الى ۲۵] ..... ص : ۳۰۵

وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۲۱) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (۲۲) وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ (۲۳) وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (۲۴) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۲۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۰۶

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى و رويس (لما صبروا) بكسر اللام و التخفيف أى لصبرهم. الباقون بالتشديد و فتح اللام بمعنى حين صبروا.

اقسم الله تعالى فى هذه الآية، لان اللام فى قوله (و لنذيقنهم) هى التى يتلقى بها القسم، و كذلك النون الثقيلة، بأنه يذيق هؤلاء الفساق الذين تقدم وصفهم العذاب الأدنى بعض ما يستحقونه. و قيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر و هو عذاب الدنيا بالقتل و السبى و القحط و الفقر و المرض و السقم و ما جرى هذا المجرى. و قيل: هو الحدود. و قيل: عذاب القبر. و

عن جعفر بن محمد عليهما السلام: ان العذاب الأدنى هو القحط، و الأكبر خروج المهدى بالسيف.

و العذاب الأكبر عند المفسرين هو عذاب الآخرة بالنار التى يستفزع الإنسان بالآلام و فى الأدنى معنى الأقرب. و قد يكون الأدنى من الأشياء فى الحسن، و هو أن يفعل على انه ليس فيه ظلم لاحد إذا فعل للشهوة، و الأدنى فى القبح ما يفعل و فيه ظلم يسير اتباعاً للشهوة، و الأعلى فى الحسن هو ما ليس فوقه ما هو على منه يستحق به العبادة. و الأدنى فى العذاب اكبر فى الآلام، لان العذاب استمرار الألم، و ليس فوق عذاب الكفر عذاب، لأن عذاب الفسق دونه.

و قال ابن عباس: و أبى بن كعب و الحسن: العذاب الأدنى مصائب الدنيا.

و قال ابن مسعود: هو القتل يوم بدر. و العذاب الأكبر عذاب الآخرة. و هو قول الحسن و مجاهد و ابن زيد و ابن مسعود.

و قوله (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصى اللّه الى طاعته و يتوبوا منها. و هو قول التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۰۷

عبد اللّه و أبى العالية و قتادة.

ثم قال اللّه تعالى على وجه التقريع لهم و التبكيت «وَ مَنْ أَظْلَمُ» لنفسه بارتكاب المعاصى و إدخالها فى استحقاق العقاب «مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ» أى ينبه على حججه تعالى التى توصله الى معرفته و معرفة ثوابه، «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها» جانباً، و لم ينظر فيها. ثم قال «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» الذين يفعلون المعاصى بقطع الطاعات و تركها «منتقمون» بأن نعذبهم بعذاب النار.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ» يعنى التوراة «فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ» أى فى شك من لقائه يعنى لقاء موسى ليلة الاسراء بك الى السماء- على ما ذكره ابن عباس- و قيل: فلا تكن فى مرية من لقاء موسى فى الآخرة، و قال الزجاج: فلا تكن يا محمد فى مرية من لقاء موسى الكتاب.

و المرية الشك. و قال الحسن: فلا تكن فى شك من لقاء الأذى، كما لقى موسى كأنه قال: فلا تكن فى شك من أن تلقى كما لقى موسى «وَ جَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ» قال قتادة: و جعلنا موسى هادياً لبنى إسرائيل، وضع المصدر فى موضع الحال. و قال الحسن: معناه جعلنا الكتاب هادياً لهم «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا» قال قتادة: معناه جعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون الى فعل الخير بأمر اللّه «لَمَّا صَبَرُوا» قيل: فيه حكاية الجزاء، و تقديره قيل لهم: إن صبرتم جعلناكم أئمة، فلما صبروا جعلوا أئمة- ذكره الزجاج- و «كانُوا بِآياتِنا» أى بحججنا «يُوقِنُونَ» أى لا يشكون فيه. و اليقين وجدان النفس بالثقة على خلاف ما كانت عليه من الاضطراب و الحيرة.

ثم قال لنبيه «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «هُوَ» الذى «يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ» أى يحكم بينهم، يعنى بين المؤمن و الكافر و الفاسق «فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۰۸

فى دار الدنيا من التصديق باللّه و برسوله و الايمان بالبعث و النشور و غير ذلك.

قوله تعالى:[سورة السجده (۳۲): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۳۰۸

أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ أَ فَلا يَسْمَعُونَ (۲۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا يُبْصِرُونَ (۲۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ

(۲۸) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ (۲۹) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ انْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (۳۰)

خمس آيات بلا خلاف.

القراء كلهم على الياء فى قوله «أ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» بمعنى ا و لم يهد إهلاكنا لهم لمن مضـى من القرون. و قرئ بالنون بمعنى الاخبار عن اللَّه تعالى أنه الذى بين لهم هلاك الماضين و أرشدهم بذلك الى الحق و أتباعه، فاضافه الى نفسه.

يقول اللَّه تعالى منبهاً لخلقه على وجه الاعتبار بحججه «أ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» و معناه او لم يبصرهم و يرشدهم من غوايتهم، يقال: هداه يهديه فى الدين هدى، و هدى الى الطريق هداية، و اهتدى إذا قبل الهداية. و الواجب من الهدى: هو ما يؤدى إلى ما ليس للعبد عنه غنى فى دينه، فاللطف على هذا هدى، و النظر المؤدى الى معرفة اللَّه هدى. و فاعل «يهد» مضمر فيه، التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۰۹

و تقديره أو لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكناهم من القرون الماضية جزاء على كفرهم باللَّه و ارتكابهم لمعاصيه، و لا يجوز أن يكون فاعل «يهد» «كم» فى قوله «كم أهلكنا» لان «كم» لا يعمل فيها ما قبلها إلا حروف الاضافة، لأنها على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام، و أجاز الفراء أن يكون فاعل «يهد» «كم» و لم يجزه البصريون.

و قوله «يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ» اى أهلكناهم بغتة و هم متشاغلين بنفوسهم و يمشون فى منازلهم. ثم قال «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ» أى لحججاً واضحات «أ فَلا يَسْمَعُونَ» و معناه أ فلا يتدبرون ما يسمعونه من هذه الآيات، لان من لا يتدبر ما يسمعه، و لا يفكر فيه. فكأنه لم يسمعه. ثم نبههم على وجه آخر فقال «أ وَ لَمْ يَرَوْا» و معناه ا و لم يعلموا «أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ» فالسوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق، يقول اللَّه تعالى نسوق ماء المطر الى هذه الأرض الجرز، فننبت به ضروباً من النبات الذى يتغذى به الإنسان و الانعام و غيرهم و الأرض الجرز هى الأرض اليابسة التى ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، و هو مشتق من قولهم: سيف جراز أى قطاع، لا يلقى على شىء إلا قطعه و ناقة جراز، إذا كانت تأكل كل شىء لأنها لا تبقى شيئاً إلا قطعته بفيها و أرض جروز، و هى التى لا تبقى على ظهرها شيئاً إلا أهلكته، كالناقة الجراز و رجل جروز أكول، قال الراجز:

خب جروز إذا جاع بكا [يأكل التمر و لا يلقى النوى «۱»

و فيه أربع لغات أرض جرز- بضم الجيم و الراء، و بضم الجيم و اسكان

(۱) تفسير القرطبى ۱۴/ ۱۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۱۰

الراء و بفتح الجيم و الراء، و بفتح الجيم و اسكان الراء.

و قال ابن عباس (نَسُوقُ الْماءَ) بالسيول، لأنها مواضع عالية، قال و هى:

قرى بين اليمن و الشام. ثم قال (أ فَلا يُبْصِرُونَ) بأن يفكروا فى ذلك فيدلهم على انه لا يقدر على ذلك أحد غير اللَّه الذى لا شريك له. ثم حكى عنهم أنهم (يَقُولُونَ مَتى هذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) مستعجلين لما وعد اللَّه تعالى من الفصل بينهم فى قوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) يعنون متى يجىء فتح الحكم بيننا و بينكم فى الثواب و العقاب، و الفتح القضاء و الحكم، و قيل: انه أراد به فتح مكة، فعلى هذا قوله (يَوْمَ الْفَتْحِ) يوم فتح مكة (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ) لا يليق به. و قيل: لا ينفع الذين قبلهم خلد- من بنى كنانة- ايمانهم و التأويل هو الأول، فقال اللَّه تعالى لنبيه محمد (قُلْ) لهم يا محمد (يَوْمَ الْفَتْحِ) أى يوم القضاء و الفصل. و قال مجاهد: يوم القيامة (لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات اللَّه (إيمانهم) لان التكليف قد زال عنهم، و معارفهم تحصل ضرورة (وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ) أى و لا يؤخرون ايضاً، فلا ينبغى أن يستعجلوا مجيئه. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) يا محمد، فانه لا ينفع فيهم الدعاء و

الوعظ. و قیل: کان ذلک قبل أن یؤمر بالجهاد. و قیل: أعرض عن أذاهم (و انتظر) حکم اللَّه تعالی فیهم و إهلاکه لهم (إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) أیضاً الموت الذی یؤدیهم الی ذلک. و قیل: انه سیأتیهم ذلک، فکأنهم کانوا ینتظرونه.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۳۱۱

۳۳–سورة الأحزاب ..... ص : ۳۱۱

اشارة

مدنیة فی قول مجاهد و الحسن و هی ثلاث و سبعون آیة بلا خلاف.

[سورة الأحزاب (۳۳): الآیات ۱ الی ۵] ..... ص : ۳۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ الْمُنافِقِینَ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً حَکِیماً (۱) وَ اتَّبِعْ ما یُوحی إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ إِنَّ اللَّهَ کانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیراً (۲) وَ تَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ وَ کَفی بِاللَّهِ وَکِیلاً (۳) ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَکُمُ اللاَّئِی تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِکُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِیاءَکُمْ أَبْناءَکُمْ ذلِکُمْ قَوْلُکُمْ بِأَفْواهِکُمْ وَ اللَّهُ یَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی السَّبِیلَ (۴)

ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإِخْوانُکُمْ فِی الدِّینِ وَ مَوالِیکُمْ وَ لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ فِیما أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لکِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُکُمْ وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِیماً (۵)

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۳۱۲

خمس آیات.

قرأ ابن کثیر و ابو عمرو، و نافع و أبو جعفر (اللاء) بهمزة لیس بعدها یاء، إلا أن أبا عمرو لین الهمزة. و قرأ ابن عامر و اهل الکوفة بهمزة بعدها یاء، و قرأ (تظهرون) بفتح التاء مشددة الظاء بغیر ألف- ابن کثیر و نافع و ابو عمرو- و قرأ عاصم إلا الکسائی عنه (تظاهرون) بضم التاء خفیفة الظاء و الف بعدها. و قرأ ابن عامر بتشدید الظاء و الألف و فتح التاء. فمن قرأ (تظاهرون) بتشدید الظاء أراد تتظاهرون، فأدغم احدی التاءین فی الظاء. و من قرأ بغیر الف مشدداً أراد تتظهرون، و ادغم احدی التاءین فی الظاء. و عاصم جعل الفعل بین اثنین. فقال (تظاهرون) بضم التاء و تخفیف الظاء مع الالف. و قرأ ابو عمرو (بما یعملون خبیراً) و (بما یعملون بصیراً) بالیاء فیهما. الباقون بالتاء. وجه قراءة أبی عمرو قوله «وَ لا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ الْمُنافِقِینَ» بأن اللَّه یعلم ما یفعلونه، فیجازیهم بحسبه. و وجه التاء الخطاب لهم.

هذا خطاب من اللَّه تعالی للنبی صلی اللَّه علیه و آله و المراد به جمیع الأمة کما قال «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ» «۱» فخصه بالخطاب، و أراد به جمیع المکلفین، یأمرهم اللَّه بتقواه، و تجنب معاصیه، و فعل طاعاته، فنهاهم عن طاعة الکافرین الذین یجحدون نعم اللَّه و یتخذون معه إلهاً سواه، و مثل ذلک نهاه عن طاعة المنافقین و متابعتهم لما یریدونه.

و سبب نزول الآیة أن أبا سفیان و جماعة من الکفار قدموا علی النبی صلی اللَّه علیه و آله

---

(۱) سورة ۶۵ الطلاق آیة ۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۳۱۳

المدینة، و دعوه الی أشیاء عرضوها علیه، فأراد المسلمون قتلهم. فأنزل اللَّه سبحانه «یا أَیُّهَا النَّبِیُّ اتَّقِ اللَّهَ» فی نقض العهد، و قتل هؤلاء

الكفار «وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ» فى ما يدعونك اليه و لا «الْمُنافِقِينَ» فى قتلهم و نقض العهد.

و المنافق هو الذى يظهر الايمان و يبطن الكفر، و الكافر هو الذى يظهر الكفر و يبطنه.

ثم قال «إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً» فى ما يوحيه اليك من أمرهم و يأمرك بالطاعة و ترك المعصية فى متابعتهم فى ما يريدونه و لما نهاهم عن متابعة الكفار و المنافقين قال «وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» أمره ان يتبع الذى يوحى اللَّه اليه من أمره و نهيه، فعلى موجب هذه الآية لا يجوز لأحد أن يطيع الكفار و المنافقين، و إن دعوهم الى الحق، و لكن يفعل الحق، لأنه حق لا لأجل دعائهم اليه «إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً» تهديداً لهم، لأن المراد أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم فيجازيكم بحسبها إن كان سوءاً عاقبكم، و إن كان طاعة أثابكم عليها. و من قرأ- بالياء- أراد الاخبار عن الكفار و الخطاب متوجه الى النبى صلى اللَّه عليه و آله. و من قرأ- بالتاء- خاطب الجميع. ثم أمر النبى صلى اللَّه عليه و آله و المراد به جميع المكلفين فقال «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أمرهم ان يتوكلوا على اللَّه و يفوضوا أمورهم اليه، فان اللَّه تعالى كاف فى ما يوكل اليه. و (الوكيل) القائم بالتدبير لغيره بدعاء من له ذلك اليه، فالحكمة تدعو الى أن اللَّه تعالى القائم بتدبير عباده، فهو وكيل عليهم من أوكد الوجوه.

ثم قال تعالى «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» قال ابن عباس:

كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان، فاكذبهم اللَّه. و قال مجاهد و قتادة، و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣١۴

فى رواية عن ابن عباس: أنه كان رجل من قريش يدعى ذا القلبين من دهائه و هو أبو معمر جميل بن اسد، فنزلت هذه الآية فيه. و قال الحسن: كان رجل يقول: لى نفس تأمرنى و نفس تنهانى، فأنزل اللَّه فيه هذه الآية. و قال الزهرى:

هو مثل فى ان هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك. و

روى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ما جعل اللَّه لرجل من قبلين فى جوفه يحب بهذا قوماً و يحب بهذا أعداءهم.

و لا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان فى جوفه، لأنه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنساناً واحداً، و قد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، و ليس ذلك إلا من جهة القلب الواحد أو القلبين، لأنه إذا جعل لهما قلبان يريد أحدهما بقلبه ما لا يريده الآخر و يشتهى ما لا يشتهى الآخر، و يعلم ما لا يعلم الآخر فهما حيان لا محالة، و ليسا حياً واحداً.

و قال الرمانى: لا يجوز أن توجد الارادة و المعرفة فى جزئين من القلب او أجزاء و انما يصح أن توجد فى جزء واحد، قال: لان ما يوجد فى جزئين بمنزلة ما يوجد فى قلبين، و قد بطل أن يكون لإنسان واحد قلبان. و هذا الذى ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يوجد معنيان مختلفان فى جزئين من القلب، لأنهما و إن وجدا فى جزئين فالحالان الصادران عنهما يرجعان الى الجملة و هى جملة واحدة و ليسا يوجبان الصفة للمحل الواحد فيتنافى، فعلى هذا لا يجوز أن يوجد فى جزئين من القلب معنيان ضدان، لاستحالة اجتماع معناهما فى الحى الواحد، و يجوز أن يوجد معنيان مختلفان او مثلان فى جزئين من القلب و يوجبان الصفتين للحى الواحد، و على هذا القياس ليس يمتنع ان يوجد قلبان فى جوف واحد إذا كان ما يوجد فيهما يرجع الى حى واحد، و انما المتنافى أن يرجع ما يوجد منهما الى حيين، و ذلك محال. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣١۵

و قوله «وَ ما جَعَلَ أَزْواجَكُمُ اللَّائِي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ» أى ليس نساؤكم و أزواجكم إذا قلتم لهن أنتن على كظهر أمى يصرن أمهاتكم على الحقيقة لان أمهاتكم على الحقيقة هن اللائى ولدنكم و أرضعنكم. و قال قتادة: إذا قال لزوجته أنت على كظهر أمى، فهو مظاهر، و عليه الكفارة. و عندنا إن الظهار لا يقع إلا ان تكون المرأة طاهراً، و لم يقربها فى ذلك الطهر بجماع، و يحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها أنت على كظهر أمى، و يقصد التحريم.

فإذا قال ذلك حرم عليها و حرمت عليه أن يطأها حتى يكفر. و إن اختل شيء من شرائطه، فلا يقع ظهار أصلًا.

و قوله «وَ ما جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْناءَكُمْ» قال قتادة و مجاهد و ابن زيد: نزلت فى زيد بن حارثة، فانه كان يدعى ابن رسول اللَّه، و الأدعياء جمع دعى، و هو الذى تبناه الإنسان. و بين اللَّه تعالى أن ذلك ليس بابن على الحقيقة، و لذلك قال فى آية أخرى «ما كانَ

مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ» «١» و قوله «ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْواهِكُمْ» يعنى أن قولكم فى الدعى أنه ابن الرجل قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند اللَّه. ثم قال «وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» فى ما يبينه «وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» يعنى طريق الحق الذى يفضى بكم الى الثواب، ثم أمر المكلفين بأن يدعوا الأدعياء «لآبائهم» الذين ولدوهم و ينسبونهم اليهم أو الى من ولدوا على فراشهم «اقسط» أى، فان ذلك اعدل عند اللَّه، و اقسط بمعنى أعدل «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ» و لا تعرفوهم بأعيانهم فهم (فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ) أى فى الملة فادعوهم بذلك (و مواليكم) أى بنو عمكم او لكم ولاءهم إذا كنتم اعتقتموهم من رق. ثم قال «وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ» اى حرج «فِيما أَخْطَأْتُمْ بِهِ» فنسبتموه

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ۴٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨ ص: ٣١۶

الى من انتمى اليه و إن اللَّه لا يؤاخذكم به «وَ لكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» فقصدتموه من ذلك و أردتموه هو الذى تؤاخذون به، و موضع (ما) جر، تقديره و لكن فى ما تعمدت قلوبكم «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» يغفر لكم ما لم تتعمدوا من ذلك، و يستره عليكم و يرحمكم بترك مؤاخذتكم به.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ۶ الى ١٠] ..... ص : ٣١۶

النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (۶) وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً (٧) لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً (٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً (٩) إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨ ص: ٣١٧

قرأ بن كثير و الكسائى و حفص عن عاصم «الظنونا» بألف فى الوقف دون الوصل. و قرأ نافع و ابو جعفر و ابو بكر عن عاصم و ابن عامر- بالألف- فيهما و قرأ ابو عمرو و يعقوب و حمزة.- بغير الف- فيهما و فى المصحف بألف. من أثبت الالف أثبته لأجل الفواصل التى يطلب بها تشاكل المقاطع، و لأن الألف ثابتة فى المصاحف، فاتبعوا المصحف، و من حذف قال: لأن هذا الألف يكون بدلا من التنوين فى حال الوقف، فإذا دخلت الألف و اللام أسقطت التنوين، فسقط ايضاً ما هو بدل منه، و لأن مثل ذلك إنما يجوز فى القوافى و ذلك لا يليق بالقرآن، قال الشاعر:

اقلى اللوم عاذل و العتابا [و قولى ان أصبت لقد أصابا] «١»

اخبر الله تعالى ان «النبى» صلى اللَّه عليه و آله «أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بمعنى أحق بتدبيرهم، و بأن يختاروا ما دعاهم اليه. و أحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم به الواحد فى نفسه لوجوب طاعته التى هى مقرونة بطاعة الله، و هو اولى فى ذلك و أحق من نفس الإنسان، لأنها ربما دعته الى اتباع الهوى، و لأن النبى صلى اللَّه عليه و آله لا يدعو إلا الى طاعة الله، و طاعة الله اولى ان تختار على طاعة غيره.

و واحد الأنفس نفس، و هى خاصة الحيوان الحساسة المدركة التى هى انفس ما فيه. و يحتمل ان يكون اشتقاقه من التنفس، و هو التروح، لان من شأنها التنفس به، و يحتمل ان يكون مأخوذاً من النفاسة، لأنها اجل ما فيه و أكرمه.

ثم قال «وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ» و المعنى أنهن كالأمهات فى الحرمة، و تحريم العقد عليهن. ثم قال «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ

فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ» أولوا الأرحام هم أولوا الأنساب لما ذكر اللَّه أن ازواج النبى أمهاتهم

(١) قائله جرير ديوانه ٥٨ و سيبويه ٢/ ٢٨، ٢٩٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣١٨

فى الحكم من جهة عظم الحرمة، قال «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ» أى إلا ما بين اللَّه فى كتابه مما لا يجوز لازواج النبى صلى اللَّه عليه و آله أن يدعين أمهات المؤمنين. و قال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة فلا يرث الاعرابى المسلم المهاجر حتى نزلت الآية. و قيل: إنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الاولى. ثم نسخ ذلك، فبين اللَّه تعالى أن «أولى الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ»، أى من كان قرباه أقرب فهو أحق بالميراث من الأبعد، و ظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت و الام احد من الأخوة و الأخوات، لأن البنت و الأم اقرب من الأخوة و الأخوات، و كذلك يمنع أن يرث مع الاخت أحد من العمومة و العمات و أولادهم، لأنها اقرب، و

الخبر المروى فى هذا الباب أن (ما أبقت الفرائض فلأولى عصبة ذكر)

خبر واحد مطعون على سنده، لا يترك لأجله ظاهر القرآن الذى بين فيه ان أولى الأرحام الأقرب منهم اولى من الأبعد «فِي كِتابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» المؤاخين و المهاجرين.

و قوله «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلى أَوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً» استثناء منقطع، و معناه لكن إن فعلتم الى أوليائكم معروفاً من المؤمنين و حلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن، و لا يكون على وجه نهى اللَّه تعالى عنه، و لا أذن فيه. و قال مجاهد معروفاً من الوصية لهم بشىء، و العقل عنهم و النصرة لهم، و لا يجوز أن يكونوا القرابة المشركين على ما قال بعضهم، لقوله «لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ» «١» و قد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابات الكفار. و عندنا ان ذلك جائز للوالدين و الولد.

و قوله «كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً» يعنى أن ما ذكره اللَّه كان مكتوباً

(١) سورة ٦٠ الممتحنة آية ١. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣١٩

فى الكتاب المحفوظ أثبته اللَّه و أطلع عليه ملائكته لما لهم فى ذلك من اللطف فلا يجوز خلاف ذلك، و قيل: مسطوراً فى القرآن. و (من) يحتمل أمرين:

أحدهما- أن يكون دخلت ل (أولى) أى بعضكم اولى ببعض من المؤمنين و الثانى- أن يكون التقدير، و أولوا الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى بالميراث.

و قوله «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ» تقديره و اذكر يا محمد حين أخذ اللَّه من النبيين ميثاقهم، قال ابن عباس: الميثاق العهد و الميثاق الغليظ اليمين باللَّه تعالى على الوفاء بما حملوا. و قوله «وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً» يعنى ما عهد اللَّه تعالى الى الأنبياء المذكورين و أمرهم به من اخلاص العبادة له، و خلع الأنداد من دونه. و العمل بما أوجبه عليهم و ندبهم اليه، و نهاهم عن معاصيه، و الإخلال بواجباته. و قال البلخى:

معناه ما أمرهم اللَّه به من أداء الرسالة و القيام بها.

و قوله «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذى أجاب به أممكم، و يجوز ان يحمل على عمومه فى كل صادق، و يكون فيه تهديد للكاذب، فان الصادق إذا سئل عن صدقه على اى وجه قال فيجازى بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب.

ثم قال «وَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً» أى أعد لهم عذاباً مؤلماً، و هو عذاب النار- نعوذ باللَّه منها.

ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ» أى فى حال ما جاءتكم جنود يعنى يوم الأحزاب، و هو يوم الخندق حيث اجتمعت العرب على قتال النبى صلى اللَّه عليه و آله قريش و غطفان و بنو قريظة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٢٠

و تضافروا على ذلك «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ» اى فأرسل اللَّه تعالى عليهم نصرة لنبيه و نعمة على المؤمنين «ريحاً» استقبلتهم و رمت فى أعينهم الحصباء و اكفئت قدورهم و أطفئت نيرانهم، و قلعت بيوتهم و اطنابهم و أرسل اللَّه عليهم «جنوداً» من الملائكة نصرة للمؤمنين، روى ذلك يزيد بن رومان «لم تروها» اى لم تروا الملائكة أنتم بأعينكم، لأنها أجسام شفافة لا يصح إدراكها «وَ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً» من قرء بالياء أراد ان اللَّه عالم بما يعمله الكفار. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المؤمنين.

ثم قال و اذكر «إِذْ جاؤُكُمْ» يعنى جنود المشركين (مِنْ فَوْقِكُمْ) و هم عيينة بن حصين بن بدر فى اهل نجد (وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) و هم ابو سفيان فى قريش و واجهتهم قريظة، و هو قول مجاهد: (وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ) أى اذكر إذ عدلت الأبصار عن مقرها. قال قتادة معناه: شخصت من الخوف (وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ) أى نأت عن أماكنها من الخوف. و

قيل: قال المسلمون:

يا رسول اللَّه بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء نقوله قال: نعم قولوا (اللهم استر عورتنا و أمن روعتنا) فضرب اللَّه وجوه أعدائه بريح الصبا، فهزمهم اللَّه بها، و الحناجر جمع حنجرة، و هى الحلق

، قيل: لأن الرئة عند الخوف تصعد حتى تلحق بالحلق (وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال الحسن: كانت الظنون مختلفة، فظن المنافقون انه يستأصل، و ظن المؤمنون انه سينصر. و قيل: كانت الريح شديدة البرد تمنع المشركين من الحرب و كانت الملائكة تفقد بعضهم عن بعض.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٢١

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ١٥] ..... ص : ٣٢١

هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً (١١) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢) وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً (١٣) وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً (١۴) وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً (١۵)

خمس آيات.

قرأ حفص عن عاصم (لا مقام) بضم الميم اى لا إقامة لكم. الباقون- بفتح الميم- يعنى لا موضع لكم تقومون فيه. و قرأ ابن كثير و نافع و ابو جعفر و ابن عامر (لأتوها) قصراً بمعنى لجاؤها. الباقون بالمد، يعنى لأعطوها.

و قالوا: هو أليق بقوله «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ» لان العطاء يطابق سؤال السائل.

لما وصف اللَّه تعالى شدة الأمر يوم الخندق، و خوف الناس و أن القلوب بلغت الحناجر من الرعب. قال (هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) أى اختبروا ليظهر بذلك حسن نياتهم و صبرهم على ما أمرهم اللَّه به من جهاد أعدائه و (هنا) للقريب. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٢٢

من المكان و (هنالك) للبعيد منه، و (هناك) للمتوسط بين القريب و البعيد و سبيله سبيل (ذا، و ذاك و ذلك).

و الابتلاء إظهار ما فى النفس من خير او شر، و مثله الاختبار و الامتحان و البلاء النعمة، لإظهار الخير على صاحبه، و البلاء النقمة لإظهار الشر عليه.

و قوله (وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِيداً) معناه و حركوا بهذا الامتحان تحريكا عظيماً، فالزلزال الاضطراب العظيم و منه قوله «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها» و الزلزلة اضطراب الأرض، و قيل: انه مضاعف زل، و زلزله غيره. و الشدة قوة تدرك بالحاسة، لأن القوة التى هى القدرة لا تدرك بالحاسة، و انما تعلم بالدلالة، فلذلك يوصف تعالى بأنه قوى، و لا يوصف بأنه شديد.

ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ) الذين باطنهم الكفر و ظاهرهم الايمان (وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك من الايمان باللَّه و رسوله (ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ) اى لم يعدنا اللَّه و رسوله من الظفر و الظهور على الدين (إلا غروراً) و

قيل: ان النبى صلى الله عليه و آله بشرهم بأنه يفتح عليهم مدائن كسرى و بلاد قيصر و غير ذلك من الفتوح

، فقالوا: يعدنا بهذا، و الواحد منا لا يقدر على أن يخرج ليقضى حاجة (ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً) غرانا به، فالغرور إيهام المحبوب بالمكر، يقال: غره يغره غروراً، فهو غار، و الغرور الشيطان قال الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غروراً و لكن يرفع الآل جمعهم و الضحاء

و قال يزيد بن رومان: الذى قال هذا القول معتب بن قشيرة: و قال العتابى:

ليس عاقل يقول: إن اللَّه وعده غروراً، لكنهم لما كذبوا رسوله و شكوا فى خبره، فكأنهم كذبوا اللَّه، و إذا نسبوا الرسول بأنه غرهم، فقد نسبوا الله إلى التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٢٣

ذلك فى المعنى، و إن لم يصرحوا به.

ثم قال و اذكر يا محمد (إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ) يعنى من المنافقين (يا أَهْلَ يَثْرِبَ) أى يا أهل المدينة. قيل: ان يثرب اسم ارض المدينة. و قال ابو عبيدة:

إن مدينة الرسول فى ناحية من يثرب. و قيل: يثرب هى المدينة نفسها (لا مُقامَ لَكُمْ) أى ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال. و من ضم أراد: لا إقامة لكم- ذكره الأخفش- و قال يزيد بن رومان: القائل لذلك أوس بن قبطى. و من وافقه على رأيه (فارجعوا) اى أمرهم بالرجوع الى منازلهم. و حكى ان جماعة منهم جاؤوا الى النبى صلى اللَّه عليه و آله فاستأذنوه للرجوع. و قالوا (إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ) أى هى مكشوفة نخشى عليها السرق- ذكره ابن عباس و مجاهد- فكذبهم الله تعالى فى قوله (وَ ما هِيَ بِعَوْرَةٍ ...) و ليس يريدون بهذا القول إلا الفرار، و الهرب من القتال.

ثم قال (وَ لَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها) اى من نواحيها يعنى المدينة او البيوت، فهو جمع قطر، و هو الناحية (ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ) يعنى الكفر و الضلال و قيل: انهم لو دعوا إلى القتال على وجه الحمية و العصبية لجاؤا إليها- على قراءة من قصر- و من مد أراد لأعطوا ما سئلوا إعطاءه من ذلك (وَ ما تَلَبَّثُوا بِها إِلَّا يَسِيراً) قال الفراء: و ما تلبثوا بالمدينة إلا قليلا حتى يهلكوا. و قال قتادة:

معناه و ما احتبسوا عن الاجابة الى الكفر إلا قليلا.

ثم قال (وَ لَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) يعنى عند ما بايعوا النبى صلى اللَّه عليه و آله و حلفوا له انهم ينصرونه و يدفعونه عنه، كما يدفعون عن نفوسهم، و انهم (لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ) اى لا يفرون من الزحف (وَ كانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلًا) يعنى العهد الذى عاهدوا الله عليه، و حلفوا له به يسألهم عن الوفاء به يوم القيامة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٢٤

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١٦ الى ٢٠] ..... ص : ٣٢٤

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١۶) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ

الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۱۹) يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَ لَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً (۲۰)

خمس آيات.

لما اخبر اللَّه تعالى عن المنافقين الـذين اسـتأذنوا النبى صـلى اللَّه عليه و آله فى الرجوع و اعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها، و كذبهم اللَّه فى ذلك، و بين أنهم يريدون التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۲۵

الهرب، قـال لنبيه صـلى اللَّه عليه و آله (قـل) لهم (لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ) يعنى الهرب إن هربتم (مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ) فانه لا بد من واحد منهما، و إن هربتم و بقيتم بعده فلا تبقون (و لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا) من الزمان. ثم لا بد من الموت. و الفرار الذهاب عن الشيء خوفاً منه، و مثله الهرب، فرّ يفر فراراً و أفتر إذا باعـد بين شـفتيه كتباعد الفار، و انما فرق اللَّه بين الموت و القتل لأن القتل غير الموت، فالقتـل نقض بينـة الحى، و الموت ضـد الحياة عنـد من أثبته معنى. و القتل يقـدر عليه غير اللَّه، و انما رفع بعـد (اذن) لوقوع (اذن) بين الواو و الفعـل، فصـارت بمنزلـة مـا لم يقع بعـده الفعـل، كقولـك أنـا آتيـك اذن لأـنه ممـا يجوز فيه الإلغـاء بأنه يصـح الاسـتدراك، كالاستدراك بالظن، و قد أعملت بعد (ان) فى قوله:

لا تتركنى فيهم شطيراً إنى اذن أهلك او اطيرا «۱»

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله قل لهم يا محمد من الذى يمنعكم من اللَّه ان أراد أن يفعل بكم سوءاً يعنى عذاباً أو أراد بكم رحمة، فان احداً لا يقدر على منعه مما يريد اللَّه فعله به (و لا يجدون) هؤلاء (لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا) ينصرهم (و لا نصيراً) يدفع عنهم، ثم قال تعالى (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ) يعنى الذين يعوقون غيرهم عن القتال و يثبطونهم عنه، فالتعويق التثبيط و الشغل للقعود عن أمر من الأمور، فكأن هؤلاء يدعون إخوانهم من المنافقين الى القعود عن الجهاد و يشـغلونهم لينصـرفوا عنه (وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا) أى يعلم القائلين لهم تعالوا (وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) يعنى الحرب (إلا قليلا) أى ان يكلفوا الحضور الى القتال فلا يحضـرون إلا قدر ما يوهمون أنهم معكم، و لا يقاتلون

---

(۱) قائله نهشل بن حرى، اللسان (شطر).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۲۶

معكم، فهو تعالى عالم بأحوال هؤلاء، لا يخفى عليه شيء منها.

ثم قال (اشحة عليكم) بالغنيمة و النفقة فى سبيل الله- فى قول قتادة:

و مجاهد- و نصبه على تقدير يأتونه أشحة و إن شئت على الذم. و قال ابن إسـحاق (اشـحة عليكم) بالضـغن الذى فى أنفسـهم، فهو نصب على الحـال- فى قول الزجـاج- و فى قول غيره على المصـدر، و تقـديره يشـحون عليكم اشـحة (فَإِذا جـاءَ الْخَوْفُ) يعنى الفزع (رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) يعنى من شدة ما يخافون يلحقهم مثل ما يلحق من شارف الموت و أحواله، و يغشـى عليه (فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ) و الفزع (سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ) أى خصموكم طلباً للغنيمة أشد مخاصمة. و قال الحسن: سلقوكم حـاوروكم يقال: خطيب مصـقع و مسلق أى بليغ فى الخطابـة فصـيح فيها (أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) يعنى الغنيمـة. ثم قال (أولئك) يعنى من تقدم وصفه (لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ) يعنى نفع أعمالهم على وجوه لا يستحق عليها الثواب. لأنهم لا يقصدون بها وجه الله. ثم قال (و كان ذلك) يعنى إحباط أعمالهم. و قيل:

و كان نفاقهم (عَلَى اللَّهِ يَسِيراً) قليلا. ثم وصف هؤلاء المنافقين الذين تقدم ذكرهم بالجبن، فقال (يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ) الذين انهزموا و رجعوا من شـدة فزعهم انهم (لم يـذهبوا) بعـد. و قيـل: لفرط جهلهم يعتقـدون انهم لم يـذهبوا بعـد (وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ) أى و إن جاءوا الأحزاب تمنوا أن يكونوا فى البوادى مع الاعراب (يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ) أى أخباركم و لا يكونون

معكم فيتربصون بكم الدوائر و يتوقعون الهلاك. ثم قال لنبيه (و لو كانوا) يعنى هؤلاء المنافقون معكم «و فِيكُمْ ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» أى قدراً يسيراً ليوهموا أنهم فى جملتكم، لا لينصروكم و يجاهدوا معكم. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٢٧

عاصم الجحدرى: يساءلون عن انبائكم بتشديد السين بمعنى يتساءلون، فيسأل بعضهم بعضاً، و هو شاذ لا يقرأ به. و قرأ طلحة بن مصرف «يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ» جمع باد، مثل غاز و غزى، و هى أيضاً شاذة لا يقرأ بها.

و (هلم) بمعنى أقبل و اهل الحجاز يقولون للواحد و الاثنين و الجمع و الأنثى (هلم) بلفظ واحد، و انما هى (لم) ضمت اليها (ها) التى للتنبيه، ثم حذفت الألف من (ها) إذ صارا شيئاً واحداً، كقولهم (و يلمه) و أصله (ويل أمه) فلما جعلوهما شيئاً واحداً حذفوا، و غيروا. و أما بنوا تميم فيصرفونه تصريف الفعل، فيقولون: هلم يا رجل و هلما يا رجلان، و هلموا يا رجال و هلمى يا امرأة و هلميا يا امرأتان، و هلممن يا نساء، إلا انهم يفتحون آخر الواحد البتة، فيقولون: هلم يا رجل و هلم يا مرأة.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٣٢٧

لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١) وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَ تَسْلِيماً (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٤) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً (٢٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٢٨

خمس آيات.

قرأ عاصم «أسوة»- بضم الهمزة- الباقون بكسرها، و هما لغتان. و الكسر اكثر. و مثله (كسوة، و كسوة، و رشوة و رشوة).

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمكلفين، يقول لهم: ان لكم معاشر المكلفين «فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى اقتداء حسن، فى جميع ما يقوله و يفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً، و المراد بذلك الحث على الجهاد و الصبر عليه فى حروبه، و التسلية لهم فى ما ينالهم من المصائب،

فان النبى صلى اللَّه عليه و آله شج رأسه و كسرت رباعيته فى يوم احد و قتل عمه حمزة.

فالتأسى به فى الصبر على جميع ذلك من الاسوة الحسنة. و ذلك يدل على ان الاقتداء بجميع أفعال النبى صلى اللَّه عليه و آله حسن جائز إلا ما قام الدليل على خلافه، و لا يدل على وجوب الاقتداء به فى أفعاله.

و إنما يعلم ذلك بدليل آخر. فالاسوة حال لصاحبها يقتدى بها غيره فى ما يقول به، فالاسوة تكون فى إنسان و هى اسوة لغيره، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن «لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ» فالرجاء توقع الخير، فرجاء اللَّه توقع الخير من قبله و مثل الرجاء الطمع و الأمل، و متى طمع الإنسان فى الخير من قبل الله، فيكون راجياً له.

و قوله «وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً» معناه يذكره تعالى بجميع صفاته، و يدعوه بها فيستحق بذلك الثواب من جهته.

ثم قال و قد عاد تعالى الى ذكر المؤمنين و انهم حين عاينوا الأحزاب التى اجتمعت على قتال النبى صلى اللَّه عليه و آله و تظافروا عليه، و هم ابو سفيان و من معه من التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٢٩

المشركين «قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» من الجهاد فى سبيله «وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» فى ما أخبرا به، لأن النبى صلى اللَّه عليه و آله كان أخبرهم انه يتظاهر عليكم الأحزاب، و يقاتلونكم فلما رآهم المؤمنون تبينوا صدق قوله و كان ذلك معجزاً له «وَ ما زادَهُمْ» مشاهدة عدوّهم «إِلَّا إِيماناً» و تصديقاً بالله و رسوله «وَ تَسْلِيماً» لأمره. ثم بين ان «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» من مجاهدة عدوّه، و ألا يولوا الأدبار. و قيل: ذلك يوم تأخروا عن بدر، ثم عاهدوا ألا يفارقوا النبى صلى اللَّه عليه و آله فى غزواته. و

قوله «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ» أى منهم من صبر حتى قتل فى سبيل الله، و خرج الى ثواب ربه «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» ذلك «وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» أى لم يبدلوا الايمان بالنفاق و لا العهد بالحنث. و

روى أن الآية نزلت فى حمزة بن عبد المطلب، و جعفر بن أبى طالب، و على بن أبى طالب عليه السلام فالذى قضى نحبه حمزة، و جعفر و الذى ينتظر على عليه السلام

ثم بين تعالى انه يجزى الصادقين على صدقهم فى تنزيله فوعدهم بالثواب الدائم و النعيم المقيم. و قوله (وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ) لا يدل على أن ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لأن على مذهبنا إنما جاز ذلك، لأنه لا يجب إسقاط العقاب بالتوبة عقلاء و إنما جاز ذلك و علمناه بالسمع و إن اللّه يتفضل بذلك. و قوله «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» معناه إن شاء قبل توبتهم و أسقط عقابهم إذا تابوا، و إن شاء لم يقبل ذلك. و ذلك اخبار عن مقتضى العقل. و أما مع ورود السمع و هو قوله «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ» «۱» فنقطع على انه تعالى يغفر مع حصول التوبة.

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۲۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۳۰

و قوله «إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» يؤكد ذلك لأنه انما يكون فيه مدح إذا غفر ما له المؤاخذة به، و يرحم من يستحق العقاب. و أما من يجب غفران ذنبه و يجب رحمته، فلا مدح فى ذلك. و قال قوم: معناه «وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ» بعذاب عاجل فى الدنيا أو يتوبوا، قالوا: و إنما علق بالشرط فى قوله «إِنْ شاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» لأنه علم أن من المنافقين من يتوب، فقيد الكلام ليصح المعنى- ذكره الجبائى- و قيل: إن الذى وعد اللّه المؤمنين فى الأحزاب هو أنه وعدهم إذا لقوا المشركين ظفروا بهم و استعلوا عليهم فى نحو قوله «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» «۱» مع فرض الجهاد. و قيل: إن الذى وعدهم اللّه به فى قوله «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» «۲»- ذكره قتادة- و (النحب) النذر أى قضى نذره الذى كان نذره فى ما عاهد اللّه عليه. و قال مجاهد: قضى نحبه أى عهده. و قيل: ان المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حزباً مع رسول اللّه أن يثبتوا و لا ينهزموا، و قال الحسن: قضى نحبه أى مات على ما عاهد عليه، و النحب الموت كقول ذى الرمة:

قضى نحبه فى ملتقى الخيل هو بر «۳»

أى منيته. و هو بر اسم رجل و النحب الخطر العظيم قال جرير:

بطخفة جالدنا الملوك و خيلنا عشية بسطام جرين على نحب «۴»

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۳۴ و سورة ۶۱ الصف آية ۹.

(۲) سورة ۲ البقرة آية ۲۱۴.

(۳) مجاز القرآن ۲/ ۱۳۶ الشاهد (۷۱۸)

(۴) ديوانه ۵۴ و مجاز القرآن ۲/ ۱۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۳۱

أى على خطر و النحب المد فى السير يوماً و ليلة، قال الفرزدق.

و إذ نحبت كلب على الناس أنهم أحق نتاج الماجد المتكرم «۱»

ثم اخبر تعالى أنه ردّ المشركين من الأحزاب عن قتال النبى صلى اللّه عليه و آله بغيظهم الذى جاءوا به و خيبهم لم ينالوا خيراً أملوه

من الظفر بالنبى صلى اللَّه عليه و آله و بالمؤمنين «و كفى الله المؤمنين القتال» عند رجوعهم، و قيل و كفى الله المؤمنين القتال بالريح و الملائكة. و قيل: و كفى الله المؤمنين القتال بعلى عليه السلام و هى قراءة ابن مسعود، و كذلك هو فى مصحفه، فى قتله عمرو بن عبدود، و كان ذلك سبب هزيمة القوم. «وَ كانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً» أى قادراً لا يغالب، و عزيزاً لا يقهر، لأنه قوى فى سعة مقدوره، عزيز فى انتقامه.

قوله تعالى: [سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۲۶ الى ۳۰] ..... ص : ۳۳۱

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً (۲۶) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (۲۷) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً (۲۸) وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (۲۹) يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً (۳۰)

---

(۱) ديوانه ۲/ ۷۵۹ و تفسير القرطبى ۱۴/ ۱۵۸ و مجاز القرآن ۲/ ۱۳۶

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۳۲

خمس آيات.

قرأ ابن كثير، و ابن عامر «نضعف» بالنون و تشديد العين «العذاب» نصباً، أسند الفعل الى الله تعالى، و قرأ ابو عمرو «يضعف» بالياء و تشديد العين بلا ألف على ما لم يسم فاعله. الباقون (يضاعف) بالياء و الألف.

و الذى عليه أكثر المفسرين إن المعنى بقوله «وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ» هم بنو قريظة من اليهود، و كانوا نقضوا العهد بينهم و بين النبى صلى اللَّه عليه و آله و عاونوا أبا سفيان،

فلما هزم الأحزاب امر النبى صلى اللَّه عليه و آله مناديه بأن ينادى لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة، لأن جبرائيل عليه السلام نزل عليه و قال إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، ففيهم من لحق ذلك بعد و صلى العصر فى الوقت، و فيهم من صلاها قبل ذلك. و كل صوبه رسول اللَّه. ثم حكم سعد ابن معاذ فيهم رضوا بحكمه، فحكم سعد أن تقتل الرجال، و تسبى الذرارى و النساء و نقسم الأموال و تكون الأرض للمهاجرين دون الأنصار، فقيل له فى ذلك فقال لكم دار، و ليس للمهاجرين دار، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله حكم فيهم بحكم اللَّه تعالى.

و فى بعض الأخبار لقد حكمت بحكم اللَّه من فوق سبعة أرقعة، و هو جمع رقيع اسم من اسماء سماء الدنيا. و قال الحسن: الآية نزلت فى بنى النضير و الاول أصح و أليق بسياق الآيات، لان بنى النضير لم يكن لهم فى قتال الأحزاب شىء، و كانوا قد انجلوا قبل ذلك.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۳۳

و المظاهرة المعاونة، و هى زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهراً لصاحبه فى الدفع عنه، و الظهر المعين. و فى قراءة ابن مسعود آزروهم، و معناه عاونوهم.

و الصياصى الحصون التى يمتنع بها واحدها صيصية. و يقال جذ اللَّه صيصية فلان أى حصنه الذى يمتنع به. و الصيصية قرن البقرة و شوكة الديك أيضاً، و هى شوكة الحائك أيضاً، قال الشاعر:

[ما راعنى إلا الرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد «۱»

و قوله «وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» أى ألقى فى قلوبهم يعنى اليهود و المشركين خوفاً من النبى صلى اللَّه عليه و آله «فَرِيقاً تَقْتُلُونَ» منهم يعنى الرجال «وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقاً» يعنى النساء و الذرارى ثم قال «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ» يعنى ديار بنى قريظة و

أرضـهـم و أموالهم. جعلهـا اللّه للمسـلمين مع ذلـك و نقلها اليهم «وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» معناه و أورثكم أرضاً لم تطؤها، قال الحسن: هى أرض فارس و الروم. و قال قتادة: هى مكة. و قال يزيد بن رومان و ابن زيد: هى خيبر «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً» أى قادراً على توريثكم أرض هؤلاء و أموالهم و نصركم و غير ذلك. الى هاهنا انتهت قصة الأحزاب.

ثم انتقل الى خطاب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال له «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَ أُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلًا» قال الحسن لم يكن ذلك تخيير طلاق، انما هو تخيير بين الدنيا و الآخرة. و كان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبى صلى اللّه عليه و آله فعاتبهن اللّه تعالى و خيرهن بين المقام مع النبى صلى اللّه عليه و آله و اختيار ما عند اللّه من الثواب و نعيم الأبد

---

(١) تفسير القرطبى ١۴/ ١۶١ و مجاز القرآن ٢/ ١۶١ و يروى (فجئت اليه و الرماح تنوشه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٣۴

و من مفارقته بالطلاق و تعجيل المنافع يأخذونها، و بين ذلك بقوله «وَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً» و قيد ذلك بالمحسنات لعلمه أن فيهن من ربما ارتكبت ما يستحق به الخروج عن ولاية الله تعويلا على ما وعد الله تعالى به من النعيم، فزجرهن بالتهديد المذكور فى الآية.

و

روى أن سبب نزول هذه الآية أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئاً فسألت أم سلمة ستراً معلقاً و سألت ميمونة حلة و سألت زينب بنت جحش برداً يمانياً و سألت أم حبيبة ثوباً سحوانياً و سألت حفصة ثوباً من ثياب مصر و سألت جويرية معجراً و سألت سودة قطيفة خيبرية، فلم يقدر على ذلك، لان الله تعالى كان خيره بين ملك الدنيا و نعيم الآخرة فاختار الآخرة. و قال:

(اللهم أحينى مسكينا و امتنى مسكينا و احشرنى مسكينا فى جملة المساكن) فحينئذ أمره الله تعالى بتخيير النساء، فاخترن الله و رسوله فعوضهن الله عن ذلك أن جعلهن أمهات المؤمنين.

و قيل: و أمر الله أن لا يطلقهن و لا يتزوج عليهن بقوله «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ» «١» ذكره ابن زيد.

ثم خاطب نساء النبى صلى اللّه عليه و آله فقال «يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ» من شدد أراد التكثير، و من أثبت الألف أراد من المضاعفة، و من قرأ بالنون أضاف الفعل الى الله، لأن الفاعل لذلك هو الله و إنما جاز ان يضعف عقابهن بالمعصية لعظم قدرهن، و أن معصيتهن تقع على وجه يستحق بها ضعف ما يستحق غيرهن، كما أن طاعاتهن يستحق بها ضعف

---

(١) آية ۵٢ من هذه السورة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٣۵

ما يستحق به غيرهن، من حيث كن قدوة فى الاعمال و أسوة فى ذلك.

ثم اخبر تعالى أن تضعيف ذلك عليه يسير سهل. و الضعف مثل الشيء الذى يضم اليه، ضاعفته ازددت عليه مثله، و منه الضعف، و هو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها، فهو ذهاب ضعف القوة. قال أبو عبيدة: يضاعف لها ضعفين أى يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لان ضعف الشيء مثله، و ضعفى الشيء مثلاه و مجاز يضاعف أن يجعل الى الشيء شيئان حتى يكون ثلاثة، فأما من قرأ (يضعف) أراد أن يجعل الشيء شيئين، و ذكر بعضهم أن ذلك غلط على أبى عمرو فى تشديد يضعف، لأن ذلك نقل عنه على حكاية الفرق بين يضاعف و يضعف بالتشديد، و ليس بينهما فرق، لان المضاعفة و التضعيف شيء واحد و إنما قرأ ابو عمرو (يضعف) بضم الياء و تسكين الضاد و تخفيف العين و فتحها و الفرق يقع بين هذه و بين يضاعف لأنك تقول لمن أعطاك درهماً

فأعطيته مكانه درهمين:

أضعفت لک العطیـة، فان أعطیته مکان درهم خمسة او ستة قلت ضاعفت له العطیة و ضـعفت بالتشدید أیضاً، فلما رأی ابو عمرو أن من احسن من أزواج النبی أعطی أجرین علم أن من أذنب منهن عوقب عقوبتین، فقرأ یضعف لها العذاب ضعفین.

و کان الحسن لا یری التخییر شیئاً. و قال: إنما خیرن بین الـدنیا و الآخرة لا فی الطلاق، و کـذلک عندنا ان الخیار لیس بشـیء غیر أن أصـحابنا قـالوا إنما کان ذلک لنبی اللَّه خاصـة، و لما خیرهن لو اخترن انفسـهن لبن، فلما غیره فلا یجوز له ذلک. و قال قتادة: خیرهن اللَّه تعالی بین الـدنیا و الآخرة فی شـیء کن أردن من الدنیا. و قال عکرمة: فی غیرة کانت غارتها عائشة، و کان تحته یومئذ تسع نسوة خمس من قریش: عائشة، و حفصة، و أم حبیبة بنت أبی سفیان التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٣٦

و أم سلمة بـن أبی أمیـه، و سودة بنت زمعـة، و کـان تحته صـفیه بنت حی ابن خطب و میمونـة بنت الحـارث الهلالیـة، و زینب بنت جحش الاسدیـة، و حویریة بنت الحارث من بنی المصطلق، فلما اخترن اللَّه و رسوله و الدار الآخرة، فرح بذلک رسول اللَّه صـلی اللَّه علیه و آله،

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٣٣٦

وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً (٣١) يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (٣٢) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ وَ أَطِعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٣) وَ اذْكُرْنَ ما يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ وَ الْخاشِعِينَ وَ الْخاشِعاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً (٣٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٣٧

خمس آيات.

قرأ حمزة و الکسـائی «و من یقنت منکن للَّه و رسوله و یعمـل صالحـاً» بالیـاء فیهمـا علی اللفظ، لأن لفظـة (من) مـذکر. الباقون «و من یقنت»- بالیـاء- حملاـ علی اللفـظ «و تعمل» بالتاء حملا علی المعنی، لأن المعنی من النساء، فکنی بلفظ التأنیث، و لأنه قط ظهر علامة التـأنیث فی قـوله «منکن» فکـأن الرد علیه أولی من ردّه علی اللفـظ. و روی فی الشـواذ «و من تقنت» بالتـاء حملاـ علی المعنی و ذلک جائز فی العربیـة غیر انه لیس بمعروف، و لا یقرأ به. و قرأ عاصم و نافع «و قرن» بفتـح القاف بمعنی أقررن «فی بیوتکن» من قررت فی المکـان أقر قراراً إلا انه نقل حرکـة العین الی القاف، فانفتحت و سـقطت الراء الأولی لالتقاء الساکنین کقولهم: فی ظللت ظلت. و فی أحسـت احسـت، و قـالوا فی یحططن من الجبـل یحطن. و قـال الزجـاج: فیه لغتـان (قررت فی المکـان و أقررت). الباقون بکسـر القاف بمعنی کن أهـل و قر، أی هـدوء و سـکینة من وقر فلاـن فی منزله یقر وقوراً إذا هـدأ فیه و اطمأن. و یجوز أن یکون المراد الاسـتقرار، علی لغة حکاها الزجاج و الکسائی.

لما تهـدد اللَّه تعالی نساء النبی صـلی اللَّه علیه و آله بأن من یأت منهن بفاحشة ظاهرة من ارتکاب محظور، و ما نهی اللَّه تعالی عنه انه یضاعف لها العذاب ضـعفین لوقوع أفعالهن علی وجه یستحق به ذلک من حیث کن سواء اسوة یتأسـی بهن غیرهن و رغبهن فی هذه الآیة بأن قال «وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ» أی من داوم منکن علی التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٣٨

الطاعـة للَّه و رسوله «وَ تَعْمَلْ» مع ذلـک الافعـال «صالِحاً نُؤْتِها» ای یعطیها اللَّه «أَجْرَها مَرَّتَيْنِ» کما لو عصت عاقبها ضـعفین. و القنوت المداومـة علی العمل فمن داوم علی العمل للَّه فهو مطیع. و منه القنوت فی صـلاة الوتر، و هو المداومة علی الدعاء المعروف. و العمل

الصالح هو المستقيم الذى يحسن أن يحمد عليه و يستحق به الثواب. و الأجر الجزاء على العمل، و هو الثواب، آجره يآجره اجراً و الأجر مرتين ليس يجب بالوعد بل إنما هو مستحق، لأن أفعالهن تقع على وجه يستحق مثلى ما لو استحق الغير، لأنه فى مقابلة العذاب ضعفين، و لا يجوز أن يضاعف ضعفين إلا مستحقاً، و كذلك الثواب المقابل له.

و قوله «وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً كَرِيماً» معنى اعتدنا أعددنا، و أبدل من احدى الدالين تاء. و الرزق الكريم هو الثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله.

ثم قال «يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ» انما قال كأحد، و لم يقل كواحدة لان احداً نفى عام للمذكر و المؤنث و الواحد و الجماعة أى لا يشبهكن احد من النساء فى جلالة القدر و عظم المنزلة و لمكانكن من رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله بشرط أن تتقين عقاب اللَّه باجتناب معاصيه، و امتثال أوامره. و انما شرط ذلك بالاتقاء لئلا يعولن على ذلك، فيرتكبن المعاصى، و لو لا الشرط كان يكون إغراء لهن بالمعاصى، و ذلك لا يجوز على اللَّه تعالى.

ثم قال لهن «فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أى لا تلين كلامكن للرجال، بل يكون جزلا قوياً لئلا يطمع من فى قلبه مرض. قال قتادة: و معناه من فى قلبه نفاق.

و قال عكرمة: من فى قلبه شهوة للزنا.

ثم قال لهن «وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً» مستقيماً جميلا بريئاً من التهمة بعيداً من الريبة موافقاً للدين و الإسلام. ثم أمرهن بالاستقرار فى بيوتهن و ألا يتبرجن التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۳۹

تبرج الجاهلية- على قراءة من فتح القاف. و من كسر أرادكن وقورات عليكن سكينة و وقار «وَ لا تَبَرَّجْنَ» قال قتادة: التبرج التبختر و التكبر، و قال غيره:

هو اظهار المحاسن للرجال.

و قوله «تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى نصب تبرج على المصدر و المعنى مثل تبرج الجاهلية الأولى، و هو ما كان قبل الإسلام. و قيل ما كان بين آدم و نوح.

و قيل ما كان بين موسى و عيسى، و قيل ما كان بين عيسى و محمد. و قيل ما كان يفعله اهل الجاهلية، لأنهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلا و خلا فللزوج النصف السفلانى و للخل الفوقانى من التقبيل و المعانقة، فنهى اللَّه تعالى عن ذلك ازواج النبى صلى اللَّه عليه و آله و اشتقاق التبرج من البرج و هو السعة فى العين و طعنة برجاء اى واسعة و فى أسنانه برج إذا تفرق ما بينها، و اما الجاهلية الأخرى، فهو ما يعمل بعد الإسلام بعمل أولئك.

ثم أمرهن باقامة الصلاة و الدوام عليها بشروطها و إيتاء الزكاة لمن وجبت عليه، و أمرهن بطاعة اللَّه و طاعة رسوله، فى ما يأمرانهن به. ثم قال «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» روى أبو سعيد الخدرى و انس بن مالك و عائشة و أم سلمة و واثلة بن الأسقع أن الآية نزلت فى النبى صلى اللَّه عليه و آله و على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و اهل البيت نصب على النداء او على المدح،

فروى عن أم سلمة انها قالت إن النبى صلى اللَّه عليه و آله كان فى بيتى فاستدعا علياً و فاطمة و الحسن و الحسين، و جللهم بعباء خيبرية، ثم قال:

اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، فأنزل اللَّه تعالى قوله «إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فقالت أم مسلمة قلت: يا رسول اللَّه هل انا من اهل بيتك؟ فقال: لا، و لكنك التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۴۰

الى خير.

و استدل أصحابنا بهذه الآية على ان فى جملة اهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط و ان إجماعهم لا يكون إلا صواباً بأن قالوا ليس يخلو إرادة اللَّه لاذهاب الرجس عن اهل البيت من ان يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات و اجتناب المعاصى، او يكون عبارة عن انه اذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفاً اختاروا عنده الامتناع من القبائح. و الأول لا يجوز ان يكون مراداً، لأن هذه الارادة حاصلة مع جميع المكلفين، فلا اختصاص لأهل البيت فى ذلک و لا خلاف أن اللَّه تعالى خص بهذه الآية اهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص و يخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة و مزية على غيرهم؟! على ان لفظة (إنما) تجرى مجرى ليس، و قد دللنا على ذلک فى ما تقدم و حكيناه عن جماعة من اهل اللغة، كالزجاج و غيره، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد اللَّه إلا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت، فدل ذلک على ان إذهاب الرجس قد حصل فيهم. و ذلک يدل على عصمتهم، و إذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه.

و قال عكرمة فى فى ازواج النبى خاصة. و هذا غلط، لأنه لو كانت الآية فيهن خاصة لكنى عنهم بكناية المؤنث، كما فعل فى جميع ما تقدم من الآيات نحو قوله «وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ» فذكر جميع ذلک بكناية المؤنث، فكان يجب أن يقول إنما يريد اللَّه ليذهب عنكن الرجس اهل البيت و يطهركن، فلما كنا بكناية المذكر دل على ان النساء لا مدخل لهن فيها.

و فى الناس من حمل الآية على النساء و من ذكرناه من اهل البيت هرباً التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۴۱

مما قلناه. و قال: إذا اجتمع المذكر و المؤنث غلب المذكر، فكنى عنهم بكناية المذكر. و هذا يبطل بما بيناه من الرواية عن أم سلمة و ما يقتضيه من كون من تناولته معصوماً. و النساء خارجات عن ذلک. و قد استوفينا الكلام فى ذلک- فى هذه الآيات- فى كتاب الامامة من أراده وقف عليه هناک.

ثم عاد تعالى الى ذكر النساء فأمرهن بأن يذكرن اللَّه تعالى بصفاته، و بالدعاء و التضرع اليه، و ان يفكرن فى آيات الله التى تتلى فى بيوتهن من القرآن المنزل، و يعملن بها و بما فيها من الحكمة «إِنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً» فى تدبير خلقه، و فى إيصال المنافع الدينية و الدنيوية اليهم «خَبِيراً» اى عالماً بما يكون منهم، و بما يصلحهم و بما يفسدهم، و أمرهم بأن يفعلوا ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم.

ثم اخبر تعالى ب «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» و هم الذين استسلموا لاوامر الله و انقادوا له، و أظهروا الشهادتين، و عملوا بموجبه «وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ» فالإسلام و الايمان واحد، عند اكثر المفسرين، و إنما كرر لاختلاف اللفظين.

و فى الناس من قال: المؤمن هو الذى فعل جميع الواجبات، و انتهى عن جميع المقبحات، و المسلم هو الملتزم لشرائط الإسلام المستسلم لها و «الْقانِتِينَ وَ الْقانِتاتِ» يعنى الدائمين على الاعمال الصالحات «وَ الصَّادِقِينَ» فى أقوالهم «وَ الصَّادِقاتِ» مثل ذلک «وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِراتِ» على طاعة اللَّه و على ما يبتليهم الله من المصائب و ما يأمرهم به من الجهاد فى سبيله «وَ الْخاشِعِينَ» يعنى المتواضعين غير المتكبرين «وَ الْخاشِعاتِ» مثل ذلک «وَ الْمُتَصَدِّقِينَ» يعنى الذين يخرجون الصدقات و الزكوات «وَ الْمُتَصَدِّقاتِ» مثل ذلک «وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِماتِ وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» من الزنا و ارتكاب انواع الفجور «وَ الْحافِظاتِ» فروجهن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۴۲

و حذف من الثانى لدلالة الكلام عليه «وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِراتِ» الله كثيراً، و حذف مثل ما قلناه. ثم قال «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» يعنى من قدم ذكرهم و وصفهم «مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً» يعنى ثواباً جزيلا. لا يوازيه شىء.

و قيل: إن سبب نزول هذه الآية ان أم سلمة قالت: يا رسول الله ما للرجال يذكرون فى القرآن و لا يذكر النساء؟ فنزلت الآية. فلذلک قال «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ» و إن كن المسلمات داخلات فى قوله «المسلمين» تغليباً للمذكر فذكرهن بلفظ يخصهن إزالة للشبهة.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۳۶ الى ۴۰] ..... ص : ۳۴۲

وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً (٣٦) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧) ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً (٣٩) ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٤٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٤٣

خمس آيات.

قرأ أهل الكوفة «ان يكون لهم الخيرة» بالياء، لان التأنيث غير حقيقى.

الباقون بالتاء لتأنيث الخيرة. و الخيرة جمع خير و حكى خيرة بفتح الياء و سكونها و قرأ عاصم «و خاتم» بفتح التاء، الباقون بكسرها. و هو الأقوى، لأنه مشتق من ختم، فهو خاتم. و قال الحسن: خاتم و هو الذى ختم به الأنبياء. و قيل: هما لغتان- فتح التاء و كسرها- و فيه لغة ثالثة (خاتام) و قرئ به فى الشواذ.

و حكى ايضاً (ختام).

و روى عن ابن عباس، و ذهب اليه مجاهد، و قتادة أنه نزل قوله «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ ...» الآية، فى زينب بنت جحش، لما خطبها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله لزيد بن حارثة فامتنعت لنسبها من قريش و إن زيداً كان عبداً، فأنزل اللَّه الآية فرضيت به. و قال ابن زيد: نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط، و كانت وهبت نفسها لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله فزوجها زيد بن حارثة.

بين اللَّه تعالى فى هذه الآية انه لم يكن «لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً» بمعنى إلزاماً و حكما «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» اى ليس لهم أن يتخيروا مع امر اللَّه بشىء يترك به ما امر به الى ما لم يأذن فيه. و الخيرة إرادة اختيار الشىء على غيره. و فى ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة فى القضاء و القدر، لأنه لو كان اللَّه تعالى قضى المعاصى لم يكن لأحد الخيرة، و لوجب التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٤٤

عليه الوفاء به. و من خالف فى ذلك كان عاصياً، و ذلك خلاف الإجماع.

ثم قال «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى ما قضيا به و امرا به و خالفهما «فَقَدْ ضَلَّ» عن الحق و خاب عنه «ضَلالًا مُبِيناً» أى ظاهراً.

ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال و اذكر يا محمد حين «تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» يعنى بالهداية الى الايمان «وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بالعتق «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» أى احبسها، و لا تطلقها،

لأن زيداً جاء الى النبى صلى اللَّه عليه و آله مخاصما زوجته زينب بنت جحش على ان يطلقها، فوعظه النبى صلى اللَّه عليه و آله، و قال له: لا تطلقها و أمسكها

«وَ اتَّقِ اللَّهَ» فى مفارقتها «وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» فالذى أخفى فى نفسه انه إن طلقها زيد تزوجها و خشى من إظهار هذا للناس، و كان الله تعالى أمره بتزوجها إذا طلقها زيد، فقال الله تعالى له ان تركت إظهار هذا خشية الناس فترك إضماره خشية الله أحق و أولى. و قال الحسن: معناه و تخشى عيب الناس. و روى عن عائشة انها قالت لو كتم رسول الله صلى اللَّه عليه و آله شيئاً من الوحى لكتم «وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ» و

قيل: إن زيداً لما جاء مخاصما زوجته، فرآها النبى صلى اللَّه عليه و آله استحسنها و تمنى ان يفارقها زيد حتى يتزوجها، فكتم.

قال البلخى: و هذا جائز، لأن هذا التمنى هو ما طبع الله عليه البشر، فلا شىء على احد إذا تمنى شيئاً استحسنه.

ثم قال تعالى (فَلَمَّا قَضى‌ زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها) فالوطر الارب و الحاجة و قضاء الشهوة يقال: لى فى هذا وطر، أى حاجة و شهوة، قال الشاعر:

و دعنى قبل ان أودعه لما قضى من شبابنا وطرا «۱»

و قال آخر:

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۶۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۴۵

و كيف ثواى بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

و قوله (زوجناكها) يعنى لما طلق زيد امرأته زينب بنت جحش اذن الله تعالى لنبيه فى تزويجها، و أراد بذلك نسخ ما كان عليه اهل الجاهلية من تحريم زوجة الدعى على ما بيناه، و هو قوله (لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ) اى اثم فى أزواج ادعيائهم أن يتزوجوهن (إذا قضوا) الأدعياء (منهن وطراً) و فارقوهن، فبين الله تعالى ان الغرض بهذا ان لا يكون المتبنى به إذا طلق المرأة يجرى مجرى تحريم امرأة الابن إذا طلقت او مات عنها الابن.

و قوله (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) معناه و

كان تزويج النبى صلى اللَّه عليه و آله زينب بنت جحش كائناً لا محالة.

و استدل بقوله (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) على حدوث كلام اللَّه، لأن اللَّه تعالى قص كلامه. و قد بين أنه مفعول، و المفعول و المحدث واحد. ثم قال تعالى (ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ) أى لم يكن عليه إثم فى ما قدره اللَّه أن يتزوج زينب بنت جحش التى كانت زوجة زيد، و إن كان دعياً له، و فى جمعه بين التسع. و قال (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) أى ما أمرنا به محمداً من هذه السنن و العادات مثل سنة من تقدم من الأنبياء، و ما أمرهم اللَّه تعالى به، لأنه تعالى أباح لكل نبى شيئاً خصه به و رفع به شأنه من بين سائر الأمم (وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً) فالقدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة و لا نقصان، قال الشاعر:

و اعلم بان ذا الجلال قد قدر فى الصحف الاولى التى كان سطر «۱»

---

(۱) مر تخريجه فى ۶/ ۴۹۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۴۶

و قوله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ) و لا يكتمونها بل يؤدونها الى من بعثوا اليهم (وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ) أى لا يخافون سوى اللَّه احداً و قوله (وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً) أى كافياً و مجازياً. ثم قال (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) نزلت فى زيد بن حارثة لأنهم كانوا يسمونه: زيد بن محمد، فبين اللَّه تعالى ان النبى ليس ب (أب احد) منهم من الرجال و إنما هو ابو القاسم و الطيب و المطهر و إبراهيم، و كلهم درجوا فى الصغر. ذكره قتادة. ثم قال (و لكن) كان (رسول اللَّه) و نصب بإضمار (كان) و تقديره و لكن كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله، و روى عبد الوارث عن أبى عمرو (و لكن) بالتشديد (رسول اللَّه) نصب ب (لكن) (وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ) أى آخرهم، لأنه لا نبى بعده الى يوم القيامة (وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْ‌ءٍ عَلِيماً) أى عالماً لا يخفى عليه شى‌ء مما يصلح العباد. و قيل إنما ذكر (وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ) هاهنا، لان المعنى أن من لا يصلح بهذا النبى الذى هو آخر الأنبياء، فهو مأيوس من صلاحه من حيث انه ليس بعده نبى يصلح به الخلق. و من استدل بهذه الآية، و هى قوله (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ) على انه لم يكن الحسن و الحسين عليهما السلام ابنيه، فقد أبعد، لان الحسن و الحسين كانا طفلين، كما انه كان أبا إبراهيم و إنما بقى أن لا يكون أباً للرجال البالغين.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۴۱ الى ۴۸] ..... ص : ۳۴۶

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (۴۱) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۴۲) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (۴۳) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (۴۴) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (۴۵)

وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (۴۶) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً (۴۷) وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا (۴۸)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣۴٧

ثمان آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بصدق أنبيائه، يأمرهم بأن يذكروا اللَّه ذكراً كثيراً، و الذكر الكثير أن نذكره بصفاته التي يختص بها، و لا يشاركه فيها غيره، و ننزهه عما لا يليق به. و

روى في اخبارنا أن من قال: سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله اكبر ثلاثين مرة، فقد ذكر الله كثيراً

، و كل صفة لله تعالى فهي صفة تعظيم، و إذا ذكر بأنه شيء وجب أن يقال: إنه شيء لا كالأشياء، و كذلك احد ليس كمثله شيء و كذلك القديم هو الأول قبل كل شيء، و الباقي بعد فناء كل شيء. و لا يجوز أن يذكر بفعل ليس فيه تعظيم، لان جميع ما يفعله يستحق به الحمد و الوصف بالجميل على جهة التعظيم، مثل الذكر بالغنى و الكرم بما يوجب اتساع النعم، و الذكر إحضار معنى الصفة للنفس إما بإيجاد المعنى في النفس ابتداء من غير طلب. و الآخر بالطلب من جهة الفكر. و الذكر قد يجامع العلم، و قد يجامع الشك. و العلم لا يجامع الشك في الشيء على وجه واحد. و الذكر أيضاً يضاد السهو، و لا يضاد الشك، كما يضاده العلم. و قوله (وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا) أمر لهم بأن ينزهوا الله تعالى عن كل قبيح و جميع ما لا يليق به، بالغداة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣۴٨ و العشي: قال قتادة: يعني صلاة الغداة و صلاة العصر، و الأصيل العشي و جمعه أصائل، و يقال اصل و آصال، و هو اصل الليل أي اوله و مبدؤه، و قوله (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ) يترحم عليكم بإيجاب الرحمة، و يصلي عليكم الملائكة بالدعاء و الاستغفار، فالأول كالدعاء، و الثاني دعاء، و قيل: معناه يثني عليكم بطريقة الدعاء، كقوله عليك رحمتي و مغفرتي. و قيل: معناه هو الذي يوجب عليكم الصلاة، و هي الدعاء بالخير، و يوجبه الملائكة بفعل الدعاء، و هذا مما يختلف فيه معنى صفة الله تعالى و صفة العباد، كتواب بمعنى كثير القبول للتوبة و تواب بمعنى كثير فعل التوبة، و قال الأعشى:

عليك مثل الذي صليت فاعتصمي يوماً فان لجنب المرء مضطجعا «۱»

فمن رفع (مثل) فإنما دعا لها مثل ما دعت له. و من نصب أمرها بأن تزداد من الدعاء أي عليك بمثل ما قلت. و قوله (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) معناه ليخرجكم من الجهل بالله الى معرفته، فشبه الجهل بالظلمات، و المعرفة بالنور. و انما شبه العلم بالنور، لأنه يقود الى الجنة، فهو كالنور. و الكفر يقود الى النار- نعوذ بالله منها- و قال ابن زيد: معناه ليخرجكم من الضلالة الى الهدى.

ثم اخبر تعالى انه (كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً) حين قبل توبتهم و خلصهم من العقاب الى الثواب بما لطف لهم في فعله. و قوله (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ) أي يحيي بعضهم بعضاً يوم يلقون ثواب اللَّه بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات و الفوز بنعيم ثواب اللَّه. و لقاء اللَّه لقاء ثوابه لا رؤيته، لأنه بمنزلة قوله

---

(۱) ديوانه (دار بيروت) ۱۰۶ و قد مر في ۵/ ۳۳۱ من هذا الكتاب.

بيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣۴٩

(فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) «١» و بمنزلة

قول النبى صلى اللّه عليه و آله (من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها مال امرئ مسلم لقى اللّه و هو عليه غضبان)

و لا خلاف أن هؤلاء لا يرون اللّه. و قوله (وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً) أى ثواباً جزيلا.

ثم خاطب النبى صلى اللّه عليه و آله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً) أى شاهداً على أمتك فى ما يفعلونه من طاعة الله او معصيته او إيمان به او كفر، لتشهد لهم يوم القيامة او عليهم، فأجازيهم بحسبه، و مبشراً لهم بالجنة و ثواب الأبد إن أطاعونى و اجتنبوا معصيتى. (و نذيراً) أى مخوفاً من النار و عقاب الأبد بارتكاب المعاصى و ترك الواجبات (و داعياً) اى و بعثناك داعياً لهم تدعوهم (إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ) و الإقرار بوحدانيته و امتثال ما أمرهم به، و الانتهاء عما نهاهم عنه (وَ سِراجاً مُنِيراً) أى انت بمنزلة السراج الذى يهتدى به الخلق. و المنير هو الذى يصدر النور من جهته إما بفعله، و إما لأنه سبب له، فالقمر منير، و السراج منير بهذا المعنى، و الله منير السموات و الأرض.

و قال الزجاج (وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً) و بعثناك ذا سراج، و حذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه و أراد بالسراج القرآن الذى يحتاجون الى العمل به.

ثم امر نبيه صلى اللّه عليه و آله بأن (بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً) أى زيادة على ما يستحقونه من الثواب كثيراً. ثم نهاه عن طاعة الكفار الجاحدين لله و المنكرين لنبوته فقال (وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ) الذين يتظاهرون بالكفر، و لا «المنافقين» الذين يظهرون الإسلام، و يبطنون الكفر، و لا تساعدهم على ما يريدونه (وَ دَعْ أَذاهُمْ) أى اعرض عن أذاهم فانا أكفيك أمرهم إذا توكلت علىّ، و عملت بطاعتى فان جميعهم فى سلطانى

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٧٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥٠

بمنزلة ما هو فى قبضة غيرى. ثم قال (وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) أى أسند أمرك اليه و اكتف به (وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا) اى كافياً و متكفلا ما يسنده اليه. و قوله (شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً، و داعيا، و سراجا) كل ذلك نصب على الحال.

قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٥٠] ..... ص : ٣٥٠

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ وَ سَرِّحُوهُنَّ سَراحاً جَمِيلًا (٤٩) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ أَزْواجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ اللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٠)

آيتان.

قرأ حمزة و الكسائى (تماسوهن) بألف. الباقون بلا الف. و قد مضى تفسيره فى البقرة «١».

---

(١) انظر ٢/ ٢٦٨- ٢٧٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥١

خاطب الله نبيه بأنه إذا نكح واحد من المؤمنين المصدقين بواحدانيته المقرين بنبوة نبيه مؤمنة نكاحاً صحيحاً، ثم طلقها قبل ان يمسها

بمعنى قبل ان يـدخل بها بأنه لا عدة عليها منه، و يجوز لها أن تتزوج بغيره فى الحال. و أمرهم أن يمتعوها و يسرحوها سراحاً جميلا، الى بيت أهلها. و هذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهراً و إن كان سمى لها مهراً لزمه نصف المهر، و يستحب المتعة مع ذلك، و فيه خلاف. و قال ابن عباس: إن كان سمى لها صداقاً فليس لها إلا نصف المهر، و إن لم يكن سمى لها صداقاً متعها على قدر عسره او يسره و هو السراح الجميل. و هذا مثل قولنا سواء. و حكى عن ابن عباس أن هذه الآية نسخت بإيجاب المهر المذكور فى البقرة «١» و مثله روى عن سعيد بن المسيب و الصحيح الأول. ثم خاطب النبى صلى اللَّه عليه و آله فقال (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنا لَکَ أَزْواجَکَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) يعنى مهورهن، لأن النكاح لا ينفك من المهر و أحللنا لك ما ملكت من الإماء أن تجمع منهن ما شئت (مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْکَ) من الغنائم و الانفال (وَ بَناتِ عَمِّکَ) أى و أحللنا لك بنات عمك (وَ بَناتِ عَمَّاتِکَ وَ بَناتِ خالِکَ وَ بَناتِ خالاتِکَ اللَّاتِي هاجَرْنَ مَعَکَ) أن تعقد عليهن و تعطيهن مهورهن.

ثم قال (وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ) فالقراء كلهم على كسر (ان) على انه شرط، و قرأ الحسن بفتحها على انه بمعنى أحللنا لك لان وهبت، و المعنى واحد، لأنه بمنزلة قولك سرنى إن ملكت و سرنى أن ملكت أى سرنى ما ملكت (إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ) و أحللنا لك المرأة إذا وهبت نفسها لك إن أردتها و رغبت فيها. فروى عن ابن عباس انه لا تحل امرأة بغير مهر و إن وهبت نفسها إلا للنبى

---

(١) انظر ٢/ ٢٧٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥٢

صلى اللَّه عليه و آله خاصة. و قال ابن عباس: لم يكن عند النبى امرأة وهبت نفسها له، و فى رواية أخرى عن ابن عباس انه كانت عنده ميمونة بنت الحارث بلا مهر و كانت وهبت نفسها للنبى. و

روى عن على بن الحسين عليه السلام أنها امرأة من بنى اسد يقال لها أم شريك.

و قال الشعبى: هى امرأة من الأنصار. و قيل زينب بنت خزيمة من الأنصار. و عندنا أن النكاح بلفظ الهبة لا يصح و إنما كان ذلك للنبى صلى اللَّه عليه و آله خاصة. و قال قوم: يصح غير انه يلزم المهر إذا دخل بها، و إنما جاز بلا مهر للنبى صلى اللَّه عليه و آله خاصة غير انه يبين حجة ما قلناه. قوله (إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَکَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين.

و قوله (قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ) يعنى على المؤمنين (فى أزواجهم) قال قتادة: معناه أى لا نكاح الا بولى و شاهدين و صداق و ألا يتجاوز الأربع.

و قال مجاهد: ما فرضنا عليهم ألا يتزوجوا اكثر من أربع. و قال قوم (ما فَرَضْنا عَلَيْهِمْ فِي أَزْواجِهِمْ) من النفقة و القسمة و غير ذلك. و عندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد، و لا الولى إذا كانت المرأة بالغة رشيدة، لأنها ولية نفسها. و المعنى على مذهبنا إنا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهن و نفقتهن و غير ذلك و من الحقوق مع (ما مَلَکَتْ أَيْمانُهُمْ) (ما) فى موضع جر لأنها عطف على (فى) و تقديره: فى أزواجهم و فى ما ملكت أيمانهم (لِکَيْلا يَکُونَ عَلَيْکَ حَرَجٌ) إذا تزوجت المرأة بغير مهر إذا وهبت لك نفسها و أردتها. ثم قال (وَ کانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى ساتراً للذنب على المسيئين رحيماً بهم و منعما عليهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥٣

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٥] ..... ص : ٣٥٣

تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْکَ مَنْ تَشاءُ وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْکَ ذلِکَ أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ کُلُّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِکُمْ وَ کانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً (٥١) لا يَحِلُّ لَکَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ

أَزْواجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً (۵۲) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً (۵۳) إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (۵۴) لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (۵۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥۴

خمس آيات.

قرأ ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر و ابو بكر عن عاصم (ترجئ) مهموزة. الباقون بغير همز. من همز خففها و من ترك الهمز لين، و هما لغتان يقال: أرجئت و أرجيت. و قرأ ابو عمرو وحده (لا تحل) بالتاء. الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء، فلان النساء مؤنثة. و من قرأ بالياء حمله على اللفظ لأن المعنى: لا يحل لك شيء من النساء.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله يخيره فى نسائه بين أن يرجئ منهن من شاء أى تؤخر و تبعد. قال ابن عباس: خيره اللَّه بين طلاقهن و إمساكهن. و قال قوم: معناه تترك نكاح من شئت و تنكح من شئت من نساء أمتك. و قال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائك فلا تأتيها و تأتى من شئت من نسائك فلا تقسم لها، فعلى هذا يكون القسم ساقطاً عنه فكان ممن أرجى ميمونة و أم حبيبة و صفية و سودة، فكان يقسم لهن من نفسه و ماله ما شاء، و كان ممن يأوى عائشة و حفصة و أم سلمة و زينب، فكان يقسم نفسه و ماله بينهن بالسوية. و قال زيد بن اسلم: نزلت فى اللاتى وهبن انفسهن فقال الله له تزوج من شئت منهن و اترك من شئت، و هو اختيار الطبرى و هو أليق بما تقدم. فالارجاء هو التأخير و هو من تبعيد وقت الشيء عن التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥۵

وقت غيره و منه الارجاء فى فساق أهل الصلاة، و هو تأخير حكمهم بالعقاب الى الله (وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ) فالايواء: ضم القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما يعقل الى غيره أو ناحيته، تقول آويت الإنسان آويه إيواء و أوى هو يأوى أوياً إذا انضم الى مأواه. و قوله (وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ) يعنى من طلبت (ممن عزلت) قال قتادة: كان نبى اللَّه يقسم بين أزواجه فأحل اللَّه تعالى له ترك ذلك. و قيل (وَ مَنِ ابْتَغَيْتَ) اصابته ممن كنت عزلت عن ذلك من نسائك. و قال الحسن (تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ) تذكر المرأة للتزويج ثم ترجيها فلا تتزوجها (فَلا جُناحَ عَلَيْكَ) أى لا جناح عليك فى ابتغاء من شئت و إرجاء من عزلت و إيواء من شئت (ذلِكَ أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لا يَحْزَنَّ) أى اقرب إذا علمن أن الرخصة من قبل اللَّه كان ذلك أقر لعينهن، و إنهن لا يطلقن و أشدّ لسرورهن. و هو قول قتادة، و قيل (ذلِكَ أَدْنى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ) إذا طمعت فى ردّها الى فراشها بعد عزلها (وَ يَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ) رفع (كلهنّ) على تأكيد الضمير و هو النون فى (يرضين) لا يجوز غير ذلك، لان المعنى عليه. ثم قال (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ) من الرضا و السخط و الميل الى بعض النساء دون بعض (وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً) بذلك (حليماً) عن ان يعاجل أحداً بالعقوبة.

و قوله (لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ) قال ابن عباس و الحسن: بعد التسع اللاتى كن عنده و اخترنه مكافأة لهن على اختيارهن اللَّه و رسوله. و قال أبى بن كعب لا يحل لك من بعد أى حرم عليك ما عدا اللواتى ذكرن بالتحليل فى «إِنَّا أَحْلَلْنا لَكَ ...» الآية. و هن ست أجناس النساء اللاتى هاجرن معك و إعطائهن مهورهن و بنات عمه و بنات عماته و بنات خاله التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥۶

و بنات خالاته اللاتى هاجرن معه، و من وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد، و لا يحل له غيرهن من النساء. و قال مجاهد: «لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ» من أهل الكتاب و يحل لك المسلمات.

و روى أن حكم هذه الآية نسخ، و أبيح له ما شاء من النساء أى أى جنس أراد، و كم أراد،

فروى عن عائشة انها قالت: لم يخرج النبى صلى اللَّه عليه و آله من دار الدنيا حتى حلل اللَّه له ما أراد من النساء، و هو مذهب اكثر الفقهاء. و هو المروى عن أصحابنا فى أخبارنا.

«وَ لا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ» قال ابن زيد: معناه أن تعطى زوجتك لغيرك و تأخذ زوجته. لان أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات. و قيل:

معناه تطلق واحدة و تتزوج أخرى بعدها «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ» استثناء الإماء أى اللاتى تملكهن من جملة ما حرم عليه من النساء «وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً» أى عالماً حافظاً، فالرقيب الحفيظ- فى قول الحسن و قتادة- قال الشاعر:

لواحد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد «۱»

ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» نهاهم عن دخول دور النبى بغير اذن «إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ» أى بلوغه، و كان يداريهم، و هو نصب على الحال، يقال فى الطعام:

أناى يأنى إذا بلغ حال النضج، قال الشاعر [الشيبانى .

تمخضت المنون له بيوم انى و لكل حادثة تمام «۲»

و قال الحطيئة:

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۴۰.

(۲) تفسير القرطبى ۱۴/ ۲۲۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٥٧

و أخرت

العشاء الى سبيل او الشعرى فطال بى الإناء «۱»

و قال البصريون: لا يجوز (غير ناظرين) بالجر على صفة (طعام) لان الصفة إذا جرت على غير من هى له لم يضمر الضمير، و أجاز ذلك الفراء و انشد الأعشى:

فقلت له هذه هاتها إلينا بأدماء مقتادها «۲»

.و المعنى على يدى من اقتادها، و قال الكسائى: سمعت العرب تقول: يدك باسطها، أى انت. و قال الزجاج: لو جر (غير) لقال: الى طعام غير ناظرين إناه أنتم، لا يجوز إلا ذلك. و المعنى غير منتظرين بلوغ الطعام.

ثم قال «وَ لكِنْ إِذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا» و المعنى إذا دعيتم الى طعام فادخلوا «فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» أى تفرقوا و لا تقيموا و لا تستأنسوا بطول الحديث، و إنما منعوا من الاستئناس من اجل طول الحديث لان الجلوس يقتضى ذلك، و الاستئناس هو ضد الاستيحاش، و الانس ضد الوحشة، و بين تعالى فقال «لان ذلك» الاستئناس بطول الجلوس «كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» أى من الحاضرين، فيسكت على مضض و مشقة «وَ اللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» ثم قال «وَ إِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً» يعنى إذا سألتم أزواج النبى شيئاً تحتاجون اليه «فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» و ستر «ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ» من الميل الى الفجور.

ثم قال «وَ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» قال ابو عبيدة (كان) زائدة و المعنى ليس «لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» بطول الجلوس عنده، و مكالمة نسائه

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۴/ ۲۲۶.

(٢) ديوانه (دار بيروت) روايته:

فقلنا له هذه هاتها بأدماء فى حبل مقتادها.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٣٥٨

«و لا» يحل لكم ايضاً «أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً» لأنهن صرن بمنزلة أمهاتكم فى التحريم. و قال السدى: لما نزل الحجاب قال رجل من بنى تيم أ نحجب من بنات عمنا إن مات عرسنا بهن، فنزل قوله «وَ لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ» إن فعلتموه «كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً».

ثم قال لهم «إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً» أى إن اظهرتموه من مواقعة النساء «أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْ‏ءٍ عَلِيماً» لا يخفى عليه شى‏ء من أعمالكم لا ظاهرة و لا باطنة. ثم استثنى لازواج النبى صلى اللّه عليه و آله من يجوز لها محادثتهم و مكالمتهم، فقال «لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَ لا أَبْنائِهِنَّ وَ لا إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ إِخْوانِهِنَّ وَ لا أَبْناءِ أَخَواتِهِنَّ وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» و لم يذكر العم و الخال لأنه مفهوم من الكلام، لان قرباتهم واحدة، لأنهن لا يحللن لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه، فهن محرم لهن «وَ لا نِسائِهِنَّ وَ لا ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ» قال قوم: من النساء و الرجال. و قال آخرون من النساء خاصة. و هو الأصح. و قال مجاهد: رفع الجناح- هاهنا- فى وضع الجلباب للمذكورين.

و قال قتادة: فى ترك الاحتجاب، ثم أمرهن بأن يتقين اللّه و يتركن معاصيه فقال «وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْ‏ءٍ شَهِيداً» أى عالماً لا يخفى عليه شى‏ء من ذلك. و قال الشعبى و عكرمة: و إنما لم يذكر العم و الخال، لئلا ينعتاهن لابنائهما. و كان سبب نزول الآية لما نزل الحجاب، قوله «فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ» قال آباء النساء و ابناؤهن: و نحن ايضاً مثل ذلك، فانزل الله الآية و بين أن حكم هؤلاء بخلاف حكم الأجانب.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٣٥٩

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٠] ..... ص : ٣٥٩

إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً (٥٧) وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (٥٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠)

خمس آيات يقول الله تعالى مخبراً انه يصلى و ملائكته على النبى صلى اللّه عليه و آله و صلاة الله تعالى هو ما فعله به من كراماته و تفضيله و إعلاء درجاته و رفع منازله و ثنائه عليه و غير ذلك من انواع إكرامه. و صلاة الملائكة عليه مسألتهم الله تعالى أن يفعل به مثل ذلك، و زعم بعضهم أن «يصلون» فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع إقراره بأن الله سبحانه يصلى على النبى لكنه يذهب فى ذلك الى انه فى افراده بالذكر تعظيماً، ذكره الجبائى. التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٣٦٠

ثم امر تعالى المؤمنين المصدقين بواحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا ايضاً عليه، و هو أن يقولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل إبراهيم- فى قول ابن عباس.

ثم أمر المؤمنين أيضاً، ان يسلموا لأمره تعالى و أمر رسوله تسليماً، فى جميع ما يأمرهم به. و التسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم سلمك الله. و السلام عليك و رحمة الله و بركاته. و كقولك: السلام عليك يا رسول الله.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» و أذى الله يقال هو أذى أوليائه، و انما أضافه الى نفسه تعظيماً لأوليائه و مبالغة فى عظم المعصية به «لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى يستحقون اللعنة من الله، لان معنى «لعنهم الله» أى حل بهم و بال اللعن بالابعاد من رحمة الله. و قول القائل:

لعن الله فلاناً معناه الـدعاء عليه بالابعاد من رحمته. و قوله «فِي الـدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ» أى هم مبعـدون من رحمته تعالى فى الدنيا و الآخرة، و مع ذلك «أَعَدَّ لَهُمْ» فى الآخرة «عَذاباً مُهِيناً» أى مـذلا لهم، و الهوان الاحتقار، يقال: اهانه اهانة، و إنما وصف العذاب بأنه مهين، لأنه تعالى يهين الكافرين و الفاسقين به، حتى يظهر الذلة فيه عند العقاب.

ثم قـال «وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنـاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَـبُوا» يعنى يؤذونهم من غير اسـتحقاق على شـىء فعلوه يسـتوجبون به ذلك «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً ...».

و كان سـبب نزول الآيـة ان قوماً من الزناة كانوا يمشون فى الطرقات فإذا رأوا امرأة غمزوها. و قال النقاش: نزلت فى قوم كانوا يؤذون علياً عليه السلام و قيل: نزلت فى من تكلم فى عائشة فى قصة الافک. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۶۱

و قوله «فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً» اى كذباً «وَ إِثْماً مُبِيناً» اى ظاهراً. ثم خاطب النبى صـلى اللَّه عليه و آله يقوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» و أمره بأن يقول لأزواجه و بنـاته و نسـاء المؤمنين، و يـأمرهم بأن يـدنين عليهم من جلابيبهن، فالجلابيب جمع جلباب و هو خمار المرأة و هى المقنعة تغطى جبيتهـا و رأسـها إذا خرجت لحاجـة بخلاف خروج الإمـاء اللاـتى يخرجن مكشـفات الرؤوس و الجبـاه- فى قول ابن عبـاس و مجاهـد- و قـال الحسن: الجلاـبيب الملاـحف تـدينها المرأة على وجههـا «ذلِکَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ» ثم قال «وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» اى ستار الذنوب على عباده «رحيماً» بهم.

ثم قال لنبيه صـلى اللَّه عليه و آله «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ» أى لئن لم يرجعوا «وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» اى شك و نفاق. و قيل: شـهوة الزنا «وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» فالارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به و المرجفون هم الذين كانوا يطرحون الأخبار الكاذبة بما يشـغلون به قلوب المؤمنين «لَنُغْرِيَنَّکَ بِهِمْ» يا محمـد، و الإغراء الـدعاء الى تناول الشـىء بالتحريض عليه اغراه يغريه إغراء و غرى به يغرى مثل اولع به كأنه أخذ بلزومه. و قيل: معناه لنسلطنک عليهم- فى قول ابن عباس-.

و قوله «ثُمَّ لا يُجاوِرُونَکَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا» يعنى ينفون عن المدينة و لا يجاورنک يا محمد فيها.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (۳۳): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۳۶۱

مَلْعُونِينَ أَيْنَمـا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلًا (۶۱) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (۶۲) يَسْئَلُکَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُدْرِيکَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (۶۳) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (۶۴) خالِدِينَ فِيها أَبَداً لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً (۶۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۶۲

خمس آيات.

لمـا أخبر اللَّه تعـالى، و توعـد «الْمُنـافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شـك «وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» بما يشـغل قلوب المؤمنين و أنهم إن لم يتوبوا عن ذلک نفوا عنها، وصـفهم بأنهم «ملعونين» أى مبعدون «أَيْنَما ثُقِفُوا» و نصب (ملعونين) على الحال من الضمير فى قوله «يجاوروننک» و قيل: انه نصب على الـذم، و الصـفة ل (قليلا)، كأنه قال: إلا أذلاء ملعونين، (و أينما) منصوب ب (ثقفوا)، و انجزم به (ثقفوا) على طريق الجزاء. و إنمـا جـاز ذلـک، لأن الجازم فى الأصل (إن) المحذوفـة، و صار (أينما) تقوم مقامها، و تغنى عنها و لا يجوز ان يعمل فيه (أخذوا) لأنه جواب الجزاء، و لا يعمل الجواب فيما قبل الشرط، لئلا يختلط احد الأمرين بالآخر.

و فى الآية دلالة على انهم انتهوا، و إلا كان يوقع الإغراء بهم و يجعلهم بالصفة التى ذكرها.

و قوله «سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» فالسنة الطريقـة فى تـدبير الحكيم و منه سـنة رسول اللَّه، و هى الطريقـة التى أجراها بأمر اللَّه تعالى، فأضيفت اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۶۳

لأنه فعلها بأمر اللَّه. و اصل السنة الطريقة. و من عمل الشيء مرة أو مرتين لا يقال: إن ذلک سنة، لأن السنة الطريقة الجارية، و لا تكون

جارية بما لا يعتد به من العمل القليل، و سنة اللّه فى المتمردين فى الكفر- الذين لا يقلع احد منهم و لا من نسلهم- الإهلاك فى العذاب فى الدنيا و الآخرة.

و قوله «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» معناه إن السنة التى أراد اللّه أن يسنها فى عباده لا يتهيأ لأحد تغييرها، و لا قلبها عن وجهها لأنه تعالى القادر الذى لا يتهيأ لاحد منعه مما أراد فعله.

ثم قال «يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ» يعنى عن يوم القيامة «قل» لهم «إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها أحد غيره «وَ ما يُدْرِيكَ» يا محمد «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً» مجيئها.

ثم قال تعالى مخبراً «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ» يعنى أبعدهم من رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً» يعنى النار التى تستعر و تلتهب «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» أى مؤبدين فيها لا يخرجون منها و «لا يَجِدُونَ وَلِيًّا» ينصرهم من دون اللّه «وَ لا نَصِيراً» يدفع عنهم.

و استدل قوم بذلك على النار أنها مخلوقة الآن، لان ما لا يكون مخلوقاً لا يكون معدّاً. و هذا ضعيف، لأنه يجوز أن يكون المراد إن الجنة و النار معدّتان فى الحكم كائنتان لا محالة، فلا يمكن الاعتماد على ذلك.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٦ الى ٦٩] ..... ص : ٣٦٣

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولا (٦٦) وَ قالُوا رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا (٦٧) رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (٦٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (٦٩)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٦٤

آيات أربع.

قرأ ابن عامر و يعقوب «ساداتنا» بألف بعد الدال. الباقون بغير الف على جمع التكسير، و الأول على جمع الجمع، و قرأ عاصم و ابن عامر- فى رواية الداحونى عن هشام «لعناً كبيراً» بالباء. بالباقون بالثاء.

العامل فى قوله «يوم تقلب» قوله «وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ... يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ» فالتقليب تصريف الشىء فى الجهات، و مثله التنقيل من جهة الى جهة فهؤلاء تقلب وجوههم فى النار، لأنه ابلغ فى ما يصل اليهم من العذاب. و قوله «يَقُولُونَ يا لَيْتَنا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَا» حكاية ما يقول هؤلاء الكفار الذين تقلب وجوههم فى النار، فإنهم يقولون متمنين: يا ليتنا كنا اطعنا اللّه فى ما أمرنا به و نهانا عنه، و يا ليتنا أطعنا الرسول فى ما دعانا اليه. و حكى ايضاً انهم يقولون يا «رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا» فى ما فعلنا «سادَتَنا وَ كُبَراءَنا» و السادة جمع سيد، و هو الملك المعظم الذى يملك تدبير السواد الأعظم، و يقال للجمع الأكثر السواد الأعظم يراد به السواد المنافى لشدة البياض و الضياء الأعظم «فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» يعنى هؤلاء الرؤساء أضلونا عن سبيل الحق.

و قيل الآية نزلت فى الاثنى عشر الذين أطعموا الكفار يوم بدر من قريش. ثم حكى انهم يقولون «رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ» لضلالهم فى التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٦٥

نفوسهم و إضلالهم إيانا. و قيل معناه عذاب الدنيا و الآخرة «وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً» أى مرة بعد اخرى. و من قرأ بالباء أراد اللعن الذى هو اكبر من لعن الفاسق، لان لعنة الكافر أعظم.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى أى لا تؤذوا نبيكم مثل ما اوذى موسى يعنى آذاه قومه بعيب أضافوه اليه لم يقم حجة بتعييبه. و قيل: إن الآية نزلت فى المنافقين عابوا النبى صلى اللّه عليه و آله باصطفائه صفيه بنت حى، فنهاهم اللّه عن ذلك. و اختلف المفسرون فى العيب الذى اضافه قوم موسى اليه. فقال قوم: انهم آذوا موسى بأن أشاعوا أن هارون قتله موسى فأحياه اللّه- عز و جل- حتى أخبرهم ان موسى لم يقتله و أن اللّه تعالى هو الذى أماته عند انقضاء أجله، و هو معنى

قوله «فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا» و قيل: انهم قالوا: إنه أبرص. و قيل: انهم أضافوه الى انه أدر الخصيتين، فبرأه اللَّه من ذلك، و أجاز البلخى حديث الصخرة التى ترك موسى ثيابه عليها على ان يكون ذلك معجزاً له. و قال قوم: ذلك لا يجوز لأن فيه اشتهار النبى و إبداء سوأته على رؤس الأشهاد. و ذلك ينفر عنه، فبرأه اللَّه من ذلك.

و قوله «وَ كانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً» أى عظيم القدر، رفيع المنزلة إذا سأل اللَّه تعالى شيئاً أعطاه. و أثبت الألف فى قوله «الرسولا ... و السبيلا» لأجل الفواصل فى رؤس الآى تشبيهاً بالقوافى.

قوله تعالى:[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣] ..... ص : ٣٦٥

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٧٣)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۶۶

أربع آيات.

امر اللَّه تعالى المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا عقابه باجتناب معاصيه و فعل واجباته و أن يقولوا «قولا سديداً» أى صواباً بريئاً من الفساد خالصاً من شائب الكذب و التمويه و اللغو. و قوله «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ» جزم بأنه جواب للأمر، و فيه معنى الجزاء. و تقديره: إن فعلتم ما أمرتكم به يصلح لكم أعمالكم. و إصلاحه أعمال العباد أن يلطف لهم فيها حتى تستقيم على الطريقة السليمة من الفساد، و ذلك مما لا يصح إلا فى صفات اللَّه تعالى، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء العالم الذى لا يخفى عليه شىء «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» قيل: إنما وعد اللَّه بغفران الذنوب عند القول السديد، و لم يذكر التوبة، لأن التوبة داخلة فى الأقوال السديدة، كما يدخل فيه تجنب الكذب فى كل الأمور فيدخل فيه الدعاء الى الحق و ترك الكفر و الهزل و اجتناب الكلام القبيح.

ثم قال «وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى ما أمراه به و نهياه عنه و دعواه اليه التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۶۷

«فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً» أى أفلح فلاحاً عظيماً، لأنه يفوز بالجنة، و الثواب الدائم. و قيل: معناه فقد ظفر بالكرامة من اللَّه و الرضوان، و هو الفوز العظيم.

ثم اخبر تعالى بأنه عرض الأمانة على السموات و الأرض، فالامانة هى العقد الذى يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، و قد عظم اللَّه شأن الأمانة فى هذه الآية و أمر بالوفاء بها، و هو الذى امر به فى أول سورة المائدة و عناه بقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»، و قيل فى قوله «عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ» مع أن هذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها أقوال:

أحدها- ان المراد عرضنا على اهل السموات و اهل الأرض و اهل الجبال و ثانيها- ان المعنى فى ذلك تفخيم شأن الأمانة و تعظيم حقها، و أن من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال و السموات و الأرض مع عظمها، و كانت تعلم بأمرها لأشفقت منها، غير انه خرج مخرج الواقع لأنه ابلغ من المقدر، و قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها» أى منعن ان يحملن الأمانة «وَ أَشْفَقْنَ مِنْها» أى خفن من حملها «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا» أى ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصى، جهولا بموضع الأمانة و استحقاق العقاب على ارتكاب المعاصى و قال ابن عباس: معنى الأمانة الطاعة للَّه، و قيل لها أمانة لأن العبد اؤتمن عليها بالتمكين منها و من تركها. و قال تعالى «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» «۱» فرغب فى الأحسن، و زهد فى تركه. و قيل: من الأمانة ان المرأة اؤتمنت على فرجها و الرجل على فرجه ان يحفظاهما من الفاحشة. و قيل: الامانة ما خلق اللَّه تعالى فى هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته و ظهور ذلك منها، كأنهم أظهروها

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۳۶۸

و الإنسان جحد ذلك و كفر به. و فائدة هذا العرض إظهار ما يجب من حفظها و عظم المعصية فى تضييعها.

و قيل معنى «حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» أى خانها، لأن من خان الأمانة فقد حملها و كذلك كل من اثم فقد حمل الإثم، كما قال تعالى «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ» «۱» و قال البلخى: يجوز ان يكون معنى العرض و الاباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام، بل انما أراد تعالى أن يخبر بعظم شأن الامانة و جلالة قدرها، و فظاعة خيانتها و ترك أدائها، و انه أوجد السموات مع عظمها لا تحملها و إن الإنسان حملها، و ليس الإنسان- هاهنا- واحداً بعينه، و لا هو المطيع المؤمن، بل هو كل من خان الأمانة و لم يرد الحق فيها، و حمل الإنسان الأمانة هو ضمانة القيام بها و أداء الحق فيها، لان ذلك طاعة منه للَّه، و اتباع لأمره و اللَّه لا يعتب على طاعته و ما امر به و دعا اليه لكن معنى «حملها» انه احتملها ثم خانها و لم يؤد الحق فيها، كأنه حملها فذهب بها و احتمل وزرها، كما يقولون فلان أكل أمانته أى خان فيها، و العرب تقول: سألت الربع، و خاطبت الدار فأجابنى بكذا، و قالت كذا، و ربما قالوا: فلم يجب، و امتنعت من الجواب، و ليس هناك سؤال و لا جواب، و إنما هو اخبار عن الحال التى تدل عليه، و عبر عنه بذكر السؤال و الجواب، كما قال تعالى «ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» للسموات و الأرض «قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ» «۲» و هو تعالى لا يخاطب من لا يفهم و لا يعقل، و قال تعالى (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا) «۳» و نحن نعلم ان السموات لم تشعر بما كان من

---

(۱) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۱۳.

(۲) سورة ۴۱ حم السجدة (فصلت) آية ۱۲.

(۳) سورة ۱۹ مريم آية ۹۱- ۹۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۳۶۹

الكفار و انه لا سبيل لها الى الانفطار فى ذات نفسها، و يقول القائل أتيت بكذب لا تحتمله الجبال الراسيات، قال الشاعر:

فقال لى البحر إذ جئته كيف يجيز ضرير ضريرا

و قال جرير:

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع «۱»

و قال آخر:

فاجهشت للتوباد حين رأيته و كبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين عهدتهم بجنبيك فى حضن و طيب زمان

فقال مضوا فاستودعونى بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدثان

و التوباد جبل، و قال آخر:

امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «۲»

و قال بعض المحدثين:

يا قصر ويحك هل أوعيت من خبر فقال هل خبر أنبأ من العبر

قد كان يسكننى قوم ذو خطر بادوا على الدهر و الأيام و الغير

و قد أتانى و قرب العهد يذكرنى منصور أمتكم فى الشوك و الشجر

حتى أناخ على بابى فقلت له أما كفاك الذى نبئت من خبرى

إن لا أكن قلته نطقاً فقد كتبت به الحوادث فى صخرى و فى حجرى

خطاً قديماً جليلًا غير ذى عوج يقرأ بكل لسان ظاهر الأثر

---

(١) ديوانه ٢٧٠ و قد مر فى ١/ ٣١٢، ٢٠٤ و ٧/ ١٥٢، ٢٠٩

(٢) مر فى ١/ ٤٣١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧٠

فحلنى ثم أفناه الزمان و لم يطق دفاعاً لما قد حم من قدر

و كلهم قائل لى أنت لى و لمن خلفت من ولدى حظراً على البشر

فما تملى بنو الآباء بعدهم و لا هم سكنوا إلا على غرر

و قد قال بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك؟ فان لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، و العرض على وجوه يقال: عرضت المال و العمل على فلان، فهذا بالقول و الخطاب، و عرضت هذا الأمر على فكرى البارحة، و هذا أمر إن عرض على العقول لم تقبله، و منه قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرضت الحوض على الناقة و (الاباء) على وجوه: فمنه الامتناع و إن لم يكن قصد لذلك، و منه ألا يصلح لما يريده، تقول: أردت سل سيفى فأبى على. و تقول: هذه الأرض تأبى الزرع و الغرس أى لا تصلح لهما، فعلى هذا يكون معنى قوله «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها» أى لا تصلح لحملها، و ليس فى طباعها حمل ذلك، لأنه لا يصلح لحمل الأمانة إلا من كان حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً. بل لا يلزم أن يكون سميعاً بصيراً، و إنما يكفى ان يكون حياً عالماً قادراً. و قال قوم: معناه إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات و أهل الأرض و اهل الجبال، كما قال «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» «١» يعنى اهل السماء و اهل الأرض، فأبوا حملها على أن يؤدوا حق اللَّه فيها إشفاقاً من التقصير فى ذلك (وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ) يعنى الكافر جهلا- بحق اللَّه و استخفافاً بعرضه (إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً) لنفسه (جهولا) بما يلزمه القيام بحق اللَّه، و إنما قال (فأبين) و لم يقل: فأبوا حملا على اللفظ، و لم يرده الى معنى الآدميين، كما قال (وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ) «٢» و قوله

---

(١) سورة ۴۴ الدخان آية ٢٩.

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧١

(فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ) «١» حملا على المعنى دون اللفظ، و كل ذلك واضح بحمد اللَّه.

ثم قال (لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ) يعنى بتضييع الأمانة، و قال الحسن و قتادة: كلاهما خانا الأمانة (وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ) بحفظهما الأمانة لأنهما كليهما أديا الأمانة (وَ كانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) أى ستاراً لعيوب خلقه رحيماً بهم فى إسقاط عقابهم إذا تابوا و رجعوا الى الطاعة.

---

(١) سورة ٢۶ الشعراء آية ۴. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧٢

٣۴- سورة سبأ ..... ص : ٣٧٢

اشارة

مكية في قول مجاهد و قتادة: و الحسن و غيرهم ليس فيها ناسخ و لا منسوخ.

و قيل إن آية واحدة منها مدنية، و هي قوله «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا ....»

و هي أربع و خمسون آية عند الكل إلا الشامي فإنها عنده خمس و خمسون آية.

[سورة سبإ (٣٤): الآيات ١ الى ٥] ..... ص : ٣٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَکِیمُ الْخَبِیرُ (١) یَعْلَمُ ما یَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ ما یَخْرُجُ مِنْها وَ ما یَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَ ما یَعْرُجُ فِیها وَ هُوَ الرَّحِیمُ الْغَفُورُ (٢) وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَأْتِینَا السَّاعَةُ قُلْ بَلی وَ رَبِّی لَتَأْتِیَنَّکُمْ عالِمِ الْغَیْبِ لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ إِلاَّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ (٣) لِیَجْزِیَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ (۴)

وَ الَّذِینَ سَعَوْا فِی آیاتِنا مُعاجِزِینَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِیمٌ (۵)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧٣

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «علام الغيب» بتشديد اللام و ألف بعدها و خفض الميم. و قرأه اهل المدينة و ابن عامر و رويس بألف قبل اللام و تخفيف اللام و كسرها و رفع الميم. الباقون كذلك إلا أنهم خفضوا الميم، و هم ابن كثير و أبو عمرو و عاصم و خلف و روح. و قرأ ابن كثير و حفص و يعقوب (من رجز اليم) برفع الميم- هاهنا- و فى الجاثية، و (معجزين) قد مضى ذكره، «١» و قرأ الكسائى وحده (يعزب) بكسر الزاى. الباقون بضمها. و (الحمد) رفع بالابتداء و (للَّه) خبره.

و الحمد هو الشكر، و الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

و الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، و نقيضه الذم، و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير، و لا يستحق الحمد إلا على الإحسان، فلما كان احسان اللَّه لا يوازيه احسان احد من المخلوقين، فكذلك لا يستحق الحمد احد من المخلوقين مثل ما يستحقه، و كذلك يبلغ شكره الى حد العبادة و لا يستحق العبادة سوى اللَّه تعالى، و إن استحق بعضنا على بعض الشكر و الحمد.

و معنى قوله (الحمد للَّه) أي قولوا (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَهُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ) معناه الذى يملك التصرف فى جميع ما فى السموات، و جميع ما فى الأرض، و ليس لاحد منعه منه و لا الاعتراض عليه (وَ لَهُ الْحَمْدُ) فى الأولى يعنى بما أنعم عليه من فنون الإحسان و (فى الآخرة) بما يفعل بهم من الثواب

---

(١) انظر ٧/ ٣٢٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧۴

و العوض و ضروب التفضل فى الآخرة. و الآخرة و إن كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم اللَّه تعالى، بل العباد ملجأون الى فعل ذلك لمعرفتهم الضرورية بنعم اللَّه تعالى عليهم و ما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضاً إحسان لما للمكلفين به فى دار الدنيا من الالطاف و الزجر عن المعاصى و يفعل اللَّه العقاب بهم لكونه مستحقاً على معاصيه فى دار الدنيا، و من حمد أهل الجنة قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی صَدَقَنا وَعْدَهُ. و قولهم: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی هَدانا لِهذا.

و قيل: إنما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف على وجه السرور به (و هو الحكيم) فى جميع أفعاله، لأنها كلها واقعة موقع الحكمة (الخبير) العالم بجميع المعلومات. ثم وصف نفسه بأنه (یَعْلَمُ ما یَلِجُ فِی الْأَرْضِ) من سائر انواع الأشياء (وَ ما یَخْرُجُ مِنْها) كذلك. و قال

الحسن: معناه يعلم ما يلج فى الأرض من المطر، و ما يخرج منها من النبات، و الولوج الدخول، ولج يلج ولوجاً، قال الشاعر:

رأيت القوافي يلجن موالجا تضايق عنه ان تولجه الابر «۱»

و معنى (ما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ) قال الحسن: يعنى من الماء (وَ ما يَعْرُجُ فِيها) من ملك فهو يجرى جميع ذلك على تـدبير عالم به و توجبه المصلحة فيه.

ثم حكى عن الكفـار أنهم يقولون (لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) يعنى القيامـة تكـذيباً للنبى صـلى اللّه عليه و آله فى ذلك ف (قل) لهم يا محمد (بلى) تـأتيكم (و) حق اللّه (ربى) الـذى خلقنى و أخرجنى من العـدم الى الوجود (لتأتينكم) الساعـة (عالم الغيب) من جر (عالم) جعله صفـة لقوله (و ربى) و هو فى موضع جرّ بواو القسم. و من رفعه، فعلى انه خبر ابتداء محذوف، و تقديره هو عالم

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۲/ ۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۷۵

الغيب. و من قرأ (علام) أراد المبالغـة فى وصـفه بأنه عالم الغيب، و الغيب كل شـىء غاب عن العباد علمه (لا يَعْزُبُ عَنْهُ) أى لا يفوته (مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ) بل هو عالم بجميع ذلك، يقال: عزب عنه الشـىء يعزب و يعزب لغتان، فى المضارع (وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرُ) أى و لا يعزب عنه علم ما هو أصغر من مثقال ذرة، و لا علم ما هو اكبر منه (إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ الذى أثبت اللّه تعالى فيه جميع ما هو كائن الى يوم القيامة ليطلع عليه ملائكته، فيكون لطفاً لهم، و يكون للمكلفين أيضاً فى الاخبار عنه لطف لهم.

ثم بين أنه إنمـا أثبت ذلـك فى الكتـاب المبين (ليجزى) على ذلك (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ) بنعيم الجنـة و هو قوله (أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) لـذنوبهم و ستر لهـا، و لهم مع ذلـك (رزق كريم) قـال قتـادة: الرزق الكريم الجنـة. و قال غيره: هو الهنىء الـذى ليس فيه تنغيص، و لا تكـدير. ثم بين أن الـذين يسـعون فى آيات اللّه و حججه (معاجزين) له أى متعاونين مجاهـدين فى إبطال آياته (أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ) على ذلـك (مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ) فمن جر (أليم) جعله صـفة (رجز) و الرجز هـو الرجس، و قـال قوم: هو سـيّء العـذاب و قـال آخرون:

هو العـذاب. و الرجز بضم الراء الصـنم و منه قوله (وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ) «۱» و قـال ابو عبيـدة (معاجزين) بمعنى سابقين و (معجزين) معناه مثبطين- فى قول الزجاج.

قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۶ الى ۱۱] ..... ص : ۳۷۵

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَ يَهْدِي إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (۶) وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (۷) أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ (۸) أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (۹) وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلاً يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (۱۰) أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۱۱)

---

(۱) سورة ۷۴ المدثر آية ۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۳۷۶

ست آيات.

قرأ حمزة و الكسائى (إن يشأ يخسف بهم) بالياء كناية عن اللَّه تعالى أنه إن شاء خسف. الباقون بالنون كناية على انه إخبار منه تعالى عن نفسه.

يقول اللَّه تعالى مخبراً أن الذين أوتوا العلم و المعرفة بوحدانية اللَّه تعالى.

قال قتادة: هم أصحاب محمد صلى اللَّه عليه و آله و قال غيره: يجوز أن يكون المراد كل من أوتى العلم بالدين، و هو الاولى، لأنه أعم (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) يعنى القرآن (هو الحق) ف (الذى) فى موضع نصب بأنه المفعول ب (يرى) و قوله (هو) فصل، و يسميه الكوفيون عماداً، قال الشاعر: التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧٧

ليت الشباب هو الرجيع الى الفتى و الشيب كان هو البدء الاول

أنشده الكسائى على أن (هو) الاول عماد و الثانى اسم. و (الحق) هو المفعول الثانى، و (يرى) فى الآية بمعنى (يعلم) و موضعه يحتمل أن يكون نصباً عطفاً على (ليجزى) و يحتمل ان يكون رفعاً بالاستئناف، و إيتاء العلم إعطاؤه إما يخلق العلم او بنصب الادلة المسببة له، فهو لطف اللَّه تعالى لهم بما أدّاهم الى العلم، فكان كأنه قد أتاهم (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ) يعنى القرآن و ما أنزله اللَّه عليه من الأحكام يعلمونه حقاً صحيحاً لمعرفتهم باللَّه و آياته الدالة على صدق نبيه (و يهدى) يعنى القرآن و يرشد إلى (صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) يعنى إلى دين اللَّه القادر الذى لا يغالب، و الحميد يعنى المحمود على جميع أفعاله، و هو اللَّه تعالى.

ثم حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى و نرشدكم الى (رجل ينبئكم) أى يخبركم (إِذا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) أى مزقت أعضاؤكم بعد الموت، و صرتم تراباً و رميماً (إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) ابتداء بأن لم يعمل فيها (ينبئكم) لأنه لو أعمل فيها لنصبها، يعيدكم و يحييكم، و يقولون: هذا على وجه الاستبعاد له و التعجب من هذا القول. و معنى (مزقتم) بليتم و تقطعت أجسامكم. و العامل فى (إذ) يقول- فى قول الزجاج- و تقديره هل ندلكم على رجل يقول لكم إنكم إذا مزقتم تبعثون، و يكون (إذا) بمعنى الجزاء تعمل فيها التى تليها، قال قيس:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا الى أعدائنا فنضارب

و المعنى يكن وصلها، فلذلك جزم فنضارب. و قيل العامل فيه معنى الجملة كأنه قيل: يجدد خلقكم، و لا يجوز أن يعمل فيه ما بعد لام الابتداء، و لا ما التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٧٨

بعد ان لأنها حروف لا تتصرف فى نفسها و لا فى معمولها. و قوله «أَفْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً» قال قوم: اسقط ألف الاستفهام من (أفترى) لدلالة (أم) عليه.

و قال الرمانى: هذا غلط، لأن الف الاستفهام لا تحذف إلا فى ضرورة و إنما القراءة بقطع الألف، فألف الاستفهام ثابتة و ألف (افتعل) سقطت، لأنها زائدة، و مثله قوله (بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ) «١» و قوله (أَصْطَفَى الْبَناتِ) «٢» و قوله «سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ»»

و نظائره كثيرة. و لم يفصل بينها بمدة لان الثانية مكسورة ففارق همزة «آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» «۴» و لو لم تقطع لكان خبراً بعده استفهام، و المعنى إن هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من

قول النبى صلى اللَّه عليه و آله إن اللَّه يعيد الخلق بعد اماتتهم خلقاً جديداً

، هل كذب على اللَّه متعمداً «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» يعنون جنوناً فيتكلم بما لا يعلم فقال اللَّه تعالى ليس كما يقولون: «بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بالآخرة و بما فيها من الثواب و العقاب «فِي الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِيدِ» يعنى العدول البعيد عن الحق، فلذلك يقولون ما يقولون، بل نبههم على صحة ما يقول النبى صلى اللَّه عليه و آله من الاعادة فقال «أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» فيفكروا فيه و يعتبروا به و إن اللَّه تعالى خلقه و اخترعه و أنه «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحت أرجلهم «أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً» يعنى قطعة من السماء ثم قال «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً» و دلالة «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» أى راجع الى اللَّه تعالى. و وجه التنبيه بالآية أن ينظروا فيعلموا أن السماء تحيط بهم، و الأرض حاملة لهم، فهم فى قبضتنا «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً» أ فما

يحذرون

(١) سورة ٣٨ ص آية ٧٥.

(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ١٥٣.

(٣) سورة ٦٣ المنافقون آية ۶.

(۴) سورة ٢٧ النمل آية ۵٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٧٩

هذا فيرتدعون عن التكذيب بآيات اللّه. و (المنيب) المقبل التائب- فى قول قتادة-.

ثم اخبر تعالى فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ» يعنى أعطاه «مِنَّا فَضْلًا» من عند الله. و قيل: معناه النبوة. و قيل: الزبور. و قيل: حسن الصوت. و قيل:

هو ما فسره أى قلنا «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ» و معناه أنه نادى الجبال و أمرها بأن أوبى معه أى ارجعى بالتسبيح معه، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات و اندية و يوم سير الى الاعداء تأويب «١»

أى رجوع بعد رجوع. و قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك: أمر اللّه الجبال أن تسبح معه إذا سبح «وَ الطَّيْرَ» فى نصبه وجهان:

أحدهما و سخرنا الطير، و الثانى- بالعطف على موضع المنادى الاول كما قال الشاعر:

ألا يا زيد و الضحاك سيراً [فقد جاوزتما حد الطريق «٢»

و الاول أقوى عندهم لان الحمل على لفظة المنادى أشكل. و يكون كقولهم (أطعمتها تبنا و ماء باردا) أى و سقيتها.

و قيل معنى «أَوِّبِي» سيرى معه حيث شاء، و ليس المعنى إن الله خاطب الجبال، و هى جماد بذلك، بل المراد أنه فعل فى الجبال ما لو كانت حية قادرة لكان يتأتى منها ذلك.

و قوله «وَ أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» قال قتادة: كان الحديد فى يده مثل الشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار و لا تطريق. ثم قال و قلنا له «أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ» و هى الدروع التامة و السابغ التام من اللباس، و منه إسباغ النعمة إتمامها، و ثوب سابغ تام «وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ» معناه لا تجعل الحلقة واسعة لا تقى صاحبها

(١- ٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ۴١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨٠

و سرد الحديد نظمه. و قيل: السرد حلق الدرع- فى قول ابن عباس و ابن زيد- قال الشاعر:

أجاد السدى سردها و أدالها «١»

و قال قتادة: السرد المسامير التى فى حلق الدرع، و هو مأخوذ من سرد الكلام سرده يسرده سرداً إذا تابع بين بعض حروفه و بعض كالتابعة فى الحلق و المسامير، و منه السرد للطعام و غيره للاستتباع فى خروج ما ليس منه، قال الشاعر:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع «٢»

و يقولون: درع مسرودة أى مسمورة الحلق. و قيل: معنى «وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ» عدل المسمار فى الحلقة لا يدق فينكسر أو يغلظ فيفصم، ذكره مجاهد و الحكم. «وَ اعْمَلُوا صالِحاً» أمر لهم بأن يعملوا الاعمال الحسنة التى ليست قبيحة و ما يكون بفعله مطيعاً لله «إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عالم بما تفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فالبصير العليم بالأمور بما يتبين فى تميزه بعضه من بعض و كان الكسائى يدغم الفاء فى الباء فى قوله «إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ» و هذا لا يجوز عند البصريين، لان الفاء من باطن الشفة العليا، و اطرف

الثنايا العليا، و الباء يخرج من بين الشفتين، و لان الفاء فيه نفس، فإذا أدغم فى الباء بطل، و أيضا فهو من مخرج التاء، فكما لا يجوز ادغامه فى التاء، فكذلك لا يجوز ادغامه فى الباء، و أجاز ذلك الفراء. و أما إدغام التاء فى الفاء، فلا خلاف فيه.

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۲/ ۴۱.

(۲) مر فى ۷/ ۱۹۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۸۱

قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۱۲ الى ۱۵] ..... ص : ۳۸۱

وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ (۱۲) يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ وَ تَماثِيلَ وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ وَ قُدُورٍ راسِياتٍ اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (۱۳) فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ (۱۴) لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ (۱۵)

خمس آيات شامى، لأنهم عدوا «عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» و أربع فى ما عداه، لأنهم لم يعدوا ذلك.

قرأ نافع «من ساته» بغير همز. الباقون «من سأته» بالهمزة. و قرأ الكسائى وحده «مسكنهم» بكسر الكاف. و قرأ حمزة بفتحها. الباقون (مساكنهم) على الجمع. و نصب الريح فى قوله «وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ» على تقدير: التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۳۸۲

و سخرنا لسليمان الريح. و قرأ ابو بكر عن عاصم بضم الحاء، و المعنى فى ذلك أنه أضاف الريح اليه إضافة الملك يصرفه كيف شاء.

و قوله «غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ» قال قتادة: كان مسيرها به الى انتصاف النهار مقدار مسير شهر «وَ رَواحُها شَهْرٌ» من انتصاف النهار الى الليل- فى مقدار مسير شهر- و قال الحس كان يغدو من الشام الى بيت المقدس، فيقيل بإصطخر من ارض أصبهان و يروح منها، فيكون بكابل.

و قوله «وَ أَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» قال ابن عباس و قتادة: أذبنا له النحاس و القطر النحاس. ثم قال «وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» أى بأمر اللَّه «وَ مَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ» معناه من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان حتى يعملوا بين يديه عما أمرهم اللَّه به من طاعته «نُذِقْهُ مِنْ عَذابِ السَّعِيرِ» يعنى عذاب النار تقول: زاغ يزيغ زيغاً و أزاغه إزاغة.

ثم اخبر تعالى ان الجن الذين سخرهم اللَّه لسليمان «يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحارِيبَ» قيل: معناه شريف البيوت. و قال قتادة: قصور و مساجد، قال المبر:

لا يسمى محراباً إلا ما يرتقى اليه بدرج، لقوله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» «۱» قال عدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحاريب أو كال بيض فى الروض زهره مستنير «۲»

و قال وضاح اليمن:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو ارتقى سلما «۳»

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۲۱.

(۲) تفسير الطبرى ۲۲/ ۴۳ و القرطبى ۱۴/ ۲۷۱.

(۳) مجاز القرآن ۲/ ۱۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٨٣

و «تَماثِيلَ» جمع تمثال و هو صورة. فبين أنهم كانوا يعملون أى صورة أرادها سليمان. و قال قوم: كانوا يعملون له صورة الملائكة. و قال آخرون: كانوا يعملون له صورة السباع و البهائم على كرسيه ليكون أهيب له، فذكر أنهم صوروا أسدين و فوق عمودى الكرسى نسرين، فكان إذا أراد صعود الكرسى بسط له الأسد ذراعه، فإذا علا فوق الكرسى نشر النسران جناحيهما، فظللا عليه لئلا يسقط عليه شيء من الشمس، و يقال: إن ذلك مما لا يعرفه أحد من الناس، فلما حاول بختنصر صعود الكرسى بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعه فضرب ساقه فقدها فوقع مغشياً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد على ذلك الكرسى.

«وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ» واحدها جفنة و هى القصعة الكبيرة، و الجوابى جمع جابية، و هى الحوض الذى يجبئ الماء فيه، قال ابو على النحوى: إثبات الياء مع الألف و اللام أجود، و حذفها يجوز، و قال الأعشى فى جفنة:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق «١»

و قال آخر:

فصبحت جابية صهاوجا كأنه جلد السماء خارجا «٢»

و قال ابن عباس: الجوابى الحياض «وَ قُدُورٍ راسِياتٍ» يعنى عاليات ثابتات لا تنزل، ثم نادى آل داود و أمرهم بالشكر على ما أنعم عليهم من هذه النعمة العجيبة التى أنعم بها عليهم، لأن نعمته على داود نعمة عليهم، فقال «اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً» ثم قال تعالى «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» أى من يشكر نعمى قليل، و الأكثر يجحدون نعم اللَّه لجهلهم به، و تركهم معرفته.

---

(١) تفسير القرطبى ١۴/ ٢٧۵. [.....]

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ۴٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٨۴

ثم أخبر تعالى أنه لما قضى على سليمان الموت و قدره عليه و قبضه اليه لم يعلموا بذلك من حاله حتى دلهم على موته دابة الأرض و هى الأرضة، فأكلت عصاه فانكسرت، فوقع لأنه

روى أنه قبض و هو فى الصلاة،

و كان قال للجن اعملوا ما دمتم ترونى قائماً، و اتكأ على عصاه من قيام، و قبضه اللَّه اليه و بقى مدة فيجيء الجن فيطالعونه فيرونه قائماً فيعودون فيعملون الى أن دبت الأرضة فأكلت عصاه فوقع و خر، فعلموا حينئذ موته و تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم من موت سليمان لم يلبثوا فى العذاب الذى أهانهم و أذلهم و المنسأة العصا الكبيرة التى يسوق بها الراعى غنمه قال أبو عبيدة: معنى «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ» أى أبانت الجن للناس «أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ» و المنسأة أصلها الهمزة من نسأت الى سقت، و قد يترك الهمز، قال الشاعر:

إذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو و الغزل «١»

إلا أنه يترك همزها، كما يترك فى (البرية) و هى من برأت، و قيل: إنه كان متوكئاً على عصاه سنة لا يدرك أنه مات. و قيل: المعنى «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ» جماعة من عوام «الجن» أغواهم مردتهم أن المتمردين «لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ» لأنهم كانوا يقولون لهم نحن نعلم الغيب، و فى قراءة أهل البيت «فلما خر تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين» قالوا: لان الجن كانت تعلم أنها لا تعلم الغيب قبل ذلك. و إنما تبينت الانس ذلك من حال الجن.

ثم اخبر تعالى فقال «لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ» أى دلالة و علامة

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ۴۴ و القرطبى ١۴/ ٢٧٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨۵

ف (سبأ) قيل: إنه ابو عرب اليمن كلها، فقد تسمى به القبيلة نحو هذه تميم.

فمن قرأ على التوحيد، فلأنه يدل على القليل و الكثير. و من جمع أراد المساكن المختلفة. و الفرق بين فتح الكاف و بين كسرها فى (مسكنهم) أن الفتح تفيد المصدر، و الكسر تفيد الموضع، و قيل: إنهما لغتان فى الموضع.

و الآيتان قيل: إنهم لم يكن بينهم شيء من هوام الأرض، نحو البق و البرغوث و العقرب و غير ذلك. و كان الغريب إذا دخل بلدهم و فى ثيابه قمل متن فهذه آية. و الثانية أن المرأة كانت تأخذ على رأسها مكتلا فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً، ثم فسر الآيتين فقال «جنتان» أى هى جنتان.

«عَنْ يَمِينٍ وَ شِمالٍ» قيل: عن يمين الوادى و شماله. «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» أى كلوا من رزق اللَّه الذى رزقكم فى هاتين الجنتين، فلفظه لفظ الأمر و المراد به الاباحة «وَ اشْكُرُوا لَهُ» هذه النعمة التى أنعم بها عليكم. ثم بين أن تلك الجنتين «بلدة طيبة» التربة. و قيل البلدة الطيبة صنعاء أرضها طيبة ليس فيها سبخة و «رب غفور».

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣۴): الآيات ١۶ الى ٢٠] ..... ص : ٣٨۵

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١۶) ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا وَ هَلْ نُجازِي إِلاَّ الْكَفُورَ (١٧) وَ جَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ (١٨) فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨۶

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو «ذواتى أكل خمط» مضافاً. الباقون «أكل خمط» منوناً.

و الاختيار عندهم التنوين، لأن الأكل نفس الخمط و الشيء لا يضاف إلى نفسه، و من أضاف قال (الخمط) هو جنس مخصوص من المأكولات، و الأكل أشياء مختلفة فأضيفت الى الخمط، كما تضاف الأنواع الى الأجناس. و الخمط ثمر الأراك و هو البربر أيضاً. واحدها بربرة و سميت به جارية عائشة. و البربر شجر السواك و (الأثل) شجر، واحدها أثلة.

و قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر «و هل نجازى» بالنون «إلا الكفور» نصباً أضافوا الفعل الى اللَّه تعالى. الباقون- بالياء- على ما لم يسم فاعله «الكفور» بالرفع، و قرأ ابو عمرو و ابن كثير «بعد بين أسفارنا» بالتشديد من التبعيد. الباقون «باعد» من المباعدة على لفظ الأمر، إلا يعقوب، فانه قرأ «باعد» على لفظ الخبر، لأنهم لما سألوا أن يبعد اللَّه بينهم، ففعل ذلك بينهم جاز حينئذ الاخبار بأنه تعالى فعل ذلك.

و قرأ اهل الكوفة (و لقد صدق) بتشديد الدال. الباقون بتخفيفها.

لما اخبر اللَّه سبحانه عن «سبأ» و هى القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨٧

بالجنتين و بالبلدة الطيبة، و أمرهم بشكر نعمه «فَأَعْرَضُوا» عن ذلك، فلم يشكروه و كفروه و جحدوا نعمه، و لم يقبلوا ممن دعاهم إلى اللَّه من أنبيائه و رسله جازاهم اللَّه على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم، و سلبهم تلك النعمة و انزل بهم البلية، فالسيل الماء الكثير الذى لا يمكن ضبطه و لا دفعه، و قيل: انه كانت تجتمع مياه و سيول فى هذا الوادى فسدوه بين جبلين بالحجارة و القار و جعلوا له ابواباً يأخذون منه ما شاءوا، فلما تركوا أمر اللَّه بعث عليهم جرذاً فنقبه فأغرق اللَّه عليهم جنتهم و أفسد أرضهم. و قيل: العرم: ماء كثير

أرسله اللَّه فى السد فشقه و هدمه. قال الراجز:

اقبل سيل جاء من أمر اللَّه يحرد حرد الجنة المغله «١»

و قيل: ان العرم المسناة التى تحبس الماء، واحدها عرمة و هو مأخوذ من عرامة الماء و هو ذهابه كل مذهب، قال الأعشى:

ففى ذاك للمؤتسى اسوة و مأرب قفى عليه العرم

رجام بنته لهم حمية إذا جاء ماؤهم لم ترم «٢»

و قيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا. و قيل: كان سببه نقب جرذ نقب عليهم السكر. و قيل العرم السكر. و قيل المطر الشديد. و قيل هو اسم وادى و قيل: هو الجرذ الذى نقب السكر، قال كثير:

ايادى سبا يا عزّ ما كنت بعدكم فلم يحل للعينين بعدك منظر «٣»

و قال آخر:

من صادر او وارد ايدى سبا «۴»

---

(١) اللسان (غلل).

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ۴٧.

(٣) اللسان (صبأ) و روايته (منزل) بدل (منظر).

(۴) اللسان (سبأ).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨٨

و قال جرير:

الواردون و تتم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس «١»

ثم قال «وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ» التى فيها أنواع الفواكه و الخيرات «جَنَّتَيْنِ» أخراوين و سماها جنتين لازدواج الكلام، كما قال «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ» «٢» و «يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ»

«٣» «ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ» أى صاحبتى خمط فالأكل جنى الثمار الذى يؤكل، و الخمط نبت قد أخذ طعماً من المرارة حتى لا يمكن أكله- فى قول الزجاج- و قال ابو عبيدة هو كل شجر ذى شوك.

و قال ابن عباس و الحسن: هو شجر الأراك، و هو معروف، و الأثل الطرفا قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له ثمر مر. و الأثل ضرب من الخشب كالطرفا، إلا انه أكبر، و قيل: الأثل التمر «وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ» أى فيهما مع الخمط، و الأثل قليل من السدرة.

ثم قال «ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِما كَفَرُوا» فى نعم اللَّه «وَ هَلْ نُجازِي» بهذا الجزاء «إِلَّا الْكَفُورَ» من كفر نعم اللَّه، فمن قرأ بالنون فلقوله «جَزَيْناهُمْ». و لا يمكن الاستدلال بذلك على أن مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذب، لأن اللَّه تعالى بين أنه لا يجازى بهذا النوع من العذاب الذى هو الاستئصال إلا من هو كافر، و إن جاز أن يعذب الفاسق بغير ذلك من العذاب. و قال الفراء: المجازاة المكافأة، و من الثواب الجزاء، تقول: جازاه على معصيته، و جزاه على طاعته.

و قال غيره: لا فرق بينهما.

ثم بين تعالى انه جعل بين سبأ، و بين القرى التى بارك فيها. قال قتادة

---

(١) مر تخريجه فى ۶/ ٣٨٨.

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ۵۴.

(٣) سورة ۴ النساء آية ١۴١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٨٩

و مجاهد: هى قرى الشام، و قال ابن عباس: هى بيت المقدس «قُرىً ظاهِرَةً» قال قتادة: معناه متواصلة، لأنه يظهر الثانية من الأولى لقربها منها «وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ» معناه جعل بين القرية الأولى و الثانية مسيرة يوم لراحة المسافر و نزوله فيها «سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ» لا تخافون جوعاً و لا عطشاً و لا ظلماً من أحد، كأنه قيل لهم سيروا كذا، فقالوا «رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفارِنا» معناه إنهم نظروا و ملوا النعمة، فقالوا لو كان جنى ثمارنا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه، كما قالت بنو إسرائيل «فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها» «١» بدلا من المن و السلوى «وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى «فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» فضرب بهم المثل فيقال (تفرقوا أيادى سبأ) أى تشتتوا أعظم التشتت قال الشعبى: أما غسان فلحقوا بالشام، و أما الأنصار فلحقوا بيثرب، و أما خزاعة فلحقوا بتهامة، و أما الأزد فلحقوا بعمان. و قيل: معنى «فَجَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ» أى أهلكناهم و ألهمنا الناس حديثهم ليعتبروا «وَ مَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» قال ابن عباس: مزقوا بين الشام و سبأ، كل ممزق.

ثم قال تعالى «إن» فى ما ذكر «لآيات» و دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أى صبار على الشدائد شكور على النعماء.

ثم قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ» صدق «ظَنَّهُ» فيهم بإجابتهم إلى معصية اللّه و قبولهم منه «فَاتَّبَعُوهُ» بأجمعهم «إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» العارفين باللّه و بوحدانيته، فخالفوه فلم يتبعوه. فمن شدد (صدق) أسند الفعل إلى إبليس و جعل الظن المفعول به، لأن إبليس لما قال تظننا

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ۶١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٩٠

(وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ) «١» فلما تبعه قوم على ذلك صدق ظنه. و من خفف فالمعنى مثله، لأنهما لغتان يقال: صدقت زيداً و صدقته، و كذبته و كذبته و ينشد:

و صدقتنى و كذبتنى و المرء ينفعه كذابه «٢»

و قرأ ابو الهجهاج (إبليس) بالنصب (ظنه) بالرفع جعل الظن الفاعل و إبليس المفعول به، و ذلك جائز عند النحويين، لأنهم يقولون: صدقنى ظنى و كذبنى إلا انه شاذ لا يقرأ به، و قيل: ان إبليس لما اغوى آدم قال ذريته أولى بأن أغويهم، و قال (لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) «٣» فصدق ذلك ظنه حتى تابعوه. و قال (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) «۴» و كانت أجابتهم له تصديقاً لظنه.

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣۴): الآيات ٢١ الى ٢۵] ..... ص : ٣٩٠

وَ ما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢۴) قُلْ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنا وَ لا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢۵)

---

(١) سورة ۴ النساء آية ١١٨.

(٢) اللسان (صدق).

(٣) سورة ١٧ الإسراء آية ٦٢.

(۴) سورة ٣٨ ص آية ٨٢. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٩١

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمر و حمزة و الكسائى و خلف، و الأعشى و البرجى عن أبى بكر (أذن له) بضم الهمزة. الباقون بفتحها. و قرأ ابن عامر و يعقوب (فزع) بفتح الفاء و الزاى. الباقون (فزع) بضم الفاء و كسر الزاى. فمن فتح الهمزة من (أذن) فمعناه أذن اللَّه له، و من ضمها جعله لما لم يسم فاعله، يقال:

أذنت للرجل فى ما يفعله اى أعلمته و أذنته أيضاً، و أذن زيد الى عمرو، إذا استمع اليه.

روى فى الحديث ما أذن اللَّه لشىء قط كإذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن.

و مثل ذلك القول فى فزع عن قلوبهم، و معنى فزع. قال ابو عبيدة: فزع عن قلوبهم نفس عنها. و قال ابو الحسن: المعنى حكى عنها. و قال ابو عبيدة: معناه أذهب، و قال قوم: الذين فزع عن قلوبهم الملائكة، و يقال:

فزع و فزع إذا أزيل الفزع عنها، و مثله جاء فى (افعل) يقولون: أشكاه إذا أزال عنه ما يشكو منه انشد ابو زيد:

تمد بالأعناق او تلويها و تشتكى لو أننا نشكيها «١»

و المعنى فلما ان اشكيت أزالت الشكوى، كذلك فزع و فزّع أزال الفزع و قال قتادة: معنى فزع عن قلوبهم خلا من قلوبهم، قال يوحى اللَّه تعالى الى

(١) اللسان (شكا) و روايته (تثنيها) بدل (تلويها).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٩٢

جبرائيل فيعرف الملائكة، و يفزع عن أن يكون شىء من امر الساعة، فإذا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) و علموا أن ذلك ليس من امر الساعة (قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ) و تقديره قالوا قال الحق. فمن قرأ بفتح الفاء أسند الفعل إلى اللَّه، و من ضمها بنى الفعل للمفعول به، و كان الجار و المجرور فى موضع رفع. و قال الحسن: فزع بمعنى كشف الفزع عن قلوبهم، و فزعت منه، و المفزع على ضربين: أحدهما- من ينزل به الافزاع. الثانى- من يكشف عنه الفزع.

و قوله (و فزع) له معنيان أحدهما بمعنى ذعر، و الثانى- أزال الفزع و قال اليربوعى:

حللنا الكثيب من زرود لنفزعا

أى لنغيث. لما اخبر اللَّه تعالى ان إبليس صدق ظنه فى الكفار بإجابتهم له إلى ما دعاهم اليه من المعاصى بين انه لم يكن لإبليس عليهم سلطان. و (من) زائدة تدخل مع النفى نحو قولهم ما جاءنى من احد. و السلطان الحجة، فبين بهذا ان الشيطان لم يقدر على اكثر من أن يغويهم و يوسوس اليهم و يزين لهم المعاصى، و يحرضهم عليها. و قوله (إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ) تقديره إنا لم نمكنه من اغوائهم و وسوستهم إلا لنميز من يقبل منهم و من يمتنع و يأبى متابعته، فنعذب من تابعه و نثيب من خالفه، فعبر عن تمييزه بين الفريقين بالعلم، و هو التمييز مجرداً، لأنه لا يكون العذاب و الثواب إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك، فأما العلم، فاللَّه تعالى عالم بأحوالهم، و ما يكون منها فى ما لم يزل، و قيل: إن معناه إلا لنعلم طاعاتهم موجودة أو عصيانهم إن عصوا فنجازيهم بحسبها، لأنه تعالى لا يجازى احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع منهم ما يستحق به من ثواب او عقاب، و قيل: معناه إلا لنعامل معاملة التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٩٣

من كأنه لا يعلم، و انما نعمل لنعلم (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ) أى من يصدق بها و يعترف ممن يشك فيها و يرتاب.

ثم قال (و ربك) يا محمد (عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) أى رقيب عالم لا يفوته علم شىء من أحوالهم من ايمانهم و كفرهم او شكهم. ثم أمر نبيه صلى اللّه عليه و آله بأن يقول لهؤلاء الكفار (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أنهم آلهة و معبود، هل يستجيبون لكم؟ إلى ما تسألونهم، لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان قادراً على إجابة من يدعوه. ثم اخبر تعالى عنها فقال (لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ وَ ما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ) يعنى و ما للّه فى السموات و الأرض شريك (وَ ما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) أى معاون، و الملك هو القدرة على ما للقادر عليه التصرف فيه، و ليس لاحد منعه منه، و ذلك- فى الحقيقة- لا يستحق الوصف به مطلقاً إلا اللّه، لان كل من عداه يجوز أن يمنع على وجه.

ثم اخبر تعالى فقال (وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ) أى عند اللّه (إلا لمن اذن) اللّه (له) فى الشفاعة من الملائكة و النبيين و الأئمة و المؤمنين، لأنهم كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى، فحكم اللّه تعالى ببطلان ذلك. و قوله (حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) قال ابن عباس و قتادة: حتى إذا خلى عن قلوبهم الفزع، كقولك رغب عنه أى رفعت الرغبة عنه فلا يرغب، بخلاف رغب فيه، ففى أحد الأمرين وضع و فى الآخر رفع. و قيل: هم الملائكة يلحقهم غشى عن سماع الوحى من اللّه بالآية العظيمة، فإذا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) اى خلى عنها (قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ)- ذكره ابن مسعود و مسروق و ابن عباس فى رواية- و قال الحسن: حتى إذا كشف عن قلوب المشركين الفزع، قالت التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٣٩٤

الملائكة (ما ذا قالَ رَبُّكُمْ) فى الدنيا (قالوا) قال (الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) اى اللّه تعالى المستعلى على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان (الكبير) فى أوصافه دون ذاته، لأن كبر الذات من صفات الأجسام. ثم قال له (قل) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ) فإنهم لا يمكنهم ان يقولوا يرزقنا آلهتنا التى نعبدها ف «قل» لهم عند ذلك الذى يرزقكم (اللّه) و قل (وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) و قيل: إنما قال (و إنا او إياكم) على وجه الانصاف فى الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب، و إن كان هو عالماً بالكاذب، و على هذا قال ابو الأسود الدؤلى يمدح اهل البيت:

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى علياً

أحب محمداً حبا شديداً و عباساً و حمزة و الوصيا

بنو عم النبى و أقربوه أحب الناس كلهم اليا

فان يك حبهم رشدا أصبه و لست بمخطئ ان كان غياً «١»

و لم يقل هذا مع أنه كان شاكاً فى محبتهم، و انه هدى و طاعة، و قال اكثر المفسرين: إن معناه إنا لعلى هدى و إياكم لعلى ضلال و قال ابو عبيدة (او) بمعنى الواو، كما قال الأعشى:

ا تغلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية و الحشايا «٢»

بمعنى أ تغلبة و رياحا.

ثم قال (قل) لهم يا محمد (لا تسألون) معاشر الكفار (عَمَّا أَجْرَمْنا) اى عما اقترفناه من المعاصى (و لا نسأل) نحن ايضاً (عما تعملون) أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله، و هو يجازى على أى فعل فعله دون غيره.

---

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ٥٧.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٣٩٥

و تقدير قوله «وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» ان يشفع له، فزع بسماعه أذنه حتى إذا فزع عن قلوبهم و خلى عنها و كشف الفزع عنهم قالوا ما ذا قال ربكم قالت الملائكة قال الحق و هو العلى الكبير.

قوله تعالى: [سورة سبإ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠] ..... ص : ٣٩٥

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً وَ لا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

خمس آيات بلا خلاف.

لما امر اللَّه تعالى نبيه ان يخاطب الكفار و يقول لهم ان كل إنسان يسئل عما عمله دون ما عمل غيره، قال له ايضاً (قل) لهم (يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا) أى يحكم و الفتح الحكم، و الفتاح الحاكم بالحق، لا بالظلم (وَ هُوَ الْفَتَّاحُ) أى الحاكم (العليم) بما يحكم به لا يخفى عليه شيء منه.

ثم قال (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكاءَ) تعبدونهم معه و تشركون بينهم فى العبادة على وجه التوبيخ لهم فى ما اعتقدوه من الاشراك مع اللَّه. كما يقول القائل لمن أفسد عملا: ارنى ما عملته توبيخاً له بما أفسده، فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام و الأوثان و يضمونها إلى اللَّه و يشركون بينهما فى التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٩٦

العبادة فقال تعالى (كلا) و معناه الردع و التنبيه أى ارتدعوا عن هذا القول و تنبهوا عن ضلالكم (بَلْ هُوَ اللَّهُ) الذى يستحق العبادة وحده لا شريك له (العزيز) يعنى القادر الذى لا يغالب (الحكيم) فى جميع أفعاله. و قيل (العزيز) فى انتقامه ممن كفر به (الحكيم) فى تدبيره لخلقه، فكيف يكون له شريك فى ملكه.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (و ما أرسلناك) يا محمد بالرسالة التى حملناكها (إلا كافة) و معناه أرسلناك إلى الخلق كافة بأجمعهم. و قيل: معناه إلا مانعاً لهم و كافاً لهم من الشرك و دخلت الهاء للمبالغة (للناس بشيراً) لهم بالجنة اى مبشراً بها (و نذيراً) أى مخوفاً بالنار (وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) صدق قولك و إنك رسول اليهم، لتفريطهم فى النظر فى معجزك.

ثم حكى عن الكفار انهم يستبطئون العذاب الذى يخوفهم به النبى صلى اللَّه عليه و آله و المؤمنون، فإنهم كانوا يحذرونهم نزول العذاب عليهم (وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ) الذى تعدونا به (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى ما تقولونه معاشر المؤمنين ثم أمره ان يقول لهم فى الجواب عن ذلك (قُلْ لَكُمْ مِيعادُ يَوْمٍ) ينزل عليكم ما وعدتم به من الثواب و العقاب (لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ ساعَةً) أى لا تؤخرون من ذلك اليوم لحظة (و لا تستقدمون) عليه، و هو يوم القيامة.

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥] ..... ص : ٣٩٦

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَ قالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (٣٤) وَ قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٣٩٧

خمس آيات بلا خلاف.

حكى اللَّه تعالى عن الكفار أنهم يقولون لن نصدق بهذا القرآن الذى أنزل عليك و تدعيه انه من عند اللَّه و لا بالذى بين يدى القرآن من أمر الآخرة و النشأة الثانية، فجحدوا أن يكون القرآن من اللَّه او أن يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة. و قيل:

معناه الكتب التى قبله من التوراة و الإنجيل و غيرهما.

ثم قال «وَ لَوْ تَرى يا محمد «إِذِ» أى حين «الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ» أى يرد بعضهم على بعض «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» قيل: كانوا رؤساء الضلالة يأمرون الاتباع بعبادة الأوثان لضعفهم عن استخراج صواب الرأى عند أنفسهم، التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٩٨

فالاستضعاف طلب الضعف فكل من يجاهر غيره بما يقتضى ضعفه يقال قد استضعفه، و الاستكبار طلب الكبر بغير حق، و كانوا يتعظمون هؤلاء الكفار بالجهل الذى صمموا عليه و صاروا رؤساء فيه ليحققهم به «لَوْ لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» لكن بسببكم يمنع، فهؤلاء إذا أخبروا عن ظنهم، فقد صدقوا كأنهم قالوا فى ما نظن، لأنه هكذا يقتضى ظاهر خبرهم، كما إذا أخبروا عما يفعلونه فى المستقبل، فهو اخبار عن عزمهم، و لو كان كذباً لأنكر اللَّه ذلك و اتبعه بما يدل على إنكاره، كما قال «انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ» «١» ثم حكى ما أجابهم به المستكبرون فإنهم يقولون فى جوابهم «أَ نَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ»؟! منكرين عليهم قولهم انهم منعوهم من الايمان بعد تبين الحق فيه، و ليس الأمر على ما تقولونه «بَلْ كُنْتُمْ» أنتم «مُجْرِمِينَ» ثم حكى تعالى ما يقول الذين استضعفوا فإنهم يقولون «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ» معناه مكركم فى الليل و النهار- فى قول الحسن- كما قال الشاعر:

لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم «٢»

أى بنائم فيه. و قيل: كأن الليل و النهار يمكران بطول السلامة فيهما.

و (المترف) المنعم البطر بالنعمة «إِذْ تَأْمُرُونَنا» أى حين تأمروننا «أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ» أى ان نجحد باللَّه «وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْداداً» أى أمثالا فى العبادة «وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ» أى اخفوا الندامة بينهم «لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ» نزل بهم، و لام بعضهم بعضاً. و قال الجبائى: معناه أظهروا الندامة، قال: و هذا مشترك. و هذا غلط، لان لفظة الإخفاء هى المشتركة دون لفظ الاسرار، فحمل أحدهما على الآخر قياس فى اللغة «وَ جَعَلْنَا الْأَغْلالَ فِي أَعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» الاغلال جمع غل و اللَّه

(١) سورة ۶ الانعام آية ٢۴.

(٢) مر تخريجه فى ۵/ ۶۴۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٣٩٩

تعالى يجعل الغل فى رقاب الكفار عقوبة لهم.

ثم قال موبخاً لهم «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ» أى يجزون على قدر استحقاقهم لا يجازفون، فلفظه لفظ الاستفهام و المراد به النفى، فكأنه قال:

لا يجزون إلا على قدر أعمالهم التى عملوها.

ثم اخبر تعالى انه ما يرسل فى قرية نذيراً أى مخوفاً باللَّه فى ما مضى إلا إذا سمع أهلها المترفون منهم المنعمون «قالوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ» أى جاحدون، ثم حكى بأنهم «قالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً» منكم «وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» على ما تقولونه، لأنه لو أراد عقابنا لما أنعم علينا فى الدنيا و جعلنا أغنياء و جعلهم فقراء، فقال اللَّه تعالى رداً عليهم «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ»

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣۴): الآيات ٣۶ الى ۴٠] ..... ص : ٣٩٩

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣۶) وَ ما أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

(۳۹) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَ هؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ (۴۰)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۰۰

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده «و هم فی الغرفة آمنون» لقوله تعالی «أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا» «۱» و فی الجنة غرفات و غرف، غير أن العرب تجتزئ بالواحد عن الجماعة إذا كان اسم جنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار و الدرهم. الباقون علی الجمع «غرفات» علی وزن (ظلمة، و ظلمات) و حجتهم «لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ» «۲».

لما حكی اللَّه تعالی عن الكفار أنهم قالوا: إن اللَّه لا يعذبنا علی ما تقولونه لأنه أغنانا فی دار الدنيا، و لم يجعلنا فقراء، فكذلك لا يعذبنا فی الآخرة، قال اللَّه رداً عليهم «قُلْ» لهم يا محمد «إِنَّ رَبِّی» الذی خلقنی «يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أی يوسع الرزق لمن يشاء علی حسب ما يعلم من مصلحته و مصلحة غيره «وَ يَقْدِرُ» أی يضيق. و هو مثل قوله «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ» «۳» أی يوسع و يضيق، و منه قوله «وَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» «۴» أی ضيق، و علی هذا: يحتمل قوله «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ»»

أی لن نضيق عليه، فبسط الرزق هو الزيادة فيه علی قدر الكفاية، و القدر تضييقه علی قدر الكفاية.

ثم قال «وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» ما قلناه لجهلهم باللَّه و بحكمته.

---

(۱) سورة ۲۵ الفرقان آية ۷۵.

(۲) سورة ۳۹ الزمر آية ۲۰.

(۳) سورة ۲۹ العنكبوت آية ۶۲.

(۴) سورة ۶۵ الطلاق آية ۷.

(۵) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۸۷.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۰۱

ثم قال تعالی «وَ ما أَمْوالُكُمْ» أی ليس أموالكم التی خولتموها «وَ لا أَوْلادُكُمْ» التی رزقتموها «بِالَّتِی تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفی قال الفراء: (التی) يجوز أن يقع علی الأموال و الأولاد، لان الأولاد يعبر عنها ب (التی)، و قال غيره: جاء الخبر بلفظ أحدهما- و إن دخل فيه الآخر، و لو قال بالذی يقربكم لكان جائزاً و (زلفی) قربی، و إنما يقربكم اليه تعالی أفعالكم الجميلة و طاعاته الحسنة. ثم قال «إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً» معناه، لكن من آمن باللَّه و عرفه و صدق نبيه و عمل الصالحات التی أمره بها، و انتهی عن القبائح التی نهاه عنها، فان لهؤلاء «جَزاءُ الضِّعْفِ بِما عَمِلُوا» و معناه انه تعالی يجازيهم أضعاف ما عملوا، فانه يعطی بالواحد عشرة، و الضعف من الاضعاف، لأنه اسم جنس يدل علی القليل و الكثير.

و يجوز فی اعراب (جزاء) أربعة أوجه: الرفع و النصب بالتنوين و تركه.

و فی (الضعف) ثلاثة أوجه: الجر و النصب و الرفع، إلا أن القراءة بوجه واحد و هو رفع (جزاء) علی الاضافة بلا تنوين، و جر «الضعف» بالاضافة اليه.

ثم قال إن هؤلاء مع أن لهم جزاء الضعف علی ما عملوه «هُمْ فِی الْغُرُفاتِ» جمع غرفة و هی العلية «آمنون» فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله فی دار الدنيا.

ثم قال «وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِی آياتِنا مُعاجِزِينَ» أی مسابقين: فی من قرأه بألف. و مثبطين غيرهم عن أفعال الخير عند من قرأه بغير ألف «أُولئِكَ فِی الْعَذابِ مُحْضَرُونَ» أی يحصلون فی عذاب النار.

ثم قال «قل» يا محمد «إِنَّ رَبِّی يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ» أی يوسعه «و يقدر» أی يضيقه لمن يشاء. و إنما كرر قوله «قُلْ إِنَّ رَبِّی يَبْسُطُ

الرِّزْقَ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۰۲
لاختلاف الفائدة، لأن الاول على معنى إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر من غير أن يعلم اكثر الناس لم فعل ذلك، و الثانى- بمعنى أن ربى يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر له على أن ما أنفقه فى أبواب البر فاللَّه يخلفه عليه و هو قوله «وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْ‌ءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» أى يعطيكم عوضه، و ليس المراد ان يخلف فى دار الدنيا على كل حال، لان اللَّه يفعل ذلك بحسب المصلحة، و إنما أراد انه يعوض عليه إما فى الدنيا بأن يخلف بدله او يثيب عليه «وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى اللَّه تعالى خير من يرزق غيره، لأنه يقال: رزق السلطان الجند، ثم قال (وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) يعنى يوم القيامة الذى يبعث اللَّه فيه الخلائق (ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ) الذين عبدهم جماعة من الكفار (ا هؤلاء) يعنى الكفار الذين عبدوهم (إِيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ) على وجه التقرير لهم و إن كان بلفظ الاستفهام، كما قال لعيسى (أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ) «۱» و قرأ حفص (و يوم يحشرهم ثم يقول) بالياء ردّاً على قوله (قل ان ربى) الباقون بالنون على الجمع.

قوله تعالى:[سورة سبإ (۳۴): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۴۰۲

قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (۴۱) فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ (۴۲) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ وَ قالُوا ما هذا إِلاَّ إِفْكٌ مُفْتَرىً وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (۴۳) وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (۴۴) وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۴۵)

---

(۱) سورة ۵ المائدة آية ۱۱۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۰۳
خمس آيات بلا خلاف.
لما حكى اللَّه تعالى انه يقول للملائكة إن هؤلاء الكفار إياكم كانوا يوجهون عبادتهم، حكى ما يجيب به الملائكة، فإنهم يقولون (سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا) تنزيهاً لك أن نعبد سواك، و نتخذ معك معبوداً غيرك، و يقولون: أنت يا ربنا ولينا أى ناصرنا و أولى بنا (من دونهم) يعنى دون هؤلاء الكفار و دون كل احد و أنت الذى تقدر على ذلك من دونهم، فما كنا نرضى بعبادتهم مع علمنا بأنك ربنا و ربهم، ما أمرناهم بهذا و لا رضينا به لهم «بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» بطاعتهم إياهم فى ما يدعونهم اليه من عبادة الملائكة. و قيل: انهم صوّروا لهم صورة قوم من الجن، و قالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها، و هم و إن عبدوا الملائكة، فان الملائكة لم يرضوا بعبادتهم إياهم و لا دعوهم اليها، و الجن دعوهم إلى عبادتهم و رضوا به منهم فتوجه الذم إلى العابد و المعبود، و فى الملائكة لا يستحق الذم غير العابد، فلذلك أضرب عن ذكر الملائكة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۰۴
ثم حكى تعالى ما يقول للكفار يوم القيامة، فانه يقول لهم «فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَ لا ضَرًّا» و لا يقدر على ذلك «وَ نَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب المعاصى «ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ» أى تجحدونه، و لا تعترفون به. ثم عاد تعالى إلى الحكاية عن حال الكفار فى الدنيا فقال «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ» أى تقرأ عليهم حججنا واضحات من القرآن الذى أنزله على نبيه «قالُوا» عند ذلك «ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ» أى يمنعكم عن عبادة ما كان يعبده آباؤكم «وَ قالُوا» أيضاً «ما هذا» القرآن «إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرىً» يعنى كذب تخرصه و افتراه «وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» يعنى القرآن «لَمَّا جاءَهُمْ إِنْ هذا» أى ليس هذا «إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ» أى ظاهر، و السحر حيلة خفية توهم المعجزة.

ثم قال تعالى «وَ ما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها» قال الحسن: معناه ما آتيناهم من كتب قبل هـذا الكتاب، فصـدقوا به و بما فيه ان هـذا كما زعموا «وَ ما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» و يجوز ان يكون المراد و ما أرسلنا اليهم قبلك يا محمد من نذير إلا و فعلوا به و قالوا له مثل ما قالوا لك، و حـذف لدلالـة الكلام عليه، و ذلك عليه بقوله «وَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بما أتاهم اللّه من الكتب، و بما بعث اليهم من الرسـل «وَ ما بَلَغُوا» أى و ما بلغ هؤلاء (مِعْشارَ ما آتَيْناهُمْ) أولئك الكفار، قال الحسن: معنى معشار أى عشـر. و المعنى ما بلغ الـذين أرسل اليهم محمـد صـلى اللّه عليه و آله من اهل مكـة عشـر ما اوتى الأمم قبلهم من القوة و العدة- فى قول ابن عباس و قتادة- (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) أى كذبوا بآيات اللّه و جحدوا رسله (فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) أى عقوبتى و تغييرى لان اللّه أهلكهم و استأصلهم و هو نكير اللّه تعالى فى الدنيا.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٠٥

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠] ..... ص : ٤٠٥

قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَ فُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي وَ إِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله أن يقول للكفار (إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ ...)

و المعنى يكفينى منكم أن يقوم الرجل وحـده أو هو و غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمـد كـذباً او هل رأينا به جنة؟! ففى ذلك دلالـة على بطلان مـا أنتم عليه و مـا ذكرتم فيه، فالوعظ الـدعاء إلى ما ينبغى أن يرغب فى ما ينبغى أن يجوز منه مما يلين القلب إلى الاستجابة للحق بالنبى صلى اللّه عليه و آله و النبى اجل و أعظم و اكبر داع بما أعطاه اللّه من الحكمة.

و قوله (مَثْنى وَ فُرادى) معنـاه ان تقوموا اثنين اثنين، و واحـداً واحـداً ليـذاكر أحـدهما صاحبه، فيسـتعين برأيه على هـذا الأمر. ثم يجول بفكرته حتى يكرره حتى يتبين له الحق من الباطل و بنى (مثنى) و إن لم يكن صفة لأنه مما التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٠٦ يصلح ان يوحد، كما قال تعالى (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ) «١» و هو- هاهنا- فى موضع حال، و قال مجاهد فى قوله (أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ) أى بطاعة اللّه تعالى و قال غيره (بواحدة) بتوحيد اللّه خصلة واحدة، فقولوا: لا إله إلا اللّه.

و قوله (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مـا بِصـاحِبِكُمْ) فى موضع نصب عطفاً على (أن تقوموا للّه) و تتفكروا أى و تنظروا و تعتبروا، ليس بصاحبكم يعنى محمداً صلى اللّه عليه و آله (من جنة) أى جنون، لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون و حاشاه من ذلك.

ثم بين انه ليس (إلا نذير) أى مخوف من معاصـى اللّه و ترك طاعاته (بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ) يعنى عذاب القيامة. ثم قال لنبيه صـلى اللّه عليه و آله يـا محمـد (قـل) لهم (ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) و ليس (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) و المعنى أنى أبلغكم الرسالـة، و لا اجرّ إلى نفسى عرضاً من اعراض الدنيا بل ثمرة ذلك لكم، و ليس أجرى إلا على اللّه.

و قـال ابن عبـاس (من أجر) اى من مودة، لان النبى صـلى اللّه عليه و آله سـأل قريشـاً أن يكفوا عن أذاه حتى يبلغ رسالات ربه (وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) أى عالم به. ثم قال أيضاً (قل) لهم يا محمـد (إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) أى يلقيه على الباطل، كما قال تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ) «٢» (علام الغيوب) إنما رفع بتقدير هو علام الغيوب، و لو نصب على انه نعت ل (ربى) لكان جائزاً، لكن هـذا أجود، لأـنه جاء بعـد تمام الكلام كقوله (إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) «٣» و المعنى انه عـالم بجميع ما غاب عن جميع الخلائق علمه.

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ١.

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ١٨.

(٣) سورة ٣٨ ص آية ۶۴. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۰۷

ثم أمره صلى اللّه عليه و آله أن يقول لهم قد (جاء الحق) يعنى أمر اللّه بالإسلام و التوحيد (وَ ما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَ ما يُعِيدُ) لأن الحق إذا جاء اذهب الباطل فلم يبق له بقية يبدئ بها و لا يعيد. و قال قتادة: الباطل إبليس لا يبدؤ الخلق و لا يعيدهم. و قيل: إن المراد به كل معبود من دون اللّه بهذه الصفة. و قال الحسن: و ما يبدئ الباطل لأهله خيراً و لا يعيد بخير فى الآخرة.

ثم قال (قل) لهم (إن ضللت) أى ان عدلت عن الحق (فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسِي) لأن ضرره يعود علىّ، لأنى أو آخذ به دون غيرى (و إن اهتديت) إلى الحق (فَبِما يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ) أى يسمع دعاء من يدعوه قريب الى إجابته.

و فى الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأنه قال (إن ضللت) فأضاف الضلال إلى نفسه، و لم يقل فبقضاء ربى و إرادته.

قال الزجاج: و ما يبدئ الباطل أى أى شيء يبدئ الباطل؟ و أىّ شيء يعيد؟ و يجوز ان تكون (ما) نافية، و المعنى و ليس يبدئ إبليس و لا يعيد.

قوله تعالى:[سورة سبإ (٣۴): الآيات ۵۱ الى ۵۴] ..... ص : ۴۰۷

وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (۵۱) وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (۵۲) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ (۵۳) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ كَما فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (۵۴)

أربع آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۰۸

قرأ حمزة و الكسائى و ابو عمرو (التناؤش) بالهمز. الباقون بغير همز.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله (و لو ترى) يا محمد (إذ فزعوا) من العذاب يوم القيامة (فلا فوت) أى لا مهرب و لا يفوتونه.

فالفوت خروج وقت الشيء كفوت الصلاة، و فوت وقت التوبة و فوت عمل اليوم بانقضائه.

و الفزع و الجزع و الخوف و الرعب واحد. و الفزع يتعاظم فى الشدة بحسب أسبابه و قوله (وَ أُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ) قال ابن عباس و الضحاك: أخذوا من عذاب الدنيا. و قال الحسن: حين يخرجون من قبورهم. و قيل: من بطن الأرض الى ظهرها. و المعنى انهم إذا بعثوا من قبورهم، و لو ترى فزعهم يا محمد حين لا فوت و لا ملجأ. و جواب (لو) محذوف، و التقدير لرأيت ما تعتبر به عبرة عظيمة. و قوله (وَ قالُوا آمَنَّا بِهِ) أى يقولون ذلك الوقت آمنا به و صدقنا به. فقال تعالى (وَ أَنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) قيل: معناه بفوتهم تناول التوبة فى الآخرة الى الدنيا، و التناوش التناول من قولهم نشته أنوشه إذا تناولته من قريب، قال الشاعر:

فهى تنوش الحوض نوشاً من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا «١»

و تناوش القوم إذا دنا بعضهم الى بعض، و لم يلتحم بينهم قتال، و قد همز بعضهم، فيجوز أن يكون من هذا، لأن الواو إذا انضمت همزت كقوله (أقتت) «٢» و يجوز أن يكون من النش و هو الإبطاء، و انتاشه أخذ به من مكان بعيد، و مثله نأشه قال الشاعر:

تمنى نئيشاً أن يكون اطاعنى و قد حدثت بعد الأمور امور «٣»

(١) تفسير الطبرى ٢٢/ ۶۵.

(٢) سورة ٧٧ المرسلات آية ١١.

(٣) تفسير القرطبی ۱۴/ ۳۱۷.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۰۹

و قال رؤبة:

اقحمنی جار أبی الجاموش اليک نأش القدر المنؤش «١»

(وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) معناه كيف تقبل توبتهم أو يردون الی الدنيا، و قد كفروا باللَّه و رسله من قبل ذلک، و هو قوله (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ) يعنی قولهم هو ساحر و هو شاعر و هو مجنون.

و قيل: هو قولهم لا- بعث و لا جنة و لا نار- ذكره قتادة- و قال البلخی: يجوز ان يكون أراد انهم يفعلون ذلک بحجة داحضة و أمر بعيد. و قال قوم:

يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد الا ان فی العقل انها لا تقبل. ثم قال (وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ) أی فرق بينهم و بين شهواتهم، من قبول توبتهم و إيصالهم الی ثواب الجنة أو ردهم الی دار الدنيا (كما فعل) مثل ذلک (بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ) و هو جمع الجمع تقول شيعة و شيع و أشياع، و لان أشياعهم تمنوا أيضاً مثل ذلک فحيل بينهم و بين تمنيهم، ثم اخبر (إِنَّهُمْ كانُوا فِی شَكٍّ مُرِيبٍ) فی الدنيا (مريب) و الريب أقبح الشک الذی يرتاب به الناس.

و قال سعيد بن المسيب و سعيد بن جبير

قوله «وَ لَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ» نزلت فی الجيش الذی يخسف بهم بالبيداء فيبقی رجل يخبر الناس بما رآه، و رواه حذيفة عن النبی صلی اللَّه عليه و آله

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١۵١.

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۱۰

٣۵-سورة فاطر ..... ص : ۴۱۰

اشارة

مكية فی قول مجاهد و قتادة: لا ناسخ فيها و لا منسوخ، و به قال الحسن إلا آيتين قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ» إلی قوله «الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» و هی خمس و أربعون آية عراقی و حجازی إلا إسماعيل. و ست و أربعون فی عدد إسماعيل و الشاميين.

[سورة فاطر (٣۵): الآيات ١ الی ۵] ..... ص : ۴۱۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِی أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِی الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۴)
يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (۵)

التبيان فی تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۱۱

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة و الكسائى «هل من خالق غير اللّه» جراً على أنه صفة ل (خالق) الباقون- بالرفع- على تقدير هل من خالق هو غير اللّه، و يجوز ان يكون التقدير: هل غير اللّه من خالق، و يجوز أن يكون رفعاً على موضع (من) و تقديره هل خالق غير اللّه.

يقول اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله قل يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى الشكر له على جميع نعمه «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مخترعهما. و الفطر الشق عن الشيء بإظهاره للحس، و معنى فطر السموات و الأرض أى خلقهما و أظهرهما للحس بعد ان لم تكونا ظاهرتين، و روى عن ابن عباس أنه قال: ما كنت أدرى ما معنى فطر السموات حتى احتكم إلى أعرابيان فى بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها، أى اخترعتها و ابتدأتها. و من كان خالق السموات و الأرض لا يفعل إلا ما يستحق به الشكر و الحمد، لأنه غنى حكيم، فلا يعدل عما يستحق به الحمد إلى ما لا يستحق به ذلك.

و قوله «جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا» أى جعل الملائكة رسلا بعضهم إلى بعض و بعضهم إلى البشر. ثم ذكر اوصافهم و هو أنهم «أُولِي أَجْنِحَةٍ» أى اصحاب أجنحة «مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ...» أى اثنين اثنين و ثلاثة ثلاثة و اربعة اربعة، فهذه الألفاظ معدولة عن الاثنين و الثلاث و الأربع، مع انها التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۴۱۲

صفات فلذلك ترك صرفها قال الشاعر:

و لكنما اهلى بواد أنيسه ذئاب تبغى الناس مثنى و موحدى «۱»

و إنما جعلهم أولى أجنحة، ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء و من النزول الى الأرض، قال قتادة: منهم من له جناحان، و منهم من له ثلاثة و منهم من له أربعة، ثم قال «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ» قيل حسن الصوت و قيل من الأجنحة من حيث خلق للملائكة زيادة عما خلق لسائر الخلق من البشر و الأمم. فان قيل: الطائر لا يحتاج إلى اكثر من جناحين فما معنى خلق الملائكة أولى ثلاث و اربع؟ قيل: يجوز أن يكون كل جناح بعلوه باثنين، و يجوز أن يكون للزينة الزائدة، و قد يكون للسمكة أجنحة فى ظهرها. ثم بين «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى لا شيء إلا و هو تعالى قادر عليه بعينه او قادر على مثله.

ثم قال تعالى «ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» معنى (ما) الذى و تقديره الذى يفتح اللّه للناس من نعمة و رحمة «فَلا مُمْسِكَ لَها وَ ما يُمْسِكْ» من نعمة على خلقه «فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد اللّه «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» يعنى القادر الذى لا يقهر «الحكيم» فى جميع أفعاله، إن أنعم و إن امسك، لأنه عالم بمصالح خلقه لا يفعل إلا ما لهم فيه مصلحة فى دينهم او دنياهم.

ثم خاطب المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» بأن خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أقدركم و شهاكم، و خلق لكم المنافع التى تنتفعون بها «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» تقريراً لهم على انه لا خالق غير الله فى السموات و الأرض «يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ» بالمطر و من «وَ الْأَرْضِ» بالنبات «لا إِلهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود يستحق العبادة سواه تعالى «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى كيف تقلبون

---

(۱) الكتاب لسيبويه ۲/ ۱۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏۸، ص: ۴۱۳

عن طريق الحق إلى الضلال. و انما قال «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» و إن كان أحدنا يخلق الشيء لأن هذه الصفة لا تطلق إلا عليه تعالى، فاما غيره فإنها تقيد له. و ايضاً فقد فسر ما أراد و هو أنه هل من خالق رازق للخلق من السموات و الأرض غير الله أى لا خالق على هذه الصفة إلا هو. هذا صحيح لأنه لا احد يقدر على ان يرزق غيره من السماء و الأرض بالمطر و النبات و أنواع الثمار.

ثم قال تعالى تعزية للنبى صلى اللّه عليه و آله و تسلية له عن تكذيب قومه إياه «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ»، يا محمد هؤلاء الكفار «فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» أرسلهم الله فكذبوهم و لم يقبلوا منهم فلك اسوة بمن كان قبلك «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يعنى ترد الأمور الى حيث لا يملك التصرف فيها مطلقاً غير الله يوم القيامة.

ثم خاطب الخلق فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» يعنى ما وعدهم به من البعث و النشور و الجنة و النار صحيح كائن لا محالة «فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» فتغترون بملاذها و زينتها و تتركون ما أمركم الله به و ترتكبون ما نهاكم عنه (وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) فالغرور هو الذى عادته ان يغر غيره، و الدنيا و زينتها بهذه الصفة، لأن الخلق يغترون بها، و قال الحسن الغرور الشيطان الذى هو إبليس، و هو قول مجاهد. و الرزق يطلق على وجهين:

أحدهما- ان الله جعله يصلح للغذاء يتغذى به الحيوان و للملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لا يأكلون و لا ينتفعون إلا بما جعله الله رزقاً لهم.

و الثانى- انه ملكه الله و حكم انه له فهم يتظالمون من هذا الوجه.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۱۴

قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۴۱۴

إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ (۶) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ (۸) وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كَذلِكَ النُّشُورُ (۹) مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ (۱۰)

خمس آيات حجازى و كوفى، و ست بصرى و شامى، عدّ البصريون و الشاميون (شديد) و لم يعده الباقون.

قرأ ابو جعفر (فلا تذهب) بضم التاء و كسر الهاء (نفسك) بنصب السين.

الباقون- بفتح التاء و الهاء، و رفع السين.

يقول اللَّه تعالى مخبراً لخلقه من البشر (إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ) فيعدل التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۱۵

بكم عن أفعال الخير و يدعوكم إلى ما فيه الهلكة، فالعداوة ضد الولاية، و لا يجوز ان يكون احد عدواً من وجه ولياً من وجه، كما لا يجوز أن يكون موجوداً من وجه معدوماً من وجه، لان الصفتين متنافيتان. ثم أمرهم بأن يتخذوا الشيطان عدّواً كما هو عدّو لهم، و بين تعالى أن الشيطان ليس يدعو إلا حزبه أى أصحابه و جنده، و هم الذين يقبلون منه و يتبعونه. و بين انه إنما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير بارتكاب المعاصى و الكفر باللَّه تعالى، و السعير النار المستعرة.

ثم اخبر تعالى (إن الَّذِينَ كَفَرُوا) بآيات اللَّه و يكذبون رسله (لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ) جزاء على كفرهم و تكذيبهم، و إن (الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا) الأفعال (الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من اللَّه لذنوبهم و لهم (أجر) أى ثواب (كبير) ثم قال مقرراً لهم (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً) يعنى الكفار زينت نفوسهم لهم أعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او الشيطان يزنيها لهم فيميلهم الى الشبهة و ترك النظر فى الأدلة الدالة على الحق باغوائه حتى يتشاغلوا بما فيه اللذة و طرح الكلفة.

و خبر (من) فى قوله (أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) محذوف و تقديره يتحسر عليه، و قيل: إن الخبر قوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ) إلا أنه وقع (من يشاء) موقعه. و قيل: جواب (ا فمن زين) محذوف بتقدير: كمن علم الحسن من القبيح، و عمل بما علم. و قيل: كمن هداه اللَّه.

و فى ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه دل على انهم رأوا أعمالهم السيئة حسنة. و هذا رأى فاسد، ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله ناهياً له (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) يا محمد (حسرات). و من فتح التاء جعل التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۱۶

الفعل للنفس، و الحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ) من المعاصى و الطاعات فيجازيهم بحسبها.

ثم قال (وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً) أی تنشئه و تجمعه و تجیء به و تحرکه (فسقناه) إی فساقه الله (إِلی بَلَدٍ مَیِّتٍ) لم یمطر أی قحط و جدب فیمطر علی تلک الأرض فیحیی بذلک الماء و المطر الأرض بعد موتها بالزرع بعد أن لم یکن فیها زرع. ثم قال: کما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة القحطة من إحیائها بالزرع بعد أن لم یکن فیها زرع مثل ذلک ینشر الخلائق بعد موتهم و یحشرهم الی الموقف للجزاء من ثواب و عقاب. و قیل: إن اللَّه تعالی إذا أراد احیاء الخلق أمطر السماء أربعین یوماً فینبت بذلک الخلق نباتاً.

ثم قال تعالی (مَنْ کانَ یُرِیدُ الْعِزَّةَ) یعنی القدرة علی القهر و الغلبة (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِیعاً) أی له القهر علی جمیع الأشیاء لا یقدر احد ان یمنعه مما یرید فعله به. و قیل: معناه من کان یرید علم العزة لمن هی، فهی للَّه. و قیل: معناه من أراد العزة فلیطع اللَّه حتی یعزه.

و قوله (إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ) قیل: معناه انه تعالی یقبله و یثیب علیه.

و قیل: الیه یصعد ای الی حیث لا یملک الحکم فیه إلا اللَّه، کما یقال: ارتفع أمرهم الی القاضی، و قوله (وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ یَرْفَعُهُ) ای یقبله. و قیل: فی الضمیر الذی فی (یرفعه) ثلاثة أوجه: أحدها- یرفع الکلم الطیب من الفعل.

الثانی- یرفعه الکلم الطیب. الثالث- یرفعه اللَّه.

ثم قال (وَ الَّذِینَ یَمْکُرُونَ السَّیِّئاتِ) ای یحتالون لفعل السیئات من الشرک و الکبائر. و قیل: هم اصحاب الریاء (لَهُمْ عَذابٌ شَدِیدٌ وَ مَکْرُ أُولئِکَ هُوَ یَبُورُ) قال قتادة: معناه مکرهم یفسد. و قیل: معنی یبور یکسد، فلا ینفذ فی ما یریدون التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۱۷

و قال مجاهد: هو ما عمل للریاء فانه یفسد، قال ابن الزبعری:

یا رسول الملیک ان لسانی راتق ما فتقت إذ انا بور «۱»

قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱۱ الى ۱۷] ..... ص : ۴۱۷

وَ اللَّهُ خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَکُمْ أَزْواجاً وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثی وَ لا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ (۱۱) وَ ما یَسْتَوِی الْبَحْرانِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ مِنْ کُلٍّ تَأْکُلُونَ لَحْماً طَرِیًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْیَةً تَلْبَسُونَها وَ تَرَی الْفُلْکَ فِیهِ مَواخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ (۱۲) یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ وَ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما یَمْلِکُونَ مِنْ قِطْمِیرٍ (۱۳) إِنْ تَدْعُوهُمْ لا یَسْمَعُوا دُعاءَکُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَکُمْ وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ یَکْفُرُونَ بِشِرْکِکُمْ وَ لا یُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِیرٍ (۱۴) یا أَیُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَی اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ (۱۵)

إِنْ یَشَأْ یُذْهِبْکُمْ وَ یَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِیدٍ (۱۶) وَ ما ذلِکَ عَلَی اللَّهِ بِعَزِیزٍ (۱۷)

---

(۱) مر تخریجه فی ۶/ ۲۹۴ و ۷/ ۴۷۹.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۱۸

ست آیات بصری و سبع فی ما عداه عدوا (بخلق جدید) و لم یعده البصریون.

قرأ یعقوب و لا (ینقص من عمره) بفتح الیاء و ضم القاف. الباقون علی ما لم یسم فاعله. و قرأ قتیبة (و الذین تدعون) بالتاء علی الخطاب. الباقون بالیاء علی الخبر.

هذا خطاب من اللَّه سبحانه لجمیع خلقه من البشر انه خلقهم من تراب، و یرید ان آدم الذی هو أبوهم و منه انتسلوا خلقه من تراب و منه توالدوا.

و قيل: إن المراد به جميع الخلق، لأنهم إذا خلقهم من نطفة و النطفة تستحيل من الغذاء، و الغذاء يستحيل من التراب، فكأنه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدريج. و على الأول يكون قوله «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» معناه ثم خلق أولاد آدم من نطفة ثم استثنا منه عيسى فی قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» «۱» فقوله «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْواجاً» أی اشكالا لان الزوج هو الذی معه آخر من شكله، و الاثنان زوجان «وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» معناه ليس تحمل الأنثى من حمل يولد و لا تضعه لتمام و لغير تمام إلا و اللَّه تعالى عالم به، لا أن علمه آلة فی ذلك، و لا يدل ذلك على أن له علماً يعلم به، لأن المراد ما ذكرناه من انه لا يحصل شیء من ذلك إلا و هو عالم به.

و قوله «وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» و العمر مدة الأجل للحياة و هو تفضل من

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۵۹.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۱۹

اللَّه سبحانه و تعالى يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى و الفقر، و القوة و الضعف، و المعنى: و ليس يطول عمر احد و لا ينقص من عمره بأن يذهب بعضه بمضی الليل و النهار إلا و ذلك فی الكتاب المحفوظ أثبته اللَّه تعالى قبل كونه. و قال الحسن و الضحاك و ابن زيد: معنى «وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ» أی من عمر معمر آخر، و قال ابو مالك: معناه و لا ينقص من عمره ينقضی ما ينقضی منه. و قال الفراء: هو كقولك: عندی درهم و نصفه أی و مثل نصف الدرهم من غيره.

ثم قال (إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) يعنی تعمير من يعمره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلك فی الكتاب سهل على اللَّه غير متعذر.

ثم قال تعالى (وَ ما يَسْتَوِی الْبَحْرانِ) أی لا يستويان لان (هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائِغٌ شَرابُهُ) ای مریء شهی (و هذا) الآخر (ملح أجاج) فالفرات أعذب العذب و الأجاج أشد المر. و الأجاج مشتق من أججت النار كأنه يحرق من مرارته. و (اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ) «۱» يخرج من الملح دون العذب. و قيل:

فی الملح عيون عذبة، و فی ما بينهما يخرج اللؤلؤ.

ثم قال (و من كل) يعنی من البحرين العذب و الأجاج (تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا) يعنی سمكا (وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها) من اللؤلؤ و المرجان (وَ تَرَى الْفُلْكَ) يعنی السفن (فِيهِ مَواخِرَ) ای تشق الماء فی جريانها شقاً. و قيل: معناه إنها تذهب و تجیء، بلغة قريش و هذيل. و قال الحسن: يعنی مواقير كقوله (الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) «۲» (لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) معناه إنه تعالى خلق ذلك لخلقه

---

(۱) سورة ۵۵ الرحمان آية ۲۲.

(۲) سورة ۲۶ الشعراء آية ۱۱۹.

و سورة ۳۶ يس آية ۴۱ و سورة ۳۷ الصافات آية ۱۴۰.

التبيان فی تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲۰

ليلتمسوا من فضل اللَّه بركوب البحر للتجارة و المسير فيها طلباً للمنافع و ما يخرجون منها من انواع الأشياء لكی يشكروا اللَّه على نعمه و يحمدوه على فضله ثم قال (يُولِجُ اللَّيْلَ فِی النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّيْلِ) معناه انه ينقص من الليل فی النهار عند منقلب الصيف، و من النهار فی الليل عند منقلب الشتاء.

و قيل: معناه انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه و يتعقبه (وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّى) قدره اللَّه لهما بحسب ما علم من مصالح خلقه إلى الوقت الذی يفنيهما الله فيه. فتسخير الشمس نزولها فی بروج مخصوصة فی أوقات مخصوصة كل فصل منها لنوع آخر من المنافع لا يختلف الحال فيه، و تسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة، فيستدل به على السنين و الشهور، و ذلك

يدل على أن مدبره عالم حكيم.

ثم قال (ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ) الذى يقدر على تسخير الشمس و القمر، و إيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل و خلق البحرين العذب و المالح، و منع أحدهما أن يختلط بالآخر لا يقدر عليه غيره (وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ) و توجهون عبادتكم اليهم من الأصنام و الأوثان (ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) و هو قشر النواة- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة و عطية- فدل على أن من لا يملك هذا القدر لا يستحق العبادة و لا يكون إلهاً.

ثم قال (إن تدعوهم) يعنى الأصنام (لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ) لأنها جمادات يستحيل ذلك عليها، و لا يقدرون على ضرر و لا نفع (وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) قيل: إن الله تعالى يحيى الأصنام يوم القيامة لينكروا على المشركين، و يوبخوهم على عبادتهم إياهم. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد به الملائكة و عيسى. و قوله (لا يَسْمَعُوا التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲۱

دُعاءَكُمْ)

أى هم بحيث لا يسمعونه او هم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم و لا يصغون و يجوز ان يكون المراد بها الأصنام و يكون ما يظهرونه من بطلان ما ظنوه كفراً بشركهم و جحداً له كما حصل ما فى الجماد من الدلالة على الله مسبحاً له و هو كقولهم: سل الأرض من شق أنهارك و غرس أشجارك و جنى ثمارك، فان لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً (و لا ينبئك) يا محمد بالشىء على حقيقته (مثل خبير) عالم بما اخبر، و الله تعالى هو العالم بالأشياء على حقائقها.

ثم قال تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ) اى محتاجون اليه (وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن جميع المخلوقات لا تجوز عليه الحاجة، لأنه ليس بجسم فالحاجة من صفة الأجسام (الحميد) يعنى المحمود المستحق للحمد على جميع أفعاله، و الله تعالى لا يفعل إلا ما يستحق به حمداً.

ثم اخبر تعالى عن قدرته فقال (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) معاشر الخلق و يفنيكم (وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ) آخر (جديد) و هو ما كان قريب عهد بانقطاع العمل عنه، و أصله القطع من جده يجده إذا قطعه. و الجد ابو الأب لانقطاعه عن الولادة بالأب و الجد المضى فيه بقطعه أولا أولا من غير تفتير (وَ ما ذلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) أى بممتنع فالعزيز المنيع بوجه من الوجوه الذى يتعذر معها الفعل.

قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۱۸ الى ۲۳] ..... ص : ۴۲۱

وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ مَنْ تَزَكَّى فَإِنَّما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (۱۸) وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ (۱۹) وَ لا الظُّلُماتُ وَ لا النُّورُ (۲۰) وَ لا الظِّلُّ وَ لا الْحَرُورُ (۲۱) وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لا الْأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (۲۲) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (۲۳)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲۲

ست آيات حجازى و كوفى و خمس آيات شامى و اربع آيات بصرى عد الحجازيون و الكوفى و الشامى «البصير» و «النور» و لم يعده البصرى و عد الحجازيون و العراقيون «القبور» و لم يعده الشامى.

يقول اللَّه تعالى مخبراً حسب ما تقتضيه حكمته و عدله أنه «لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى معناه أنه لا تحمل حاملة حمل أخرى من الذنب، و الوزر الثقل، و منه الوزير لتحمله ثقل الملك بما يتحمله من تدبير المملكة، و تقديره أنه لا يؤاخذ احد بذنب غيره، و إنما يؤاخذ كل مكلف بما يقترفه من الإثم.

و قوله «وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى معناه و إن تدع مثقلة بالآثام غيرها لتحمل عنها بعض الإثم لا

يحمل عنها شيئاً من آثامها، و إن كان أقرب الناس اليها، لما فى ذلك من مشقة حمل الآثام و لو تحملته لم يقبل تحملها، لما فيه من مجانبة العدل و منافاته له، فكل نفس بما كسبت رهينة، لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، و لا يؤخذ إلا بجنايته.

و قوله «إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» معناه ليس ينتفع بتخويفك يا محمد إلا الذين يخافون ربهم فى غيبتهم و خلواتهم فيجتنبون معاصيه فى سرهم و يصدقون بالآخرة. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲۳

و قوله «وَ أَقامُوا الصَّلاةَ» قال ابو عبيدة فى مجازه: اى و يقيمون، فوقع الماضى مقام المستقبل، و المعنى يديمون فعلها و يقومون بشرائطها. و إنما عطف الماضى على المستقبل إشعاراً باختلاف المعنى، لان الحسنة لازمة فى كل وقت و الصلاة لها اوقات مخصوصة، و أضاف الانذار إلى الذين يخشون ربهم من حيث كانوا هم المنتفعون بها، و إن كان النبى صلى اللَّه عليه و آله ينذر كل مكلف.

ثم قال «وَ مَنْ تَزَكَّى» أى فعل الطاعات و قام بما يجب عليه من الزكاة و غيرها من الواجبات فإنما يتزكى لنفسه، لان ثواب ذلك و نفعه عائد عليه.

و قوله «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» معناه يرجع الخلق كلهم الى حيث لا- يملك الأمر و النهى إلا اللَّه، فيجازى كل مكلف على قدر عمله. و قوله «وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ» معناه لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق و العادل عنها، و البصير الذى يهتدى إليها قط، لأن الأول يستحق العقاب، و الثانى يستحق الثواب «وَ لَا الظُّلُماتُ وَ لَا النُّورُ» يعنى و كذلك لا يستوى المؤمن و الكافر و المطيع و العاصى فشبه الايمان بالنور و الكفر بالظلمات، و كذلك لا يستوى «الظِّلُّ وَ لَا الْحَرُورُ» فالظل هو الستر عن موقع الشمس و منه الظلة، و هى السترة عن موقع الشمس، و منه قولهم: ظل يفعل كذا إذا فعل نهاراً فى الوقت الذى يكون للشمس ظل، و الحرور السموم و هو الريح الحارة فى الشمس، و قال الفراء:

الحرور يكون بالليل و النهار و السموم لا يكون إلا بالنهار. و قيل: الظل الجنة و الحرور النار «وَ ما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَ لَا الْأَمْواتُ» أى هما ايضاً لا يتساويان و لا يتماثلان، فالاسواء حصول أحد الشيئين على مقدار الآخر، و منه الاستواء فى العود و الطريق خلاف الاعوجاج، لمره على مقدار أوله من غير انعدال.

و هذه الأمثال أمثال ضربها اللَّه لعبادة اللَّه و عبادة الأوثان، و بين أنه كما التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۲۴

لا تتماثل هذه الأشياء، و لا تتشاكل و لا تتساوى، فكذلك عبادة اللَّه لا تشبه عبادة الأصنام.

ثم قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ» و معناه أن اللَّه ينفع باسماع ذلك من يشاء ممن يعلم أن له لطفاً يفعله به دون غيره «وَ ما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» أى لأنك لا تقدر على نفع الكفار باسماعك إياهم إذا لم يقبلوا، كما لا تسمع من فى القبور من الأموات «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» أى لست إلا نذيراً مخوفاً باللَّه.

شبه الكفار فى تركهم قبول ما يسمعون و ذهابهم عن تفهمه و تدبره بالموتى، كما شبههم بالصم و العمى، يقال: أصمهم و أعمى أبصارهم ليس أنهم كانوا لا يسمعون و لا يفهمون أو كان النبى صلى اللَّه عليه و آله لا ينذرهم لكن على ما بيناه من التشبيه.

و قيل فى (لا) قولان: أحدهما- أنها زائدة مؤكدة للنفى. الثانى- انها باقية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل. فمن قال: إنها زائدة قال فى مثل قولهم لا يستوى زيد و لا عمرو فى هذا المعنى، فلا تكون هنا إلا زائدة، و من قال: ليست زائدة، قال تقديره لا يستوى الأعمى و البصير و لا يساوى البصير الأعمى.

قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۲۴ الى ۲۶] ..... ص : ۴۲۴

إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ (۲۴) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ بِالزُّبُرِ وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ (۲۵) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ (۲۶)

ثلاث آيات بلا خلاف. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۲۵

لما قال اللّه تعالى لنبيه إن أنت إلا نـذير، و معناه لست إلا مخوفاً من عقاب اللّه و معاصيه قال له «إِنَّا أَرْسَلْناكَ» يا محمـد «بِالْحَقِّ» أى بالدين الصحيح «بَشِيراً» أى مبشراً بالجنة و ثواب اللّه لمن أطاعه «وَ نَذِيراً» أى مخوفاً من عقابه لمن عصاه «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ» أى ليس من أمة فى ما مضى إلا مضى فيها مخوف من معاصى اللّه. و قال قوم: المعنى «إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ» منهم و قال آخرون: نذير من غيرهم، و هو رسول اليهم، كما أرسل نبينا صلى اللّه عليه و آله الى العرب و العجم. و قال الجبائى: فى ذلك دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا و قد بعث اللّه اليهم رسولا، و أنه أقام الحجة على جميع الأمم.

ثم قال على وجه التسلية له و التعزية عن تكـذيب قومه إياه «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد و لم يصدقوك فى انك نبى من قبل الله «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار أنبياء أرسلوا اليهم «جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ» من الله «بِالْبَيِّناتِ» أى الحجج الواضحات «وَ بِالزُّبُرِ» يعنى بالكتب «وَ بِالْكِتابِ الْمُنِيرِ» الموضح بمنزلة ما فيه من نور يستضاء به. و الزبر هى الكتب، و انما كرر ذكر الكتاب، و عطف عليه، لاختلاف الصنفين، لان الزبر الكتابة الثابتة كالنقر فى الحجر، ثم بين تعالى ان الكفار لما كذبوا رسل الله الذين جاءوهم بالبينات و لم يعترفوا بنبوتهم انه أخذهم بالعذاب و بالعقوبة العاجلة و اهلكهم و دمر عليهم.

قوله تعالى: [سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠] ..... ص : ۴۲۵

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَ عَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۲۶

أربع آيات بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه و المراد به جميع المكلفين منبهاً لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته و اختصاصه من الصفات بما لا يختص به سواه بأن قال «أَ لَمْ تَرَ» يا محمد و معناه أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً» يعنى غيثاً و مطراً «فَأَخْرَجْنا بِهِ» اخبار منه تعالى عن نفسه انه أخرج بذلك الماء «ثَمَراتٍ» جمع ثمرة، و هى ما يجتنى من الشجر «مُخْتَلِفاً أَلْوانُها» لان فيها الأحمر و الأبيض و الأصفر و الأخضر و غير ذلك. و لم يذكر اختلاف طعومها و روائحها لدلالة الكلام عليه. و الاختلاف هو امتناع الشيء من ان يسد مسد صاحبه فى ما يرجع إلى ذاته ألا ترى أن السواد لا يسد مسد البياض، و ذلك لا يقدر عليه سواه تعالى من جميع المخلوقين «وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ» واحده جده نحو مدة و مدد و اما جمع جديد فجدد- بضم الدال- مثل سرير و سرر. و الجدد الطرائق (بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ) واحد الغرابيب غربيب و هو الذى لونه كلون الغراب من شدة سواده، و لذلك قال (سود) لأنه دل عليه من هذا التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۲۷

الوجه، ثم بين بالافصاح أنها سود، قال امرؤ القيس:

كأن سراته و جدّة متنه كنائن يحرى فوقهن دليص «۱»

يعنى بالجدة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار، و الكنائن جمع كنانه، و الدليص الذى يبرق من الذهب و الفضة و ما أشبهها، فالجدد هى الوان الطرق.

ثم قال (وَ مِنَ النَّاسِ) أيضاً (و من الدَّوَابِّ) التى تدب على وجه الأرض (و الانعام) كالإبل و البقر و الغنم (مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ) ايضاً مثل ذلك مما فى الجبال و الثمار (كذلك) أى مثل ما قدمنا ذكره.

ثم قال (إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ) و معناه ليس يخاف اللَّه حق خوفه و لا يحذر معاصيه خوفاً من عقابه إلا العلماء الذين يعرفون حقيقة ذلك فأما الجهال و من لا يعرف اللَّه فلا يخافونه مثل ذلك، و كذلك ينظر العلماء فى حجج اللَّه و بيناته و يفكرون فى ما يفضى بهم إلى معرفته من جميع ما تقدم ذكره ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فى انتقامه من أعدائه (غفور) لأوليائه و التائبين من خلقه الراجعين إلى طاعته.

ثم قال (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ) يعنى يقرءون القرآن و يعملون بما فيه (وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَنْفَقُوا) فى طاعة اللَّه (مِمَّا رَزَقْناهُمْ) أى مما رزقهم اللَّه و ملكهم التصرف فيه (سِرًّا وَ عَلانِيَةً) أى فى حال سرهم، و فى حال علانيتهم (يرجون) فى موضع الحال أى راجيين بذلك (تِجارَةً لَنْ تَبُورَ) أى لا تكسد. و قيل: لا تفسد، يقال بارت السوق إذا كسدت و بار الطعام، و بار الشيء إذا فسد، قال الشاعر:

---

(۱) ديوانه (شرح السندوسى) ۱۲۴ و روايته (ظهره) بدل (متنه).

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۲۸

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور «۱»

ثم بين انهم يقصدون بذلك أن يوفيهم الله أجور ما عملوا من الطاعات بالثواب و يزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم، لأنه وعد بأن يعطى الواحد عشرة (إنه غفور) لعباده ساتر لذنوبهم (شكور) معناه إنه يعامل بالإحسان معاملة الشاكر. و قال الجبائى: وصفه بأنه شكور مجاز، لان معناه انه يجازى على الطاعات.

قوله تعالى:[سورة فاطر (۳۵): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۴۲۸

وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ (۳۱) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ (۳۲) جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَها یُحَلَّوْنَ فِیها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِیها حَرِیرٌ (۳۳) وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَکُورٌ (۳۴) الَّذِی أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا یَمَسُّنا فِیها نَصَبٌ وَ لا یَمَسُّنا فِیها لُغُوبٌ (۳۵)

خمس آيات بلا خلاف.

---

(۱) قد مر فى ۶/ ۲۹۴ و ۷/ ۴۷۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۲۹

قرأ ابو عمرو (يدخلونها) بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله تعالى (يحلون). الباقون بفتح الياء، لأنهم إذا أدخلوها فقد دخلوها، و المعنيان متقاربان.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ) يا محمد و أنزلناه عليك (من الكتاب) يعنى القرآن (هو الحق) معناه هو الصحيح الذى معتقده على ما هو به. و ضده الباطل، و هو ما كان معتقده لا على ما هو به.

و العقل يدعو إلى الحق و يصرف عن الباطل، و قوله (مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ) معناه مصدقاً لما قبله من الكتب بأنه جاء موافقاً لما بشرت به تلك الكتب من حاله و حال من أتى به. ثم قال (إن اللَّه) تعالى بعباده (لخبير) أى عالم بهم (بصير) بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم على استعمال الحق بالثواب و على استعمال الباطل بالنار. ثم قال (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ) يعنى القرآن أورثناه من اصطفيناه من عبادنا. و معنى الإرث انتهاء الحكم اليه و مصيره لهم، كما قال تعالى (وَ تِلْکَ الْجَنَّةُ الَّتِی أُورِثْتُمُوها بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) «۱» و قيل المراد أورثناهم الايمان بالكتب السالفة و كان الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم.

و الأول أصح. و الاصطفاء الاختيار بإخراج الصفوة من العباد، فاصطفى اللَّه المؤمن يحمل على ثلاث طبقات «مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغيرة، و مقتصد بالطاعات في المرتبة الوسطى، و سابق بالخيرات في الدرجة العليا، و هم الذين لم يرتكبوا شيئاً من المعاصي، و كل وعد اللَّه الحسنى، و الذين اصطفاهم اللَّه و أورثهم الكتاب قيل: هم الأنبياء فمنهم ظالم لنفسه يعني أصحاب الصغائر. و قيل: هم اصحاب النار، هذا من قول من أجاز على الأنبياء الصغائر دون الكبائر، فأما

---

(۱) سورة ۴۳ الزخرف آية ۷۲.

التبيان في تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۳۰

من لا يجوز عليهم شيئاً من المعاصي أصلًا لا صغيرة و لا كبيرة يقول: معنى الآية إن اللَّه تعالى أورث علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم و اجتباهم و اختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، و الأئمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطأ و لا فعل القبيح لا صغيراً و لا كبيراً، و يكون قوله (فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ) راجعاً إلى (عباده) و تقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه، و من عبادنا مقتصد، و من عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه اللَّه لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا و قوله «بالخيرات» يعني يعلم من اقتصد او ظلم نفسه أو سبق بالخيرات.

ثم قال (ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) يعني السبق بالخيرات هو الفضل العظيم الذي لا شيء فوقه. و قال ابن عباس: الذين أورثهم اللَّه الكتاب هم أمة محمد، ورثهم اللَّه كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، و مقتصدهم يحاسبهم حساباً يسيراً و سابقهم يدخلون الجنة بغير حساب. و قال ابن مسعود- بذلك- و كعب الأحبار. و قال الثلاث فرق- المذكورة في هذه الآية- كلهم في الجنة. و قال عكرمة عن ابن عباس: إن المصطفين من هذه الأمة الأنبياء، و الظالم لنفسه هو المنافق و المقتصد و السابق بالخيرات في الجنة، و المنافق في النار. و قال الحسن و مجاهد: السابق بالخيرات من جميع الناس، و الظالم لنفسه أصحاب المشئمة، و المقتصد اصحاب الميمنة من الناس كلهم. و هذا مثل ما قلناه من ان الكناية راجعة إلى العباد دون المصطفين، و قال البلخي: الاصطفاء- هاهنا- التكليف دون الثواب، فعلى هذا يجوز أن ترجع الكناية الى المصطفين.

ثم قال «جَنَّاتُ عَدْنٍ» فرفع جنات على تفسير الفوز، كأنه قيل: ما ذلك الفوز؟ فقال هي جنات أي جزاء جنات أو دخول جنات، و يجوز أن يكون التبيان في تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۳۱

بدلا من الفوز، كأنه قال ذلك جنات أي دخول جنات، و الجنات هي البساتين التي يجنها الشجر، و العدن الاقامة «يَدْخُلُونَها» يعني من تقدم ذكره من الذين سبقوا بالخيرات و المقتصدين «يُحَلَّوْنَ فِيها» بمعنى يلبسون فيها الحلي «مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» و أساور جمع أسوار، و من قال سوار جمعه على أسورة «مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً» فيمن جر، و من نصب «لؤلؤاً» و هو نافع و عاصم فعلى تقدير و يحلون فيها لؤلؤاً «وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ» معناه إن ما يلبسه أهل الجنة من اللباس إبريسم محض.

ثم اخبر تعالى عن حال من يدخل الجنة أنهم إذا دخلوها «قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ» أي اعترافاً بنعمة اللَّه و شكراً له على نعمه، و هو الاعتراف منهم على وجه الإلجاء، لهم في ذلك سرور لا على وجه التكليف «الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» و معناه أذهب الغم عنا بخلاف ما كنا عليه في دار الدنيا، و قيل: الحزن الذي أصابهم قبل دخول الجنة، فإنهم يخافون من دخول النار إذا كانوا مستحقين لها، فإذا تفضل اللَّه عليهم بأن يسقط عقابهم و يدخلهم الجنة حمدوا اللَّه على ذلك.

و قيل: ما كان ينالهم في دار الدنيا من أنواع الأحزان و الاهتمام بأمر المعاش و الخوف من الموت و غير ذلك «إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» لذنوب عباده إذا تابوا مجاز لهم على شكرهم لنعمه. و قيل: إن مكافاته لهم على الشكر لنعمه و القيام بطاعاته جرى مجرى أن يشكره لهم و إن كان حقيقة لا يجوز عليه تعالى من حيث كان اعترافاً بالنعمة، و لا يصح عليه تعالى أن يكون منعماً عليه، ثم وصفوا اللَّه تعالى بأن قالوا «الَّذِي أَحَلَّنا» أي أنزلنا دار المقامة يعني دار الاقامة و إذا فتحت الميم كان المراد موضع القيام قال الشاعر: التبيان في

تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٣٢

يومان يوم مقامات و اندية و يوم سير إلى الاعداء تأويب «١»

و «مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ» يعنى تعب. و قال قتادة: معناه وجع «وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» يعنى اعياء. و قيل: اللغوب العناء. و منه قوله تعالى «وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ» «٢».

قوله تعالى:[سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣٦ الى ٤٠] ..... ص : ٤٣٢

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَساراً (٣٩) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً (٤٠)

---

(١) اللسان (أوب).

(٢) سورة ٥٠ ق آية ٣٨. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٣٣

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو عمرو وحده «يجزى» بضم الياء على ما لم يسم فاعله. الباقون بالنون على وجه الاخبار من اللَّه عن نفسه. و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و حفص «على بينة» بالتوحيد لقوله «فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» «١» الباقون «بينات» على الجمع، لأنها مكتوبة فى المصاحف بالألف و التاء، و البينة و البينات القرآن، و فى قوله «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» «٢» و هو محمد صلى اللَّه عليه و آله. و يقال: بان الشيء و أبان إذا تبين، فهو باين و مبين، و أبنته أنا و بينته لا غير. و البينة وزنها (فيعلة) فاجتمع ياءان فأدغم إحداهما فى الأخرى.

لما اخبر اللَّه تعالى عن أحوال اهل الآخرة و ما أعده لأهل الجنة من أنواع الثواب أخبر- هاهنا- عن حال الكفار و ما أعده لهم من أليم العقاب فقال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدانية اللَّه و جحدوا نبوة نبيه «لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ» عقوبة لهم على كفرهم يعذبون فيها «لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» أى لا يحكم عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا، يقال قضى فلان إذا مات «وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها» معناه و لا ييسر عليهم عذاب النار و لا يسهل عليهم و مثل هذا العذاب و نظيره «كَذلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ» جاحد لوحدانيته تعالى و مكذب لأنبيائه.

ثم اخبر تعالى عن حال من هو فى النار فقال «وَ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها» أى

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٥٧.

(٢) سورة ٩٨ البينة آية ٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٣٤

يتصايحون بالاستغاثة، فالاصطراخ الصياح و النداء بالاستغاثة، و هو افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، و إنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد بالاستعلاء و الاطباق و يوافق التاء بالمخرج. و يقولون «رَبَّنا أَخْرِجْنا» من عذاب النار «نَعْمَلْ صالِحاً» يعنى نعمل بالطاعات و الاعمال الصالحات التى أمرنا بها «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من المعاصى، فيقول اللَّه

لهم- فى جوابه تبكيتا لهم و إنكاراً عليهم «أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ» فى دار الدنيا. و قال ابن عباس، و مسروق: العمر الذى ذكره اللَّه أربعون سنة، و فى رواية أخرى ستون سنة، و هو

قول على عليه السلام «ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» أى عمرناكم مقدار ما يمكن أن يتذكر و يعتبر و ينظر و يفكر من يريد أن يتفكر و يتذكر «وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ» يعنى المخوف من معاصى اللَّه

، قال ابن زيد: يعنى به محمداً صلى اللَّه عليه و آله و قال غيره: أراد الشيب. و قيل: الحمى «فَذُوقُوا» معاشر الكفار عقاب كفركم و معاصيكم «فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» اى ليس لمن ظلم- و بخس نفسه حقها بارتكاب المعاصى- ناصر يدفع عنه العذاب.

ثم اخبر تعالى بأنه «عالِمُ غَيْبِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ»

لا يخفى عليه شيء مما غاب عن جميع الخلائق علمه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ»

و معناه اتقوا و احذروا أن تضمروا فى أنفسكم ما يكرهه اللَّه تعالى، فانه عليم بما فى الصدور لا يخفى عليه شيء منها.

و قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ» معناه جعلكم معاشر الكفار أمة بعد أمة و قرناً بعد قرن. و هو قول قتادة «فَمَنْ كَفَرَ» أى جحد وحدانيته و أنكر نبوة نبيه صلى اللَّه عليه و آله «فَعَلَيْهِ» عقاب «كُفْرُهُ» دون غيره «وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً» أى لا يزيدهم كفرهم باللَّه عند اللَّه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٣٥

إلا أشد البغض لان المقت أشد البغض «وَ لا يَزِيدُ الْكافِرِينَ» أيضاً «كُفْرُهُمْ إِلَّا خَساراً» لأنهم يخسرون الجنة و يحصل لهم النار بدلا منها «و ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» ثم قال موبخاً لهم «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» قيل: معناه ادعوا شركاءكم فى الأموال التى جعلتم لها قسطاً من السائبة و الوصيلة و الانعام و الحرث، و هى الأوثان. و قيل: شركاءكم الذين اشركتموهم فى العبادة مع الله «أَرُونِي ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» معناه أى شيء اخترعوه و أنشئوه فيدخل عليكم بذلك شبهة «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ؟» أى لهم شركة فى خلق السموات؟ على وجه المعاونة لله؟ (أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً)؟ أى أعطيناهم كتاباً أمرناهم فيه بما يفعلونه (فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ) اى من ذلك الكتاب، فان جميع ذلك محال لا- يمكنهم ادعاء شيء من ذلك، و لا إقامة حجة و لا شبهة عليه (بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً) و معناه ليس شيء من ذلك لكم، ليس يعد الظالمون أنفسهم بعضهم بعضاً إلا غروراً يغترون به و زوراً يتعدون به، يقال: غره يغره غروراً إذا أطعمه فى ما لا يطمع فيه.

فان قيل: الآية تدل أن الله سبحانه ينفرد بالخلق دون العباد، لأنه بين أن من تهيأ له الخلق فهو إله.

قلنا: هذا كقوله (أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها) «١» فكما لا- يدل على ان من كان له يد أو رجل يكون إلهاً، فكذلك لا يجب ان يكون من يخلق يكون إلها على انه بين المراد بالخلق، فقال (ما ذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) لا يقدر على خلق الأرض و لا على شيء منه إلا الله تعالى على أنا

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١٩٤.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٣٦

لانطلق اسم خالق إلا على الله، و نقيده فى الواحد منا.

قوله تعالى:[سورة فاطر (٣٥): الآيات ٤١ الى ٤٥] ..... ص : ٤٣٦

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَ لَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (٤١) وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ ما زادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً (٤٢) اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ وَ لا- يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ- بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) أَ وَ لَمْ

يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً (۴۴) وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ وَ لكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً (۴۵)

خمس آيات كوفى و مكى و مدنى الأول. و ست شامى، و فى عدد إسماعيل. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۳۷

و سبع بصرى. عد البصرى و الشامى و إسماعيل (تبديلا) و عد البصرى قبله (تزولا) و لم يعد ذلك الباقون.

لما بين الله تعالى أن الأصنام لا تقدر على شيء و أن ليس لها شرك فى السموات و الأرض، أخبر عن عظيم قدرته و سعة سلطانه فقال (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ) بأن يسكنها حالا بعد حال، و لا يقدر على تسكينها غيره تعالى حال بعد حال، لأنه يسكنها بغير عمد، فالارضون ساكنة بلا عمد و السموات ساكنة باسكانه. و هى غير الأفلاك التى تجرى فيها النجوم، قال عبد الله بن مسعود ان السموات لا تدور، و لو كانت تدور لكانت قد زالت. و منعهما بهذا التسكين من أن تزولا عن مواضعها او تهوى او تسقط، و معنى (أن تزولا) كراهة أن تزولا. و قال الكوفيون: معناه ألا تزولا عن مراكزهما، فحذف (لا).

ثم قال (و لئن زالتا) معنى (لئن) (لو) و يوضع كل واحد منهما مكان الآخر، لأنهما يجابان بجواب واحد. و مثله (وَ لَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) «١» و معناه و (لو) و معنى (وَ لَئِنْ زالَتا) يعنى عن مقرهما (إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أى ليس يسكنها احد و لا يقدر عليه احد بعد الله تعالى (إِنَّهُ كانَ حَلِيماً) يعنى القادر الذى لا يعاجل واحداً بالعقوبة، و لا يحلم إلا قادر، لأن من ليس بقادر، لا يصح ان يعاقب، فلا يحلم و إنما حلمه أناة بمن استحق العقوبة (غفوراً) أى ستاراً لذنوبهم إذا تابوا لا يفضحهم بها على رؤس الأشهاد، و (الغفور) الكثير الغفران لذنوب عباده بالتوبة و بالتفضل لمن يشاء منهم.

ثم حكى عن الكفار أنهم (أَقْسَمُوا بِاللَّهِ) يعنى حلفوا به (جَهْدَ أَيْمانِهِمْ)

---

(١) سورة ٣٠ الروم آية ٥١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۳۸

أى غاية وسعهم و طاقتهم (لَئِنْ جاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى مخوف من جهة الله يخوفهم من معاصيه (لَيَكُونُنَّ أَهْدى إِلى اتباعه و القبول منه (مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) الماضية و أسبق إلى اتباعه (فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ) أى محمد صلى اللّه عليه و آله جاءهم يخوفهم باللّه «ما زادهم» مجيئه «إلا نفوراً» أى ازدادوا عند مجيئه نفوراً عن الحق و هرباً منه لا- أن مجيئه زادهم ذلك. ثم بين تعالى انهم ينفرون عند مجيء النبى «استكباراً» أى طلباً للكبر و التجبر على غيرهم «فى الأرض» من أن يقروا بالحق «و مكر السيء» أى و حيلة الأفعال القبيحة و المعاصى لأنهم قصدوا بذلك الفرار من اتباع محمد و الايمان به، و السيء الشرك- فى قول قتادة- و أضيف اليه كما قال «لحق اليقين» «١» و فى قراءة عبد اللّه بن مسعود «و مكراً سيئاً» و قد سكن حمزة وحده الهمزة. الباقون جروها بالاضافة. و التسكين لحن عندهم اعنى البصريين، لا يجوز ان يقرأ به. و قيل الوجه فى تسكين حمزة كثرة الحركات فى الكلام، كما قال الشاعر:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم

فسكن الباء لكثرة الحركات، و الصحيح الأول، لأن مثل هذا إنما يجوز فى ضرورة الشعر، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون أجراه فى الوصل مجرى الوقف، و تقدير و مكراً المكر السيء، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر، و تقديره و مكروا المكر السيء بدلالة قوله «وَ لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» و معناه لا ينزل بأحد جزاء المكر السيء إلا بمن فعله «فهل ينظرون» أى فهل ينتظرون «إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» من نزول العقاب بهم و حلول النقمة عليهم جزاء على كفرهم، فان كانوا ينتظرون ذلك «فلن تجد» يا محمد و المراد به

---

(١) سورة ۶۹ الحاقة ۵١.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۳۹
الکفار «لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِیلًا» أی لا یغیر اللَّه عادته من عقوبة من جحد ربوبیته «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِیلًا» و لا یبدلها بغیرها، فالتبدیل تصیر الشیء مکان غیره، و التحویل تصیر الشیء فی غیر المکان الذی کان فیه، و التغییر تصییر الشیء علی خلاف ما کان.
ثم قال «أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ» یعنی هؤلاء الکفار الذین أنکروا إهلاک اللَّه الأمم الماضیة، أما ساروا فی الأرض «فَیَنْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ کانُوا» أولئک «أشد منهم» من هؤلاء «قُوَّةً وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُعْجِزَهُ مِنْ شَیْءٍ» إذ لم یکن یفوته شیء «فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ إِنَّهُ کانَ عَلِیماً» عالماً بجمیع الأشیاء (قدیراً) قادراً علی ما لا نهایة له، و یقدر علی أجناس لا یقدرون علیها.
ثم اخبر تعالی ممتنا علی الناس بتأخیر عقابهم بان قال (وَ لَوْ یُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِما کَسَبُوا) أی جزاء علی معاصیهم عاجلا (ما تَرَکَ عَلی ظَهْرِها) ظهر الأرض (من دابة) تدبّ علی رجلیها (وَ لکِنْ یُؤَخِّرُهُمْ إِلی أَجَلٍ) یعنی إلی الوقت المعلوم الذی قدره لتعذیبهم (فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ) یعنی الوقت المقدر المعلوم (فان اللَّه) تعالی (کانَ بِعِبادِهِ بَصِیراً) أی عالماً بأحوالهم لا یخفی علیه شیء منها فیجازی کل انسان علی قدر فعله من طاعة او معصیة، و الضمیر فی قوله (علی ظهرها) عائد إلی الأرض و إن لم یجر لها ذکر لدلالة الکلام علیه، لأنه معلوم أنهم علی ظهر الأرض دون غیرها، علی أنه قد تقدم قوله (أَ وَ لَمْ یَسِیرُوا فِی الْأَرْضِ) و فی قوله (إِنَّ اللَّهَ یُمْسِکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ) فیجوز أن یرد الکنایة الیها.
التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۴۰

۳۶-سورة یس ..... ص : ۴۴۰

اشارة

فی قول مجاهد و قتادة و الحسن: لیس فیها ناسخ و لا منسوخ. و قال ابن عباس: آیة منها مدنیة و هی قوله (وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَکُمُ اللَّهُ) و هی ثلاث و ثمانون آیة کوفی. و اثنان و ثمانون آیة فی ما عداه.

[سورة یس (۳۶): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص : ۴۴۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
یس (۱) وَ الْقُرْآنِ الْحَکِیمِ (۲) إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرْسَلِینَ (۳) عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۴)
تَنْزِیلَ الْعَزِیزِ الرَّحِیمِ (۵) لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ (۶) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلی أَکْثَرِهِمْ فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (۷) إِنَّا جَعَلْنا فِی أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِیَ إِلَی الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (۸) وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَیْناهُمْ فَهُمْ لا یُبْصِرُونَ (۹)
وَ سَواءٌ عَلَیْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (۱۰)
عشر آیات کوفی و تسع فی ما عداه عدّ الکوفی (یس) و لم یعده الباقون. التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۴۱
قرأ الکسائی باِمالة الألف من (یاسین) و کذلک حمزة إلا انه أقل إمالة الباقون بغیر امالة. و قرأ ابن کثیر و نافع و ابو عمرو و ابو بکر عن عاصم (تنزیل العزیز الرحیم) بالرفع الباقون بالنصب. فمن رفع، فعلی تقدیر (ذلک) تنزیل العزیز، و من نصب، فعلی تقدیر (نزل) تنزیل العزیز الرحیم.
و قرأ اهل الکوفة إلا أبا بکر (سداً) بفتح السین فی الموضعین. الباقون بضمها، و هما لغتان. و قال ابو عمرو: و ما کان من فعل اللَّه، فهو بالفتح.
و عد أهل الکوفة (یس) آیة و لم یعدوا (طس) لأن (طاسین) أشبه قابیل و هابیل فی الوزن، و الحروف الصحاح، و لم یشبهها (یاسین)

لأن أوله حرف من حروف العلة و ليس مثل ذلك فى الأسماء المفردة، فأشبه الجملة و الكلام التام و شاكل ما بعده من رؤس الآى. و قد مضى فى ما تقدم أن افتتاح أوائل السور بأمثال هذه الحروف الأقوى فيها أنها اسماء للسور. و قيل: إنها اسماء القرآن، و قيل إنها حروف إذا جمعت انبأت عن اسم اللّه الأعظم، و غير ذلك من الأقاويل لا نطول بذكره. و قال الحسن: معناه يا رجل. و قال محمد بن الحنفية (يس) معناه يا إنسان يا محمد، و

روى عن على عليه السلام أنه قال سمى اللَّه تعالى النبى صلى اللَّه عليه و آله فى القرآن بسبعة اسماء: محمد، و أحمد، و طه، و يس، و المزمل، و المدثر، و عبد اللَّه،

و قيل: معناه بالسريانية يا إنسان. و قيل: معناه يا سيد الأولين و الآخرين. و أخفى النون من (ياسين) الكسائى و ابو بكر عن عاصم. الباقون ببيان النون، و هو الأجود لأن حروف الهجاء ينوى بها السكت و الانقطاع عما بعدها. و من قال بالأول قال لان النون و التنوين إنما يظهران عند حروف الحلق التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۴۲

و ليس هاهنا شى‌ء منها.

و قوله (وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) قسم من اللَّه تعالى بهذا القرآن وصفه بأنه حكيم من حيث أن فيه الحكمة، فصار ذلك بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الذى يعمل به. و الحكمة قد تكون المعرفة، و قد تكون ما يدعو إلى المعرفة، و أصله المنع من الخلل و الفساد، فالمعرفة تدعو إلى ما أدى إلى الحق من برهان أو بيان قال الشاعر:

أبنى حنفية احكموا سفهاءكم إنى أخاف عليكم أن اغضبا «۱»

أى امنعوهم. و قال قوم: إنما أقسم اللَّه بالقرآن الحكيم لعظم شأنه و موضع العبرة به و الفائدة فيه، و المقسم عليه قوله (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) أقسم تعالى أن النبى صلى اللَّه عليه و آله ممن أرسله اللَّه بالنبوة و الرسالة، و أنه (عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) و هو طريق الحق المستقيم الذى يؤدى إلى الجنة (تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) من رفع فعلى تقدير ذلك تنزيل، و من نصب فعلى تقدير نزل تنزيل. و موضع (عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يجوز ان يكون رفعاً على انه خبر، كأنه قال إنك على صراط مستقيم، و يجوز أن يكون نصباً على الحال للارسال، كأنه قال: أرسلوا مستقيماً طريقتهم.

و قوله (لِتُنْذِرَ قَوْماً) معناه إنه أنزل القرآن لتخوف به من معاصى اللَّه قوماً (ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ) من قبل أراد به قريشاً أنذروا بنبوة محمد، و قيل:

فى معناه قولان:

أحدهما- قال عكرمة: معناه لتنذر قوماً مثل الذى أنذر آباؤهم.

الثانى- قال قتادة: معناه لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم- يعنى فى

---

(۱) مر فى ۱/ ۱۴۲ و ۲/ ۱۸۸ و ۴/ ۴۹۶ و ۵/ ۵۱۲ و ۶/ ۴۴۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۴۳

زمان الفترة بين عيسى و محمد عليهما السلام (فَهُمْ غافِلُونَ) عما تضمنه القرآن و عما أنذر اللَّه من نزول العذاب. و مثل الغفلة السهو، و هو ذهاب المعنى عن النفس و مثله النسيان و هو ذهاب الشى‌ء عن النفس بعد حضوره فيها.

ثم اخبر تعالى مقسما انه (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِمْ) اى وجب باستحقاق العقاب بإدخالهم النار (فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) لذلك، و قد سبق فى علم اللَّه. ثم اخبر تعالى فقال (إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا) أى جعل الغل فى أعناقهم و هو جمع عنق (فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ) و الأذقان جمع ذقن و هو مجمع اللحيين. و قيل بأيمانهم إلى أذقانهم، فكنى عنها، لأنها معلومة. و قيل:

التقدير بالاغلال بالايمان إلى الأذقان فهو محذوف، قال الشاعر:

و ما أدری إذا یممت أرضاً أرید الخیر أیهما یلینی

أ الخیر الذی أنا أبتغیه أم الشر الذی لا یأتلینی «۱»

(فَهُمْ مُقْمَحُونَ) فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه، و قیل هو المقنع و هو الذی یجذب ذقنه حتی تصیر فی صدره ثم یرفع. و القمح من هذا و هو رفع الشیء إلی الفم، و البعیر القامح الذی إذا أورده الماء فی الشتاء رفع رأسه و شال به نصباً لشدة البرد، قال الشاعر:

و نحن علی جوانبها قعود نغض الطرف کالإبل القماح «۲»

و قیل: قد رفعوا رؤسهم و شخصوا بأبصارهم- ذکره مجاهد- ثم قال (وَ جَعَلْنا مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) و معناه سداً عن الحق- فی قول مجاهد و قتادة- ای علی جهة الذم لهم، وصفهم بذلک لا- أنهم منعوا منه و کذلک ذکر الاغلال کما قال الأفوه الازدی:

---

(۱) مر فی ۲/ ۱۱۳ و ۵/ ۵۲۹ و ۶/ ۳۹۱.

(۲) اللسان (قمح).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴۴۴

کیف الرشاد إذا ما کنت فی نفر لهم عن الرشد أغلال و اقیاد

و فی تأویل الآیات قولان:

أحدهما- انه جعل جهلهم و ذهابهم عن معرفة الحق غلا و سداً إذا کان المغلول الممنوع من التصرف امامه و وراءه ذاهب عما قد منع منه و حیل بینه و بین الدلیل علیه إن اللَّه تعالی لم یجعل الکافر مغلولا فی الحقیقة و لا مسدوداً بین یدیه و من خلفه و لا فی عینه غشاوة، کقوله تعالی (وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِ آیاتُنا وَلَّی مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً) «۱» شبهه بمن فی أذنیه وقر، فعلمنا بهذا التشبیه أنه إنما یرید بوصف الکفار بالوقر و الکن و الغل و السد التشبیه الذی عناه- هاهنا- و لو کان فی إذن الکافر وقر علی الحقیقة لم یجز تشبیهه بمن فی أذنیه وقر، و هو کقولهم للجاهل: حمار و ثور، و إنما یریدون المبالغة فی وصفه بالجهل. و معنی (جعلنا) یحتمل وجهین أحدهما- انه کما شبههم بمن جعله مغلولا مقیداً أجری علیه صفة الجعل بأنه مشبه للمجعول مغلولا مقیداً. و الثانی- انه أراد البیان عن الحالة التی شبه بها المغلول المقید، کما یقول القائل: جعلنی فلان حماراً و جعلنی میتاً إذا وصفه بالحماریة و الموت و شبهه بالحمار و المیت و هذا واضح.

و الوجه الثانی- فی تأویل الآیات انه أراد وصف حالهم فی الآخرة، لأنه تعالی یوثقهم فی الاغلال و السلاسل، کما قال تعالی (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِیمَ صَلُّوهُ) «۲» و قال (إِذِ الْأَغْلالُ فِی أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ یُسْحَبُونَ فِی الْحَمِیمِ ثُمَّ فِی النَّارِ یُسْجَرُونَ) «۳» و قال فی السد الذی جعله لهم: فلا یبصرون کما قال

---

(۱) سورة ۳۱ لقمان آیة ۷.

(۲) سورة ۶۹ الحاقة آیة ۳۰- ۳۱.

(۳) سورة ۴۰ المؤمن آیة ۷۱- ۷۲.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴۴۵

(یَوْمَ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِینَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِکُمْ قِیلَ: ارْجِعُوا وَراءَکُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَیْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِیهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ) «۱» و قال (وَ نَحْشُرُهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ عَلی وُجُوهِهِمْ عُمْیاً وَ بُکْماً وَ صُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ) «۲» فلما کانت هذه حال الکفار فی الآخرة، وصف حالهم فی الدنیا.

و قوله (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) فقد فسرناه فى آية اخرى و هى قوله (مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ) «٣» و الاقناع هو رفع الرأس و اشخاصه فقد صح بما بيناه كلا الوجهين فى الآية و زالت الشبهة بحمد اللّه. و قال السدى: إن ناساً من قريش ائتمروا على قتل النبى صلى اللّه عليه و آله فلما جاءوه جعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا ان يبسطوا اليه يداً. و قال قوم: حال الله بينهم و بين ما أرادوا فعبر عن ذلك بأنه غلت أيديهم. و قال البلخى: يجوز ان يكون المراد (جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالًا) من الآيات و البينات (وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا) منها (فأغشيناهم) بها (فهم) مع ذلك (لا يبصرون) بدليل قوله (أَ فَلَمْ يَرَوْا إِلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ) «۴» و قرأ ابن مسعود و ابن عباس (انا جعلنا فى ايمانهم أغلالا) لأن الغل لا يكون فى العنق دون اليد، و لا فى اليد دون العنق، و المعنى إنا جعلنا فى أعناقهم و فى أيمانهم أغلالا و قوله (فهى) كناية عن الايدى لا عن الاعناق، لأن الغل يجعل اليد تلى الذقن، و العنق و العنق هو مقارب الذقن، لان الغل يجعل العنق إلى الذقن.

---

(١) سورة ۵٧ الحديد آية ١٣.

(٢) سورة ١٧ الإسراء آية ٩٧.

(٣) سورة ١۴ ابراهيم آية ۴٣. [.....]

(۴) سورة ٣۴ سبأ آية ٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۴۶

و قرأ الحسن (فأغشيناهم) بالعين المهملة، و هو ما يلحق من ضعف البصر و قيل: الآية نزلت فى أبى جهل، لأنه همّ بقتل النبى صلى اللّه عليه و آله فكان إذا خرج بالليل لا يراه، و يحول اللّه بينه و بينه. و قيل: السد فعل الإنسان، و السد بالضم خلقه تعالى (فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ) أى حكمنا عليهم بأنهم كمن غشى بصره فهم لا يبصرون لذلك. و قيل: أغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى. و قيل: بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبى صلى اللّه عليه و آله. ثم قال (سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ) يا محمد و خوفتهم (أم لم تنذرهم) و تخوفهم بالعقاب (فهم لا يؤمنون) للعناد و ترك الالتفات و الفكر فى ما يخوفهم منه، فاستوى علمه تعالى فى تركهم الايمان و عدولهم عنه إلى الكفر بسوء اختيارهم.

قوله تعالى: [سورة يس (٣۶): الآيات ١١ الى ١۵] ..... ص : ۴۴۶

إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ (١٢) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١۴) قالُوا ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١۵)

خمس آيات. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۴٧

قرأ أبو بكر عن عاصم (فعززنا) مخففاً بمعنى فقهرنا من قولهم: من عزيز الباقون بالتشديد يعنى قوينا الاثنين بثالث معيناً، لما قال اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و آله إن هؤلاء الكفار لا يؤمنون أبداً و أخبره بأنه سواء عليهم الانذار و ترك الانذار بين هاهنا حال من ينتفع بالإنذار فقال (إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) و معناه إنما ينتفع بانذارك و تخويفك من اتبع الذكر، لان نفس الانذار قد حصل للجميع و أضافه- هاهنا- إلى من اتبع الذكر لما كانوا المنتفعين به، كما قال (هدى للمتقين). و الذكر المذكور- هاهنا- القرآن- فى قول قتادة- (وَ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ) قيل فى معناه قولان:

أحدهما- و خشى الرحمن و خاف ارتكاب معاصيه فى غيبه عن الناس.

و الثاني- و خشى الرحمن فى ما غاب عنه من الآخرة و أمرها.

ثم قال لنبيه من هذه صفته (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ) من اللَّه لذنوبه (و اجر) أى ثواب (كَرِيمٍ) و هو ما يفعله اللَّه على وجه الإجلال و الإكرام. و قيل: الأجر الكريم الجنة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى بعد أن افنيناهم (وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا) من طاعاتهم و معاصيهم فى دار الدنيا، و هو قول مجاهد و قتادة (و آثارهم) قال مجاهد: يعنى خطاهم إلى المساجد، لان بنى سلمة من الأنصار شكوا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه و آله بعد منازلهم من المسجد و الصلاة مع رسول اللَّه، فنزلت فيهم الآية. و قيل: معناه و آثارهم التى تبقى بعدهم و يقتدى بهم فيها.

ثم قال (وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ) و معناه أحصيناه فى كتاب ظاهر، و هو اللوح المحفوظ. و الوجه فى احصاء ذلك فى إمام مبين اعتبار التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨ ص: ۴۴٨

الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، و كان فيه دليل على معلومات اللَّه على التفصيل.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) معناه اذكر لهم مثلا. و قيل:

معناه مثل لهم مثلا، من قولهم: هؤلاء اضراب أى أمثال. و قوله (اصحاب القرية) قال عكرمة و الفراء: هى انطاكية (إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ) اى حيث بعث اللَّه اليهم بالرسل (إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ) يعنى رسولين، و قال قوم:

كانا رسولى عيسى من حواريه. و قال آخرون: كانا رسولين من رسل اللَّه و هو الظاهر (فكذبوهما) أى جحدوا نبوتهما (فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ) أى فعززهما اللَّه بثالث فيمن قرأ بالتشديد و شد ظهرهما به- فى قول مجاهد و ابن زيد- و من خفف أراد فغلب اللَّه بثالث أرسله اليهم (فقالوا) لهم يا اهل القرية (إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) أرسلنا اللَّه إليكم (قالوا) لهم (ما أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا) أى ليس أنتم إلا بشر أمثالنا، فدخلت عليهم الشبهة فاعتقدوا أنه من حيث انهم أمثالهم فى البشرية لا يصلح ان يكونوا رسلا كما لا يصلحون هم لذلك (وَ ما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ) مما تذكرونه و تدعونا اليه (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) أى ليس أنتم إلا كاذبون على الله و متخرصون عليه فى ادعائكم الرسالة، و ذهب عنهم معنى (اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ) «١» و أنه تعالى علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة و تحملهم لاعبائها و لم يعلم ذلك من حالهم بل على خلاف ذلك.

---

(١) سورة ۴۴ الدخان آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۴٩

قوله تعالى:[سورة يس (٣٦): الآيات ١۶ الى ٢٠] ..... ص : ۴۴٩

قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١۶) وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (١٨) قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَ جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

خمس آيات لما حكى اللَّه تعالى عن اهل القرية انهم قالوا للرسل (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ) فى ادعائكم الرسالة على اللَّه حكى ما أجابهم به الرسل فإنهم (قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) و وجه الاحتجاج بذلك انه يلزمهم بقولهم الحذر من مخالفتهم و النظر فى معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على اللَّه، ففى ذلك تحذير شديد. ثم قال الرسل لهم أيضاً (وَ ما عَلَيْنا إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) أى ليس يلزمنا اكثر من البلاغ المبين، و المعنى انه لو جاءكم رسول غيرنا هل كان عليه إلا البلاغ؟ على حد ما بلغنا. و البلاغ مجيء الشيء إلى حدّ يقف عنده، بلغ الشيء يبلغ بلوغاً و بلاغاً، فهو بالغ. و منه البلاغة، و مثل الإبلاغ الافهام و الإيصال. و المبين صفة للبلاغ، و هو الظاهر الذى لا شبهة فيه، فقالوا لهم فى الجواب عن ذلك حين عجزوا عن إيراد شبهتم، و عدلوا عن النظر فى معجزهم (إِنَّا تَطَيَّرْنا

بِكُمْ) أى تشاءمنا بكم، و التطير التشاؤم. ثم هددوهم فقالوا (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا) عن التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۰
ما تدّعونه من النبوة و الرسالة (لنرجمنكم) بالحجارة- فى قول قتادة- و قال مجاهد: معناه لنشتمنكم: فالرجم الرمى بالحجارة، يقال: رجم يرجم رجماً، و رجم بالغيب ترجيماً (وَ لَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ) عند ذلك، فقال لهم الرسل (طائركم معكم) أى الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر باللّه. و قال الفراء:

معنى (طائركم معكم) أى أعمالكم فى رقابكم تجازون عليها. و قال المبرد:

معنى (طائركم) حظكم و نصيبكم من الخير و الشر. و هو قول أبى عبيدة. و الطيرة الشؤم. و منه

قوله صلى اللّه عليه و آله (لا عدوى و لا هامة و لا صقر و لا غلول).

و فلان لا يطير غرابه، و هو ساكن الطائر، إذا كان ساكناً وقوراً، و فلان لا يطور بنا أى لا يقربنا، و ما فى الدار طورى و لا طورانى أى لا أحد. و عدا فلان طوره إذا جاوز قدره.

و قوله (ائن ذكرتم) قرأه ابن كثير و نافع و ابو عمرو و المفضل عن عاصم- بهمزة بعدها ياء- و هى همزة بين بين. و الباقون بهمزتين مخففتين: إحداهما همزة الاستفهام، و الاخرى- همزة (إن) و جواب (ائن ذكرتم) محذوف و تقديره أئن ذكرتم هذا القول. و قال قوم: معناه أئن ذكرتم طائركم معكم و قال قوم: جعله جزاء قدم خبره عليه لما كان غير مجزوم اللفظ. و قيل: أئن ذكرتم تطيركم قلتم ما قلتم، (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) على نفوسكم، لأنكم تجاوزتم حد العصيان حين كفرتم باللّه و بوحدانيته. و قيل: كان اسم صاحب (يس) الذى قتله قومه حبيب بن مرى.

حكى اللّه تعالى انه (جاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى أى رجل من أبعد المدينة جاء يعدوا و يشتد (ف قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) الذين أرسلهم اللّه إليكم و أقروا بنبوتهم و برسالتهم. و قرأ ابو جعفر (أئن) بفتح الهمزة الثانية. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۱
و به قال زوين بن حبيش. و معناه لان ذكرتم. الباقون بكسرها. و قرأ ابو جعفر (ذكرتم) بالتخفيف. الباقون بتشديدها.

قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۲۱ الى ۳۰] ..... ص : ۴۵۱

اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۲۱) وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۲۲) أَ أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَ لا يُنْقِذُونِ (۲۳) إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۲۴) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (۲۵)
قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (۲۶) بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (۲۷) وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ (۲۸) إِنْ كانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ خامِدُونَ (۲۹) يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۳۰)

عشر آيات.

قرأ ابو جعفر (ان كانت إلا صيحة) بالرفع فى الموضعين جعلها اسم (كان). الباقون بالنصب على انها خبر كان.

لما حكى اللّه تعالى ما قال لهؤلاء الكفار الرجل الذى جاءهم من أقصى المدينة و أمرهم بأن يتبعوا الرسل قال لهم ايضاً (اتبعوا) معاشر الكفار (مَنْ التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۲
لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً)

أى لا يطلب الأجر و الجزاء و المكافأة على ما يدعوكم اليه و يحثكم عليه، و إنما يدعوكم نصيحة لكم (و هم) مع ذلك (مهتدون) إلى طريق الحق سالكون سبيله. ثم قال لهم الذى وعظهم و حثهم على طاعة اللّه و اتباع رسله (وَ ما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) و معناه و لم لا أعبد اللّه و اتبع رسله، و ما لى لا أعبد الذى فطرنى، و معناه و لم لا أعبد اللّه الذى خلقنى و ابتدانى و هدانى (وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) أى الذى تردون اليه يوم القيامة حيث لا يملك الأمر و النهى غيره. ثم قال لهم منكراً على قومه عبادتهم غير اللّه (أ أتخذ) أنا على

قولكم (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الـذى فطرنى و أنعم على (آلهـة) أعبـدهم؟! فهـذه همزة الاسـتفهام و المراد بهـا الإنكـار، لأنه لا جواب لها على أصلهم إلا ما هو منكر فى العقول ثم قال (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمنُ بِضُرٍّ) معناه ان أراد اللَّه إهلاكى و الإضرار بى لا ينفعنى شفاعة هذه الآلهة شيئاً، و لا يقدرون على انقاذى من ذلك الضرر.

و لاـ يغنون عنى شـيئاً فى هـذا البـاب. و إذا كانوا بهـذه الصـفة كيف يسـتحقون العبادة؟! ثم قال (إِنِّي إِذاً لَفِي ضَـلالٍ مُبِينٍ) أى إذاً لو فعلت مـا تفعلونه و تـدعون اليه من عبادة غير اللَّه أكن فى عـدول عن الحق. و الوجه فى هـذا الاحتجاج أن العبادة لا يسـتحقها إلا من أنعم بأصول النعم و يفعل من التفضل ما لا يوازيه نعم منعم، فإذا كانت هذه الأصـنام لا يصح فيها ذلك كيف تستحق العبادة؟! ثم قال مخبراً عن نفسه مخاطباً لقومه (إنى آمنت) أى صـدقت (بربكم) الذى خلقكم و أخرجكم من العدم إلى الوجود (فاسـمعون) منى هذا القول.

و قيل: انه خاطب الرسل بهـذا القول ليشـهدوا له بـذلك عند اللَّه. و قال ابن مسـعود: إن قومه لما سـمعوا منه هذا القول وطؤه بأرجلهم حتى مات. و قال التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۳

قتـادة: رجموه حتى قتلوه. و قـال الحسن: لمـا أراد القوم أن يقتلوه رفعه اللَّه اليه فهو فى الجنـة، و لاـ يموت إلاـ بفنـاء السـماء و هلاك الجنـة. قـال مجاهـد: مثـل ذلـك. و قالاـ الجنـة التى دخلهـا يجوز هلاكها. و قال قوم: إنهم قتلوه إلا أن اللَّه أحياه و ادخله الجنـة و قال الحسن (من بعده) يعنى من بعد رفعه. و قال غيره:

من بعد قتله.

ثم حكى اللَّه تعالى ما يقول الملائكـة لهذا الداعى من البشارة له بعد موته فإنهم يقولون له (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) مثاباً مسـتحقاً للثواب الجزيل على إيمانك باللَّه فيقول حينئذ (يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي) من الذنوب (وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ) عنده. فهذا المؤمن تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه اللَّه تعالى فيرغبوا فيه و يؤمنوا به لينالوا مثله. و الإكرام هو إعطاء المنزلـة الرفيعـة على وجه التعظيم و التبجيل. و قد فاز من أكرمه اللَّه بالرضوان، كما قال تعالى (وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) «۱» لأنه سبب يؤدى إلى الجنة.

ثم حكى مـا قـال و انزل بهؤلاـء الكفـار من العـذاب و الاستئصـال، فقال (وَ ما أَنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْـدِهِ مِنْ جُنْـدٍ مِنَ السَّماءِ) أى كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر: صيحة واحـدة حتى صاروا خامـدين ذكره ابن مسـعود و معنى «خامـدين» هالكين بتلف أنفسـهم، و المعنى إنا لم نسـتعن على إهلاكهم بانزال الجنـد من السـماء «وَ ما كُنَّا مُنْزِلِينَ» لهم ليهلكوهم، و ما كان إهلاكهم «إِلَّا صَـيْحَةً واحِـدَةً» عظيمة فحين سمعوها هلكوا من عظمها، و ماتوا من فزعها.

و قوله «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ» قيل: هو قول الذى جاء من أقصى المدينة

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۷۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۴

- ذكره البلخى- و قال غيره: معناه يحتمل شيئين:

أحدهما- يا حسرة من العباد على أنفسهم- ذكره قتادة و مجاهد-.

الثانى- انهم قـد حلوا محل من يتحسـر عليه، و قال ابن عباس: معناه يا ويلا للعباد «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ» أى ليس يأتيهم من رسول من عند اللَّه «إِلَّا كانُوا بِهِ يَسْـتَهْزِؤُنَ» أى يسخرون منه و يهزءون به، و الذى حكى اللَّه تعالى عنه مخاطباً قومه هو ما قدمناه ذكره: حبيب بن مرى- فى اقوال المفسرين.

قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۳۱ الى ۳۵] ..... ص : ۴۵۴

أ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ (۳۱) وَ إِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ (۳۲) وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (۳۳) وَ جَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ وَ فَجَّرْنا فِيها مِنَ الْعُيُونِ (۳۴) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (۳۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة «لما» بتشديد الميم، الباقون بتخفيفها.

و قرأ اهل المدينة «الميتة» بالتشديد، لأنه يقال: لما كان حياً و مات ميت بالتشديد، و لما لم يكن حياً بالتخفيف- ذكره الفراء- و قرأ اهل الكوفة إلا حفصاً «و ما عملت» بغير هاء. الباقون بالهاء. من قرأ (لما) بالتخفيف فانه يكون (ما) فى قوله (لما) صلة مؤكدة، و تكون (ان) هى المخففة من الثقيلة التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۵۵

و تقديره، و إن كل لجميع لدينا محضرون، و من قرأ بالتشديد يحتمل شيئين:

أحدهما- ان يكون بمعنى (إلا) و تقديره و ان كل إلا لجميع لدينا محضرون و تكون (إن) بمعنى الجحد، و كأنه جحد دخل على جحد، فخرج الى معنى الإثبات. و مثله فى الاستعمال سألتك لما فعلت، بمعنى الا فعلت.

و الوجه الثاني- أن يكون معنى (لما) بمعنى (لمن ما) فحذفت احدى الميمات، لأجل التضعيف كما قال الشاعر:

غداة طفت علماء بكر بن وائل و عجنا صدور الخيل نحو تميم

أراد على الماء، فحذف لالتقاء المضاعف، و أما (ما) فى قوله «وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها- أن يكون بمعنى الجحد، و تقديره ليأكلوا من ثمره، و لم تعمله أيديهم، و يقوى ذلك قوله «أ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» «۱».

و الثاني- ان يكون بمعنى الذى.

و الثالث- أن يكون مع ما بعده بمعنى المصدر، فعلى هذا يكون فى موضع جر، و تقديره ليأكلوا من ثمره و من الذى عملته او من عمل أيديهم من انواع الطعوم الذى أنبتوه، و الذى غرسوه، و من الذى يطحنونه و يخبزونه، فمن أثبت الهاء او حذفها تبع المصاحف، لان المصاحف مختلفة. و الهاء عائدة على (ما) و (عملت) صلتها. و من حذف اختصر، لأنها للمفعول به، و كل مفعول يجوز حذفه، كقوله «ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ ما قَلى «۲»» يريد و ما قلاك

---

(۱) سورة ۵۶ المواقعة آية ۶۳- ۶۴.

(۲) سورة ۹۳ الضحى آية ۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۵۶

و مثله «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ» «۱» يريد كلمه اللّه، و كقوله «أ هذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «۲» يريد بعثه الله.

يقول اللّه تعالى منبهاً للكفار على وجه الاستدلال على وحدانيته بأن يقول «أ لَمْ يَرَوْا» و معناه أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» فمعنى (كم) هاهنا للتكثير، و يفسرها (من القرون) و تقديره أ لم يروا كم قرناً أهلكنا قبلهم من القرون، و موضع (كم) نصب ب (يروا)- فى قول الكوفيين، و عند البصريين ب (أهلكنا) على تقدير القرون أهلكنا او اكثر «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» و نصب (انهم) لأنه مفعول (ا لم يروا) و كسره الحسن على وجه الاستئناف، و وجه الاحتجاج بذلك هو انه قيل لهم: انظروا لم لا يرجعون فإنكم تجدون ذلك فى قبضة مالكهم يردهم فى الآخرة إذا شاء ردهم، لأنه لا يخلو إهلاكهم اما بالاتفاق من غير اضافة او بالطبيعة او بحى قادر، و لو كان بالاتفاق او بالطبيعة لم يمتنع ان يرجعوا الى الدنيا، فإذا بطل ذلك، ثبت أن إهلاكهم بحى قادر إذا شاء ردهم و إذا شاء لم يردهم. و وجه التذكر بكثرة المهلكين أى انكم ستصيرون الى مثل حالهم، فانظروا لأنفسكم و احذروا أن يأتيكم

الإهلاك، و أنتم فى غفلة عما يراد بكم.

و القرون جمع (قرن) و أهل كل عصر يسمى قرناً، لاقترانهم فى الوجود و القرن- بكسر القاف- هو المقاوم فى الحرب، و منه قرن الشاة لمقارنته القرن الآخر، و كذلك كل ذى قرنين. و قال قتادة «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ» عاد و ثمود، و قرون بين ذلك كثيرة. ثم قال و هؤلاء الذين لا يرجعون كلهم «لَدَيْنا مُحْضَرُونَ» يوم القيامة يحضرهم الله و يبعثهم ليجازيهم على أعمالهم.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٣.

(٢) سورة ٢ الفرقان آية ٤١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۵۷

و قوله (وَ آيَةٌ لَهُمُ) على ذلك أى دلالة و حجة قاطعة (الأرض) يعنى هى الأرض (الميتة) القحطة المجدبة و هى التى لا تنبت (أحييناها) بالنبات (وَ أَخْرَجْنا مِنْها حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) من انواع ما يأكلون (و جعلنا فيها) أى و خلقنا فى الأرض (جنات) يعنى بساتين (من نخيل) جمع نخل (و أعناب) جمع عنب (وَ فَجَّرْنا فِيها) فى تلك الجنات (من العيون) و هى عيون الماء تنبع فيها و تجرى ثم بين انه إنما خلق ذلك (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) أى غرضنا نفعهم بذلك و انتفاعهم بأكل ثمار تلك الجنات (وَ ما عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى و لم تعمل تلك الثمار أيديهم إذا (ما) كانت بمعنى النفى، و إذا كانت معناها معنى الذى يكون تقديره، و الذى عملته أيديهم من انواع الأشياء المتخذة من النخل و العنب و كثرة منافعه. و قوله (من ثمره) رد الكناية إلى أحدهما كما قال (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ) «١» كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف «٢»

و قوله (ا فلا تشكرون) معناه هلا تشكرونه على هذه النعم التى عددتها.

قوله تعالى:[سورة يس (٣۶): الآيات ٣۶ الى ۴٠] ..... ص : ۴۵۷

سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ (٣۶) وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (۴٠)

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣۵.

(٢) مر فى ١/ ١١٧، ٢٣٠، ٢۶٣ و ۵/ ٢۴۶، ٢٨٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۴۵۸

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و نافع و ابو عمرو و روح «و القمر قدرناه» رفعاً على الاستئناف لأن الفعل مشغول بالضمير العائد إلى القمر. و قال ابو على: الأجود أن يكون رفعاً على تقدير و آية لهم القمر قدرناه، لأنه أشبه بالجمل قبلها. و من رفعه بالابتداء جعل (لهم) صفة للنكرة و الخبر مضمر، و تقديره «و آية لهم» فى المشاهدة او الوجود، و يكون قوله «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ» تفسير للآية. الباقون بالنصب بتقدير فعل مضمر، ما بعده تفسيره، و تقديره: و قدرنا القمر قدرناه.

يقول اللَّه تعالى منزهاً نفسه و معظماً لها و دالا بأنه هو الذى يستحق الحمد بما نبه بقوله «سُبْحانَ الَّذِي» أى تنزيهاً للذى «خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها» أى تعظيماً و تبجيلا له بجميع ما خلق من الازواج، و هى الاشكال، و الحيوان على مشاكلة الذكر للأنثى، و كذلك النخل و

الحبوب اشكال، و التين و الكرم و نحوه اشكال، فلذلك قال «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» يعنى من سائر النبات «وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» من الذكر و الأنثى «وَ مِمَّا لا يَعْلَمُونَ» مما لم يشاهدوه و لم يصل خبره اليهم.

ثم قال «و آية لهم» يعنى دلالة و حجة على صحة ذلك «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ» أى نخرج منه النهار «فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ» أى داخلون فى الظلمة لا ضياء التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۵۹

لهم فيه بالشمس، فالسلخ إخراج الشيء من لباسه، و منه إخراج الحيوان من جلده، يقال سلخ يسلخ سلخاً فهو سالخ، و منه قوله (فَانْسَلَخَ مِنْها) «۱» أى فخرج منها خروج الشيء مما لابسه، ثم قال (وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها) آية اخرى. و قيل فى معنى المستقر ثلاثة اقوال:

أحدها- لانتهاء أمرها عند انتقضاء الدنيا.

الثانى- قال قتادة: لوقت واحد لها لا تعدوه و لا تختلف.

الثالث- إلى ابعد منازلها فى الغروب. و قال المبرد معنى (لمستقر لها) أى إلى. و من قال الشمس لا تستقر بل تتحرك أبداً قال معنى (لمستقر لها) أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت فى الرجوع و إذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ثم قال (ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) أى من قدر الشمس على ذلك إلا القادر الذى لا يضام، العالم بما يفعله؟، ثم قال (وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ) فمن رفع عطف على قوله (وَ الشَّمْسُ تَجْرِي) و من نصب قدر له فعلا يفسره و قوله (قَدَّرْناهُ مَنازِلَ) كل يوم ينزل منزلا غير المنزل الأول لا يختلف حاله إلى ان يقطع الفلك (حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) فالعرجون العذق الذى فيه الشماريخ، فإذا تقادم عهده يبس و تقوس، فشبه به. و قال الفراء: العرجون ما بين الشماريخ إلى المنابت فى النخلة من العذق، و القديم الذى اشرف على حول، و قوله (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) حتى يكون نقصان ضوئها كنقصان القمر، و قال ابو صالح: معناه لا يدرك أحدهما ضوء الآخر، و قيل معناه: (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فى سرعة سيره (وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ) أى و لا يسبق الليل النهار. و قيل: إن أحدهما لا يذهب إلى معنى

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۰

الآخر و كل له مقادير قدرها اللَّه عليه. ثم قال (وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) يعنى الشمس و القمر و الكواكب يسبحون فى الفلك. و إنما جمعها بالواو و النون لما أضاف اليها أفعال الآدميين. و قيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الذى يجرى فيه. و معنى يسبحون يسيرون فيه بانبساط، و كل ما انبسط فى شيء فقد سبح فيه، و منه السباحة فى الماء.

قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۴۱ الى ۴۵] ..... ص : ۴۶۰

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (۴۱) وَ خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ (۴۲) وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ (۴۳) إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتاعاً إِلى حِينٍ (۴۴) وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ ما خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۴۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ اهل المدينة و ابن عامر و يعقوب (ذرياتهم) على الجمع. الباقون (ذريتهم) على التوحيد.

يقول اللَّه تعالى ممتناً على خلقه بضروب نعمه، و دالا لهم على وحدانيته بأن حمل ذريتهم فى الفلك المشحون. و قيل: معنى (حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ) أى قويناهم و هديناهم، كما يقول القائل: حملنى فلان إذا أعطاه ما يحمل عليه او هداه إلى ما يحمل عليه. و من جمع (ذرياتهم) فلأن كل واحد له ذرية. و من وحد فلأنه لفظ جنس يدل على القليل و الكثير، فالحمل منع الشيء أن يذهب إلى التبيان فى

تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۱

جهة السفل، يقال: حمله حملا، فهو حامل و الشيء محمول. و (الذرية) فعلية من الذر. و قيل: هو مشتق من (الذرء) الذى هو الخلق. و قد بيناه فى ما مضى «۱» و الفلك السفن، لأنها تدور فى الماء، و منه الفلكة لأنها تدور بالمغزل و الفلك لأنه يدور بالنجوم، و فلك ثدى المرأة إذا استدار و (المشحون) المملو يقال: شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحناً إذا ملأته، و منه الشحنة، لأنه يملأ بهم البلد، و إنما خص الذرية- و هم الصبيان و النساء- باللفظ، لأنهم لا قوة لهم على السفر كما يقوى الرجال، فسخر اللَّه لهم السفن بما جعلها على الماء و عدل الريح ليمكن الحمل فى البحر، و جعل الإبل فى البر. و قال قتادة و الضحاك: المعنى بقوله «حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» سفينة نوح.

و «خَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ» قال ابن عباس، و هو قول مجاهد: ان المراد به الإبل و هى سفن البر.

و قوله «وَ إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ» معناه إنا لو شئنا إذا حملناهم فى السفن أن نغرقهم فعلنا «فَلا صَرِيخَ لَهُمْ» أى لا مغيث لهم و لا صارخ بالاستغاثة قال الشاعر:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

أى لا شيء اعانته إلا الجد فى نصرته، و الظنبوب عظم الساق. و قيل:

معنى الصريخ المعين عند الصراخ بالاستغاثة، و كأنه قال: لا معين لهم يعينهم عند ذلك «وَ لا هُمْ يُنْقَذُونَ» أى و لا يخلصون ايضاً من الغرق إذا أردناه.

و قوله «إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا» معناه إلا أن نرحمهم رحمة منا و نمتعهم «مَتاعاً» و يحتمل إلا لرحمة منا، فيكون مفعولا له، و «إِلى حِينٍ» أى إلى وقت ما قدرناه

---

(۱) انظر ۲/ ۴۴۱ و ۳ ۱۲۴ و ۴/ ۳۰۳ و ۵/ ۳۲، ۴۸.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۲

لاهلاكهم و تقضى آجالهم، و نخلصهم فى الحال من اهوال البحر.

و قوله «وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» قال قتادة: معناه ما بين أيديكم من عذاب اللَّه لمن خلا قبلكم اتقوا مثله باجتناب معاصيه «وَ ما خَلْفَكُمْ» من أمر الساعة «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» لكى ترحموا عند ذلك و حذف الجواب، كأنه إذا قيل: لهم هذا اعرضوا. و قال مجاهد: معنى «ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» هو ما يأتى من الذنوب اجتنبوه فى المستقبل «وَ ما خَلْفَكُمْ» يعنى ما مضى من ذنوبكم تلافوه بالتوبة لترحموا.

قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۴۶ الى ۵۰] ..... ص : ۴۶۲

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (۴۶) وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ (۴۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۸) ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (۴۹) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (۵۰)

خمس آيات بلا خلاف قرأ ابن كثير و ابو عمرو «يخصمون» بفتح الخاء و تشديد الصاد إلا أن أبا عمرو يختلس حركة الخاء. و قرأ نافع- بفتح الياء و تسكين الخاء مشدد الصاد- يجمع بين ساكنين. و قرأ ابن عامر و عاصم و الكسائى- بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد- و قرأ حمزة- بفتح الياء و تسكين الخاء و تخفيف الصاد- التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۳

فمعنى هذه القراءة: و هم يخصمون عند أنفسهم فى دفع النشأة الثانية و القراءتان الأوليتان بمعنى يختصمون، فأدغمت الياء فى الصاد بعد أن أسكنت. فمن أسكن الخاء، فلأنها فى الأصل ساكنة، و من فتحها نقل حركة الياء اليها.

و من كسر الخاء اتبع كسرتها كسرة الصاد. و فى القراء من كسر الياء اتباعاً لكسرة الخاء، كما قالوا يهدى، و هو يجىء عن أبى بكر.
يقول: اللَّه تعالى مخبراً عن عناد هؤلاء الكفار و شدة جهلهم بأنه (ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) أى دلالة و حجة من حجج اللَّه و (من) تزاد فى النفى إذا أريد بها الاستغراق، كقولهم: ما جاءنى من احد و معناه ما جاءنى احد. و (من) الثانية للتبعيض، لأنه ليس كل آيات اللَّه جاءتهم، غير انه تعالى قال ليس تأتيهم من آية أى أىّ آية كانت (مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا) هؤلاء الكفار (عنها معرضين) أى ذاهبين عنها و تاركين لها و معرضين عن النظر فيها، و كل من اعرض عن الداعى الى كتاب اللَّه و آياته التى نصبها لعباده ليعرفوه بها فقد ضل عن الهدى و خسر الدنيا و الآخرة.
ثم اخبر تعالى انه إذا قيل لهم: ايضاً (أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) فى طاعته و اخرجوا ما أوجب اللَّه عليكم فى أموالكم- من الزكوات و غيرها وضعوها فى مواضعها (قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بوحدانية اللَّه و جحدوا ربوبيته و كذبوا بنبوة نبيه (أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) احتجاجاً منهم فى منع الحقوق، بأن يقولوا كيف نطعم من اللَّه قادر على إطعامه؟! و لو شاء إطعامه أطعمه، فإذا لم يطعمه دل على انه لم يشأ إطعامه فنحن إذاً أحق بذلك. و ذهب عليهم أن اللَّه تعبدهم بذلك، لما فيه من المصلحة و اللطف فى فعل الواجبات و ترك المقبحات، فلذلك كلفهم إطعام غيرهم. و (الرزق) هو ما خلق اللَّه لخلقه لينتفعوا به على وجه التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۴
لا يكون لاحد منعه منه فعلى هذا الوجه لا يكون الحرام رزقاً، فان اللَّه تعالى قد منع منه بالنهى و قد سمى رزقاً ما يصلح للانتفاع به مجازاً، فعلى هذا ليس كل ما رزقه اللَّه العبد جعل له الإنفاق منه و التصرف فيه، و على الأول- و هو الأصح- جعل له ذلك. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله قل لهم يا محمد (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) أى ليس لكم هداية و ما أنتم إلا فى ذهاب عن الحق و عدول عنه بين، فعلى هذا قول من قال: هو من قول اللَّه تعالى صحيح، و قال قوم:
هو من قول المشركين كأنهم لما قالوا: أ نطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه؟ قالوا لرسله ليس أنتم إلا فى ضلال مبين فى ما تدعونا اليه.
ثم اخبر تعالى عن الكفار انهم (يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ) الذى تعدنا به من نزول العذاب بنا استهزاء بخبره صلى اللَّه عليه و آله و خبر المؤمنين و تجرّ يا على اللَّه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) فى ما تدعونا اليه و تخوفونا منه. فقال اللَّه تعالى فى جوابهم (ما ينظرون) أى لا ينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ) فى هل ينزل العذاب بهم أم لا؟ و إنما جعلهم منتظرين لما قالوا: متى هذا الوعد، لأن من يلتمس الوعد يكون منتظراً لما وعد به (تأخذهم) فى حال خصامهم (فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أى لا يقدر بعضهم على ان يوصى إلى بعض (وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) أى لا يردون الى أهلهم فيوصون اليهم.
و الصيحة التى تأخذهم هى الصيحة الأولى فى الدنيا عند قيام الساعة (تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً) و الرجل يسقى أبله و آخر يبيع سلعته على عادتهم فى تصرفاتهم، فإذا اخذتهم و نزلت بهم لم يستطيعوا توصية و لم يرجعوا الى أهلهم للمعاجلة، و
روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال (هى ثلاث نفخات: نفخة الفزع، و نفخة الصعق، و نفخة القيام لرب العالمين)
التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۶۵

قوله تعالى:[سورة يس (۳۶): الآيات ۵۱ الى ۶۰] ..... ص : ۴۶۵

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (۵۱) قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (۵۲) إِنْ كانَتْ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ (۵۳) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۴) إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ (۵۵)
هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ مُتَّكِؤُنَ (۵۶) لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ (۵۷) سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (۵۸) وَ امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (۵۹) أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۶۰)
عشر آيات بلا خلاف قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمرو «فى شغل» خفيفة. الباقون بضم الغين مثقلة، و هما لغتان. و قرأ ابو جعفر

«فکهون» بغیر ألف حیث وقع، وافقه حفص و الـداحونی عن ابن ذکوان فی (المطففین). و قرأ اهل الکوفـة إلا عاصـما «فی ظلل» علی انه جمع ظلـة مثل ظلمـة و ظلم و تحفـة و تحف، الباقون «فی ظلال» مثل برمـة و برام، و قلة و قلال. و قیل: هو جمع ظل و ظلال، و هو الکن، کما التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴۶۶

قال (یتفیؤ ظله) «۱» و قال ابو عبیدة: هو جمع الظل أظلال.

یقول اللّه تعالی مخبراً (وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ) و قیل: إن الصور قرن ینفـخ فیه إسـرافیل فیخرج من جوفه صوت عظیم یمیل العباد الیه، لأنه کالداعی لهم إلی نفسه. و قال أبو عبیدة: الصور جمع صورة مثل بسـرة و بسر، و لو جعلوه مثل (ظلمة، و ظلم) لقالوا: صور بفتح الواو، و هو مشـتق من المیـل، صـاره یصوره صوراً إذا أماله و منه قوله (فَصُرْهُنَّ إِلَیْکَ) «۲» أی أملهن الیـک و منه الصورة، لأنهـا تمیل إلی مثلها بالمشاکلـة. و قوله (فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ) و هو جمع جـدث، و هو القبر، فلغة اهل العالیة بالثاء، و لغة أهل السافلة بالفاء یقولون: جدف إلی ربهم ینسلون أی یسرعون و النسول الاسراع فی الخروج کما قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسی قارباً برد اللیل علیه فنسل «۳»

یقال: نسل ینسل و ینسل نسولا، قال امرؤ القیس:

و إن تک قد ساءتک منی خلیقة فسلی ثیابی من ثیابک تنسل «۴»

و قـال قتـادة: الموتـة بین النفختین. ثم حکی ما یقول الخلائق إذا حشـروا، فإنهم (قالُوا یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) أی من حشـرنا من منامنا الذی کنا فیه نیاماً، ثم یقولون (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) فی ما أخبرونا عن هذا المقام و عن هذا البعث. فان قیل: هذا ینافی قول المسلمین الذین یقولون: الکافر یعذب فی قبره، لأنه لو کان معذباً لما کان فی المنام!.

قیل: یحتمل ان یکون العذاب فی القبر و لا یتصل إلی یوم البعث، فتکون النومة

---

(۱) سورة ۱۶ النحل آیة ۴۸.

(۲) سورة ۲ البقرة آیة ۲۶۰.

(۳، ۴) مر فی ۷/ ۲۷۹. [.....]

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۴۶۷

بین الحالین. و یحتمل لو کان متصـلا أن یکون ذلک عبارة عن عظم ما یشاهدونه و یحضرون فیه یوم القیامة، فکأنهم کانوا قبل ذلک فی مرقد، و إن کانوا فی عذاب لما کان قلیلا بالاضافة الی الحاضر. و قال قتادة: قوله (هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ) حکایة قول المؤمن. و قال ابن زیـد و الجبـائی: هو قول الکفار، و هو أشـبه بالظاهر، لأنه تعالی حکی عنهم انهم یقولون: یا ویلنا، و المؤمن لا یـدعو بالویل لعلمه بما له من نعیم الجنة. و قال الفراء: هو من قول الملائکة.

و قال تعالی مخبراً عن سـرعة بعثهم و سـرعة اجتماعهم (إِنْ کانَتْ إِلَّا صَیْحَةً واحِدَةً) و المعنی لیست المدة إلا مدة صیحة واحدة (فَإِذا هُمْ جَمِیعٌ لَدَیْنا مُحْضَرُونَ) ثم حکی تعالی ما یقوله- عز و جل- یومئذ للخلائق فانه یقول لهم (فَالْیَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَیْئاً) أی لا ینقص من له حق من حقه شـیئاً من ثواب او عوض او غیر ذلـک، و لاـ یفعـل به ما لا یسـتحقه من العقاب بل الأمور جاریـة علی العـدل (وَ لا تُجْزَوْنَ إِلَّا مـا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) و معنـاه لاـ یجـازی الإنسان إلا علی قـدر عمله، إن کان عاملا بالطاعـة جوزی بالثواب، و إن کان عاصـیاً جوزی بالعقاب علی قدر عمله من غیر زیادة علیه و لا نقصان، إلا أن یتفضل اللّه بإسقاط عقابه.

ثم قال تعالی (إِنَّ أَصْحابَ الْجَنَّةِ الْیَوْمَ فِی شُغُلٍ فاکِهُونَ) یعنی یشغلهم النعیم الذی یغمرهم بسرورهم به عن غیره. و قال ابن مسعود و ابن عباس:

الشـغل کنایـة عن افتضـاض الأبکـار. و قیل اسـتماع الألحان (فاکهون) قال ابن عباس: معناه فرحون. و قال مجاهـد: عجبون، و قیل: ذو

فاكهة، كما يقال لاحم شاحم أى ذو لحم و شحم، و عاسل ذو عسل، قال الحطيئة: التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۶۸

و عززتنى و زعمت انك لابن فى الصيف تامر «۱»

أى ذو لبن و تمر. و قيل: فاكه و فكه مثل حاذر و حذر. و الفكه الذى يتمرى بالشيء.

ثم اخبر عن حال أهل الجنة فقال (هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الْأَرائِكِ) فالازواج جمع زوجة و هى حرة الرجل الذى يحل له وطؤها. و يقال للمرأة زوج ايضاً بغير هاء فى الموضع الذى لا يلتبس بالذكر، و الظلال الستار عن وهج الشمس و سمومها، فأهل الجنة فى مثل ذلك الحال فى الطيبة من الظلال الذى لا حر فيه و لا برد. و قيل: الظل الكن و جمعه ظلال. و قيل هو جمع ظلة و ظلال، مثل قلة و قلال، و من قرأ ظلل، فعلى وزن ظلمة و ظلم، و قلة و قلل. و الأرائك جمع أريكة و هى الوسادة، و جمعها وسائد، و يجمع أيضاً أرك كقولهم سفينة و سفن و سفائن، و هذه جلسة الملوك العظماء من الناس. و قيل الأرائك الفرش، قال ذو الرمة:

خدوداً جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك «۲»

و قال عكرمة و قتادة: الأرائك الحجال على السرر (متكئون) فمتكئ مفتعل من توكأت، إلا أن الواو أبدلت تاء. ثم قال (لهم فيها) فى الجنة (فاكِهَةٌ، وَ لَهُمْ ما يَدَّعُونَ) أى ما يتمنون، و قال ابو عبيدة: يقول العرب:

ادع على ما شئت أى تمن ما شئت، و قيل: معناه إن من ادعى شيئاً فهو له بحكم اللّه تعالى، لأنه قد هذبت طباعهم، فلا يدعون إلا ما يحسن منهم.

و قوله (سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) معناه و لهم سلام قولا من رب رحيم

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۶۴.

(۲) مجاز القرآن ۱/ ۴۰۱ و ۲/ ۱۶۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۶۹

يسمعونه من اللّه تعالى و يؤذنهم بدوام الأمن و السلامة و دوامهما مع سبوغ النعمة و الكرامة. ثم يقول للعصاة (امْتازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) و معناه انفصلوا معاشر العصاة و امتازوا، الذين اجترموا و ارتكبوا من المعاصى من جملة المؤمنين، و قال قتادة: معناه اعتزلوا معاشر العصاة عن كل خير، يقال تميز الشيء تميزاً و ميزته تمييزاً، و انماز انميازاً.

ثم حكى ما يقول تعالى لهم فانه يقول لهم (أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ) يعنى على لسان أنبيائه (أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ) فجعل عبادتهم للأوثان بأمر الشيطان عبادة له (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) أى، و قلت لكم أن الشيطان لكم عدو مبين أى ظاهرة عداوته لكم.

قوله تعالى: [سورة يس (۳۶): الآيات ۶۱ الى ۶۵] ..... ص : ۴۶۹

وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ (۶۱) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (۶۲) هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (۶۳) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۶۴) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۶۵)

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى و خلف و رويس (جبلا) بضم الجيم و الباء خفيفة اللام. و قرأ نافع و ابو جعفر و عاصم بكسر الجيم و الباء مشددة.

و قرأ ابو عمرو و ابن عامر بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة. هذه كلها لغات التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۴۷۰

و المعنى واحد. قال النورى يقال: جُبلًا و جِبلًا و جبلًا و جُبلا. و حكى غيره التشديد.

لما حكى اللّه تعالى ما يقوله الكفار يوم القيامة و يواقفهم عليه من انه عهد اليهم أن لا تعبدوا الشيطان و انه عدوهم، حكى انه كان

أمرهم أيضاً بأن يعبدوا اللَّه و أن عبادته صراط مستقيم، فوصف عبادته تعالى بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقاً مستقيماً إلى الجنة، و انه لا تخليط فيه و لا تعريج. ثم قال (وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ) يعنى أضل عن الدين الشيطان منكم (جِبِلًّا كَثِيراً) أى خلقاً كثيراً و إضلاله إياهم هو إغواؤه لهم، كما أضل السامرى قوم موسى لما دعاهم إلى عبادة العجل، فكان الإضلال على هذا الوجه قبيحاً، فأما إضلال اللَّه تعالى للكفار عن طريق الجنة إلى طريق النار او إضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال، فهو حسن. و أمر الشيطان بالضلال الذى يقع معه القبول إضلال كما يسمى الأمر بالاهتداء الذى يقع عنده القبول هدى.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى إرادة اللَّه اضلالهم، لان ذلك أضر عليهم من إرادة الشيطان و أشد عليهم فى إيجاد العداوة قبل أن يكفروا. و (الجبل) الجمع الذين جبلوا على خليقة، و جبلوا أى طبعوا.

و أصل الجبل الطبع و منه جبلت التراب بالماء إذا صيرته طيناً يصلح أن يطبع فيه، و منه الجبل لأنه مطبوع على الثبات (أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) أنه يغويكم و يصدكم عن دين الحق فتنتبهون عليه، فهو بصورة الاستفهام و معناه الإنكار عليهم و التبكيت لهم.

ثم يقول اللَّه لهم (هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها فى دار التكليف حاضرة تشاهدونها (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) معناه الزموا العذاب التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٤٧١

بها، و أصل الصلو اللزوم فمنه المصلى الذى يجىء فى أثر السابق للزومه أثره و الصلوان مكتنفا ذنب الفرس للزومها و موضعها. و قولهم: صلى على عادتها للزومه الدعاء، و سميت الصلاة صلاة للزوم الدعاء فيها. و قوله (بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) أى جزاء على كفركم باللَّه و جحدكم لوحدانيته و تكذيبكم أنبياءه.

ثم اخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام و النطق «وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ» قيل:

فى معنى شهادة الأيدى قولان:

أحدهما- إن اللَّه تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم و تنطق و تعترف بذنوبها و الثانى- انه يجعل اللَّه فيها كلاماً و نسبه اليها لما ظهر من جهتها، و قال قوم: انه يظهر فيها من الامارات ما تدل على ان أصحابها عصوا و جنوا بها أقبح الجنايات فسمى ذلك شهادة، كما يقال: عيناك تشهد لسهرك، و قال الشاعر:

امتلأ الحوض و قال قطنى مهلا رويداً قد ملأت بطنى «١»

و غير ذلك مما قد بيناه فى ما تقدم، و كل ذلك جائز، و قال آخر:

و قالت له العينان سمعاً و طاعة و حدّرتا كالدر لما يثقب «٢»

قوله تعالى:[سورة يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ٤٧١

وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦) وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَ لا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلا يَعْقِلُونَ (٦٨) وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ (٧٠)

---

(١) مر فى ١/ ٤٣١.

(٢) مر فى ١/ ٤٣١ و ٦/ ٤٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٤٧٢

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابو بكر عن عاصم (مكاناتهم) على الجمع. الباقون على التوحيد، لأنه يدل على القليل و الكثير. و قرأ عاصم و حمزة (ننكسه) بضم النون الأولى و فتح الثانية و تشديد الكاف. الباقون بفتح النون الأولى و تخفيف الثانية و تخفيف الكاف، و هما لغتان تقول: نكست و نكست مثل رددت و رددت غير ان التشديد للتكثير، و التخفيف يحتمل القليل و الكثير، و قال ابو عمرو بالتشديد إن ترك الرجل من دأبه، و بالتخفيف ان يرده إلى أرذل العمر، ففرق بينهما. و قرأ نافع و أبوا جعفر و الداحونى عن هشام و النقار و يعقوب (أ فلا تعقلون) بالتاء. الباقون بالياء، و الأول على الخطاب، و الثانى على الخبر عن الغائب. و قرأ اهل المدينة و ابن عامر «لتنذر» بالتاء. الباقون بالياء.

يقول اللَّه تعالى مخبراً عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته و عبدوا سواه و جحدوا رسله إنا (لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ) قال ابن عباس: معناه إنا لو شئنا أعميناهم عن الهدى. و قال الحسن و قتادة:

معناه لتركناهم عمياً يترددون و الطمس محو الشيء حتى يذهب أثره، فالطمس على العين كالطمس على الكتاب، و مثله الطمس على المال: إذهابه حتى لا يقع على إدراكه (فَاسْتَبَقُوا الصِّراطَ) و معناه طلبوا النجاة. و السبق اليها و لا بصر التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٧٣

لهم (فَأَنَّى يُبْصِرُونَ) و قيل: معناه فاستبقوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها. و قال ابن عباس: معناه طلبوا طريق الحق و قد عموا عنها.

و الطمس على العين إذهاب الشق الذى بين الجفنتين، كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس، و طمس أى عمى (فاستبقوا) معناه فابتدروا، و هذا بيان من اللَّه أنهم فى قبضته، و هو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا تنكيله بهم. ثم قال زيادة فى التحذير و الإرهاب (وَ لَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ) و المسخ قلب الصورة إلى خلقة مشوهة كما مسخ قوماً قردة و خنازير، و المسخ نهاية التنكيل. و قال الحسن و قتادة: معناه لمسخناهم على مقعدهم على أرجلهم و المكانة و المكان واحد، و لو فعلنا بهم ذلك (فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا) أى لما قدروا أن يذهبوا أصلا و لا أن يجيئوا ثم قال (وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) معناه إن من طولنا عمره نصيره بعد القوة إلى الضعف و بعد زيادة الجسم إلى النقصان و بعد الجدة و الطراوة إلى البلى و الخلاقة. و قيل معناه: نصيره و نرده إلى حال الهرم التى تشبه حال الصبى و غروب العلم و ضعف القوى ذكره قتادة.

و قوله (ا فلا تعقلون) يعنى ما ذكرناه بأن تفكروا فيه فتعرفوا صحة ما قلناه.

ثم اخبر تعالى عن نبيه صلى اللَّه عليه و آله فقال (وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَ ما يَنْبَغِي لَهُ) و معناه ما علمناه الشعر لأنا لو علمناه ذلك لدخلت به الشبهة على قوم فى ما اتى به من القرآن و أنه قدر على ذلك لما فى طبعه من الفطنة للشعر. و قيل:

لما لم يعط اللَّه نبيه العلم بالشعر و إنشائه لم يكن قد علمه الشعر، لأنه الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٧٤

يعطى فطنة ذلك من يشاء من عباده. ثم قال (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ) يعنى ليس الذى أنزلناه عليه شعراً بل ليس إلا ذكر من اللَّه (وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنْذِرَ مَنْ) يعنى واضح، و فعلنا ذلك و غرضنا أن تنذر به أى تخوف به من معاصى اللَّه (مَنْ كانَ حَيًّا) قيل: معناه من كان مؤمناً، لأن الكافر شبهه و مثله بالأموات فى قوله (أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ) «١» و يقويه قوله (وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكافِرِينَ) و يجوز أن يكون أراد من كان حياً عاقلا دون من كان جماداً لا يعقل، و يحق القول على الكافرين إذا لم يقبلوه و خالفوا فيه. و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله لأنه الذى يخوف.

و من قرأ بالياء معناه إن اللَّه الذى يخوفهم و يرهبهم بالقرآن، لأنه الذى أنشأه، و يجوز أن يكون القرآن هو الذى ينذر من حيث تضمن الانذار.

قوله تعالى:[سورة يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ٤٧٤

أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً فَهُمْ لَها مالِكُونَ (٧١) وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ (٧٢) وَ لَهُمْ فِيها

مَنافِعُ وَ مَشارِبُ أَ فَلا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤) لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)

خمس آيات بلا خلاف.

يقول اللَّه تعالى منبهاً لخلقه على الاستدلال على معرفته (او لم يروا)

---

(١) سورة ١۶ النحل آية ٢١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴٧۵

و معناه او لم يعلموا (أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً) و معناه إنا عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا، فهو بمنزلة ما يعمله العباد بأيديهم فى انهم تولوا فعله و لم يكلوه إلى غيرهم، و تقديره انا تولينا خلق الانعام لهم بأنفسنا، و الأنعام جمع النعم، و هى الإبل و البقر و الغنم (فَهُمْ لَها مالِكُونَ) معناه لو لم يخلق ذلك لما صح ملكهم لها، و كذلك سائر أملاك العباد بهذه الصفة فهو المنعم على عباده بكل ما ملكوه، و بحسب ما ينتفعون به يكون حاله حال المنعم. و اليد فى اللغة على أربعة أقسام: أحدهما- الجارحة. و الثاني- النعمة، و الثالث- القوة. و الرابع- بمعنى تحقيق الاضافة. تقول: له عندى يد بيضاء أى نعمة، و تلقى قولى باليدين أى بالقوة و التقبل، و قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسوراً فلبى فلبى يدى مسور

فهذا بمعنى تحقيق الاضافة. و تقول هذا ما جنت يدك، و ما كسبت يدك أى ما كسبت أنت.

و قوله (وَ ذَلَّلْناها لَهُمْ) فتذليل الانعام تسخيرها بالانقياد و رفع النفور لان الوحشى من الحيوان نفور، و الانسى مذلل بما جعله اللَّه فيه من الانس و السكون، و رفع عنه من الاستيحاش و النفور. و قوله (فَمِنْها رَكُوبُهُمْ وَ مِنْها يَأْكُلُونَ) قسمة الانعام، فان اللَّه تعالى جعل منها ما يركب و منها ما يذبح و ينتفع بلحمه و يؤكل، فالركوب- بفتح الراء- صفة، يقال: دابة ركوب أى تصلح للركوب، و الركوب- بضم الراء- مصدر ركبت. و قرأت عائشة (فمنها ركوبتهم) مثل الحلوبة. و قوله (وَ لَهُمْ فِيها مَنافِعُ وَ مَشارِبُ) فمن منافعها لبس أصوافها و شرب ألبانها و أكل لحومها و ركوب ظهورها إلى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها. ثم قال (أ فلا تشكرون) اللَّه على هذه

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴٧۶

النعم المختلفة المتقنة.

ثم اخبر عن حال الكفار فقال (وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يعبدونها لكى ينصروهم. ثم قال تعالى (لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ) يعنى هذه الآلهة التى اتخذوها و عبدوها لا تقدر على نصرهم و الدفع عنهم ما ينزل بهم من عذاب اللَّه (وَ هُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ) و معناه إن هذه الآلهة معهم فى النار محضرون، لأن كل حزب مع ما عبد من الأوثان فى النار، كما قال (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) إلا من استثناه بقوله (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ) «١» فاما الأصنام فان اللَّه تعالى يجعلها مع من عبدها فى النار، فلا الجند يدفعون عنها الإحراق بالنار و لا هم يدفع عنهم العذاب. و قال قتادة: يعنى و هم لهم جند محضرون أى و هم يغضبون للأوثان فى الدنيا.

قوله تعالى:[سورة يس (٣۶): الآيات ٧۶ الى ٨٣] ..... ص : ۴٧۶

فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ (٧۶) أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)

أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٨- ١٠١- ١٠٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۷۷

ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ رويس (يقدر) بالياء و جعله فعلا مستقبلا. و قرأ الكسائى و ابن عباس (فيكون) نصباً عطفاً على (أن نقول ... فيكون) الباقون بالرفع بتقدير، فهو يكون.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله على وجه التسلية له عن تكذيب قومه إياه، فقال (فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) و ضم الياء نافع، و حزن و أحزن لغتان. و الحزن ألم القلب بما يرد عليه مما ينافى الطبع، و مثله الغم، و ضده السرور و الفرح و المعنى فى صرف الحزن عن النبى صلى اللَّه عليه و آله فى كفر قومه هو أن ضرر كفرهم عائد عليهم، لأنهم يعاقبون به دون غيرهم. ثم قال (إِنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ) أى ما يظهرونه و ما يبطنونه فنجازى كلًا منهم على قدره لا- يخفى علينا شيء منها. ثم قال منبهاً لخلقه على الاستدلال على صحة الاعادة و النشأة الثانية، فقال (أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ) و معناه أو لم يعلم (أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) و معناه إنا نقلناه من النطفة إلى العلقة و من العلقة إلى المضغة و من المضغة إلى العظم و من العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً و جعلنا فيه الروح و أخرجناه من بطن أمه و لابيناه و نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله و صار متكلماً خصيماً عليماً، التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۷۸

فمن قدر على جميع ذلك كيف لا يقدر على الاعادة، و هى أسهل من جميع ذلك؟! و لا يجوز أن يكون خلق الإنسان و لا خالق له، و لا- أن يكون واقعاً بالطبيعة، لأنها فى حكم الموات فى أنها ليست حية قادرة، و من كان كذلك لا يصح منه الفعل و لا أن يكون كذلك بالاتفاق لان المحدث لا بد له من محدث قادر و إذا كان محكما فلا بد من كونه عالماً.

و فى الآية دلالة على صحة استعمال النظر، لان اللَّه تعالى أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، و أنه يلزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانية.

ثم حكى تعالى عن بعض الكفار انه (ضرب لنا) أى ضرب للَّه (مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ) كيف كان فى الابتداء (قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) فقال قتادة، و مجاهد: كان القائل أبى بن خلف. و قال سعيد بن جبير:

هو العاص بن وابل السهمى. و قال ابن عباس: هو عبد اللَّه بن أبى ابن سلول. و

قال الحسن: جاء أمية إلى النبى صلى اللَّه عليه و آله بعظم بال قد بلى، فقال يا محمد أ تزعم ان اللَّه يبعث هذا بعد ما بلى!. قال: نعم، فنزلت الآية.

و الرميم هو البالى، فقال اللَّه تعالى فى الرد عليه (قل) يا محمد لهذا المتعجب من الاعادة (يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ) لأن من قدر على الاختراع لما يبقى من غير تغيير عن صفة القادر، فهو على إعادته قادر لا محالة (وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) أى عالم بكل جنس من أجناس الخلق. ثم وصف نفسه فقال (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) فبين أن من قدر على ان يجعل فى الشجر الأخضر الذى هو فى غاية الرطوبة ناراً حامية مع تضاد النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض و هو التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۷۹

المرخ و العفار و غير ذلك من انواع الشجر فيخرج منه النار و ينقدح، فمن قدر على ذلك لا يقدر الاعادة؟! ثم نبههم على دليل آخر فقال (أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) و معناه من قدر على اختراع السموات و الأرض كيف لا

یقدر علی أمثاله؟! و قد ثبت أن من شأن القادر علی الشیء أن یکون قادراً علی جنس مثله و جنس ضده. و دخول الباء فی خبر (لیس) لتأکید النفی.

ثم قال تعالی مجیباً عن هذا النفی فقال (بَلی وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِیمُ) أی هو خالق لذلک عالم بکیفیة الاعادة.

ثم قال تعالی (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ) و المعنی بذلک الاخبار عن سهولة الفعل علیه و انه إذا أراد فعل شیء فعله بمنزلة ما یقول للشیء کن فیکون فی الحال، و هو مثل قول الشاعر:

و قالت له العینان سمعا و طاعة و حدرتا کالدر لما یثقب «۱»

و إنما اخبر عن سرعة دمعه دون ان یکون قبولا علی الحقیقة. (فَسُبْحانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَکُوتُ کُلِّ شَیْءٍ) و معناه تنزیهاً له عن نفی القدرة علی الاعادة و غیر ذلک مما لا یلیق به الذی یقدر علی الملک، و فیه مبالغة (وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ) یوم القیامة الذی لا یملک فیه الأمر و النهی سواه، فیجازیکم علی قدر أعمالکم من الطاعات و المعاصی بالثواب و العقاب.

---

(۱) مر فی ۱/ ۴۳۱ و ۶/ ۴۵ و ۸/ ۴۷۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۸۰

۳۷–سورة الصافات ..... ص : ۴۸۰

اشارة

مکیة فی قول مجاهد و قتادة و الحسن و هی مائة و اثنان و ثمانون آیة فی المدنیین و إحدی و ثمانون فی البصری و لیس فیها ناسخ و منسوخ.

[سورة الصافات (۳۷): الآیات ۱ الی ۱۰] ..... ص : ۴۸۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (۱) فَالزَّاجِراتِ زَجْراً (۲) فَالتَّالِیاتِ ذِکْراً (۳) إِنَّ إِلهَکُمْ لَواحِدٌ (۴)
رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُما وَ رَبُّ الْمَشارِقِ (۵) إِنَّا زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِزِینَةٍ الْکَواکِبِ (۶) وَ حِفْظاً مِنْ کُلِّ شَیْطانٍ مارِدٍ (۷) لا یَسَّمَّعُونَ إِلَی الْمَلَإِ الْأَعْلی وَ یُقْذَفُونَ مِنْ کُلِّ جانِبٍ (۸) دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ (۹)
إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ (۱۰)

عشر آیات بلا خلاف.

ادغم ابو عمرو- إذا أدرج- التاء فی الصاد، و التاء فی الزای، و التاء فی الذال فی قوله (وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِراتِ زَجْراً فَالتَّالِیاتِ ذِکْراً) لقرب التبیان فی تفسیر القرآن، ج‌۸، ص: ۴۸۱

مخرجهما إذا کانا من کلمتین، وافقه حمزة فی جمیع ذلک. الباقون بالإظهار لأن قبل التاء حرفاً ساکناً، و هو الالف، لأن مخارجها متغایرة. و قرأ ابن کثیر و نافع و ابو عمرو و ابن عامر (بِزِینَةِ الْکَواکِبِ) و لذلک کان یجوز أن یقرأ برفع الکواکب غیر أنه لم یقرأ به أحد، و لو قرئ به لجاز. و قرأ ابو بکر عن عاصم (بزینة) منونا (الکواکب) نصباً علی معنی تزییننا الکواکب. الباقون (بزینة) منوناً (الکواکب) خفضاً علی البدل، و هو بدل الشیء من غیره، و هو بعینه، لأن الزینة هی الکواکب، و هو بدل المعرفة من النکرة، و مثله قوله (لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِیَةِ ناصِیَةٍ) «۱» فأبدل النکرة من المعرفة. و قرأ الکسائی و حمزة و خلف و حفص عن عاصم (لا یسمعون) بالتشدید،

و أصله لا يتسمعون، فأدغم التاء في السين. الباقون بالتخفيف لان معنى سمعت إلى فلان و تسمعت إلى فلان واحد. و إنما يقولون تسمعت فلاناً بمعنى أدركت كلامه بغير (إلى). و من شدّد كرّر، لئلا يشتبه. قال ابن عباس: كانوا لا يتسمعون و لا يسمعون.

هذه اقسام من اللَّه تعالى بالأشياء التي ذكرها، و قد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، و ليس لخلقه أن يحلفوا إلا باللَّه. و قيل إنما جاز أن يقسم تعالى بهذه الأشياء، لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها. و قال قوم: التقدير: و رب الصافات، و حذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم للَّه. و جواب القسم قوله (إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحِدٌ) و قال مسروق و قتادة و السدي: إن الصافات هم الملائكة مصطفون في السماء

---

(١) سورة ٩٦ العلق آية ١٥.

التبيان في تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٨٢

يسبحون اللَّه. و قيل: صفوف الملائكة في صلاتهم عند ربهم- ذكره الحسن- و قيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها اللَّه بما يريد، كما قال (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) «١» و قال ابو عبيدة: كل شيء من السماء و الأرض لم يضم قطريه فهو صاف، و منه قوله (وَ الطَّيْرُ صَافَّاتٍ) «٢» إذا نشرت أجنحتها، و الصافات جمع الجمع، لأنه جمع صافة.

و قوله (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) قال السدي و مجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجراً يوصل اللَّه مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، و قيل: إنها تزجر السحاب في سوقها. و قال قتادة: (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) آيات القرآن تزجر عن معاصي اللَّه تعالى، و الزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم و العقاب، و قد يكون الصرف عن الشيء بالذم فقط على معنى انه من فعله استحق الذم.

و قوله (فَالتَّالِياتِ ذِكْراً) قيل فيه ثلاثة اقوال:

أحدها- قال مجاهد و السدي: هم الملائكة تقرأ كتب اللَّه.

و قال قتادة: هو ما يتلى في القرآن. و قال قوم: يجوز أن يكون جماعة الذين يتلون القرآن. و إنما قال (فَالتَّالِياتِ ذِكْراً) و لم يقل تلوا، كما قال (فَالزَّاجِراتِ زَجْراً) لأن التالي قد يكون بمعنى التابع تقول:

تلوت فلاناً إذا تبعته بمعنى جئت بعده، و منه قوله (وَ الْقَمَرِ إِذا تَلاها) «٣» فلما كان مشتركاً، بينه بما يزيل الإبهام، و كل هذه اقسام على أن الآله الذي يستحق العبادة واحد لا شريك له. و قوله

---

(١) آية ١٦٥ من هذا السورة.

(٢) سورة ٢٤ النور آية ٤١.

(٣) سورة ٩١ الشمس آية ٢.

التبيان في تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٨٣

(رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ رَبُّ الْمَشارِقِ) معناه إن إلهكم الذي يستحق العبادة واحد و هو الذي خلق السموات و الأرض و ما بينهما من سائر الأجناس من الحيوان و النبات و الجماد (وَ رَبُّ الْمَشارِقِ) و معناه و يملك التصرف فيها، و المشارق هي مشارق الشمس، و هي مطالعها بعدد ايام السنة ثلاثمائة و ستون مشرقاً و ثلاثمائة و ستون مغرباً، ذكره السدي.

ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال (إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا) و التزيين التحسين للشيء و جعله صورة تميل اليها النفس، فاللَّه تعالى زين السماء الدنيا على وجه يمتع الرائي لها، و في ذلك النعمة على العباد مع ما لهم فيها من المنفعة بالفكر فيها و الاستدلال على صانعها. و الكواكب هي النجوم كالبدر و السماء بها زينة قال النابغة:

بأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبق منهن كوكب

و قوله (وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ) معناه و حفظناها حفظاً.

و الحفظ المنع من ذهاب الشيء، و منه حفظ القرآن بالدرس المانع من ذهابه.

و المارد الخارج إلى الفساد العظيم، و هو وصف للشياطين و هم المردة، و أصله الاتجراد، و منه الأمرد، و المارد المتجرد من الخير، و قوله (لا يسمعون) من شدّد أراد لا يتسمعون و أدغم التاء فى السين، و من خفف أراد ايضاً لا يتسمعون فى المعنى (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلى يعنى الملائكة الذين هم فى السماء و قوله (وَ يُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ) معناه يرمون بالشهب من كل جانب إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع (دحوراً) أى دفعاً لهم بعنف، يقال:

دحرته دحراً و دحوراً، و انما جاز أن يريدوا استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون، و انهم يحرقون بالشهب، لأنهم تارة يسلمون إذا لم يكن من التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٤٨٤

الملائكة هناك شيء لا يجوز أن يقفوا عليه، و تارة يهلكون كراكب البحر فى وقت يطمع فى السلامة.

و قوله (وَ لَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و ابن زيد: معناه إن لهم مع ذلك ايضاً عذاباً دائماً يوم القيامة، و منه قوله تعالى (وَ لَهُ الدِّينُ واصِباً) «١» أى دائماً قال ابو الأسود:

لا ابتغى الحمد القليل بقاؤه يوماً بذم الدهر اجمع واصبا «٢»

اى دائماً. و قوله (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) لما اخبر اللَّه تعالى أن الشياطين لا يستمعون الى الملأ الأعلى و لا يصغون اليهم أخبر انهم متى راموا رموا من كل جانب دفعاً لهم على أشد الوجوه. ثم قال (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) أى استلب السماع استلاباً، و الخطفة الاستلاب بسرعة، فمتى فعل أحدهم ذلك (فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ) قال قتادة: و الشهاب كالعمود من نار، و ثاقب مضى كأنه يثقب بضوئه يقال أثقب نارك و استثقبت النار إذا استوقدت و أضاءت، و منه قولهم: حسب ثاقب أى مضى شريف، قال ابو الأسود:

أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب «٣»

أى بحيث يضيء و يعلو.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠] ..... ص : ٤٨٤

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ (١٢) وَ إِذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ (١٣) وَ إِذا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَ قالُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥)

أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ (١٨) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَ قالُوا يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٥٢.

(٢) مر فى ٦/ ٣٩٠.

(٣) مجاز القرآن ١/ ١٣٣ و ٢/ ١٦٧. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٤٨٥

عشر آيات بلا خلاف.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (بل عجبت) بضم التاء. الباقون بفتحها.

قال ابو علي: من فتح التاء أراد: بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث او من نزول الوحى على قلبك و هم يسخرون، و من ضم قال:

معناه إن إنكار البعث مع بيان القـدرة على الابتـداء و ظهور ذلك من غير اسـتدلال عجيب عنـدك. و قال قوم: إن ذلك اخبار من اللَّه عن نفسه بـأنه عجيب، و ذلـك كمـا قال (وَ إِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) «۱». و هـذا غير صـحيح، لان اللَّه تعالى عالم بالأشـياء كلها على تفاصـيلها، و إنمـا يعجب من خفى عليه اسـباب الأشـياء، و قوله (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) معنـاه عنـدكم. و قرأ ابن عامر (إذا) على الخبر. الباقون على الاسـتفهام على أصولهم فى التحقيق و التخفيف و الفصـل و قرأ (إنـا) على الخبر اهل المدينـة و الكسائى و يعقوب. و قرأ الباقون بهمزتين على أصولهم فى التحقيق و التليين و الفصل. و قرأ اهل المدينة و ابن

---

(۱) سورة ۱۳ الرعد آية ۵.

عامر (او آباؤنا) بسكون الواو- هنا و فى الواقعة- إلا أن ورشاً على أصله فى إلقاء حركة الهمزة على الواو. الباقون بفتح الواو.

و هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه يأمره بأن يسـتفتى هؤلاء الكفار و هو أن يسألهم أن يحكموا بما تقتضيه عقولهم، و يعدلوا عن الهوى و اتبـاعه، فالاسـتفتاء طلب الحكم (أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنا) يعنى من قبلهم من الأـمم الماضـية و القرون الخاليـة، فـانه تعالى قد أهلك الأمم الماضية الذين هم أشد خلقاً منهم لكفرهم، و لهم مثل ذلك إن أقاموا على الكفر. و قيل:

المعنى أهم أشـد خلقـاً منهم بكفرهم، و هم مثـل ذلـك أم من خلقنـا من الملائكـة و السـموات و الأرضـين، فقـال: أم من خلقنا، لأن الملائكة تعقل، فغلب ذلك على ما لا يعقل من السموات، و الشدة قوة الفتل و هو بخلاف القدرة و القوة. و كل شدة قوة، و ليس كل قوة شدة، و أشد خلقاً ما كان فيه قوة يمنع بها فتله إلى المراد به.

ثم اخبر تعـالى انه خلقهم من طين لاـزب. و المراد انه خلق آدم من طين، و إن هؤلاـء نسـله و ذريته، فكـأنهم خلقوا من طين، و معنى (لازب) لازم فأبدلت الميم باء، لأنه من مخرجها، يقولون: طين لازب و طين لازم قال النابغة:

و لا يحسبون الخير لا شر بعده و لا يحسبون الشر ضربة لازب «۱»

و بعض بنى عقيـل يبـدلون من الزاى تـاء، فيقولون: لاتب، و يقولون: لزب، و لتب، و يقال: لزب يلزب لزوباً. و قال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد. و قال قتادة: هو الذى يلزق باليد. و قال مجاهد: معناه لازق. و قيل:

---

(۱) مجاز القرآن ۲/ ۱۶۷ القرطبى ۱۵/ ۶۹.

معناه من طين علكك خلق آدم منه و نسب ولـده اليه. و قوله (بَلْ عَجِبْتَ وَ يَسْخَرُونَ) فمن ضم التاء أراد أن النبى صـلى اللَّه عليه و آله أمره اللَّه أن يخبر عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين أعطيه، و سخر منه أهل الضلالة. قال المبرد:

و تقديره قل بل عجبت. و من فتح التاء أراد ان اللَّه تعالى خاطبه بذلك.

و العجب تغير النفس بما خفى فيه السبب فى ما لم تجر به العادة، يقال: عجب يعجب عجباً و تعجب تعجباً. و المعنى فى الضم على ما روى عن على عليه السـلام و ابن مسعود ليس على انه بعجيب كما يعجب، لأن اللَّه تعالى عالم بالأشياء على حقائقها، و إنما المعنى انه يجازى على العجب كما قال (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)

«۱» (وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ) «۲» و يجوز أن يكون المعنى قـد حلوا محل من يعجب منهم. و الفتح على عجب النبى صـلى اللَّه عليه و آله (و يسـخرون) معنـاه يهزءون بـدعائك إيـاهم إلى اللَّه. و النظر فى دلاـئله و آيـاته. (وَ إِذا ذُكِّرُوا) بآيـات اللَّه و حججه و خوفوا بهـا (لا يَذْكُرُونَ) أى لا يتفكرون، و لا ينتفعون بها (وَ إِذا رَأَوْا آيَةً) من آيات اللَّه تعالى (يستسـخرون) أى يسـخرون و هما لغتان. و قيل: معناه يطلب بعضـهم من بعض أن يسـخروا و يهزءوا بآيات اللَّه، فيقولون ليس هـذا الذى تدعونا اليه من القرآن و تدعيه أنه من عند اللَّه (إِلَّا

سِحْرٌ مُبِينٌ) أى ظاهر بين.

و حكى انهم يقولون ايضاً (أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) بعد ذلك و محشورون و مجازون؟! (أَ وَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ) الذين تقدمونا بهذه الصفة، و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد بذلك التهزّى و الاستبعاد لأن يكون

---

(۱) سورة ۹ التوبة آية ۸۰.

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۵۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۸۸

هذا حقيقة و صحيحاً. فمن فتح الواو فلأنها و او العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (قل) لهم (نعم) الامر على ذلك، فإنكم تحشرون و تسألون و تجازون على أعمالكم من الطاعات بالجنة و الثواب، و على المعاصى بالنار و العقاب فيها (وَ أَنْتُمْ داخِرُونَ) أى صاغرون أذلاء- و هو قول الحسن و قتادة و السدى- و قيل: الداخر الصاغر الذليل أشد الصغر و الصاغر الذليل لصغر قدره.

ثم قال ايضاً و قل لهم (فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ) فقال الحسن: يعنى النفخة الثانية. و الزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة، فكأنهم زجروا عن الحال التى هم عليها إلى المصير إلى الموقف للجزاء و الحساب (فَإِذا هُمْ يَنْظُرُونَ) أى يشاهدون ذلك و يرونه. و قيل: معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب اللَّه و عقابه، و يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ) اى يوم الجزاء و الحساب. و (الويل) كلمة يقولها القائل إذا وقع فى الهلكة، و مثله يا ويلتى، و يا حسرتى، و يا عجبا.

و قال الزجاج: و المعنى فى جميع ذلك ان هذه الأشياء حسن نداؤها على وجه التنبيه و التعظيم على عظم الحال، و المعنى يا عجب اقبل و يا حسرة اقبلى فانه من أوانك و أوقاتك، و مثله قوله (يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ) «۱» و قوله (يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) «۲».

قوله تعالى:[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۲۱ الى ۳۰] ..... ص : ۴۸۸

هذا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۱) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما كانُوا يَعْبُدُونَ (۲۲) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ (۲۳) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ (۲۴) ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ (۲۵)

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (۲۶) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (۲۷) قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ (۲۸) قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۲۹) وَ ما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ (۳۰)

---

(۱) سورة ۱۱ هود آية ۷۲.

(۲) سورة ۳۹ الزمر آية ۵۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۸۹

عشر آيات فى الكوفى و المدنيين عدوا قوله (وَ ما كانُوا يَعْبُدُونَ) رأس آية. و البصريون لم يعدوها، فهى عندهم تسع آيات.

لما اخبر اللَّه تعالى عن الكفار انهم إذا حشروا و شاهدوا القيامة و قالوا (يا وَيْلَنا هذا يَوْمُ الدِّينِ) يعنى الجزاء حكى ما يقول الله لهم فانه تعالى يقول لهم (هذا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين الخلائق و الحكم و تميز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه، و انه تعالى يدخل المطيعين الجنة على وجه الإكرام و الإعظام، و يدخل العصاة النار على وجه الاهانة و الاذلال (هذا يَوْمُ الْفَصْلِ) و هو اليوم (الذى كنتم) معاشر الكفار (به تكذبون) تجحدونه و تقابلون من اخبر عنه بالتكذيب و تنسبونه إلى ضد الصدق.

ثم حكى ما يقول اللَّه للملائكة المتولين لسوق الكفار إلى النار، فانه التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۹۰

يقول لهم «احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بارتكاب المعاصى بمعنى اجمعوهم من كل جهة، فالكفار يحشرون من قبورهم إلى أرض الموقف للجزاء و الحساب، ثم يساق الظالمون مع ما كانوا يعبدون من الأوثان و الطواغيت إلى النار و كذلك أزواجهم الذين كانوا على مثل حالهم من الكفر و الضلال و قال ابن عباس و مجاهد و ابن زيد: معنى «و أزواجهم» أشباههم، و هو من قوله «وَ كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً» «۱» أي اشكالا و أشباها. و قال قتادة:

معناه و أشياعهم من الكفار. و قيل: من الاتباع. و قال الحسن: يعنى «و أزواجهم» المشركات. و قيل: اتباعهم على الكفر من نسائهم.

و قوله «فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ» إنما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة، كما قال «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» «۲» لهذه العلة من حيث ان البشارة بالعذاب الأليم وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم، يقال: هديته الطريق أى دللته عليها و أهديت الهدية.

ثم حكى اللَّه تعالى ما يقوله للملائكة الموكلين بهم فانه يقول لهم «وقفوهم» أى قفوا هؤلاء الكفار أى احبسوهم «إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ» عما كلفهم اللَّه فى الدنيا من عمل الطاعات و اجتناب المعاصى هل فعلوا ما أمروا به أم لا؟ على وجه التقرير لهم و التبكيت دون الاستعلام، يقال: وقفت انا و وقفت الدابة بغير الف. و بعض بنى تميم يقولون: أوقفت الدابة و الدار. و زعم الكسائى انه سمع ما أوقفك هاهنا، و انشد الفراء:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن اومأنا إلى الناس أوقفوا

بالف. و يقال لهم ايضاً على وجه التبكيت «ما لَكُمْ» معاشر الكفار

---

(۱) سورة ۵۶ الواقعة آية ۷.

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۲۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴۹۱

«لا تَناصَرُونَ» بمعنى لا تتناصرون، و لذلك شدد بعضهم التاء، و من لم يشدد حذف إحداهما، و المعنى لم لا يدفع بعضكم عن بعض ان قدرتم عليه.

ثم قال تعالى انهم لا يقدرون على التناصر و التدافع لكن «هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ» و معنا مسترسلون مستحدثون يقال: استسلم استسلاماً إذا القى بيده غير منازع فى ما يراد منه. و قيل: معناه مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعاً و لا منه امتناعاً.

و قوله «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» اخبار منه تعالى إن كل واحد من الكفار يقبل على صاحبه الذى أغواه على وجه التأنيب و التضعيف له يسأله لم غررتنى؟ و يقول ذاك لم قبلت منى.

و قوله «قالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ» حكاية ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم إنكم: كنتم تأتوننا من جهة النصيحة و اليمن و البركة، فلذلك اغترنا بكم و العرب تتيمن بما جاء من جهة اليمين. و قال الفراء: معناه إنكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين، فتخدعوننا من أقوى الوجوه. و اليمين القوة و منه قوله «فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ» «۱» أى بالقوة ثم حكى ما يقول أولئك لهم فى جواب ذلك: ليس الأمر على ما قلتم بل لم تكونوا مصدقين باللَّه و لم يكن لنا عليكم فى ترك الحق من سلطان و لا قدرة فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فانه لازم لكم و لاحق بكم. و قال قتادة: أقبل الأنس على الجن يتساءلون بأن كنتم أنتم معاشر الكفار قوماً طاغين أى باغين، تجاوزتم الحد إلى افحش الظلم، و أصله تجاوز الحد فى العظم و منه قوله «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ» «۲» و طغيانهم كفرهم باللَّه، لأنهم تجاوزوا فى ذلك الحد

---

(١) آية ٩٣ من هذه السورة.

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٩٢

إلى أعظم المعاصى، و قال الزجاج: معنى لا تناصرون ما لكم غير متناصرين فهو نصب بأنه حال.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٣١ الى ٤٠] ..... ص : ٤٩٢

فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا إِنَّا لَذائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كانُوا إِذا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)

وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَ ما تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلاَّ عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)

عشر آيات.

هذا تمام ما حكى اللَّه عن المغاوين للكفار يوم القيامة بأنهم إذا قالوا لهم لم يكن لنا عليكم من سلطان، و إنما أنتم كنتم قوماً طاغين، أخبروا أيضاً و قالوا «فَحَقَّ عَلَيْنا» أى وجب علينا «قَوْلُ رَبِّنا» بأنا لا نؤمن، و نموت على الكفر او وجب علينا قول ربنا بالعذاب الذى يستحق على الكفر و الإغواء «إِنَّا لَذائِقُونَ» العذاب يعنى إنا ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق، ثم يعترفون على أنفسهم بأنهم كانوا غاوين، أى دعوناكم إلى الغى و قيل: معناه خيبناكم طرق الرشاد فغوينا نحن ايضاً و خيبنا، فالاغواء الدعاء التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٩٣

إلى الغى، و الغى نقيض الرشد، و أصله الخيبة من قول الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما «١»

و يكون (أغوى) بمعنى خيب، و منه قوله «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي» «٢» أى خيبتنى.

ثم اخبر تعالى انهم فى ذلك اليوم مشتركون فى العذاب، و معنى اشتراكهم اجتماعهم فى العذاب الذى هو يجمعهم.

ثم اخبر تعالى فقال إن مثل فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين، و بين أنه إنما فعل بهم ذلك، لأنهم «كانُوا إِذا قِيلَ (لَهُمْ) لا إِلهَ» معبود يستحق العبادة «إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» عن قبول ذلك، و طلبوا التكبر، و هذه لفظة ذم من حيث استكبروا عن قول الحق. و حكى ما كانوا يقولون إذا دعوا إلى عبادة اللَّه وحده فإنهم كانوا «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا» و معنى ذلك إنا نترك عبادة آلهتنا «لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ» يدعونا إلى خلافه، يعنون بذلك النبى صلى اللَّه عليه و آله يرمونه بالجنون تارة و بالشعر أخرى- و هو قول الحسن و قتادة- لفرط جهلهم حتى قالوا هذا القول الفاحش الذى يفضح قائله، لأن المعلوم انه صلى اللَّه عليه و آله كان بخلاف هذا الوصف، و الجنون آفة تغطى على العقل حتى يظهر التخليط فى فعله، و أصله تغطية الشيء: جن عليه الليل إذا غطاه، و منه المجن لأنه يستر صاحبه، و منه الجنان الروح، لأنها مستورة بالبدن، و منه الجنة لأنها تحت الشجر.

ثم اخبر تعالى تكذيباً لهم بأن قال ليس الأمر على ما قالوه «بل»

---

(١) مر فى ٢/ ٣١٢ و ٤/ ٣٩١ و ٥/ ٥٤٨ و ٦/ ٣٣٦ و ٧/ ١٣٦، ٢١٨ و ٨/ ٣٦.

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٣٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٤٩٤

النبى صلى اللَّه عليه و آله «جاءَ بِالْحَقِّ» من عند اللَّه و هو ما يجب العمل به «وَ صَدَّقَ» مع ذلك «الْمُرْسَلِينَ» جميع من أرسله اللَّه قبله.

ثم خاطب الكفار، فقال «إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ» يعنى المؤلم الموجع جزاء على تكذيبكم بآياتنا و ليس «تُجْزَوْنَ إِلَّا» على قدر «ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من المعاصى ثم استثنى من جملة المخاطبين «عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» و هم الذين أخلصوا العبادة للّه و أطاعوه فى كل ما أمرهم به، فإنهم لا يذوقون العذاب و إنما ينالون الثواب الجزيل.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠] ..... ص : ٤٩٤

أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَواكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ (٤٤) يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥)

بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيها غَوْلٌ وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ (٤٧) وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ (٥٠)

عشر آيات.

قرأ حمزة و الكسائى و خلف «ينزفون» بكسر الزاى على اسناد الفعل اليهم.

الباقون بفتح الزاى- على ما لم يسم فاعله- و من فتح فانه مأخوذ من نزف الرجل، فهو منزوف و نزيف، إذا ذهب عقله بالسكر، و انزف فهو منزف به إذا فنيت خمره. و يقال أنزف أيضاً إذا سكر.

لما استثنى اللَّه تعالى من جملة من يعاقبهم من الكفار المخلصين الذين التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٩٥

أخلصوا عبادتهم للّه وحده، بين ما اعدّ لهم من انواع الثواب، فقال «أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ» يعنى عطاء جعل لهم التصرف فيه و حكم لهم به فى الأوقات المستأنفة فى كل وقت شيئاً معلوماً مقدراً. ثم فسر ذلك الرزق، فقال ذلك الرزق «فواكه» و هى جمع فاكهة و هى تكون رطباً و يابساً يتفكهون بها و ينتفعون بالتصرف فيها «وَ هُمْ» مع ذلك «مُكْرَمُونَ» أى معظمون مبجلون، و ضد الإكرام الاهانة و هى الانتقام و هم مع ذلك «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أى بساتين فيها انواع النعيم التى يتنعمون بها «عَلى سُرُرٍ» و هو جمع سرير «مُتَقابِلِينَ» يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض «يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» أى بكأس من خمر جارية فى أنهار ظاهرة للعيون- فى قول الحسن و قتادة و الضحاك و السدى- و الكأس إناء فيه شراب.

و قيل: لا يسمى كأساً إلا إذا كان فيه شراب و إلا فهو إناء، و قوله «معين» يحتمل ان يكون (فعيلا) من العين، و هو الماء الشديد الجرى من أمعن فى الأمر إذا اشتد دخوله فيه. و يحتمل ان يكون وزنه (مفعولا) من عين الماء لأنه يجرى ظاهراً للعين.

ثم وصف الخمر الذى فى الكأس، فقال «بيضاء» و وصفها بالبياض لأنها تجرى فى انهار كاشرف الشراب، و هى خمر فيها اللذة و الامتاع فترى بيضاء صافية فى نهاية الرقة و اللطافة مع النورية التى لها و الشفافة، لأنها على احسن منظر و مخبر. و قال قوم: بيضاء صفة للكأس، و هى مؤنثة. و اللذة نيل المشتهى بوجود ما يكون به صاحبه ملتذاً. و الشراب مأخوذ من الشرب.

و قوله «لا فِيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فى ذلك الشراب غول أى فساد يلحق العقل خفياً، يقال: اغتاله اغتيالا إذا أفسد عليه أمره، و منه الغيلة التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٤٩٦

و هى القتل سرّاً. و قال ابن عباس «لا فِيها غَوْلٌ» معناه لا يكون فيها صداع و لا أذى، كما يكون فى خمر الدنيا، و قال الشاعر:

و ما زالت الكأس تغتالنا و نذهب بالأول الاول «١»

هذا من الغيلة أى نصرع واحد بعد واحد «وَ لا هُمْ عَنْها يُنْزَفُونَ» أى لا يسكرون و النزيف السكران، لأنه ينزف عقله، قال الأبرد الرياحى:

لعمرى لئن انزفتم أو ضحوتم لبئس التدانى كنتم آل ابحرا «٢»

فالبيت يدل على ان أنزف لغة فى نزف إذا سكر، لأنه جعله فى مقابلة الصحو. و من قرأ بالسكر فعلى معنى: إنهم لا ينزفون خمرهم أى

لا يفنى عندهم.

و قوله «وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ» معنى قاصرات الطرف تقصر طرفهن على أزواجهن- فى قول الحسن و غيره- و قال بعضهم: معنى قاصرات راضيات من قولهم: اقتصرت على كذا، و معنى «عين» الشديدة كبياض العين الشديدة سوادها- فى قول الحسن- و العين النجل و هى الواسعة العين.

و قوله «كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ» شبههن ببيض النعام يكن بالريش من الريح و الغبار- فى قول الحسن و ابن زيد- و قال سعيد بن جبير و السدى:

شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر و قبل أن تمسه الأيدى، و المكنون المصون يقال: كننت الشيء إذا صنته، و أكننته إذا سترته من كل شيء قال الشاعر:

و هى زهراء مثل لؤلؤة الغ واص ميزت من جوهر مكنون «٣»

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٦٩.

(٢) اللسان (نزف) و تفسير القرطبى ١٥/ ٧٩ و الطبرى ٢٣/ ٣١ و مجاز القرآن ٢/ ١٦٩. [.....]

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٧٠ و تفسير القرطبى ١٥/ ٨١ و الطبرى ٢٣/ ٣۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴٩٧

ثم قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ» يعنى ان اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم و ما تفضل اللَّه عليهم من انواع الكرامات

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٥١ الى ٦٠] ..... ص : ۴٩٧

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَ إِذا مِتْنا وَ كُنَّا تُراباً وَ عِظاماً أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥۴) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ (٥٥)

قالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولى وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠)

عشر آيات لما حكى اللَّه تعالى أن اهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن اخبارهم و أحوالهم، ذكر أن قائلا منهم يقول «إِنِّي كانَ لِي قَرِينٌ» فى دار الدنيا أى صاحب يختص بى إما من الانس- على ما قال ابن عباس- او من الجن- على ما قال مجاهد- «يقول» لى على وجه الإنكار على و التهجين لفعلى «أَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» بيوم الدين بان اللَّه يبعث الخلق بعد أن يصيروا تراباً و عظاماً و انهم يحشرون بعد ذلك و يحاسبون و يجازون إن هذا لبعيد، فألف الاستفهام دخلت- هاهنا- على وجه الإنكار، و إنما دخلت ألف الاستفهام للإنكار من حيث أنه لا جواب لقائله إلا ما يفتضح به، و هؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۴٩٨

الكفار غلطوا فى هذه الإنكار و توهموا أن من يقول فى جواب ذلك نعم يأتى بقبيح من القول، و قوله «أَ إِنَّا لَمَدِينُونَ» معناه لمجزيّون مشتق من قولهم: كما تدين تدان.

أى كما تجزى تجزى، و الدين الجزاء، و الدين الحساب، و منه الدين، لأن جزاءه القضاء، و قال ابن عباس: القرين الذى كان له شريكاً من الناس.

و قال مجاهد: كان شيطاناً.

ثم حكى انه يقال لهذا القائل على وجه العرض عليه «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» أى يؤمرون أن يروا مكان هذا القرين فى النار، فيقول: نعم،

فيقال له: اطلع فى النار، فيطلع فى الجحيم فيراه فى سوائه أى وسطه- فى قول ابن عباس و الحسن و قتادة- و إنما قيل للوسط: سواء لاستوائه فى مكانه بأن صار بدلا منه، و قد كثر حتى صار بمعنى غير، و روى حسين عن أبى عمرو «مطلعونى فاطلع» بكسر النون و قطع الألف، و هو شاذ، لان الاسم إذا أضيف حذفت منه النون، كقولك: مطلعى، و إنما يجوز فى الفعل على حذف احدى النونين، و قد انشد الفراء على شذوذه قول الشاعر:

و ما أدرى و ظنى كل ظن أسلمنى إلى قوم شراح «۱»

يريد شراحل، و أنشده المبرد (أ أسلمنى) و انشد الزجاج:

هم القائلون الخير و الأمر دونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما «۲»

و قيل: ان لأهل الجنة فى توبيخ أهل النار لذة و سروراً. و قال الحسن:

الجنة فى السماء و النار فى الأرض، فلذلك صح منهم، الاطلاع.

ثم حكى تعالى ما يقوله المؤمن إذا اطلع عليه و رآه فى وسط الجحيم

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۳/ ۳۶.

(۲) تفسير القرطبى ۱۵/ ۸۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۴۹۹

فانه يقول «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ» و معنى (تاللّه) القسم على وجه التعجب و إنما كان كذلك، لان التاء بدل من الواو فى القسم على وجه النادر، و لذلك اختصت باسم اللّه ليدل على المعنى النادر.

و قوله «إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ» و هى التى فى قوله «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ» «۱» إلا أنها دخلت فى هذا على (فعل) و معنى «لتردين» لتهلكنى كهلاك المتردى من شاهق، و منه قوله «وَ ما يُغْنِي عَنْهُ مالُهُ إِذا تَرَدَّى» «۲» فى النار، و تقول ردى يردى إذا هلك و أرداه غيره إرداء إذا أهلكه ثم يقول «وَ لَوْ لا نِعْمَةُ رَبِّي» على و رحمته لى بأن لطف لى فى ترك متابعتك و القبول منك «لَكُنْتُ» أنا ايضاً «مِنَ الْمُحْضَرِينَ» معك فى النار فالاحضار الإتيان بالشيء إلى حضرة غيره، و قال الشاعر:

أ فى الطوف خفت على الردى و كم من رد أهله و لم يرم «۳»

أى من هالك، و قوله «أَ فَما نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولى وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ» هذا تقريع لهم و توبيخ، لأن هذا الكافر كان يقول كثيراً ذلك فى دار الدنيا، و مثله قول الشاعر:

قالت له و يضيق ضنك لا تكثرى لومى اخلى عنك

و معناه إنها كانت تلومه على الإنفاق، فكان يقول لا تكثرى لومى فأطلقك فلما أنفق عيرته بذلك و وبخته و حكت ما كان يقول عند توبيخها و عذلها.

و قال الجبائى: هذا يقوله المؤمن على وجه الاخبار بأنه لا يموت بعد هذا النعيم لكن الموتة الأولى قد مضت، فتلخيص معنى الآية قولان:

---

(۱) سورة ۸۶ الطارق آية ۴.

(۲) سورة ۹۲ الليل آية ۱۱.

(۳) الطبرى ۲۳/ ۳۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۰۰

أحدهما- انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعم اللّه فى أنه لا يموت و لا يعذب.

الثاني- أن المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينة بما كان ينكره.

و قوله «إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» إخبار منه تعالى بأن هذا الثواب الذى حصل له لهو الفلاح العظيم.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠] ..... ص : ٥٠٠

لِمِثْلِ هـذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ (٦١) أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ (٦٥)

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْها فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)

عشر آيات.

يقول اللّه تعالى فى تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر «لِمِثْلِ هـذا» يعنى لمثل ثواب الجنة و نعيمها «فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ» فى دار التكليف، و يحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذى تدعو اليه الحكمة من وجوب او ندب، قال الرماني: ألا- ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو اليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الإحباط. و هذا الذى التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٠١

ذكره غير صحيح، لأن القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه و إن عرض فى القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فانه لا يعتدّ بها، فان علمنا فى ما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق فيه الثواب، علمنا أنه خرج من كونه قبيحاً. و مثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الإكراه عليها او الإنكار لكون نبى بحضرته لمن يطلبه ليقتله فان هذا و إن كان كذباً فى الظاهر فلا بد أن يورى المظهر بما يخرجه عن كونه كاذباً، و متى لم يحسن التورية منع اللّه من إكراهه عليه. و فى الناس من يقول: يجب عليه الصبر على القتل، و لا يحسن منه الكذب، و متى كان من يحسن التورية، و لم يور كان القول منه كذباً و قبيحاً و لا يستحق به الثواب، فاما الإكراه على أخذ مال الغير و إدخال ضرر عليه دون القتل، متى كان قد علمنا بالشرع وجوب فعل ذلك عند الإكراه أو حسنه علمنا انه خرج بذلك عن كونه قبيحاً و إن اللّه تعالى ضمن من العوض عليه ما يخرجه عن كونه قبيحاً، كما تقول:

فى ذبح البهائم، و متى لم يعلم بالشرع ذلك، فانه يقبح إدخال الضرر على الغير و أخذ ماله، فأما إدخال الضرر على الغير و نفسه ببذل مال او تحمل خراج ليدفع بذلك عن نفسه ضرراً أعظم منه، فانه يحسن، لأنه وجه يقع على الإثم فيصير حسناً، و هذا باب أحكمناه فى كتاب الأصول. لا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا.

و قوله «أَ ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ» إنما جاز ذلك مع انه لا خير فى شجرة الزقوم لامرين:

أحدهما- على الحذف بتقدير أ سبب هذا الذى أدى اليه خير أم سبب أدى إلى النار، كأنهم قالوا هو فيه خير، لما عملوا ما أدى اليه. و النزل التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٠٢

الفضل طعام له نزل، و نزل أى فضل و ريع. و قيل: معناه خير نزلا من الانزال التى تقيم الأبدان و تبقى عليها الأرواح و (الزقوم) قيل: هو ثمر شجرة منكرة جداً من قولهم يزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره و مشقة شديدة. و قيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة.

و قوله «إِنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» معناه إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة لشدة التعبد، و قال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: النار تحرق الشجرة، و كيف تنبت هذه فى النار، فكان ذلك تغليظاً للمحنة، لأنه يحتاج إلى الاستدلال على انه قادر لا يمتنع عليه أن يمنع النار من إحراقها حتى تنبت الشجرة فيها. و قيل: معناه إنها عذاب للظالمين من قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» «١» أى يعذبون، و قيل:

هو قول أبى جهل فى التمر و الزبد انه يتزقمه. روى أنه لما سمع هذه الآية دعا الكفار و احضر التمر و الزبد و قال تعالوا نتزقم هذا بخلاف ما يهددنا به محمد. ثم قال تعالى «إِنَّها شَجَرَةٌ» يعنى الزقوم «تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» أى تنبت فى قعر جهنم «طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ» قيل: فى تشبيه ذلك برءوس الشياطين مع أن رؤس الشياطين لم تر قط ثلاثة أقوال:

أحدها- ان قبح صورة الشياطين متصور فى النفس و لذلك يقولون لشىء يستقبحونه جداً كأنه شيطان. و قال امرؤ القيس:

أ يقتلنى و المشرفى مضاجعى و مسنونة زرق كأنياب اغوال «٢»

فشبه النصول بأنياب الأغوال، و هى لم تر، و يقولون: كأنه رأس شيطان و انقلب علىّ كأنه شيطان.

---

(١) سورة ٥١ الذاريات آية ١٣.

(٢) ديوانه ١٦٢ و تفسير القرطبى ١٥/ ٨۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٠٣

الثانى- أنه شبه برأس حية يسميها العرب شيطاناً، قال الراجز:

منجرد يحلف حين أحلف كمثل شيطان الحماط أعرف «١»

الثالث- انه شبه بنبت معروف برءوس الشياطين. و قيل: قد دل اللَّه أنه يشوه خلق الشياطين فى النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم غاية الاستيحاش، فلذلك يشبه برءوسهم.

ثم أخبر تعالى أن اهل النار ليأكلون من تلك الشجرة و يملئون بطونهم منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع، و الملأ الطرح فى الوعاء ما لا يحتمل الزيادة عليه، فهؤلاء حشيت بطونهم من الزقوم بما لا يحتمل زيادة عليه.

ثم قال «إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها» يعنى الزيادة على شجرة الزقوم «لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ» فالشوب خلط الشىء بما ليس منه مما هو شر منه، و يقال هذا الطعام مشوب، و قد شابه شىء من الفساد، و الحميم إذا شاب الزقوم اجتمعت المكاره فيه من المرارة و الخشونة و نتن الرائحة، و الحرارة المحرقة- نعوذ باللَّه منها- و الحميم الحار الذى له من الإحراق المهلك أدناه قال الشاعر:

أحم اللَّه ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال «٢»

أى أدناه و حمم ريش الفرخ إذا نبت، حتى يدنو من الطيران و المحموم المقترب من حال الإحراق. و قال ابن عباس: يشربون الحميم المشروب من الزقوم أى قد شيب مع حرارته بما يشتد تكرهه. و الحميم الصديق القريب أى الدانى من القلب.

و قوله «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ» معناه أنهم يردون بعد ذلك إلى النار الموقدة. و فى ذلك دلالة على أنهم فى وقت ما يطعمون الزقوم

---

(١) تفسير القرطبى ١٥/ ٨٧.

(٢) اللسان (حمم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٠۴

بمعزل عنها، كما قال «يَطُوفُونَ بَيْنَها وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» «١» ثم حكى تعالى ان هؤلاء الكفار «أَلْفَوْا» يعنى صادفوا «آباءَهُمْ ضالِّينَ» عن الطريق المستقيم الذى هو طريق الحق «فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ» فى الضلال أى يقلدونهم و يتبعونهم، قال ابو عبيدة: معنى يهرعون يستحثون من خلفهم. و قيل: معناه يزعجون إلى الاسراع، هرع و أهرع لغتان

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٠] ..... ص : ٥٠۴

وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (۷۱) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (۷۲) فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳) إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۷۴) وَ لَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (۷۵)

وَ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۷۶) وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ (۷۷) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۷۸) سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ (۷۹) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۸۰)

عشر آيات.

اقسم اللَّه تعالى انه «لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ» قبل هؤلاء الكفار الذين هم فى عصر النبى صلى اللَّه عليه و آله عن طريق الحق و اتباع الهدى «أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ» من كان قبلهم لان اللام فى (لقد) هى لام القسم و تدخل على الجواب لقولك:

و اللَّه لقد كان كذا، و قد تدخل للتأكيد. و الضلال الذهاب عن الحق إلى طريق الباطل، تقول: ضل عن الحق يضل ضلالا. و الإضلال قد يكون

---

(۱) سورة ۵۵ الرحمن آية ۴۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۰۵

بمعنى الذم بالضلال و الحكم عليه به، و قد يكون بمعنى الأمر به و الإغراء كقوله «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» «۱». و الأكثر هو الأعظم فى العدد، و الأول الكائن قبل غيره. و أول كل شىء هو اللَّه تعالى، لأن كل ما سواه فهو موجود بعده.

ثم أقسم انه أرسل فيهم منذرين من الأنبياء و الرسل يخوفونهم باللَّه و يحذرونهم معاصيه. ثم قال «فَانْظُرْ» يا محمد «كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» و التقدير ان الأنبياء المرسلين لما خوفوا قومهم فعصوهم و لم يقبلوا منهم أهلكهم و أنزل عليهم العذاب، فانظر كيف كان عاقبتهم.

ثم استثنى من المنذرين فى الإهلاك عباده المخلصين الذين قبلوا من الأنبياء، و أخلصوا عبادتهم للَّه تعالى، فان اللَّه تعالى خلصهم من ذلك العذاب و وعدهم بالثواب.

ثم أخبر ان نوحاً نادى اللَّه و دعاه و استنصره على قومه، و أنه تعالى أجابه، و انه- جل و عز- نعم المجيب لمن دعاه و تقديره فلنعم المجيبون نحن له و لما أجابه نجاه و خلصه و أهله من الكرب العظيم، فالنجاة هى الرفع من الهلاك و أصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان و منه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا.

و الاستنجاء رفع الحدث. و الكرب الحزن الثقيل على القلب، قال الشاعر:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب «۲»

و الكرب تحرير الأرض بإصلاحها للزراعة. و الكرب هو الذى يحمى قلب النخلة باحاطته بها و صيانته لها. و العظيم الذى يصغر مقدار غيره عنه. و قد

---

(۱) سورة ۲۰ طه آية ۸۵.

(۲) مر فى ۶/ ۲۸۳.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۰۶

يكون التعظيم فى الخير و العظم فى الشر و العظم فى النفس. و قال السدى: معناه نجيناه و أهله من الغرق. و قال غيره: بل نجاهم من الأذى و المكروه الذى كان ينزل بهم من قومه، لأنه بذلك دعا ربه فأجابه. و قيل:

الذين نجوا مع نوح شيعته.

و قوله (وَ جَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْباقِينَ) قال ابن عباس و قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح بعد نوح. و قال قوم: العجم و العرب أولاد سام بن نوح و الترك و الصقالبة و الخزر أولاد يافث بن نوح، و السودان أولاد حام ابن نوح.

و قوله (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) قيل فى معناه قولان:

قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) يعنى ذكراً جميلا، و أثنينا عليه فى أمة محمد. و معنى (تركنا) أبقينا، فحذف، فيكون (سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ) من قول اللَّه على غير جهة الحكاية.

الثانى- قال الفراء: تركنا عليه قولا هو أن يقال فى آخر الأمم: سلام على نوح فى العالمين.

ثم قال (إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) كما فعلنا بنوح من الثناء الجميل، مثل ذلك نجزى من احسن أفعاله و تجنب المعاصى.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٨١ الى ٩٠] ..... ص : ۵۰۶

إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢) وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ (٨٣) إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨۴) إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ (٨۵)

أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨۶) فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۵۰۷

عشر آيات.

هذا رجوع من اللَّه تعالى إلى ذكر وصف نوح بأنه كان (مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصدقون بتوحيد اللَّه و وعده و وعيده و جميع أخباره. و العباد جمع عبد، و هو الذليل لملكه بالعبودية. و الخلق كلهم عباد اللَّه فمنهم عابد له و منهم عابد لغيره تضييعاً منهم لحق نعمه و جهلا بما يجب له عليهم. و المؤمن هو المصدق بجميع ما أوجب اللَّه عليه او ندبه اليه. و قال قوم: هو العامل بجميع ما أوجب اللَّه عليه العامل بما يؤمنه من العقاب.

ثم اخبر تعالى انه أغرق الباقين من قوم نوح بعد إخلاصه نوحاً و أهله المؤمنين. ثم قال (وَ إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ) فالشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، و صاروا بالعرف عبارة عن شيعة على عليه السلام الذين معه على أعدائه.

و قيل من شيعة نوح إبراهيم يعنى إنه على منهاجه و سنته فى التوحيد و العدل و اتباع الحق. و قال الفراء: معناه و إن من شيعة محمد صلى اللَّه عليه و آله لإبراهيم، كما قال (أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ) «١» أى ذرية من هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم و قد سبقوهم، و قال الحسن: معناه على دينه و شريعته و منهاجه، قال الرمانى:

هذا لا يجوز، لأنه لم يجر لمحمد ذكر، فهو ترك الظاهر. و

قد روى عن اهل

---

(١) سورة ٣۶ يس آية ۴١. [.....]

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۵۰٨

البيت عليهم السلام إن من شيعته على لإبراهيم.

و هذا جائز إن صح الخبر المروى فى هذا الباب، لأن الكناية عمن لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلك دليل، كما قال (حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ) «١» و لم يجر للشمس ذكر و يكون المعنى انه على منهاجه و طريقته فى اتباع الحق و العدول عن الباطل، و كان ابراهيم و على عليهما السلام بهذه المنزلة.

و قوله (إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) معناه حين جاء إلى الموضع الذى أمره اللَّه بالرجوع اليه بقلب سليم عن الشرك برىء من المعاصى فى الوقت الذى قال لأبيه و قومه حين رآهم يعبدون الأصنام من دون اللَّه على وجه التهجين لفعلهم و التقريع لهم (ما ذا تعبدون) أى ايّ شىء تعبدون من هذه الأصنام التى لا تنفع و لا تضر، و قال لهم (أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) فالافك هو اشنع الكذب و أفظعه، و الافك قلب الشىء عن جهته التى هى له، فلذلك كان الافك كذباً. و إنما جمع الآلهة مع أنه لا إله إلا إله واحد. على اعتقادهم فى الالهية. و إن كان توهمهم فاسداً، لما اعتقدوا أنها تستحق العبادة، و كان المشركون قد او غروا باتخاذ الآلهة إلى ان جاء دين الإسلام و بين الحق فيه و عظم الزجر.

و قوله (دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) معناه إنكم أ تريدون عبادة آلهة دون عبادة اللَّه، فحذف المضاف و أقام المضاف اليه مقامه، كما قال (وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ) «۲» أى أهلها، لان الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه. و هذه الأجسام ليست مما يحدث، فلا يصح إرادتها.

و قوله (فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ) قيل: معناه أى شىء ظنكم به أسوء

---

(۱) سورة ۳۸ ص آية ۳۲.

(۲) سورة ۱۲ يوسف آية ۸۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۰۹

ظن؟! و قيل معنى (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) أى انه استدل بها على وقت حمى كانت تعتاده (فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ) و من أشرف على شىء جاز أن يقال انه فيه، كما قال تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) «۱» و لم يكن نظره فى النجوم على حسب المنجمين طلباً للاحكام، لان ذلك فاسد، و مثله قول الشاعر:

اسهرى ما سهرت أم حكيم و اقعدى مرة لذلك و قومى

و افتحى الباب فانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

و قال الزجاج نظره فى النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهموا هم أنه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلك (إنى سقيم) فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه. و قال ابو مسلم: معناه إنه نظر فيها نظر مفكر فاستدل بها على أنها ليست آلهة له، كما قال تعالى فى سورة الأنعام (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قالَ هذا رَبِّي ...) تمام الآيات «۲» و كان هذا منه فى زمان مهلة النظر. و هذا الذى ذكره يمنع منه سياق الآية، لان اللَّه تعالى حكى عن ابراهيم أنه (جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يعنى سليم من الشرك، و ذلك لا يليق بزمان مهلة النظر. ثم أنه قال لقومه على وجه التقبيح لفعلهم (ما ذا تَعْبُدُونَ أَ إِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ. فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ) و هذا كلام عارف باللَّه مستبصر، و كيف يحمل على زمان مهلة النظر. و قيل: فى معنى قوله (إنى سقيم) إنى سقيم القلب مما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير اللَّه و عدولكم عن عبادته مع وضوح الأدلة الدالة على توحيده و استحقاقه للعبادة منفرداً بها. و قيل: إنه كان عرضت له

---

(۱) سورة ۳۹ المزمل آية ۳۰.

(۲) سورة ۶ الانعام آية ۷۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۱۰

علة فى الحال، و كان صادقاً فى ذلك. و قيل: معناه إن عاقبتى الموت، و من كان عاقبته الموت جاز أن يعبر عن حال حياته بأنه مريض. و قيل: معناه إنى سأسقم فى المستقبل، و قيل: إنه أراد بقوله: سقيم مطعون، فلذلك تركوه خوفاً من أن يتعدى اليهم الطاعون. فأما من قال: إنه لم يكن سقيماً و إنما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم إلى عيدهم لتكسير أصنامهم و انه يجوز الكذب فى المكيدة

و التقية، فقوله باطل، لان الكذب قبيح لا يحسن على وجه.

فأما ما يرونه من

أن النبى صلى اللَّه عليه و آله قال (ما كذب أبى إبراهيم الا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه: قوله إنى سقيم و لم يكن كذلك، و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا) و قوله فى سارة انها أختى و كانت زوجته).

فأول ما فيه أنه خبروا احد لا يعول عليه. و النبى صلى اللَّه عليه و آله أعرف بما يجوز على الأنبياء و ما لا يجوز من كل واحد، و قد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فى ما يؤدونه عن اللَّه من حيث أنه كان يؤدى إلى ان لا يوثق بشىء من اخبارهم و إلى أن لا ينزاح علة المكلفين، و لا فى غير ما يؤدونه عن اللَّه من حيث أن تجويز ذلك ينفر عن قبول قولهم، فإذاً يجب ان يقطع على ان الخبر لا أصل له. و لو سلم لجاز أن يكون المعنى مع ظاهره مظاهر للكذب، و إن لم يكن فى الحقيقة كذلك، لان قوله (إنى سقيم) قد بينا الوجه فيه. و قوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ) بيناه فى موضعه. و قوله فى سارة إنها اختى معناه إنها اختى فى الدين، و قد قال اللَّه تعالى إنما المؤمنون أخوة، و إن لم يكونوا بنى أب واحد.

و قوله (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ) اخبار منه تعالى أنه حين قال لهم إنى التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۱۱

سقيم أعرضوا عنه و تركوه و خرجوا إلى عيدهم و هو متخلف عنهم.

قوله تعالى:[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۹۱ الى ۱۰۱] ..... ص : ۵۱۰

فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ (۹۱) ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ (۹۲) فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ (۹۳) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (۹۴) قالَ أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ (۹۵)

وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ (۹۶) قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (۹۷) فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ (۹۸) وَ قالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ (۹۹) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۰۰)

فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (۱۰۱)

احدى عشر آية.

قرأ حمزة و المفضل عن عاصم (يزفون) بضم الياء. الباقون بفتحها، و هما لغتان. و زففت اكثر. و يجوز أن يكون المراد زفّ الرجل فى نفسه و أزف غيره، و التقدير فأقبلوا اليه يزفون أنفسهم.

قوله (فَراغَ إِلى آلِهَتِهِمْ) معناه مال إليها بحدة، تقول: راغ يروغ روغاً و روغاناً مثل حاد يحيد حيداً و حيداناً، و الرّواغ الحياد، قال عدى ابن زيد:

حين لا ينفع الرواغ و لا ينفع إلا الصادق النحرير «۱»

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۳/ ۴۱.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۱۲

و إنما مال اليها بحدة غضباً على عابديها، و قوله (إلى آلهتهم) معناه إلى ما يدعون أنها آلهتهم أى إلى ما اتخذوها آلهة لهم، كما تقول. للمبطل: هات حجتك مع علمك انه لا حجة له.

و قوله (فَقالَ أَ لا تَأْكُلُونَ) إنما جاز ان يخاطب الجماد بذلك تهجينا لعابديها و تنبيها على أن من لا يتكلم و لا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها، فاجراها مجرى من يفهم الكلام و يحسن ذكر الجواب استظهاراً فى الحجة و إيضاحاً للبرهان، لكل من سمع ذلك و يبلغه. و قوله (ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ) معناه تهجينا لعابديها كأنهم حاضرون بها. و قوله (فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ) قيل فى معناه

قولان:

أحدهما- انه مال عليهم بيده اليمنى، لأنها أقوى على العمل من الشمال.

الثانى- بالقسم ليكسرنها، لأنه كان قال (وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ) «١» و قال الفراء: اليمين القوة، و منه قول الشاعر:

[إذ ما راية رفعت لمجد] تلقاها عرابة باليمين «٢»

أي بالقوة. و قوله (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) قال ابن زيد: معناه يسرعون.

و قال السدى: يمشون. و قيل: يتسللون بحال بين المشيء و العدو، و منه زفت النعامة، و ذلك أول عدوها، و هو بين العدو و المشى، و قال الفرزدق:

و جاء فزيع الشول قبل أوانها تزف و جاءت خلفه و هى زفف «٣»

و منه زفت العروس إلى زوجها، و معنى يزفون يمشون على مهل، قال الفراء: لم أسمع إلا زففت، قال و لعل من قرأ بالضم أراد من قولهم طردت الرجل إذا أخسأته

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٥٧.

(٢) تفسير القرطبى ١٥/ ٧٥.

(٣) تفسير الطبرى ٢٣/ ٤٢ و القرطبى ١٥/ ٩٥.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥١٣

و اطردته جعلته طريداً. و قرأ بعضهم (يزفون) يفتح الياء و تخفيف الفاء من (وزف، يزف) قال الكسائى و الفراء: لا اعرف هذه إلا أن يكون أحدهم سمعها. فلما رآهم ابراهيم صلى اللَّه عليه و آله اقبلوا عليه قال لهم على وجه الإنكار عليهم و التبكيت لهم بفعلهم (أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) فالالف ألف الاستفهام و معناها الإنكار و وجه التوبيخ انه كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمله بيده!، فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله مضافاً إلى كونها جماداً!. ثم نبههم فقال (وَ اللَّهُ) تعالى هو الذى (خلقكم) و خلق الذى (تعملون) فيه من الأصنام، لأنها أجسام و اللَّه تعالى هو المحدث لها، و ليس للمجبرة أن تتعلق بقوله (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ) فتقول: ذلك يدل على ان اللَّه خالق لأفعالنا، لأمور:

أحدها- ان موضوع كلام ابراهيم لهم بنى على التقريع لهم لعبادتهم الأصنام، و لو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب، بل كان لهم ان يقولوا: لم توّبخنا على عبادتنا للأصنام و اللَّه الفاعل لذلك، فكانت تكون الحجة لهم لا عليهم.

الثانى- انه قال لهم (أَ تَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ) و نحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذى هو فعلهم، و إنما كانوا يعبدون الأصنام التى هى الأجسام و هى فعل اللَّه بلا شك. فقال لهم (وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ) و خلق هذه الأجسام.

و مثله قوله (فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ) «١» و مثله قوله (وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا) «٢» و عصا موسى لم تكن تلقف إفكهم، و إنما

---

(١) سورة ٧ الاعراف آية ١١۶.

(٢) سورة ٢٠ طه آية ۶٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥١٤

كانت تتلقف الأجسام التى هى العصا و الحبال.

و منها ان (ما) فى قوله (و ما تعملون) لا يخلو من ان تكون بمعنى (الذى) او تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذى)

ف (تعملون) صلتها، و لا بد لها من عائد يعود اليها، فليس لهم أن يقدروا فيها ضميراً لها ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميراً فيه فيصح ما نقوله، و يكون التقدير: و ما يعملون فيه، و الذى يعملون فيه هى الأجسام و إن كانت مصدرية فانه يكون تقديره: و اللَّه خلقكم و عملكم، و نفس العمل يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم فى العرف إلا ذلك، يقال فلان يعمل الخوص، و فلان يعمل السروج، و هذا الباب من عمل النجار، و الخاتم من عمل الصانع، و يريدون بذلك كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت و النجر، على أنه تعالى أضاف العمل اليهم بقوله (وَ ما تَعْمَلُونَ) فكيف يكون ما هو مضاف اليهم مضافا إلى اللَّه تعالى و هل يكون ذلك إلا متناقضاً.

و منها أن الخلق فى أصل اللغة هو التقدير للشىء و ترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أن نقول: إن اللَّه خالق أفعالنا بمعنى أنه قدرها للثواب و العقاب، فلا تعلق للقوم على حال.

ثم حكى تعالى ما قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض فإنهم (قالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْياناً) قيل: انهم بنوا له شبه الحظيرة. و قيل مثل التنور و أججوا ناراً ليلقوه فيها. و البناء وضع الشىء على غيره على وجه مخصوص، و يقال لمن رد الفرع إلى الأصل بناه عليه (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) بمعنى اطرحوه فى النار التى اججوها له. و الجحيم عند العرب النار التى تجتمع بعضها على بعض. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۵۱۵

ثم اخبر تعالى ان كفار قوم ابراهيم انهم (فَأَرادُوا بِهِ كَيْداً) و حيلة و هو ما أرادوا من إحراقه بالنار (فَجَعَلْناهُمُ الْأَسْفَلِينَ) بأن اهلكهم اللَّه و نجا ابراهيم و قيل منع اللَّه- عز و جل- النار منه بل صرفها فى خلاف جهته، فلما أشرفوا على ذلك علموا انهم لا طاقة لهم به.

ثم حكى ما قال ابراهيم حين أرادوا كيده، فانه قال (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي) و معناه إلى مرضات اللَّه ربى بالمصير إلى المكان الذى أمرنى ربى بالذهاب اليه. و قيل: إلى الأرض المقدسة و قيل إلى ارض الشام. و قال قتادة: معناه (إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي) أى بعملى و نيتى، و معنى (سيهدين) يعنى يهدينى فى ما بعد الى الطريق الذى أمرنى بالمصير اليه أو الى الجنة بطاعتى إياه.

ثم دعا ابراهيم ربه فقال (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) يعنى ولداً صالحاً من الصالحين، كما تقول: أكلت من الطعام، و حذف لدلالة الكلام عليه، فأجابه اللَّه تعالى إلى ذلك و بشره بغلام حليم اى حليماً لا يعجل فى الأمور قبل وقتها، و فى ذلك بشارة له على بقاء الغلام حتى يصير حليماً.

و قال قوم: المبشر به إسحاق و قال آخرون إسماعيل، و نذكر خلافهم فى ذلك فى ما بعد.

قوله تعالى:[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۰۲ الى ۱۱۱] ..... ص : ۵۱۵

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (۱۰۲) فَلَمَّا أَسْلَما وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ (۱۰۳) وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ (۱۰۴) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۰۵) إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (۱۰۶)

وَ فَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (۱۰۷) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۱۰۸) سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ (۱۰۹) كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۱۰) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۱)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ۵۱۶

عشر آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا عاصما (ما ذا ترى) بضم التاء و كسر الراء.

الباقون بفتح التاء. من ضم التاء أراد ما ذا تشير، و قال الفراء: يجوز ان يكون المراد ما ذا ترى من صبرك و جلدك، لأنه لا يستشيره فى أمر اللَّه.

و أصله ترئى فنقلوا كسرة الهمزة إلى الراء، و حذفت الهمزة لسكونها و سكون الياء. و من فتح جعله من الرأى و الرؤية، لا- من المشورة.

لما اخبر اللَّه تعالى انه أجاب دعوة إبراهيم فى طلب الولد و بشره بولد حليم اخبر ان من وعده به ولد له و كبر و ترعرع، فلما بلغ مع أبيه السعى يعنى فى طاعة اللَّه، قال الحسن سعى للعمل الذى تقوم به الحجة. و قال مجاهد:

بلغ معه السعى. معناه أطاق ان يسعى معه و يعينه على أموره، و هو قول الفراء قال: و كان له ثلاث عشرة سنة، و قال ابن زيد: السعى فى العبادة (قال يا بنى انى أرى فى المنام إنى أذبحك فانظر ما ذا ترى) و كان اللَّه تعالى أوحى إلى ابراهيم فى حال اليقظة، و تعبده أن يمضى ما يأمره فى حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة، و لو لم يأمره التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۱۷

به فى اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب ان يعلم حال ابنه فى صبره على أمر اللَّه و عزيمته على طاعته. فلذلك قال له ما ذا ترى، و إلا فلا يجوز أن يؤامر فى المضى فى امر اللَّه ابنه، لأنه واجب على كل حال.

و لا يمتنع ايضاً أن يكون فعل ذلك بأمر اللَّه أيضاً، فوجده عند ذلك صابراً مسلماً لأمر اللَّه. (و قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ) اى ما أمرت به (سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) ممن يصبر على الشدائد فى حب اللَّه و يسلم أمره اليه (فلما أسلما) يعنى ابراهيم و ابنه اى استسلما لأمر اللَّه و رضيا به أخذ ابنه (و تله للجبين) معنى تله صرعه. و الجبين ما عن يمين الجبهة او شمالها و للوجه جبينان الجبهة بينهما. و قال الحسن: معنى و تله أضجعه للجبين. و منه التل من التراب و جمعه تلول. و التليل العنق، لأنه يتل له، (وَ نادَيْناهُ أَنْ يا إِبْراهِيمُ) و (ناديناه) هو جواب (فلما) قال الفراء: العرب تدخل الواو فى جواب (فلما) و (حتى) و (إذا) كما قال (حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها) «۱» و فى موضع آخر (و فتحت) «۲» و فى قراءة عبد اللَّه (فلما جهزهم بجهازهم و جعل السقاية) «۳» و فى المصاحف (جعل) بلا واو و موضع ان نصب بوقوع النداء عليه و تقديره و ناديناه بأن يا ابراهيم أى هذا الضرب من القول فلما حذف الباء نصب. و عند الخليل انه فى موضع الجر (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا) و معناه فعلت ما أمرت به فى الرؤيا و اختلفوا فى الذبيح. فقال ابن عباس و عبد اللَّه بن عمر و محمد بن كعب القرظى و سعيد ابن المسيّب و الحسن فى احدى الروايتين عنه و الشعبى:

انه كان إسماعيل و هو الظاهر فى روايات أصحابنا.

و يقويه قوله بعد هذه القصة و تمامها

(۱، ۲) سورة ۳۹ الزمر آية ۷۱، ۷۳.

(۳) سورة ۱۲ يوسف آية ۷۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۱۸

(وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) فدل على ان الذبيح كان إسماعيل.

و من قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده، فقد ترك الظاهر لان الظاهر يقتضى البشارة بإسحاق دون نبوته، و يدل ايضاً عليه قوله (فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ) و لم يذكر إسماعيل، فدل على انه كان مولوداً قبله و ايضاً فانه بشره بإسحاق و انه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك. و أجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق. و قالوا ايضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب، و الاول هو الأقوى على ما بيناه. و

قد روى عن النبى صلى اللَّه عليه و آله انه قال: انا ابن الذبيحين

، و لا خلاف انه كان من ولد إسماعيل و الذبيح الآخر عبد الله أبوه. و روى عن ابن عباس و على و ابن مسعود و كعب الأحبار انه كان إسحاق. و روى ذلك ايضاً فى اخبارنا.

و فی الناس من استدل بهذه الآیة علی جواز النسخ قبل وقت فعله من حیث ان الله تعالی کان قد أمره بذبح ولده ثم نسخ عنه قبل ان یفعله، و لا یمکننا ان نقول ان الوقت کان قد مضی، لأنه لو أخره عن الوقت الذی أمره به فیه لکان عاصیاً، و لا خلاف أن ابراهیم لم یعص بذلک، فدل علی انه نسخ عنه قبل وقت فعله.

و من لم یجز النسخ قبل وقت فعله أجاب عن ذلک بثلاثة أجوبة:

أحدها- ان اللّه تعالی أمر ابراهیم ان یقعد منه مقعد الذابح و یشدّ یدیه و رجلیه و یأخذ المدیة و یترکها علی حلقه و ینتظر الأمر بإمضاء الذبح علی ما رأی فی منامه و کل ذلک فعله، و لم یکن أمره بالذبح، و إنما سمی مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه و غلبة الظن انه سیؤمر بذلک علی ضرب من المجاز. التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۱۹

الثانی- أنه إنما أمره بالذبح و ذبح، و کل ما فری جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتی انتهی إلی آخره فاتصل به، وصله الله تعالی، فقد فعل ما أمر به و لم یبن الرأس و لا انتفی الروح.

الثالث- انه امر بالذبح بشرط التخلیة و التمکین، فکان کما

روی انه کلما أعمد بالشفرة انقلبت و جعل علی حلقه صفحة من نحاس

، و هذا الوجه ضعیف، لان الله تعالی لا یجوز ان یأمر بشرط، لأنه عالم بالعواقب، و إنما یأمر الواحد منا بشرط ذلک لأنه لا یعلم العواقب، و لان فیه انه أمر بما منع منه و هذا عیب فاما قول من قال: انه فداه بذبح، فدل ذلک علی انه کان مأموراً بالذبح علی الحقیقة، اعتراضاً علی الوجه الأول، لان من شأن الفداء أن یکون من جنس المفدی، فلیس بشیء، لأنه لا یلزم ذلک الا تری ان من حلق رأسه و هو محرم یلزمه ذلک، و کذلک إذا لبس ثوباً مخیطاً او شم طیباً او جامع. و إن لم یکن جمیع ذلک من جنس المفدی.

و قوله (إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) معناه إنا جازینا ابراهیم علی فعله بأحسن الجزاء. و مثل ذلک نجزی کل من فعل طاعة، فانا نجازیه علی فعله بأحسن الجزاء.

ثم اخبر تعالی بأن هذا الذی تعبد به إبراهیم هو البلاء المبین أی الاختبار الظاهر و قیل: هو النعمة البینة الظاهرة، و تسمی النعمة بلاء و النقمة ایضاً بلاء من حیث انها سمیت بسببها المؤدی الیها، کما یقال لأسباب الموت هو الموت بعینه (و المبین) هو البین فی نفسه الظاهر، و یکون بمعنی الظاهر، و یکون بمعنی المظهر ما فی الأمر من خیر او شر.

ثم قال تعالی (و فدیناه) یعنی ولد إبراهیم (بذبح عظیم) فالفداء جعل التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۲۰

الشیء مکان غیره لدفع الضرر عنه، و منه فداء المسلمین بالمشرکین لدفع ضرر الأشد عنهم، فکذلک فداء اللّه ولد إبراهیم بالکبش لدفع ضرر الذبح عنه.

و العظیم هو الکبیر. و قیل: لان الکبش الذی فدی به یصغر مقدار غیره من الکباش عنه بالاضافة الیه. و قال ابن عباس: فدی بکبش من الغنم. و هو قول مجاهد و الضحاک و سعید بن جبیر. و قال الحسن: فدی بوعل أهبط به علیه جبرائیل. و قیل: إنه لا خلاف انه لم یکن من الماشیة التی کانت لإبراهیم او غیره فی الدنیا. و قیل: إنه رعی فی الجنة أربعین خریفاً. و قال مجاهد:

وصفه بأنه عظیم، لأنه متقبل. و الذبح بکسر الذال المهیأ، لان یذبح. و بفتح الذال المصدر.

و قوله (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) یعنی علی إبراهیم فی الآخرین یعنی أثبتنا علیه الثناء الحسن فی أمة محمد لأنهم آخر الأمم بأن قلنا (سَلامٌ عَلى إِبْراهِيمَ) و قد بینا ما فی ذلک ثم قال مثل ذلک نجزی کل محسن، فاعل لما أمر اللّه به کما جازینا ابراهیم صلی اللّه علیه و آله.

ثم أخبر تعالی ان إبراهیم کان من جملة عباده الذین یصدقون بتوحید الله و بجمیع ما أوجبه علیهم، و من جملة المصدقین بوعد الله و وعیده و البعث و النشور و الجنة و النار. و انما قال (إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) مع انه أفضل المؤمنین ترغیباً فی الایمان بأن مدح مثله فی جلالته بأنه من المؤمنین، کما یقال هو من الکرماء و کذلک قوله (وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) «۱» و إذا مدح بأنه یصلح وحده فلأنه لا یقوم

غيره مقامه و يستغنى به عنه.

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۳۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۲۱

قوله تعالى:[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۱۲ الى ۱۲۲] ..... ص : ۵۲۱

وَ بَشَّرْناهُ بِإِسْحاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۱۲) وَ بارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلى إِسْحاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِما مُحْسِنٌ وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (۱۱۳) وَ لَقَدْ مَنَنَّا عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۱۴) وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (۱۱۵) وَ نَصَرْناهُمْ فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۱۱۶)

وَ آتَيْناهُمَا الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ (۱۱۷) وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۱۱۸) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ (۱۱۹) سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۰) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۲۱)

إِنَّهُما مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۲۲)

احدى عشرة آية.

يقول اللَّه تعالى بعد ان ذكر قصة ابراهيم و ولده الذى اخبر اللَّه بذبحه على ما فسرناه، بشره بإسحاق ولداً له آخر، نعمة عليه مجددة لما فعل من المسارعة إلى ما أمره اللَّه به و صبره على احتمال المشقة فيه، و بين انه نبياً من الصالحين، و أنه بارك عليه يعنى على يعقوب و على إسحاق و خلق من ذريتهما الخلق الكثير، فمنهم محسن بفعل الطاعات و منهم ظالم لنفسه بارتكاب المعاصى بسوء اختياره، مبين أى بين ظاهر.

ثم اقسم تعالى بأنه منّ على موسى و هارون أى أنعم عليهما نعمة قطعت عنهما التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۲۲

كل أذية، فأصل المّن القطع من قوله (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) «۱» أى غير مقطوع، و حبل منين متقطع و المنية الموت، لأنها قاطعة عن تصرف الحى و البركة ثبوت الخير النامى على مرور الأوقات فبركته على إبراهيم و إسحاق باللطف فى دعائهما إلى الحق، و بالخبر عن أحوال جليلة فى التمسك بطاعة اللَّه (وَ نَجَّيْناهُما وَ قَوْمَهُما) و معناه إنا خلصنا موسى و هارون، و من كان آمن بهما (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الأذى الذى كان يؤذونهم بأن أهلك اللَّه فرعون و قومه و غرقهم (وَ نَصَرْناهُمْ) يعنى موسى و هارون و قومهما، (فَكانُوا هُمُ الْغالِبِينَ) لاعدائهم بالحجج الظاهرة و بالقهر، من حيث أن اللَّه غرق أعداءهم (و آتيناهما) يعنى موسى و هارون (الْكِتابَ الْمُسْتَبِينَ) يعنى التوراة الداعى إلى ما فيه من البيان بالمحاسن التى تظهر منه فى الاستماع، فكل كتاب لله بهذه الصفة من ظهور الحكمة فيه (وَ هَدَيْناهُمَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) يعنى أرسلنا موسى و هارون و دللناهما على الطريق المؤدى إلى الحق الموصل إلى الجنة بإخلاص الطاعة لله تعالى. و قال قتادة: الطريق المستقيم الإسلام (وَ تَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الْآخِرِينَ) أى الثناء الجميل. بأن قلنا (سَلامٌ عَلى مُوسى وَ هارُونَ) كما قلنا (سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ) «۲».

ثم اخبر تعالى ان مثل ما فعل لهما يفعل بالمحسنين المطيعين و يجزيهم بمثل ذلك على طاعاتهم، و دل ذلك على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب على الطاعات لموسى و هارون و من تقدم ذكره، لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك. ثم اخبر ان موسى من جملة عباده المصدقين بجميع ما أوجبه الله عليهم العالمين بذلك.

---

(۱) سورة ۹۵ التين آية ۶. [.....]

(۲) آية ۷۹ من هذه السورة.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۲۳

قوله تعالى:[سورة الصافات (۳۷): الآيات ۱۲۳ الى ۱۳۲] ..... ص : ۵۲۳

وَ إِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) أَ تَدْعُونَ بَعْلاً وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخالِقِينَ (۱۲۵) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (۱۲۶) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (۱۲۷)

إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (۱۲۸) وَ تَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (۱۲۹) سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ (۱۳۰) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۱۳۱) إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (۱۳۲)

عشر آيات.

قرأ اهل الكوفة إلا أبا بكر (اللَّه ربكم و رب آبائكم) نصباً. الباقون بالرفع. من نصب جعله بدلا من قوله (أَحْسَنَ الْخالِقِينَ) و من رفع استأنف الكلام، و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب (سلام على آل ياسين) على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقون (على إلياسين) موصولة. من أضاف أراد به على آل محمد صلى اللَّه عليه و آله لأن (يس) اسم من اسماء محمد على ما حكيناه. و قال بعضهم: أراد آل الياس عليه السلام. و قال الجبائى أراد أهل القرآن، و من لم يضف أراد الياس. و قال: الياسين، لان العرب تغير الأسماء العجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل و ميكائين، و ميكال و ميكائل، و فى أسماعيل اسماعين قال الشاعر:

يقول اهل السوق لما جينا هذا و رب البيت اسرائينا «۱»

(۱) تفسير الطبرى ۲۳/ ۵۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸ ص: ۵۲۴

و فى قراءة عبد اللَّه (و إن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين) و قيل أيضاً إنه جمع، لأنه أراد الياس و من آمن معه من قومه، و قال الشاعر:

قدنى من نصر الخبيبين قدى «۱»

فجعل ابن الزبير أبا خبيباً و من كان على رأيه عدداً و لم يضفهم بالياء فيقول: خبيبين، فخفف فى الشعر مثل الأشعرين، و كما قالوا: سيرة العمرين و خير الزهدمين، و إنما أحدهما زهدم و الآخر كردم. و قال قوم: تقديره على (آل ياسين) فخفف، لأنه أراد الياساً و قومه، كما قالوا: الأشعرون و المهليون. قال الشاعر:

انا ابن سعد أكرم السعدينا

و كلهم قرأ (و إن الياس) بقطع الهمزة إلا ان أبا عامر، فانه فصل الهمزة و أسقطها فى الدرج، فإذا ابتدأ فتحها، قال ابو على النحوى: يجوز أن يكون حذف الهمزة حذفاً، كما حذفها ابو جعفر فى قوله (إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ) «۲» و يحتمل أن تكون الهمزة التى تصحب لام التعريف، و هى تسقط فى الدرج، و أصله (ياس).

اخبر اللَّه تعالى أن الياس من جملة من أرسله اللَّه إلى خلقه نبياً داعياً إلى توحيده و طاعته حين (قالَ لِقَوْمِهِ أَ لا تَتَّقُونَ) اللَّه بترك معاصيه و فعل طاعاته، فاللفظ لفظ الاستفهام و المراد به الإنكار، كما يقول القائل ألا تتقى الله يا فلان فى أن تظلم أو تزنى، و ما أشبه ذلك، و إنما يريد بذلك الإنكار. ثم قال لهم (أَ تَدْعُونَ بَعْلًا) قال الحسن و الضحاك و ابن زيد:

المراد بالبعل- هاهنا- صنم كانوا يعبدونه، و البعل فى لغة اهل اليمن هو

(۱) تفسير القرطبى ۱۵/ ۱۱۸.

(۲) سورة ۷۴ المدثر آية ۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٢٥

الرب، يقولون من بعل هذا الثوب أى من ربه- و هو قول عكرمة و مجاهد و قتادة و السدى- و يقولون: هو بعل هذه الدابة أى ربها، كما يقولون:

رب الدار و رب الفرس، و زوج المرأة بعلها، و النخل و الزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل، و هو العذى، خلاف السقى. و الأصل فى الرب المالك فالزوج رب البضع، لأنه مالكه.

و معنى الآية أ تدعون بالالهية صنماً عادلين عن أحسن الخالقين، و هذا إنكار عليهم أن يعتقدوا أن غير الله إله او يقولون لغيره يا إلهى. و قال قتادة: الياس و هو إدريس، و قال ابن إسحاق: هو من ولد هارون، و هو اسم نبى و هو أعجمى، فلذلك لم ينصرف، و لو جعل (افعالا) من الاليس و هو الشجاع الجرىء لجاز.

ثم بين لهم الذى هو أحسن الخالقين، فقال (اللَّهَ رَبَّكُمْ الذى خلقكم وَ رَبَّ آبائِكُمُ) أى الذى دبركم و خلقكم، و خلق آباءكم (الأولين) يعنى من مضى من آبائكم و أجدادكم.

ثم حكى ان قومه كذبوه و لم يصدّقوه، و أن الله أهلكهم و أنهم لمحضرون عذاب النار. ثم استثنى من جملتهم عباده الذين أخلصوا عبادتهم لله و بين انه أثنى عليهم فى آخر الأمم بأن قال (سلام على آل ياسين) و آل محمد صلى اللَّه عليه و آله هم كل من آل اليه بحسب او بقرابة، و قال قوم: آل محمد كل من كان على دينه، و لا خلاف بين النحويين أن اصل (آل) اهل فغلبوا الهاء همزة و جعلوها مدة لئلا يجتمع ساكنان، ألا ترى أنك إذا صغرت قلت أهيل و لا يجوز أويل، لأنه رد الى الأصل لا إلى اللفظ.

و قوله (ا فلا تعقلون) معناه تتدبرون و تتفكرون فى ما نزل بهؤلاء التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٢٦

القوم و تعتبرون به لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال. و فى قوله (لمحضرون) حذف، لان تقديره فإنهم لمحضرون العقاب و اليم العذاب لتكذيبهم و الجزاء بما تقتضيه الحكمة فيهم. و هذا الإبهام تغليظ فى الوعيد بالعذاب، لأنه لعظمه معلوم لا يخفى أمره، و وجه الحجة عليهم فى قوله (وَ رَبَّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) انه إذا كان الرب واحداً وجب اخلاص العبادة لواحد، لأنه الذى يملك الضرر و النفع فى جميع الأمور، و ذلك يبطل عبادة الأوثان.

ثم قال كما جازينا هؤلاء بهذا الجزاء و هو ان أثنينا عليهم فى آخر الأمم مثل ذلك نجزى من فعل الطاعات و اجتنب المعاصى.

ثم اخبر ان الياس كان من جملة عباده المصدقين بجميع ما اخبر الله به من وعد و وعيد و غير ذلك، العاملين بما أوجب الله عليهم.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨] ..... ص : ٥٢٦

وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلاَّ عَجُوزاً فِي الْغابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦) وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧)

وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَساهَمَ فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)

فَآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (١٤٨)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٢٧

ست عشرة آية.

أخبر اللَّه تعالى أن لوطاً كان من جملة من أرسله اللَّه نبياً إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعة اللَّه و منبهاً لهم على وجه وحدانيته، و إن قومه

كذبوه و جحدوا نبوته فأهلكهم اللَّه و نجا لوطاً و أهله أجمعين، و استثنى من جملة اهله الناجين (عجوزاً) أهلكها اللَّه، لكونها على مثل ما كان قومه عليه (فى الغابرين) أى فى الباقين الذين اهلكوا، فالغابر الباقى قليلا بعد ما مضى، و منه الغبار، لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا. و التغبير التلحين لأنه يبقى الصوت فيه بالترديد قليلا، و منه قول الشاعر:

به غبر من دأبه و هو صالح

ثم انه لما نجى لوطاً و أهله و خلصهم، دمر الآخرين من قومه.

و التدمير الإهلاك على وجه التنكيل دمر عليهم إذا غير حالهم إلى حال التشويه، فالله تعالى أهلك قوم لوط بما أرسل عليهم من الحجارة، و بما فعل بهم من انقلاب قراهم.

و قوله (وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ)

توبيخ من الله للكفار الذين عاصروا النبى صلى اللَّه عليه و آله و تعنيف لهم على ترك اعتبارهم و إيقاظهم بمواضع هؤلاء الذين أهلكهم الله و دمر عليهم مع كثرة مرورهم التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۲۸

عليها صباحاً و مساء و ليلا و نهاراً. و فى كل وقت. و من كثر مرورهم بمواضع العبرة فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلك منه.

و قوله (أ فلا تعقلون) معناه أ فلا تتدبرون فتتفكرون فى ما نزل بهؤلاء القوم من الكفر و الضلال. و قيل: وجه القصص و تكريرها، كتشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و صرف الناس عن مساوى الأخلاق و قبائح الأفعال قال الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

ثم قال تعالى مخبراً عن يونس عليه السلام انه كان من جملة من أرسله الله الى خلقه و جعله نبياً يدعو الى توحيده و خلع الأنداد دونه.

و قوله (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

معناه حين هرب إلى السفن المملوءة، فالإباق الفرار، فالآبق الفار إلى حيث لا يهتدى اليه طالبه يقال:

أبق العبد يأبق أباقاً فهو آبق إذا فرّ من مولاه. و الآبق و الهارب و الفار واحد. قال الحسن: فر من قومه (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)

أى المحمل الموقر. و قوله (فساهم) قال ابن عباس معناه قارع. و هو قول السدى (فَكانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ)

قال مجاهد: يعنى من المسهومين، و المساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فالقى فى البحر، فالتقمه الحوت، فكان من المدحضين، قال الحسن كان من المقروعين. و قيل:

معناه فكان من الملقين فى البحر، و الدحض الزلق لأنه يسقط عنه المار فيه.

و منه قوله (حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ) «۱» أى ساقطة، و دحض يدحض دحضاً فهو داحض، و أدحضته ادحاضاً، و قيل: كان يونس عليه السلام قد توعدهم بالعذاب

---

(۱) سورة ۴۲ الشورى آية ۱۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۲۹

ان أقاموا على ما هم عليه، فلما رأوا مخايل العذاب و أماراته دعوا اللَّه أن يكشف عنهم و تابوا اليه، فكشفه. و كان يونس قد خرج قبل ان يأمره اللَّه- عز و جل- بالخروج من بين قومه استظهاراً، فلما كشف اللَّه عنهم لام نفسه على الخروج و مضى على وجهه إلى ان ركب البحر. و قيل: إنما تساهموا لأنهم أشرفوا على الغرق فرأوا ان طرح واحد أيسر من غرق الجميع. و قيل:

لا بل لما رأوا الحوت قد تعرضت لهم، قالوا فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به فى البحر فالتقمه الحوت. و معناه ابتلعه يقال التقمه التقاماً و لقم يلقم لقماً و تلقم تلقماً.

و قوله (وَ هُوَ مُلِيمٌ) معناه أتى بما يلام عليه، و إن وقع مكفراً عند من قال بتجويز الصغائر على الأنبياء، و عندنا قد يلام على ترك

الندب، يقال ألام الرجل إلامة فهو مليم، و قال مجاهد و ابن زيد: المليم المذنب قال لبيد:

سفها عذلت و لمت غير مليم و هداك قبل اليوم غير حكيم «١»

ثم قال (فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) قال قتادة: كان من المصلين فى حال الرخاء فنجاه اللَّه من البلاء. و قال سعيد بن جبير: كان يقول لا إله إلا انت سبحانك إنى كنت من الظالمين، و التسبيح التنزيه عما لا يليق و لا يجوز فى صفته، و يقال: سبح اللَّه يسبح تسبيحاً إذا قال: سبحان اللَّه معظماً له بما هو عليه من صفات التعظيم نافياً عنه ما لا يليق به و لا يجوز عليه من صفات المخلوقين و المحتاجين.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٧۴ و اللسان (لوم).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵٣٠

و قوله (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) إخبار منه تعالى انه لو لا تسبيح يونس لتركه اليه أى كان يبقى فى بطنه إلى يوم القيامة الذى يحشر اللَّه فيه الخلائق، و قوله (فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ) إخبار منه تعالى انه لما أراد تخليصه طرحه بالعراء و هو الفضاء الذى لا يواريه شجر و لا غيره. قال الشاعر:

فرفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى «١»

و قال السدى: لبث فى بطن الحوت أربعين يوماً (وَ هُوَ سَقِيمٌ) أى هو مريض حين ألقاه الحوت.

ثم اخبر تعالى انه أنبت عليه شجرة من يقطين تكنه من حر الشمس.

و اليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، فهى يقطين و قال ابن عباس و قتادة: هو القرع. و قال مجاهد و سعيد بن جبير كل شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ و الدبا و القرع فهو يقطين. و هو تفعيل من قطن بالمكان إذا اقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل و الزيتون و نحوه و القطانى من الحبوب التى تقيم فى البيت، قال أمية بن أبى الصلت.

فانبت يقطيناً عليه برحمة من اللَّه لو لا الله القى ضاحياً «٢»

و روى عن ابن عباس ان اليقطين كل شجرة لها ورق عريض. و قوله (وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) قيل: أرسل اللَّه يونس الى أهل نينوى من أرض الموصل- فى قول قتادة- و قال ابن عباس: كانت رسالته بعد ما نبذه الحوت، فيجوز على هذا انه أرسل إلى قوم بعد قوم و يجوز أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها. و قيل: إن قوم يونس لما رأوا أمارات العذاب و لم يكونوا قد بلغوا حد الإجبار و اليأس من البقاء

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٧۵ و اللسان (عمرا).

(٢) تفسير الطبرى ٢٣/ ۵٩.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵٣١

آمنوا، و قبل اللَّه إيمانهم، لأنهم لو كانوا حصلوا فى العذاب لكانوا ملجئين و لما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب.

و قوله (او يزيدون) قيل فى معنى (او) ثلاثة اقوال:

أحدها- ان تكون بمعنى الواو، و تقديره الى مائة الف و زيادة عليهم.

الثانى- ان تكون بمعنى (بل) على ما قال ابن عباس.

الثالث- ان تكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنه قال أرسلناه الى احدى العدتين. ثم حكى تعالى عنهم أنهم آمنوا باللَّه و أقروا له بالوحدانية و راجعوا التوبة، و كشف اللَّه عنهم العذاب و متعهم إلى وقت فناء آجالهم، فالتمتيع و الامتاع هو التعريض للمنافع الحاصلة كالامتاع بالبساتين و الرياض و شهى الطعام و الشراب.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠] ..... ص : ٥٣١

فَاسْتَفْتِهِمْ أَ لِرَبِّكَ الْبَناتُ وَ لَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِناثاً وَ هُمْ شاهِدُونَ (١٥٠) أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)

ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٥٧) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)

سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٣٢

اثنتا عشرة آية.

كلهم قرأ (أصطفى) بفتح الهمزة إلا ورشاً و إسماعيل عن نافع، فإنهما وصلاه على الخبر، و به قرأ ابو جعفر قال ابو على الفارسي: يجوز أن يكون على تقدير لكاذبون فى قولهم قالوا: اصطفى، و يجوز ان يكون اصطفى النبات على ما يقولونه، و الوجه قطع الهمزة، لأنه على وجه التقريع، و يقويه قوله (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ) قال قتادة و السدى: ان قريشاً كانت تقول: الملائكة بنات اللَّه تعالى، فأمر اللَّه نبيه صلى اللَّه عليه و آله أن يستفتهم بمعنى ان يطلب الحكم منهم فى هذه القضية على وجه التقريع لهم و التوبيخ على قولهم بأن يقول لهم أ لرّبكم البنات؟! يعنى كيف يقولوا لربك البنات يا محمد و لهم البنون؟ و من أين علموا ان الملائكة إناثاً ا شاهدوا خلق الله لهم؟! فرأوهم اناثاً؟ فإنهم لا يمكنهم ادعاء ذلك.

ثم اخبر تعالى فقال (أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) أى من كذبهم- فى قول قتادة و السدى- هذا القول، و هو ان يقولوا (وَلَدَ اللَّهُ. وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) فى هذا القول. ثم قال (أَصْطَفَى الْبَناتِ عَلَى الْبَنِينَ) من قطع الهمزة أراد الإنكار بلفظ الاستفهام، و المعنى كيف يكون هذا، و كيف يختار البنات على البنين. و من وصل الهمزة أراد الاخبار بذلك، فالاصطفاء إخراج الصفوة من الشىء، و هى خالصه. و إنما يصطفى الله تعالى أفضل الأشياء، و من اصطفى الأدون على الأفضل مع القدرة على الأعلى كان ناقصاً. و الله تعالى لا يليق بصفات النقص فى اصطفاء النبات على البنين مع استحالة اتخاذ الولد عليه، لما فى ذلك من معنى التشبيه، لأنه إنما يتخذ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٣٣

الولد من يجوز أن يكون مثل ذلك ولداً له، و لذلك لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخاً ولداً، و لا أن يتخذ الإنسان بعض البهائم ولداً، لما لم يكن ذلك ممكناً، فإذا استحال الولد عليه تعالى، فما هو مشبه به أولى بأن يستحيل عليه.

و أصل (اصطفى) (اصتفى) فقلبت التاء طاء لتعدل الحروف فى الاطباق و الاستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، و الصاد بالاستعلاء و الاطباق.

قوله (ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) تهجين لهم بوضعهم الشىء فى غير موضعه لأنهم وضعوه موضع الحكمة، و ليس الأمر كذلك إذ أنتم على فاحش الخطأ الذى يدعو اليه الجهل. و قوله (أَمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ) معناه هل لكم حجة ظاهرة و برهان بين فى ما تدعونه و تحكمون به. و سمى البرهان سلطاناً، لأنه يتسلط به على الإنكار لمخالفة الحق و الصواب. و البيان إظهار المعنى للنفس.

ثم قال على وجه الإنكار عليهم (فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ)

إن كان معكم حجة من كتاب أنزله اللَّه إليكم فهاتوه (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)

فى هذا القول، فإنهم لا يقدرون على ذلك ابداً.

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم (جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً) قال الحسن: أشركوا الشيطان فى عبادة اللَّه، فهو النسب الذى جعلوه.

و قال قوم: بل لأنهم قالوا: إنه تعالى تزوج من الجن- تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً- و قيل: سميت الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون. و معنى الآية أن هؤلاء الكفار بجعلهم الملائكة بنات اللَّه جعلوا بينه و بينهم نسباً، و هو قول مجاهد و قتادة.

ثم قال تعالى على وجه الرد عليهم (وَ لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٣٤

و قال مجاهد و قتادة: قال ذلك لأنهم علموا أنهم يحضرون الحساب. و قال السدى: علموا أن قائل هذا القول يحضر الحساب و العذاب. ثم نزه تعالى نفسه عن قولهم وصفتهم، فقال (سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) استثنى عباده الذين أخلصوا نفوسهم فوجهوا العبادة اليه تعالى و وصفوه بما يليق به من جملة الكفار القائلين بما لا يليق به.

قوله تعالى:[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠] ..... ص : ٥٣٤

فَإِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ (١٦١) ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ (١٦٢) إِلاَّ مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَ ما مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥)

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)

عشر آيات.

قرأ الحسن (صائل الجحيم) بالرفع و هى تحتمل شيئين: أحدهما.

الجمع. و الثاني- القلب، كقولهم: شاك، و شائك فى السلاح، و هار و هائر.

الباقون (صال) بكسر اللام على وزن (فاعل).

هذا خطاب من اللَّه تعالى للكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام بأن قال لهم (فَإِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ) فموضع (ما) نصب عطفاً على الكاف و الميم، و هو فى موضع نصب ب (أن) و التقدير إنكم يا معشر الكفار و الذين تعبدونه التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٣٥

(ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ) و قال الفراء: تقديره، و إنكم و آلهتكم ما أنتم عليه بفاتنين أى بمفتنين و (ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى و ما أنتم على ذلك الدين بمصلين عليه و به و له سواء فى المعنى. و أهل نجد يقولون: أفتنت، و أهل الحجاز فتنت أى لستم عليه بفاتنين، و الفاتن الداعى إلى الضلالة بتزيينه له، فكل من دعا إلى عبادة غير الله بالإغواء و التزيين فاتن، لأنه يخرجه إلى الهلاك، و أصل الفتنة من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخرجته إلى حال الخلاص (وَ فَتَنَّاكَ فُتُوناً) «١» أى أخرجناك بالأمر الحق إلى حال الخلاص.

و قوله (إِلَّا مَنْ هُوَ صالِ الْجَحِيمِ) أى لستم تفتنون إلا من يصلى الجحيم، و معناه إلا من يلزم النار و يحترق بها، و منه المصطلى، و هو المستدفئ بالنار، و منه الصلاة للزوم الدعاء فيها، و المصلى الذى يجيء بعد السابق للزومه أثره. و المعنى ان من يقبل من هذا الفاتن و ينقاد له، فهو يصلى الجحيم و قوله (وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ) معناه ما منا ملك إلا له مقام، فحذف و معناه لا يتجاوز ما أمر به و رتب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حدّ له، فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة، و هو عبد مربوب و وصف المقام بأنه معلوم، لأنه معلوم لله على ما تقتضيه الحكمة، و هو محدود لا يتجاوز ما علم منه و لا يخرج منه.

و قوله (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) قيل: صافون حول العرش ينتظرون الأمر و النهى من الله تعالى، و قيل: الصافون فى الصلاة: و قوله (وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) معناه المصلون من قولهم: فرغت من سبحتى أى من

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٤٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٣٦

صلاتى، و سميت الصلاة تسبيحاً لما فيها من تسبيح الله و تعظيم عبادته.

و (المسبحون) القائلون سبحان الله على وجه التعظيم له تعظيم العبادة، و قوله (وَ إِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ) ف (إن) هـذه المخففـة من الثقيلة بدلالة دخول اللام فى خبرها، كما قال (وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) «١» و يلزمها هذه اللام ليفرق بين (إن) الثقيلة و الخفيفة التى للجحد فى مثـل قوله (إِنِ الْكافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) «٢» و المعنى إن هؤلاء الكفار كانوا يقولون (لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً) أى كتاباً فيه ذكر من كتب الأولين الذى أنزله على أنبيائه. و قيل:

يعنى علماً يسمى العلم ذكراً، لان الذكر من أسبابه، فسمى باسمه (من الأولين) الذين تقدمونا و ما فعل الله بهم (لكنا) نحن ايضاً من (عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) الذين أخلصوا العبادة له، فجعلوا العذر فى امتناعهم من الايمان أنهم لا يعرفون اخبار من تقدمهم، و هل حصلوا فى جنـة او نار، فقال الله تعالى (فكفروا به) يعنى بالذكر، لأنهم طلبوا كتاباً كما للأولين التوراة دالا على توحيد الله، فلما جاءهم القرآن كفروا به، و بمن جاء بالقرآن- فى قول ابن عباس و السدى- فهددهم الله على هذا، الكفر فقال (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) فى ما بعد إذا عاقبناهم بعقاب النيران.

قوله تعالى: [سورة الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢] ..... ص : ۵۳۶

وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧۴) وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧۵)

أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧۶) فَإِذا نَزَلَ بِساحَتِهِمْ فَساءَ صَباحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)

وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٨٢)

---

(١) سورة ١۶ النحل آية ١٢۴.

(٢) سورة ۶٧ الملك آية ٢٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵٣٧

اثنتا عشرة آية بلا خلاف.

اقسم الله تعالى، لأن هذه اللام لام القسم بأنه (سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ) الذين بعثهم الله إلى خلقه (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) سينصرون بنصرهم على أقوامهم بالحجج و إنما قدم الله تعالى الكلمة للمرسلين بأنهم سينصرون، لما فى ذلك من اللطائف للملائكة و السامعين لها، و سميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار يلحقه صفة التوحيد كخبر واحد و قضية واحدة. و قال السدى: النصر للمرسلين بالحجة لأن منهم من قتل. و قال الحسن: ما غلب نبى فى حرب، و لا قتل قط.

ثم اخبر تعالى أن جنود الله للكفار لغالبون أى يقهرونهم تارة بالحجة و اخرى بالقتل. ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (فتول عنهم) يعنى أعرض عن هؤلاء الكفار (حتى حين) إلى أن آمرك بقتالهم، يعنى يوم بدر- فى قول السدى- و قال قتادة: الى الموت. و قال قوم: الى يوم القيامة. و قال قوم: الى انقضاء مدة الامهال. التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵٣٨

و قوله (وَ أَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) معناه انظرهم فسوف يرون العذاب- فى قول ابن زيد- و قال غيره أبصر حالهم بقليل. و قيل: ابصرهم فى وقت البصر، و فى الآية دلالة على المعجز، لأنه تعالى وعد نبيه بالنصر، فكان الأمر على ما قال.

و قوله (أَ فَبِعَذابِنا يَسْتَعْجِلُونَ) معناه الإنكار عليهم بأنهم يطلبون العذاب عاجلا قبل وقته. ثم قال (فإذا نزل) يعنى العذاب (بساحتهم) أى بفنائهم فساء صباح المنذرين أى بئس الصباح صباح من خوف و حذر، فلم يحذر، و لم يخف، فالساحة ناحية الدار، و هو فناؤها، و هو الفناء الواسع فلذلك وصف بأنه نازل به العذاب لعظمه و لا يسعه إلا الساحة ذات الفناء الواسع. و قال السدى: نزل بساحتهم أى

بدارهم و ساء إذا كانت بمعنى بئس لا تتصرف مثل هذه. و مثل قوله (ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) «۱» و لو كان بمعنى الاخبار المحض لجاز أن يقال: ساءه يسوءه سوءاً أى أوقع به ما يسوءه.

ثم قال لنبيه صلى اللَّه عليه و آله (وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ) أى اعرض عنهم الى حين و قد فسرناه. و (أَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) و قد مضى معناه، و إنما كرر لأنهما عذابان عذاب الدنيا و عذاب الآخرة، فكأنه قال و ابصرهم فى عذاب الآخرة و ابصرهم فى عذاب الدنيا.

ثم قال «سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى التنزيه لربك عما لا يليق به من الصفات، ربك الذى خلقك و يملك التصرف فيك رب العزة يعنى العزة التى يعز اللَّه بها الأنبياء و المرسلين، و هى صفة القادر الذى

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آية ۱۷۶.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۳۹

لا يضام و لا يرام، فالعزة للَّه- جل عز- و هو ربها، لأنه القادر الذى لا يعجزه شىء منها، و لا من غيرها جل و علا «عَمَّا يَصِفُونَ» يعنى ما يصفه به الكفار من اتخاذ الأولاد و اتخاذ الشريك «وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» الذين أرسلهم الله إلى عباده «وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» أى و الشكر و الحمد لله الذى خلق جميع العالم و ملك التصرف فيهم.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۴۰

۳۸-سورة ص ..... ص : ۵۴۰

اشارة

هى مكية فى قول مجاهد و قتادة و الحسن ليس فيها ناسخ و لا منسوخ و هى ثمان و ثمانون آية فى الكوفى و خمس و ثمانون فى البصرى و ست فى المدنى.

[سورة ص (۳۸): الآيات ۱ الى ۵] ..... ص : ۵۴۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم
ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (۱) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ (۲) كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ (۳) وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قالَ الْكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ (۴)
أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (۵)

خمس آيات.

قرأ الحسن (صاد) بكسر الدال. و قال عيسى بن عمر بفتحها. الباقون بالوقف، و هو الصحيح، لأن حروف الهجاء يوقف عليها. و من كسر التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۴۱

فلاجتماع الساكنين. و قيل: إنه جعل من المصاداة و هى المعارضة. و من فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة، و لم يعدوا (صاد) آية، لأنه يشبه الاسم المفرد فى انه على ثلاثة أحرف فى هجاء حروف المعجم، نحو (باب، و ذات، و ناب) و إنما يعد آية ما يشبه الجملة و شاكل آخره رؤس الآى التى بعده بالردف و مخرج الحروف. و ليس- هاهنا- شىء من ذلك.

و اختلفوا فى معنى (صاد) فقال قوم: هو اسم السورة على ما أخبرناه فى ما مضى. و قال ابن عباس: هو اسم من اسماء اللَّه أقسم به. و

قال السدى: هو من حروف المعجم. و قال الضحاك: معناه صدق، و قال قتادة:

هو اسم من اسماء القرآن اقسم اللّه تعالى به. و قال الحسن: هو من المصاداة و هو (صاد) بالكسر أمر للنبى صلى اللّه عليه و آله أى عارض القرآن بعملك (و القرآن) قسم، فلذلك جر «ذِي الذِّكْرِ» قال ابن عباس: ذى الشرف، و قال الضحاك و قتادة: ذى التذكر. و قيل: معناه ذى الذكر للبيان و البرهان، المؤدى إلى الحق الهادى إلى الرشد الرادع عن الغى، و فيه ذكر الأدلة التى من تمسك بها سعد. و من عدل عنها شقى. و من عمل بها نجا. و من ترك العمل بها هلك.

و اختلفوا فى جواب القسم، فقال قوم: هو محذوف و تقديره لجاء الحق و ظهر، لان حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ، لان الذكر يقصر المعنى على وجه. و الحذف يصرف إلى كل وجه فيعم. و قال قوم: جوابه ما دل عليه قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» كأنه قال: و القرآن ذى الذكر ما الأمر على ما قالوا- ذكر ذلك قتادة- و قال الفراء و الزجاج: الجواب (كم) و تقديره لكم أهلكنا، فلما طال الكلام حذفت اللام و صارت (كم) جواباً للقسم التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥۴٢

و اليمين. و مثله قوله «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها فَأَلْهَمَها» «١» فصارت «قد أفلح» تابعة لقوله «فألهمها» و كفى عن جواب القسم، و كأنه قال: و الشمس و ضحاها. لقد أفلح، و قال قوم: الجواب قوله «إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ» إلا انه قد بعد عن أول الكلام.

و قوله «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَ شِقاقٍ» اخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار قد مكنهم و أعطاهم القوة ليقووا بها على الطاعات، فتقووا- بسوء اختيارهم- بها على المعاصى و على دفع الحق الذى أتاهم و صاروا فى شق غير شق رسولهم الذى من قبل ربهم. ثم اخبر تعالى انه أهلك أمما كثيرة قبل هؤلاء الكفار حين عصاه الذين كفروا، فلما نزل بهم العذاب نادوا و استغاثوا «وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ» معناه لات حين فرار من العذاب. و قيل: المناص المنجاة يقال: ناص ينوص نوصاً إذا تأخر و باص يبوص بوصاً إذا تقدم قال امرؤ القيس:

أمن ذكر ليلى إن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة و تبوص «٢»

و نصب (لات حين) لأنها مشبه ب (ليس) من جهة أنها نفى و لا تعمل إلا فى (الحين) خاصة لضعف الشبه عن منزلة (ما) إذ كانت (ما) تشبه (ليس) من جهة النفى و الحال قال الشاعر:

تذكر حب ليلى لات حينا و اضحى الشيب قد قطع القرينا «٣»

و الوقف على (لات) بالتاء على قياس نظيرها من (ثمت، و ربت) لان ما قبلها ساكن- و هو قول الفراء- و الكسائى يقف بالهاء (لاه) يجعل الالف

---

(١) سورة ٩١ الشمس آية ٧.

(٢) تفسير القرطبى ١۵/ ١۴۶. [.....]

(٣) تفسير القرطبى ١۵/ ١۴٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥۴٣

فى نية الحركة. و من زعم انه (لا ت حين) موصولة، فقد غلط، لأنها فى المصحف و تأويل العلماء مفصولة. و قيل: ان (مناص) جر ب (لات) و انشدوا لأبى زيد.

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء «١»

و قال الزجاج: أنشده ابو العباس بالرفع، و قد روى بالكسر. و قال الزجاج: من كسر رأى ان يجعله مبنياً بمنزلة نداء ذلك الأقوام و بناه، فحذف المضاف اليه و كسر دون ان يضم، لأنه نوّنه، فأجراه على نظائره من المنون المبنى و أراد و لات أواناً.

ثم اخبر تعالى ان الكفار «وَ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ» أى مخوف من جهة اللّه يحذرهم معاصيه و يدعوهم إلى طاعته، و قالوا: هذا شىء عجاب، و عجيب و عجاب و عجاب بمعنى واحد، مثل كريم و كرام و كرام، فعجب هؤلاء الكفار من أن اللّه بعث نبيهم و هو منهم، و قالوا:

كيف خص بذلك، و ليس بأشرفنا و لا أغنانا. و

قيل: إن أبا جهل و جماعة من أشراف قريش مشوا إلى أبى طالب و شكوا اليه النبى صلى اللّه عليه و آله و قالوا له: قد سفه أحلامنا و شتم الآلهة، فدعاه ابو طالب و قال له: ما لأهلك يشكونك، فقال النبى صلى اللّه عليه و آله أدعوهم إلى كلمتين حقيقتين يسودون على العرب بها، و يؤدى الخراج اليهم بها العجم، فقال ابو جهل و غيره: ما هما فقال صلى اللّه عليه و آله: تشهدون أن لا إله إلا اللّه و أنى رسول اللّه. فقال ابو جهل: أ تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! فانزل اللّه الآية.

---

(۱) تفسير القرطبى ۱۵/ ۱۴۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۴۴

قوله تعالى:[سورة ص (۳۸): الآيات ۶ الى ۱۰] ..... ص : ۵۴۴

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ (۶) ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ (۷) أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ (۸) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (۹) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ (۱۰)

خمس آيات فى الكوفى و اربع فى الباقى.

اخبر اللّه تعالى عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم انهم انطلقوا اى ذهبوا فالانطلاق ذهاب بسهولة، و منه طلاقة الوجه و هى سهولة و بشر خلاف العبوس و قوله «أن امشوا» قال الزجاج: أى بهذا القول، و تقديره بأن امشوا و قال قوم: معنى (أن) أى التى للتفسير لأنه صار انطلاقهم لدلالته على هذا المعنى بمنزلة الناطق به، كما يقولون: قام يصلى أى أنا رجل صالح.

و قال بعضهم: معناه الدعاء لهم بأن يكثر ماشيتكم، و هذا باطل لفظاً و معنى فاللفظ لأنه لو كان كما قالوه لكانت الهمزة من (أَنِ امْشُوا) إذا أمر منها مفتوحة، لأنه من امشى يمشى إذا كثرت ماشيته و الامر منه امشوا بقطع الهمزة، و القراءة بكسرها، قال الشاعر:

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۴۵

و كل فتى و إن أثرى و امشى ستسلخه من الدنيا المنون «۱»

و اما المعنى، فلانه لا يشاكل ما قبله و لا ما بعده.

و قوله «وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ» أمر منهم بعضهم لبعض أن يصبروا على عبادة آلهتهم و تحمل المشاق لأجلها. و قال مجاهد: القائل لذلك عقبة بن أبى معيط فالصبر محمود إذا كان فى حبس النفس عن المحارم، فهؤلاء الجهال اعتقدوا أن الحق فى الصبر على آلهتهم، و لم يعلموا ان ذلك كفر. و فى ذلك دلالة على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، قال الحسن: إن هذا يكون فى آخر الزمان.

و قوله «إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ» معناه هذا الذى يدعيه محمد و يدعوهم اليه لشيء يراد به أمر ما من الاستعلاء علينا و الرياسة فينا و القهر لنا.

ثم حكى ما قالوه فإنهم قالوا «ما سَمِعْنا بِهذا» يعنون ما يدعوهم اليه النبى صلى اللّه عليه و آله من التوحيد و خلع الأنداد من دون اللّه «فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» قال ابن عباس يعنون فى النصرانية، لأنها آخر الملل. و قال مجاهد: يعنون فى مكة و قريش. ثم قالوا «إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ» قال ابن عباس و مجاهد:

معناه ليس هذا إلا تخرص و كذب. ثم تعجبوا فقالوا «أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا» يعنون كيف خص محمد بانزال القرآن دوننا؟! فقال اللّه تعالى «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» معناه ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك فى الذكر الذى أنزلت على رسولى «بَلْ لَمَّا

يَذُوقُوا عَذابِ» ثم قال «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ»؟ قال الفراء: الاستفهام إذا توسط الكلام

(١) قائله النابغة الذبياني. اللسان (مشى).

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۴۶

ابتدئ بألف و ب (أم)، و إذا لم يسبق كلام لم يكن إلا بألف او ب (هل).

و وجه اتصال هذا القول بما تقدم هو اتصال الإنكار لما قالوا فيه، أى ذلك ليس اليهم، و إنما هو إلى من يملك هذه الأمور. و (خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ) معناه مقدوراته التى يقدر بها على أن ينعم بها عليهم. و قوله «الْعَزِيزِ» يعنى القادر الذى لا- يغالب و لا يقهر «الْوَهَّابِ» لضروب النعم «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما» فان كان لهم ذلك «فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبابِ» و هى جمع سبب و كل ما يتوصل به إلى المطلوب- من حبل أو سلم أو وسيلة او رحم او قرابة او طريق او جهة- فهو سبب، و منه قيل:

تسببت بكذا إلى كذا أى توصلت به اليه.

قوله تعالى:[سورة ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١۵] ..... ص : ۵۴۶

جُنْدٌ ما هُنالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتادِ (١٢) وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ أُولئِكَ الْأَحْزابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ (١۴) وَ ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً ما لَها مِنْ فَواقٍ (١۵)

خمس آيات.

قرأ حمزة و الكسائى «فواق» بضم الفاء. الباقون بفتحها. فالفواق بفتح الفاء معناه ما لها من راحة، و إذا ضممت الفاء، فالمعنى ما لها من فواق ناقة و هو قدر ما بين الحلبتين. و قيل: هو ما بين الرضعتين. و قيل: هما لغتان التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۴۷

مثل قصاص الشعر و قصاصه، و حمام الماء و حمامه، و هو الآفة، و هو الابانة بعد الفترة و (ما) فى قوله «جند ما» صلة، و تقديره: جند هنالك، و (هنالك) للمكان البعيد و (هناك) للمتوسط بين القرب و البعد و (هنا) للقريب و نظيره (ذا) و (ذاك) و (ذلك) و مثل (ما) فى كونها صلة قولهم: لأمر ما جدع قصير أنفه. و عندى طعام ما، قال الأعشى:

فاذهبى ما اليك أدركنى الح لم عدانى عن ذكركم اشغالى «١»

و قيل: إنها تقوية للنكرة المبتدأة فى (ما) و الجند جمع معد للحرب جمعه أجناد و جنود، و جند الأجناد أى جيش الجيوش. و منه قوله صلى اللّه عليه و آله (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ما تناكر منها اختلف)

، و قوله «مهزوم» يعنى مغلوب عن أن يصعدوا إلى السماء، و المهزوم من وقعت بهم الهزيمة، و هى الفرار من الحرب، و لو فرّ انسان من ضرب لم يكن ذلك هزيمة، و كذلك من فرّ من الحبس. و قوله «من الأحزاب» معناه من حزب إبليس و أتباعه.

ثم اخبر تعالى انه كذب مثل هؤلاء الكفار، فأنث لأنه أراد العشيرة «قوم نوح» فأغرقهم اللّه، و قوم «عاد» فاهلكهم اللّه «و فرعون» و قوم فرعون «ذو الأوتاد» و قيل: فى معناه أقوال:

منها- انه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها، و هو قول ابن عباس و قتادة. و قال السدى و الربيع بن أنس: انه كانت له أوتاد يعذب الناس بها. و قال الضحاك: معناه ذو البنيان، و البنيان أوتاد.

ثم قال «وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحابُ الْأَيْكَةِ» أيضاً هم الأحزاب يعنى

(١) ديوانه ١۶۴.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۴٨

احزاب إبليس: و (الايكة) الغيضة. و قال ابو عمرو بن العلا: هى الملتفت من النبع و السدر. و قال السدى: هى الحرجة، قال الشاعر:

ا فمن بكاء حمامة فى أيكة يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعنى محمل السيف. و قوله «إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» معناه ليس كلهم إلا كذبوا أنبياء اللَّه و جحدوا نبوّتهم فاستحقوا عقابى، ثم قال «وَ ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً» أى ليس ينظر هؤلاء إلا صيحة عذاب لا يكون لتلك الصيحة «مِنْ فَواقٍ» أى ما لها من افاقة بالرجوع إلى الدنيا و هو قول قتادة، و السدى و قال ابن زيد «ما لَها مِنْ فَواقٍ» أى من فتور كما يفيق المريض.

قوله تعالى:[سورة ص (٣٨): الآيات ١۶ الى ٢٠] ..... ص : ۵۴۸

وَ قالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ (١۶) اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ (١٨) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ (٢٠)

خمس آيات.

يقول اللَّه مخبراً عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب اللَّه يا «رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا» أى قدم لنا نصيبنا من العذاب، قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: طلبوا حظهم من العذاب تهزءاً التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۵۴۹

بخبر اللَّه و شكا فيه. و قال السدى: إنما سألوا أن يريهم حظهم من النعيم فى الجنة حتى يؤمنوا. و قيل: إنما سألوا أن يعجل كتبهم التى يقرءونها فى الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد. و القط الكتاب قال الأعشى:

و لا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطى القطوط و يأفق «١»

أى كتب الجوائز، لأنها قطع نصيب لكل واحد بما كتب. و التعجيل فعل الشيء قبل وقته الذى ينبغى أن يفعل فيه. و القط النصيب و أصله القطع من قولك قطه يقطه قطاً مثل قده يقده قداً، و منه قولهم: ما رأيته قط أى قطع الدهر الذى مضى «قَبْلَ يَوْمِ الْحِسابِ» أى قبل اليوم الذى يحاسب فيه الخلق و يجازون فيه على أعمالهم على ما يقولونه فقال اللَّه تعالى لنبيه صلى اللَّه عليه و آله «اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ» أى احبس نفسك على اذاهم و صبرها على أقوالهم «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» ترغيباً له فى الصبر المأمور به و إن لك يا محمد فيه من إحسان اللَّه اليك على نحو إحسانه إلى داود قبلك، و أنه لو شاء لأعطاك فى الدنيا مثل ما أعطى داود و لكنه دبر لك ما هو أعود لك.

و قوله «ذا الأيد» قال ابن عباس و مجاهد و قتادة: معناه ذا القوة، و منه قوله «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ» «٢» أى بقوة، و قوله «إِنَّهُ أَوَّابٌ» قال ابن زيد: معناه تواب و به قال مجاهد، و هو من آب يؤب أى رجع إلى اللَّه فلذلك مدحه.

ثم اخبر تعالى عن نعمه التى أنعم بها على داود، فقال «إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْراقِ» و معناه إنها كانت تسير بأمر اللَّه معه حيث سار بالغداة و العشى فسمى اللَّه ذلك تسبيحاً لما فى ذلك من

---

(١) ديوانه: ١١٧ (دار بيروت).

(٢) سورة ۵١ الذاريات آية ۴٧.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ۵۵٠

دلالته على قدرته و غناء من خلقه و صفاته التى لا يشاركه فيها غيره، و الاشراق وقت طلوع الشمس يقال: شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت إذا أضاءت «وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً» و تقديره و سخرنا الطير محشورة أى مجموعة من كل ناحية اليه يعنى الطير و الجبال «لَهُ أَوَّابٌ» أى رجاع إلى ما يريد. و قيل: مسخرة- ذكره قتادة- و قال الجبائى لا يمتنع أن يكون اللَّه خلق فى الطيور من المعارف ما تفهم به مراده و أمره من نهيه فتطيعه فى ما يريده منها. و إن لم تكن كاملة العقل، و لا مكلفة.

ثم قال «وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ» يعنى قوينا ملكه بالجنود و الهيبة «وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ» أى علمناه الحكمة «وَ فَصْلَ الْخِطابِ» و مثله قول البينة على المدعى و اليمين على المدعى عليه أى إصابة الحكم بالحق. و قال البلخى: يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه هو ما أعطى اللَّه تعالى داود من حسن الصوت بقراءة الزبور، فكان إذا قرأ الزبور أو ذكر ما هو تسبيح للَّه و رفع صوته بين الجبال ردّ الجبال عليه مثله كما يرد الصدى، فسمى اللَّه ذلك تسبيحاً لما تضمنه من الدلالة و الأول أحسن.

قوله تعالى:[سورة ص (٣٨): الآيات ٢١ الى ٢٥] ..... ص : ٥٥٠

وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (٢٢) إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ (٢٣) قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ وَ ظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ (٢٤) فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (٢٥)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٥١

خمس آيات.

هذا خطاب من اللَّه تعالى لنبيه و صورته صورة الاستفهام و المراد اخباره بما كان من قصة داود من الحكم بين الخصمين و تنبيهه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغى أن يفعله فقال «وَ هَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ» يعنى خبره فالنبأ الخبر بما يعظم حاله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» يعنى حين صعدوا اليه.

و الخصم هو المدعى على غيره حقاً من الحقوق المنازع له فيه، و يعبر به عن الواحد و الاثنين و الجماعة بلفظ واحد، لان أصله المصدر، فتقول: رجل خصم، و رجلان خصم، و رجال خصم، و لذلك قال «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ» لأنه أراد المدعى و المدعى عليه و من أتبعهما، فلا يمكن أن يتعلق به فى أن أقل الجمع اثنان، لما قال «خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» لأنه أراد بذلك الفريقين، و الخصم من خصمته اخصمه خصماً. و التسور الإتيان من جهة السور، يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، و كانوا أتوه من على المحراب، فلذلك فزع منهم. و المحراب مجلس الاشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه، و منه سمى المصلى محراباً و موضع القبلة ايضاً محراب و قوله «إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ» معناه إن هؤلاء حين دخلوا على داود من غير الجهة التى اعتاد التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٥٢

الدخول عليه منها فزع منهم، لأنه ظنهم أعداء يريدون به سوء فقالوا له (خصمان) و لم يقولا: نحن خصمان يعنى فريقان لأنهما كانا ملكين و لم يكونا خصمين و لا بغى أحدهما على الآخر، و إنما هو على المثل «فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَ لا تُشْطِطْ» معناه و لا تجاوز الحق و لا تجر و لا تسرف فى حكمك بالميل مع أحدهما- على الآخر، يقال أشط فى حكمه إذا جار يشط فهو مشط و شططت على فى السوم تشط شططاً قال الشاعر:

ألا يا لقومى قد اشطت عواذلى و يزعمن أن اودى بحقى باطلى «١»

و قال آخر:

يشط غداً دار جيراننا و للدار بعد غد بعد

و قوله «وَ اهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ» معناه أرشدنا إلى قصد الطريق الذى هو طريق الحق و وسطه، كما قال «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَواءِ الْجَحِيمِ» «٢» ثم حكى تعالى ما مكان أحد الخصمين لصاحبه، فقال «إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ» قال وهب بن منبه: يعنى أخى فى دينى و قال اكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع و تسعين امرأة كانت له و إن الآخر له نعجة واحدة يعنى

امرأة واحدة، و قال الحسن: لم يكن له تسع و تسعون امرأة و إنما هو على وجه المثل. و قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى: أراد النعاج بأعيانها، و هو الظاهر غير انه خالف أقوال المفسرين. و قال هما من ولد آدم، و لم يكونا ملكين و إنما فزع منهما لأنهما دخلا عليه فى غير الوقت المعتاد، و هو الظاهر غير انه خلاف أقوال المفسرين على ما قلناه.

و قوله «فَقالَ أَكْفِلْنِيها» معناه اجعلنى كفيلا بها أى ضامناً لأمرها.

---

(۱) مر فى ۷/ ۱۵.

(۲) سورة ۳۷ الصافات آية ۵۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۵۳

و منه قوله «وَ كَفَّلَها زَكَرِيَّا» «۱» و قال ابو عبيدة معناه ضمها اليها، و قال ابن عباس و ابن مسعود معنى أكفلنيها انزل لى عنها «وَ عَزَّنِي فِي الْخِطابِ» أى غلبنى فى المخاطبة من قولهم: من عز بزّ أى من غلب سلب. و قال ابن زيد: معناه قهرنى. و قال ابو عبيدة: معناه صار أعزمنى، فقال له داود «لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه. و إن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض» و معناه إن كان الامر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به و هى النعجة و إن أضيف اليها.

ثم اخبر ان كثيراً من الشركاء و الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض فيظلمه.

و قال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أنه قال للخصم لقد ظلمک من غير ان يسأل خصمه عن دعواه و فى آداب القضاء ألا يحكم بشىء و لا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به. و هذا ترک الندب فى ذلک، و فى ذلک قول آخر، و هو إن فى الناس من قال: إن ذلک كان صغيرة منه وقعت مكفرة، و الشرط الذى ذكرناه لا بد فيه، لأنه لا يجوز ان يخبر النبى ان الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلک على وجه القطع، و إنما يجوز مع تقرير الشرط الذى ذكرناه. ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين بعضهم يبغى على بعض الذين آمنوا باللّه و عملوا بما يوجب عليهم، فإنهم لا يفعلون ذلک. ثم قال و قليل الذين كذلک،

فروى أن الملكين غابا من بين يديه فظن عند ذلک أن اللّه اختبره بهذه الحكومة و ابتلاه.

و قرئ (فتناه) بالتخفيف بمعنى أن الملكين فتناه بها. و قال قوم الظن العلم كأنه قال: و علم داود ذلک

---

(۱) سورة ۳ آل عمران آية ۳۷.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌۸، ص: ۵۵۴

و قال آخرون: إنما ظن ظناً قوياً و هو الظاهر. و قوله «فاستغفر ربه» معناه سأل اللّه المغفرة و الستر عليه «وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ» أى رجع اليه بالتوبة.

ثم اخبر تعالى أنه أجاب دعوته و غفر له ذلک، و أخبر ان له مع المغفرة عند اللّه لزلفى، و الزلفى القربة من رحمة اللّه، و ثوابه فى جنته «وَ حُسْنَ مَآبٍ» فالمآب و المرجع و المصير و المآل واحد. و من قال ان ذلک كان صغيرة وقعت مكفرة يقول: معنى قوله «فَغَفَرْنا لَهُ» بعد الانابة، و إن كانت الخطيئة غفرت فى الدنيا. و قيل: انه خطب امرأة كان أوريا ابن حيان قد خطبها فدخل فى سومه، فاختاروه عليه فعاتبه اللّه على ذلک، لان الأنبياء يتنزهون عن ذلک، و إن كان مباحاً لأنه مما ينفر على بعض الوجوه. و قيل: بل انفذ به إلى غزوة، و كان يحب ان يستشهد ليتزوج امرأته لأنهما كانا تحاكما اليه فوقعت امرأته فى قلبه و اشتهاها شهوة الطباع من غير أن يحدث أمراً قبيحاً. و أولى الوجوه ما قدمناه انه ترک الندب فى ما يتعلق بأدب القضاء، لأن باقى الوجوه ينبغى ان ينزه الأنبياء عنها لأنها تنفر فى العادة عن قبول أقوالهم، فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأة أوريا، و أنه أمره بأن يخرج إلى الغزو، و أن يتقدم امام التابوت و كان من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب او يقتل، فخبر باطل موضوع، و هو مع ذلک خبر واحد

لاـ أصل له و لا يجوز أن تقبل اخبار الآحاد فى ما يتضـمن فى الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس، فان اللّه نزههم عن هـذه المنزلـة و على قدرهم عنها. و قد قال اللّه تعالى «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٥٥

الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ»

«١» و قال «وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ» «٢» فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه و يعرضهم للقتل من غير استحقاق و لا يجوّز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم و لا يعتقد منزلتهم التى خصهم اللّه فيها نعوذ باللّه من سوء التوفيق.

و

قـد روى عن على عليه السـلام انه قال: لا أوتى برجل يقول إن داود ارتكب فاحشـة إلا ضـربته حـدين أحدهما للقذف و الآخر لأجل النبوة.

و قرأ ابن مسعود «تسع و تسعون نعجة» أنثى، قال النحويون: هذا تأكيد، كما

قال النبى: ابن لبون ذكر.

و كما قال «طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ» و قال ابن جرير:

معناه تسع و تسعون نعجة أنثى أى حسناء، قال ابن خالويه هذا حسن جداً.

قوله تعالى:[سورة ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩] ..... ص : ٥٥٥

يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ (٢٦) وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلًا ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ (٢٩)

---

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥.

(٢) سورة ۴۴ الدخان آية ٣٢.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٥۶

أربع آيات.

قرأ يحيى عن أبى بكر «لتـدبروا» بالتاء و تقـديره لتتـدبروا من التـدبر فحـذف تاء الفعل و بقى تاء المضارعـة، و تقـديره: لتتـدبر انت يا محمد و المسلمون و من قرأ بالياء، فعلى ليتدبر المسلمون فيتقرر عندهم صحتها و تسكن أنفسهم إلى العلم بها.

لما اخبر اللّه تعالى عن داود انه رجع اليه و تاب و اسـتغفر ربه عن التقصـير الذى وقع منه فى الحكم، و انه تعالى غفر له ذلك و أجاب دعوته، و وعـده بالزلفى عنـده و القربـة من ثوابه ناداه ايضاً فقال له «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» و الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بـدلا من تـدبيره، فـداود لما جعل اللّه اليه تـدبير الخلق فكان بـذلك خليفة، و لذلك يقال: فلان خليفة اللّه فى أرضه إذا جعل اليه تدبير عباده بأمره. و قيل:

معناه جعلناك خليفة لمن كان قبلك من رسـلنا. ثم أمره فقال «فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ» و معناه افصل بين المختلفين من الناس و المتنازعين «بِالْحَقِّ» بوضع الأشـياء مواضـعها على مـا أمرك اللّه «وَ لاـ تَتَّبِعِ الْهَوى أى مـا يميل طبعك اليه و يـدعوك هواك اليه إذا كان مخالفاً للحق، فلاـ تمل اليه «فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» و معناه انك متى اتبعت الهوى فى ذلك عـدل بك الهوى عن سبيل اللّه الـذى هو سبيل الحق.

ثم اخبر تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى يعدلون عن العمل بما أمرهم اللّه به «لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ» يعنى شديد ألمه «بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ» التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۵۵۷

و قيل فى معناه قولان:

أحدهما- لهم عذاب شديد يوم الحساب بما تركوا طاعاته فى الدنيا، فعلى هذا يكون يوم الحساب متعلقاً ب (عذاب شديد) و هو قول عكرمة و السدى:

الثانى- قال الحسن «لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ» أى بما اعرضوا عنه، صاروا بمنزلة الناسى، فيكون على هذا العامل فى (يوم) قوله «نسوا».

ثم اخبر تعالى انه لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا- بل خلقهما و ما بينهما بالحق لغرض حكمى، و هو ما فى ذلك من إظهار الحكمة و تعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة و تعريض العقلاء لمنافع الثواب، و ذلك يفسد قول المجبرة الذين قالوا: إن كل باطل و ضلال من فعل اللّه. و قوله «ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه إن خلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا ظن من يكفر باللّه و يجحد وحدانيته و حكمته. ثم توعد من هذه صفته فقال «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ثم قال على وجه التوبيخ و التقريع للكفار بلفظ الاستفهام «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ...» معناه هل نجعل الذين صدقوا باللّه و أقروا برسله و عملوا الصالحات مثل الذين أفسدوا فى الأرض و عملوا بالمعاصى؟! ام هل نجعل الذين اتقوا معاصى اللّه خوفاً من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه و تركوا طاعته؟! فهذا لا يكون ابداً. و كيف يكون كذلك و هؤلاء يستحقون الثواب بطاعتهم و أولئك يستحقون العقاب بمعاصيهم. و قال ابو عبيدة: ليس لها جواب استفهام فخرجت مخرج الوعيد. و قال الزجاج:

تقديره، أ نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، فهو استفهام بمعنى التقرير. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۵۵۸

ثم خاطب نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال «كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ» أى هذا كتاب أنزلناه، يعنى القرآن الذى أنزله اللّه عليه، و وصفه بأنه مبارك، لان به يستديم الناس ما أنعم اللّه عليهم به، و بين أن غرضه تعالى بانزال هذا القرآن «لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ» بأن يتفكروا فى أدلته «وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ» يعنى أولو العقول.

و فى الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة فى خلق القبائح من حيث بين اللّه انه يعاقبهم جزاء بما نسوا طاعاته فى الدنيا.

و قوله «ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يدل على فساد قول من يقول:

ان المعارف ضرورة، لأنهم لو كانوا عارفين ضرورة لما كانوا ظانين.

قوله تعالى:[سورة ص (۳۸): الآيات ۳۰ الى ۴۰] ..... ص : ۵۵۸

وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۳۰) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِناتُ الْجِيادُ (۳۱) فَقالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ (۳۲) رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ (۳۳) وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنابَ (۳۴)

قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (۳۵) فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ (۳۶) وَ الشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ (۳۷) وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ (۳۸) هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ (۳۹) وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَ حُسْنَ مَآبٍ (۴۰)

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸ ص: ۵۵۹

احدى عشرة آية.

قرأ ابن كثير وحده «بالسؤق» مهموزة. و قال ابن مجاهد: الرواية الصحيحة عنه «بالسوق» على فعول، و لما ضمنت الواو همزها. مثل وفيت و أفيت، فهذه رواية قنبل. و قرأ البزى «بالسوق» مثل أبى عمرو، جمع ساق مثل باح و بوح. و الباحة و الصرح و العرصة و الفناء واحد. و مثله قارة و قور للخيل الصغير. و من همز سوق فعلى لغة من قال: (أحب المؤقدين إلى موسى)، فهمز أنشده ابو الحسن لابى حبة النميرى، و لأنه لما لم يكن بينها و بين الضمة حاجز صار كأن الضمة عليه فهمز.

اخبر اللَّه تعالى انه وهب لداود سليمان. فقال «نِعْمَ الْعَبْدُ» كان سليمان «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أى رجاع الى طاعة اللَّه و طلب ثوابه. و قوله «إذ عرض» يجوز أن يتعلق بقوله «نعم العبد» أى نعم العبد حين عرض عليه، و يجوز ان يكون العامل فيه و اذكر يا محمد إذ عرض على سليمان «بِالْعَشِيِّ» يعنى آخر النهار (الصَّافِناتُ الْجِيادُ) و الصافنات جمع صافنة، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة. يكون طرف الحافر على الأرض و قال مجاهد: صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر صفنت الخيل تصفن صفوناً إذا وقفت كذلك قال الشاعر:

الف الصفون فما يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا «١»

---

(١) مر فى ٧/ ٣١٩.

و قال الزجاج و الفراء و غيرهما: كل قائم على ثلاث صافن. و الجياد السراع من الخيل فرس جواد كأنه يجود بالركض، كأنه جمع جود، كما يقال: مطر جود إذا كان مدراراً و نظيره سوط و سياط. و العرض إظهار الشيء بحيث يرى ليميز من غيره، و منه قولهَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا)

و أصله الاظهار قال عمرو بن كلثوم:

و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا «١»

أى ظهرت و أعرض عنى معناه أظهر جفوة بتوليه عنى، و عرض الشيء إذا صار عريضاً.

و قوله تعالى (إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ) قال قتادة و السدى المراد بالخير- هاهنا- الخيل و العرب تسمى الخيل الخير، و بذلك سمى (زيد الخيل) أى زيد الخير. و قيل فى ذلك وجهان:

أحدهما- انه أراد أحببت الخير، ثم أضاف الحب إلى الخير.

و الثانى- انه أراد أحببت اتخاذ الخير، لأن ذوات الخير لا تراد و لا تحب فلا بدّ من شيء يتعلق بها، و المعنى آثرت حب الخيل على ذكر ربى و يوضع الاستحباب موضع الإيثار. كما قال تعالى (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ) «٢» أى يؤثرون، و قوله (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) معناه إن هذا الخيل شغلنى عن صلاة العصر حتى فات وقتها، و هو

قول على عليه السلام و قتادة و السدى، و روى أصحابنا انه فاته الوقت الأول،

و قال الجبائى:

انه لم يفته الفرض، و إنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار ففاته لاشتغاله بالخيل.

و قوله (حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ) معناه توارت الشمس بالحجاب يعنى بالغيبوبة

---

(١) مر فى ٧/ ٩٦.

(٢) سورة ١٤ ابراهيم آية ٣. [.....]

و جاز الإضمار قبل الذكر، لأنه معلوم قال لبيد:

حتى إذا القت يداً فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها «۱»

و قال ابو مسلم محمد بن بحر و غيره: و ذكر الرمانى أن الكناية عن الخيل و تقديره حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى أنها شغلت فكره إلى تلك الحال.

ثم قال لأصحابه (رُدُّوها عَلَيَّ) يعنى الخيل فلما ردت عليه (فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الْأَعْناقِ) و قيل: ان الخيل هذه حربها من غنيمة جيش فتشاغل باعتراضها حتى غابت الشمس و فاتته العصر، قال الحسن: كشف عراقيبها و ضرب أعناقها، و قال لا تشغلنى عن عبادة ربى مرة اخرى. و قيل:

انه إنما فعل ذلك على وجه القربة إلى اللَّه تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها لا لعقوبتها بذلك. و إنما فعل ذلك لأنها كانت أعز ماله فأراد بذلك ما قال اللَّه تعالى (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) «۲» و قال ابو عبيدة:

يقولون: مسح علاوته أى ضربها. و قال ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل و عراقيبها حباً لها. و قال ابو مسلم محمد بن بحر: غسل أعرافها و عراقيبها إكراماً لها، قال: لان المسح يعبر به عن الغسل من قولهم: تمسحت للصلاة، ثم قال تعالى على وجه القسم (وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ) و معناه اختبرناه و ابتليناه و شددنا المحنة عليه (وَ أَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال ابن عباس:

القى شيطاناً اسمه صخر على كرسيه. و قال مجاهد: كان اسمه أصف. و قال السدى: كان اسمه خنفيق و كان ملكه فى خاتمه يخدمه الجن و الشياطين ما دام فى يده، فلما أذنب سليمان نزع اللَّه منه الخاتم، و جعل مع الجنى فاجتمعت

---

(۱) اللسان (كفر).

(۲) سورة ۳ آل عمران آية ۹۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۲

عليه الجن و الشياطين. و قيل: انه كان ذنبه انه وطئ فى ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصاً على كثرة الولد. و قيل: كان ذنبه انه وطئ امرأته فى الحيض.

و قوله (ثم أناب) يعنى تاب إلى اللَّه من خطيئته، فرد اللَّه عليه الملك لان الجنى لما أخذ خاتمه رمى به فى البحر فرده عليه من بطن سمكة- ذكر ما قلناه المفسرون- و الذى قاله المفسرون من أهل الحق و من نزه الأنبياء عن القبائح و نزه اللَّه تعالى عن مثل ذلك هو انه لا يجوز أن يمكن اللَّه تعالى جنياً ليتمثل فى صورة نبى لما فى ذلك من الاستبعاد. و إن النبوة لا تكون فى الخاتم و انه تعالى لا يسلب النبى نبوته، و ليس فى الآية شيء من ذلك، و إنما قال فيها انه ألقى على كرسيه جسداً. و قيل فى معنى ذلك الجسد اقوال:

منها- إن سليمان قال يوماً فى مجلسه و فيه جمع كثير لأطوفن الليلة على مائة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف فى سبيل اللَّه، و كان له فى ما يروى عدد كثير من السرارى، فاخرج الكلام على سبيل المحبة لهذا الحال، فنزهه اللَّه عما ظاهره الحرص على الدنيا، لئلا يقتدى به فى ذلك، فلم يحمل من نسائه إلا امرأة واحدة ولداً ميتاً، فحمل حتى وضع على كرسيه جسداً بلا روح، تنبيها له على انه ما كان يجب ان يظهر منه ما ظهر، فاستغفر اللَّه و فزع إلى الصلاة و الدعاء على وجه الانقطاع، لا على أن ذلك كان صغيرة، و من قال من حيث انه لم يستثن مشيئة اللَّه فى ذلك، فقوله فاسد، لأنه و إن لم يذكر مشيئة اللَّه لفظاً فلا بد من تقديرها فى المعنى و إلا لم يأمن أن يكون خبره كذباً، و ذلك لا يجوز على الأنبياء عند من جوز الصغائر عليهم. قال الحسن و غيره لا يجوز على الأنبياء.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۳

و منها- انه

روى ان الجن لما ولد لسليمان ولد قالوا: لنلقين منه ما لقينا من سليمان، فلما ولد له ولد اشفق منهم، فاسترضعه فى المزن، فلم يشعر إلا

و قد وضع على كرسيه ميتاً تنبيهاً على ان الحذر لا ينفع مع القدر.

و منها- انه ذكر انه ولد لسليمان ولد ابتلاه بصبره فى إماتة ولده على كرسيه. و قيل: انه أماته فى حجره، و هو على كرسيه، فوضعه من حجره.

و منها- ما ذكره ابو مسلم فأنه قال: يجوز ان يكون الجسد جسد سليمان و أن يكون ذلك لمرض امتحنه الله به، و تقديره و ألقينا منه على كرسيه جسداً لشدة المرض، كما يقولون: فلان لحم على و ضم إذا كان ضعيفاً، و جسد بلا روح تغليظاً للعلة، و قوة الضعف.

ثم حكى ما قاله سليمان حين أناب إلى الله، فانه سأل الله تعالى و قال (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أى لا تسلبنه كما سلبته فى الدفعة الاولى، و قال ابو عبيدة معنى (لا ينبغى) لا يكون، و انشد لابن احمر:

ما ام غفر على دعجاء ذى علق تنفى القراميد عنها الأعصم الوقل

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة لا ينبغى دونها سهل و لا جبل «١»

و قال ابو عبيدة: أى لا يكون فوقها سهل و لا جبل أحصن منها.

فان قيل: أ ليس ظاهر هذه الآية يقتضى الشح و الضن لأنه لم يرض بأن سأل الملك، حتى أضاف إلى ذلك ألا يكون لأحد بعده مثله؟! قلنا قد ثبت أن الأنبياء لا يجوز أن يسألوا بحضرة قومهم ما لم يأذن اللّه لهم فى ذلك، فعلى هذا لم لا يجوز ان يكون اللّه تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكاً لا يكون

---

(١) مر فى ٧/ ١٥٣.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٦٤

لغيره كان لطفاً له فى الدين، و أعلمه أن غيره لو سأل ذلك لم يجب اليه، لأنه يكون مفسدة لغيره و لا صلاح له فيه، و لو أن أحدنا صرح بمسألة بهذا الشرط بأن يقول: اللهم اجعلنى أيسر اهل زمانى و ارزقنى ما لا يساوينى فيه احد إذا كانت المصلحة لى فى ذلك لكان هذا جائزاً حسناً، و لم يكن منسوباً إلى بخل، فلا يمتنع أن يسأل النبى ايضاً مثل ذلك.

و قيل: انه لا يمتنع أن يسأل النبى مثل هذه المسألة من غير إذن إذا لم يكن بمحضر من قومه بعد ان يكون الشرط فيه مقدراً.

و قيل فيه وجه آخر، و هو

انه عليه السلام إنما سأل ان يكون ملكه معجزة لنبوته يبين بها من غيره ممن ليس بنبى.

و قوله (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) معناه لا ينبغى لاحد غيرى ممن أنا مبعوث اليه، و لم يرد من بعدى إلى يوم القيامة من النبيين.

و قيل: انه لا- يمتنع ان يكون المراد انه سأل ملك الآخرة و ثواب الجنة الذى لا يناله المستحق إلا بعد انقطاع التكليف. و معنى (لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) لا يستحقه بعد وصولى اليه أحد من حيث لا يصح أن يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف.

ثم بين بعد ذلك انه أعطاه ما سأله فقال (فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ) أى ذللناها له، و التسخير التذليل (تجرى بأمره) يعنى الريح تتوجه إلى حيث شاء (رخاء) قال قتادة معناه طيبة سريعة، و قال ابن زيد: لينة. و قال ابن عباس: مطيعة، و به قال الضحاك و السدى و الرخاء الريح: اللينة و هو رخاوة المرور سهولته و وصفت باللين، لأنها إذا عصفت لم يتمكن منها، و إذا لانت أمكنت. التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٦٥

و قوله (حيث أصاب) قال ابن عباس و مجاهد و الضحاك و السدى:

معناه حيث أراد، يقول القائل: أصاب اللّه بك الرشاد أى أراد الله، و المعنى انها تنطاع له كيف أراد، و قال الحسن: كان يغدو من أبله، و يقيل بقزوين و يبيت بكابل. و الاصابة لحاق البغية، يقال أصاب الهدف بالسهم يصيبه إصابة، و منه الصواب إدراك الحق بالميل اليه، و قوله (و الشياطين) نصبه بالعطف على مفعول (فسخرنا) و تقديره و سخرنا له الشياطين كل بناء و غواص و نصب (كل)

على البدل من الشياطين و هو بعضه فالغواص هو الذى يغوص فى الماء أى ينزل فيه تقول: غاص يغوص غوصاً فهو غائص و غوصه تغويصاً و كل الشياطين يغوصون له فى البحار و غيرها من الأنهار بحسب ما يريد منهم و يبنون له الأبنية العجيبة التى يعجز الناس عن مثلها. و قال قتادة: كانوا يغوصون فى البحار يستخرجون له الحلى منها، و غير ذلك (وَ آخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ) الأصفاد واحدها صفاد، و هو الغل و جمعه أغلال. و قال السدى: السلاسل تجمع اليدين إلى العنق و الصفد الغل. و الصفد العطاء، و بعضهم يقول: اصفدنى قال الأعشى:

[تضيفته يوماً فقرب مقعدى و اصفدنى على الزمانة قائداً «۱»

و ذلك انه ارتبط من شكره بمثل الغل، و (مقرنين) هم الذين قرن بعضهم إلى بعض بالسلاسل.

ثم قال تعالى (هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ) قال الحسن:

معناه هذا الملك الذى أعطيناك، فأعط ما شئت و امنع ما شئت. و قال قتادة و الضحاك: معناه لا تحاسب على ما تعطى و تمنع منه يوم القيامة ليكون أهنأ لك

---

(۱) ديوانه ۴۴ و قد مر فى ۶/ ۳۱۰.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۶

و معناه ليس عليك تبعة. و قيل: معناه بغير مقدار يجب عليك إخراجه من يدك، و يكون بغير حساب، فامنن او أمسك و قال الزجاج: المعنى سخرنا لك الشياطين عطاء لك منا فأطلق منهم من شئت و احبس من شئت فلا حساب عليك منه.

ثم قال تعالى (و إن له) يعنى سليمان (عِنْدَنا لَزُلْفى أى لقربى زيادة على ما أعطيناه فى الدنيا (و حسن مآب) أى و حسن مآل فى العاقبة.

قوله تعالى:[سورة ص (۳۸): الآيات ۴۱ الى ۴۴] ..... ص : ۵۶۶

وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَ عَذابٍ (۴۱) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ (۴۲) وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ (۴۳) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۴۴)

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر (بنصب) بضم النون و الصاد. و قراءة يعقوب بفتحهما.

الباقون بضم النون و إسكان الصاد، و هى لغات أربع. و قراءة هبيرة بفتح النون و إسكان الصاد.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله (و اذكر) يا محمد (عَبْدَنا أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ) فقال يا رب، لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان و متى قال اللهم افعل بى و ارزقنى و عافنى كان داعياً و لا يكون منادياً (أَنِّي مَسَّنِيَ التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۷

الشَّيْطانُ)

(انى) فى موضع نصب لان تقديره انه نادى بهذا القول، و تقديره بأنى مسنى فلما حذف الياء نصب (أنى) و (مسنى الشيطان) أى وسوسنى و ذكرنى ما كنت فيه من نعم اللَّه فى الأهل و الولد و المال، و كيف زال ذلك كله و ما حصل فيه من البلية طمعاً فيه ليزله بذلك و يجد طريقاً إلى إضلاله و تضجره و تبرمه، فوجده صابراً عند ذلك مسلماً لأمر اللَّه تعالى. و قيل:

انه كان وسوس إلى قومه أن يستقذروه و يخرجوه من بيتهم و لا يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم، لان فيه برصاً و جذاماً

ربما عدا اليهم و كان أيوب ينادى بذلك و يألم به. و النصب و الوصب و التعب نظائر، و فيه لغات اربع على ما حكيناه نصب و نصب مثل حزن و حزن و رشد و رشد و رشد، و عدم و عدم، ثم تسكن الصاد مع فتح النون تخفيفاً و تضم النون و الصاد اتباعاً لما قبله. و نقيض النصب الراحة و أصله الإنصاب يقال انصبنى أى عذبنى، و برح بى، و منهم من يقول: نصبنى قال بشر بن أبى حازم:

تعناك نصب من أميمة منصب

و قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمة ناصب و ليل أقاسيه بطىء الكواكب «۱»

و (عذاب) أراد به ما كا يدخل عليه من ألم الوسوسة، فأجاب اللَّه تعالى دعاه و قال (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ) أى ادفع برجلك الأرض، فالركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع، و منه ركض الفرس لاسراعه إذا دفعه برجله.

يقال: ركضت الدابة و ركضتها أنا مثل جبر العظم و جبرته أنا، و حزن و حزنته انا، و فى الكلام حذف و تقديره فركض برجله و ظهر عين ماء، فقال اللَّه

---

(۱) مر فى ۵/ ۳۶۸ و ۶/ ۹۵، ۳۲۹.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۸

له (هذا مغتسل) أى ماء مغتسل (بارِدٌ وَ شَرابٌ) و قال الحسن و قتادة: نبعت له عينان، فاغتسل من إحداهما و شرب من الأخرى، فالمغتسل موضع الاغتسال. و قيل: كل ماء يغتسل فيه فهو مغتسل و غسول- ذكره ابو عبيدة- و فى الكلام حذف، و تقديره إن أيوب اغتسل من تلك العين، فأزال اللَّه تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض.

ثم اخبر بما من عليه زيادة على صلاح جسمه، و زوال ألمه فقال (وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ) لأنه لما رد عليه أهله كان ذلك هبة منه مجددة (وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) و تقديره و وهبنا له مثل أهله دفعة اخرى. و قد ذكرنا اختلاف المفسرين فى ذلك- فى سورة الأنبياء- و أن فيهم من قال أعطاه بكل امرأة امرأتين و بكل ولد ولدين فى دار الدنيا. و منهم من قال ذلك اخبار عما يهبه اللَّه له فى الآخرة. و قيل: إن اللَّه تعالى أمطر عليه جرداً من ذهب و قوله (رحمة منا) معناه فعلنا ذلك لرحمتنا إياه، فهو نصب على انه مفعول له، و يجوز ان يكون نصباً على المصدر (وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ) أى و ليتذكر به و يعتبر ذووا العقول فيصبروا كما صبر.

ثم حكى ما قال له فانه قال له (خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ) فالضغث ملء الكف من الحشيش او الشماريخ و ما أشبه ذلك قال عوف بن الجزع:

و أسفل منى فهدة قد ربطنها و ألقيت ضغثاً من حلا متطيب

أى تطيبت لها. و قيل إنه كان حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائة، فقيل له (خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً) بعدد ما حلفت، فاضرب به دفعة واحدة، فإنك إذا فعلت ذلك، فقد بررت قسمك، و لم تحنث، و هو قول قتادة و الضحاك. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۶۹

و قوله (و لا تحنث) نهى له عن الحنث.

ثم اخبر تعالى عن حال أيوب و عظم منزلته، فقال (إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً) لبلائنا مسلماً لأمرنا. ثم أثنى عليه فقال (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) أى رجاع إلى اللَّه منقطع اليه، و عندنا ان من حلف ان يضرب غيره مائة فضربه بشمراخ فيه مائة طاقة، فقد بر فى يمينه، و فيه خلاف بين الفقهاء.

قوله تعالى:[سورة ص (۳۸): الآيات ۴۵ الى ۵۴] ..... ص : ۵۶۹

وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ (۴۵) إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (۴۶) وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ (۴۷) وَ اذْكُرْ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ وَ كُلٌّ مِنَ الْأَخْيارِ (۴۸) هذا ذِكْرٌ وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (۴۹)
جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ (۵۰) مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرابٍ (۵۱) وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ (۵۲) هذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسابِ (۵۳) إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ (۵۴)

عشر آيات.

قرأ ابن كثير (و اذكر عبدنا ابراهيم) على التوحيد. و الباقون على الجمع. و قرأ نافع (بخالصة ذكرى الدار) مضافاً. الباقون بالتنوين. من التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۷۰

نون جعل (ذكرى) بدلا من (خالصة) و موضعه جر، و يجوز أن يكون نصباً بإضمار (اعنى) او يكون معمول خالصة- فى قول أبى عبيدة- و يجوز أن يكون رفعاً بإضمار هى ذكرى، كما قال (قُلْ أَ فَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النَّارُ) «۱» اى هى النار، قال ابو على: (الدار) يحتمل ان يكون الدنيا و يحتمل أن يكون الآخرة اى باخلاصهم ذكرى فى الدنيا، فإذا حملت على دار الاخرة، فعلى تقدير إخلاصهم ذكرى الدار. و يكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها و من حسابها، كما قال (وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) «۲» فالدار عندهم على هذا مفعول به، و ليست كالوجه المتقدم. فأما من أضاف فانه يكون قد أضاف إلى المفعول، كأنهم باخلاصهم ذكرى الدار و الخوف منها أخلصوا ذكرها و الخوف منها للّه تعالى، و يكون على اضافة المصدر إلى الفاعل و تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار.

و قرأ اهل الكوفة إلا عاصماً (و الليسع) بلامين. الباقون بلام واحدة من قرأ بلامين ادخل على اللام الالف و اللام، ثم ادغم إحداهما فى الأخرى كما قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله «۳»

لأنه قدره تقدير النكرة، و قرأ (هذا ما يوعدون) بالياء ابن كثير و ابو عمرو، و فى سورة ق ابن كثير وحده. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فللغيبة، و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب، و من قرأ (عبدنا) على التوحيد يجوز ان يكون خص به ابراهيم بكونه عبداً له كما خصه بالخلة، و يجوز أن يكون

---

(۱) سورة ۲۲ الحج آية ۷۲.

(۲) سورة ۲۱ الأنبياء آية ۴۹.

(۳) مر فى ۴/ ۲۰۸ و ۷/ ۳۵.

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ۵۷۱

لان لفظه يدل على القليل و الكثير. و من جمع فلانه ذكر جماعة.

يقول اللّه تعالى مخاطباً لنبيه (و اذكر) يا محمد (عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ) فمن قرأ بالجمع فلأنه ذكر جماعة. و من قرأ بالتوحيد فلان لفظة (عبد) لفظ جنس يقع على القليل و الكثير، ثم وصفهم فقال (اولى الايدى) يعنى اولى القوة على العبادة (و الأبصار) الفقه فى الدين- فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة- و قيل: (اولى الايدى) معناه اولى الاعمال الصالحة، و قيل معناه اولى النعم فى الدين، قال الشاعر:

فاعمل لما يعلو فما لك بال ذى لا تستطيع من الأمور تدان

ثم اخبر تعالى عن حال هؤلاء الذين وصفهم، فقال (إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ) فالاخلاص إخراج كل شائب من الشىء ليس من شكله، فهؤلاء الأبرار قد أخلصهم اللّه لنعيم الجنان بلطفه فى ما لازموه من الإحسان، و قوله (بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ) معناه إنا أخلصنا ابراهيم و إسحاق و يعقوب بخلة خلصت لهم. ثم قال (ذكرى الدار) بدلا من (خالصة) اى يذكرون بدار الآخرة و يزهدون فى الدنيا، و يجوز ان يكون

المعنى إنهم يكثرون ذكر الآخرة و الرجوع إلى اللَّه، و معنى (أخلصناهم) اصفيناهم، قال الطبرى: معناه أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة، هذا على قول من أضاف، و هو قول ابن زيد. و من نون فالمعنى الخالصة التى أخلصناهم بها هى ذكرى الدار للعمل لها فناهيك بها من خالصة أدت اليها و هى الجنة.

ثم قال (وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ) و الاصطفاء إخراج الصفوة من كل شيء فهم صفوة و غيرهم كدر، فاللَّه تعالى اصطفى هؤلاء الأنبياء بأن اختارهم لنبوته بحسب ما سبق فى علمه انه يكون منهم من القيام بأعباء التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٧٢

النبوة و المسارعة إلى الخير و التبرز فى الفضل. و الذكر الذى يحتاج اليه على وجهين: ذكر ما يحب بالرغبة فيه و الدعاء اليه و ذكر ما يتقى بالرهبة منه و التحذير منه. و فى ذلك تمام الداعى و الصارف اللذين تقتضيهما الحكمة.

و (الأخيار) جمع خير على وزن (أموات) جمع (ميت) و هو من يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة. و قيل هو جمع (خير) و مثله (الأبرار) جمع (بر) وصفوا بالمصدر، و قال مجاهد و قتادة: (ذكرى الدار) دار الآخرة و قال ابن زيد: هى دار الجنة. كما قال تعالى (وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ) «١» قيل: إنهم كانوا يذكرونها للعمل لها و دعاء الناس اليها. و قيل: ذكرى الدار بالثناء الذى ليس لغيرهم من اجل قيامهم بالنبوة. و قيل: الاصطفاء الاختصاص بمدحهم بأنهم هم الصفوة. و قيل: إنما خاطب اللَّه النبى صلى اللَّه عليه و آله أن يذكرهم بصبرهم و فضلهم ليسلك طريقهم ثم قال له صلى اللَّه عليه و آله (و اذكر) أيضاً (إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ) بمثل ذلك. ثم اخبر عنهم بأنهم كلهم من الأخيار. و قيل ذو الكفل ذو الضعف من الثواب. و قيل كان اسمه ذلك. و قيل: سمى بذلك لأنه تكفل بأمر أنبياء خلصهم اللَّه من القتل به. و قيل تكفل بعمل صالح فسمى به.

ثم قال تعالى (هذا ذِكْرٌ) و معناه إن ما أخبرنا عنهم ذكر أى شرف لهم و ذكر جميل و ثناء حسن يذكرون به فى الدنيا (وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ) يعنى حسن المرجع فى الآخرة، لأنهم يرجعون إلى الجنة. ثم بين ذلك المآب، فقال (جنات عدن) و هو فى موضع جر على البدل من (مآب) و الجنات جمع جنة و هى البستان التى يجنها الشجر (عدن) يعنى موضع إقامة و خلود (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ) قيل تنفتح من غير كلفة، قال الحسن تكلم: انفتحى

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٣٠.

التبيان فى تفسير القرآن، ج‌٨، ص: ٥٧٣

انغلقى، و رفعت (الأبواب) لان تقديره مفتحة لهم أبوابها، فدخلت الألف و اللام بدلا من الاضافة، كما يقولون: مررت برجل حسنة عينه قبيح أنفه يريدون قبيح الانف- ذكره الفراء- و قال الزجاج: تقديره مفتحة لهم الأبواب منها، و لو نصب (الأبواب) لجاز، كقول الشاعر:

فما قومى بتغلبة بن سعد و لا بفزارة الشعث الرقابا

هذا على شبه المفعول. ثم وصف تعالى الذين يحصلون فى الجنة فقال (مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ) فالاتكاء الاستناد الى المساند، و منه الوكاء لأنه يستمسك به ما فى الوعاء (يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرابٍ) أى يستدعون الفواكه للأكل و الشراب للشرب (وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ) يعنى قصرن على أزواجهن فما لهن فى غيرهم بغية، فالقاصر نقيض الماد، يقال هو قاصر طرفه عن فلان و ماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لأثرا «١»

و الاتراب الأقران على سن واحد ليس فيهن هرمة و لا عجوز. قال الفراء: لا يقال الاتراب إلا فى الإناث، و لا يقال فى الذكران قال ابن أبى ربيعة:

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب «٢»

و الترب اللـذة و هو مأخوذ من اللعب بالتراب. و قیل: أتراب علی مقـدار سن الازواج من غیر زیادة و لا نقصان. ثم قال تعالی (هـذا ما تُوعَـدُونَ) فمن قرأ بالتـاء فعلی انه یقـال لهم و یخـاطبون بهـذا القول. و من قرأ بالیـاء فعلی الخبر عن حـالهم (لیوم الحساب) یعنی یوم الجزاء. ثم قال تعالی (إن

---

(۱) دیوانه ۹۱ (شرح السندوسی)

(۲) دیوانه ۵۹ (دار بیروت).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۷۴

هـذا) یعنی الـذی وصـفته من الجنـة و ما فیها من انواع اللذات (لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ) یعنی من انقطاع لأنه علی سبیل الدوام، و هو قول قتادة.

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۵۵ الی ۶۰] ..... ص : ۵۷۴

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاغِینَ لَشَرَّ مَآبٍ (۵۵) جَهَنَّمَ یَصْلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ (۵۶) هذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسَّاقٌ (۵۷) وَ آخَرُ مِنْ شَکْلِهِ أَزْواجٌ (۵۸)
هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَکُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ (۵۹)
قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِکُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ (۶۰)

ست آیات بلا خلاف.

لما وصف اللَّه تعالی اهل الجنـة و ما أعـدّه لهم من انواع النعیم فیها وصف ما أعـده لأهل النار و العصاة من انواع العقاب، فقال (هذا) یعنی هـذا ما ذکرنا لأهل الجنـة. ثم ابتـدأ فقال (وَ إِنَّ لِلطَّاغِینَ) و هم الذین طغوا فی معاصـی اللَّه (لشـر مآب) یعنی شـر مرجع. ثم بین ذلک المرجع فقال (جَهَنَّمَ یَصْـلَوْنَها فَبِئْسَ الْمِهادُ) و إنما وصف جهنم بأنها مهاد لما کانت عوضاً لهم عن المهاد، فسمیت باسمه، کما قال (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ) «۱» و قال قوم: هو علی تقدیر بئس موضع المهاد، و المهاد الفراش الموطأة تقول: مهدت له تمهیداً کقولک وطأت له توطئة، و منه مهد الصبی، لأنه یوطأ له.

ثم قال (هذا فَلْیَذُوقُوهُ حَمِیمٌ وَ غَسَّاقٌ) و تقدیره هذا عذاب جهنم

---

(۱) سورة آل عمران آیة ۲۱.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۷۵

فلیذوقوه حمیم و غسان. و یجوز أن تجعله مستأنفاً کأنک قلت هذا فلیذوقوه.

ثم قلت منه حمیم و غساق.

أمرهم اللَّه بـذواق الحمیم، لاـن الـذواق ابتـداء إدراک الطعم علی طلبه بالفم، و لـذلک یقال: ذقته فلم أجـد له طعماً لما فیه من طلب ادراک الطعم بالفم.

و من طلب إدراک الشـیء کان أشـد احساساً به. و الحمیم الحار الشدیـد الحرارة، و منه الحمی لشـدة حرارتها و حم الشـیء إذا دنا و أحمه لهذا أی أدناه قال الشاعر:

أحم اللَّه ذلک من لقاء أحاد أحاد فی الشهر الحلال «۱»

و الغساق ما یسیل من صدیـد أهل النار. و قال ابن عمر: هو القیح الذی یسـیل منهم یجمع فیسـقونه، و قال کعب الأحبار: الغساق عین فی جهنم یسـیل الیها سم کل ذات حمة من عقرب و حیة. و قیل: هو قیح شدید النتن، یقال: غسقت القرحة تغسق غسوقاً. و التشدید و

التخفیف لغتان. و قیل:

الغساق الزمهریر- فی قول ابن مسعود- فلبرده یحرق کما تحرق النار.

ثم قال (وَ آخَرُ مِنْ شَکْلِهِ أَزْواجٌ) معناه أنواع أخر من شکل العذاب أزواج ای أمثال. و قال الحسن: ذکر السلاسل و الاغلال و نحوه، ثم قال (وَ آخَرُ مِنْ شَکْلِهِ) مما لم یر فی الدنیا. و الشکل- بفتح الشین- الضرب المشابه. و الشکل- بکسر الشین- النظیر فی الحسن، و من قرأ (و آخر) أراد الواحد. و من قرأ (و أخر) أراد الجمع (ازواج) معناه اشکال. ثم قال (هذا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَکُمْ) قال الحسن یعنی به بنی إبلیس، و الآخر بنو آدم یقتحمون معکم النار و عذابها (لا مَرْحَباً بِهِمْ) أی لا اتسعت لهم أماکنهم (إِنَّهُمْ صالُوا النَّارِ) أی لازموها. قال الفراء:

---

(۱) اللسان (حمم).

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۷۶

هی الأمة بعد الأمة تدخل النار. و قوله (لا مَرْحَباً بِهِمْ) من قول أهل النار، کما قال (کُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها) «۱» و قیل هم اتباع الرؤساء فی الضلالة قیل لهم لا مرحباً بهم، و هو نصب علی المصدر (قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِکُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا فَبِئْسَ الْقَرارُ) حکایة ما یردون علیهم من الجواب فإنهم یقولون: بل أنتم لا اتسعت علیکم أماکنکم قدمتموه لنا فبئس القرار الذی استقررنا علیه، و هو مثل قوله «رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ کُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِیلَا رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَیْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً کَبِیراً» «۲» و قرأ حمزة و الکسائی و خلف (غساق)- بالتشدید- الباقون بالتخفیف و هما لغتان. و قرأ ابو عمرو و ابن کثیر (و اخر) مضمومة الالف علی الجمع.

الباقون (و آخر) بفتح الالف ممدودة علی التوحید. و من قرأ علی الجمع، فلقوله (ازواج) و هما لا ینصرفان، لان (آخر) وزنه افعل و اما أخر فلأنه معدول عن الألف و اللام، لأنه لا یستعمل فی الجاریة الکبری و المرأة الأخری إلا بالألف و اللام، فلما عدلوه و عرفوه ترکوا صرفه مثل (سحر) إذا أردت سحر یوم بعینه ترکت صرفه لأنه معدول عن الألف و اللام فی السحر.

قوله تعالی:[سورة ص (۳۸): الآیات ۶۱ الی ۶۵] ..... ص : ۵۷۶

قالُوا رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً فِی النَّارِ (۶۱) وَ قالُوا ما لَنا لا نَری رِجالاً کُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ (۶۲) أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِیًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ (۶۳) إِنَّ ذلِکَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (۶۴) قُلْ إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۶۵)

---

(۱) سورة ۷ الاعراف آیة ۳۷. [.....]

(۲) سورة ۳۳ الأحزاب آیة ۶۸.

التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۷۷

خمس آیات.

قرأ ابو عمرو و حمزة و الکسائی اتخذناهم موصولة علی وجه الاخبار. الباقون بقطع الهمزة علی الاستفهام. و قرأ نافع و حمزة و الکسائی (سخریاً) بضم السین.

الباقون بکسرها.

حکی اللَّه تعالی عن الکفار الذین اتبعوا غیرهم فی الضلال و انقادوا لرؤسائهم فیه انهم یقولون یوم القیامة إذا حصلوا فی عذاب جهنم یا (رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هذا) أی من سبب لنا هذا العذاب و دعانا إلی ما قد استوجبنا به ذلک «فَزِدْهُ عَذاباً ضِعْفاً» أی مثلا مضاعفاً إلی مثل ما یستحقه «فی النار» احد الضعفین لکفرهم باللَّه تعالی و الضعف الآخر لدعائهم إیانا إلی الکفر.

ثم حكى عنهم ايضاً انهم يقولون «ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرارِ» قال مجاهد نزلت فى أبى جهل و الوليد بن المغيرة و ذويهما انهم يقولون مع قرنائهم: ما لنا لا نرى عماراً و خباباً و صهيباً و بلالا الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جملة الأشرار الذين يفعلون الشر و القبيح و لا- يفعلون الخير. و فى تفسير اهل البيت إن هذا حكاية عما يقوله اعداء أهل الحق، فإنهم لا يرون أهل الحق يوم القيامة لكونهم فى الجنة و كون أعدائهم فى النار و كانوا يعدونهم فى الدنيا من الأشرار.

ثم حكى انهم يقولون ايضاً «أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا» فمن قطع الهمزة أراد التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٧٨

الاستفهام الذى معناه التعجب و التوبيخ، و من وصل أراد الاخبار، يعنون الذين كنا نعدهم من الأشرار «أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا» فمن كسر السين جعله من الهزء أى كنا نسخر منهم فى الدنيا، و من ضم السين جعله من السخرة أى كنا نسخرهم و نستذلهم «أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ» و من قطع الهمزة جعل (أم) معادلة و من وصلها جعل (أم) بمعنى بل، قال مجاهد و الضحاك «أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ» أى أبصارنا، فلا ندرى اين هم. و قال الحسن:

كل ذلك قد مثلوا بهم اتخذوها سخرياً و زاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم.

ثم اقسم تعالى ان الذى حكاه من تخاصم اهل النار و مجادلة بعضهم لبعض «لحق» أى كائن لا محالة.

ثم أمر نبيه صلى اللّه عليه و آله فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّما أَنَا مُنْذِرٌ» أى مخوف من معاصى اللّه و محذر من عقابه «وَ ما مِنْ إِلهٍ» أى و ليس من يحق له العبادة «إِلَّا اللَّهُ الْواحِدُ» الفرد «الْقَهَّارُ» لجميع خلقه المستعلى عليهم بسعة مقدوره لا- يقدر احد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه، و من اختار وصل الهمزة فى قوله «أَتَّخَذْناهُمْ» قال لأنهم علموا انهم اتخذوهم سخرياً فى دار الدنيا و إنما اعترفوا بذلك يوم القيامة، يقولون اتخذناهم سخرياً بل زاغت عنهم أبصارنا محقرة لهم. و من قطع الهمزة قال: هذا على وجه التوبيخ لنفوسهم و التبكيت لها. ثم قال ذلك أى ثم يقولون بل زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم.

قوله تعالى: [سورة ص (٣٨): الآيات ٦٦ الى ٧٠] ..... ص : ٥٧٨

رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)

التبيان فى تفسير القرآن، ج٨، ص: ٥٧٩

أربع آيات.

قرأ ابو جعفر «إنما انا نذير مبين» بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

لما وصف اللّه تعالى نفسه بأنه الواحد القهار وصفها ايضاً بأنه «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» أى مالكهما و مدبرهما و مدبر ما بينهما «العزيز» الذى لا يغالب لسعة مقدوراته «الغفار» لذنوب عباده إذا تابوا.

ثم قال قل لهم يا محمد «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» قال مجاهد و السدى يعنى القرآن «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» أى الخبر العظيم و قال الحسن: هو يوم القيامة.

ثم خاطب الكفار فقال «أَنْتُمْ» معاشر الكفار «عَنْهُ مُعْرِضُونَ» عن هذا النبأ العظيم لا تعلمون بما يوجب مثله من اجتناب المعاصى و فعل الطاعات.

ثم أمر نبيه صلى اللّه عليه و آله ان يقول أيضاً «ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى إِذْ يَخْتَصِمُونَ» يعنى بالملإ الأعلى الملائكة اختصموا فى آدم حين قيل: لهم «إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» فى قول ابن عباس و قتادة و السدى، فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحى من اللّه تعالى. و قيل: كان اختصام الملائكة فى ما كان طريقه الاجتهاد. و قيل: بل طريقه استخراج الفائدة، و لا يجوز ان يختصموا فى دفع الحق.

و قوله «إِنْ يُوحى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» قيل فى معناه قولان:

أحدهما- ليس يوحى إلي إلا لأني انا نذير مبين أي مخوف من المعاصي مظهر للحق.

الثاني- ليس يوحى إليّ إلا الانذار البين الواضح.

التبيان في تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٥٨٠

قوله تعالى:[سورة ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٧٥] ..... ص : ٥٨٠

إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ (٧٤) قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ (٧٥)

خمس آيات.

يقول اللَّه تعالى لنبيه محمد صلى اللَّه عليه و آله قل يا محمد «ما كانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلى من الملائكة «إِذْ يَخْتَصِمُونَ ... إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ» يعني آدم عليه السلام، لأن اللَّه تعالى خلقه من طين، فالخلق فعل الشيء على تقدير و ترتيب و كان جعل آدم على مقدار ما تقتضيه الحكمة و اصل الخلق التقدير. و البشر مأخوذ من البشرة، و هي الجلدة الظاهرة، و الإنسان مأخوذ من الانس، لأنه يأنس بمثله في ما يؤنس به، فجرى عليه الاسم، لأن هذا من شأنه «فَإِذا سَوَّيْتُهُ» أي سويت خلق هذا البشر و تممت أعضاه و صورته «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» أي اسجدوا له. و قد بينا في ما مضى أن السجود كان للَّه تعالى و عبادة له و فيه تفضيلا لآدم على الملائكة و قوله «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فالروح جسم رقيق هوائي بها يتم كون الحي حياً لتخرقه في مخارق الإنسان و هو مشتق من الريح، و منه الراحة و الاستراحة من الكد للخفة على النفس كالريح، و منه الأريحة، و الراحة كف التبيان في تفسير القرآن، ج‏٨، ص: ٥٨١

الإنسان لما يتراوح الناس اليها في العمل، و منه الرواح إلى المنزل للاستراحة و معنى «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» أي توليت خلقها من غير سبب كالولادة التي تؤدي اليها، لان اللَّه تعالى شرف آدم بهذه الحال و كرمه. و في الكلام حذف و تقديره إن اللَّه خلق آدم الذي وعدهم بخلقه ثم إن الملائكة سجدت بأجمعها له إلا إبليس الذي أمتنع، و قد بينا اختلاف الناس في أن إبليس هل كان من جملة الملائكة، و من قبلهم او كان في جملتهم يتناول الأمر له بالسجود فلا نطوّل باعادته فمن قال لم يكن منهم، قال (إلا) بمعنى (لكن) و تقديره:

لكن إبليس استكبر و تجبر و امتنع من السجود له، و كان بذلك الاباء و المخالفة من جملة الكافرين.

ثم حكى ما خاطب اللَّه تعالى إبليس به حين امتنع من السجود لآدم «ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» على وجه التقريع له و التهجين لفعله، و إنما قال «بيدي» على وجه تحقيق الاضافة لخلقة اللَّه تعالى، لا انه أمر به او كان على سبب أدى اليه تعالى، و التثنية أشد مبالغة، كما قال الشاعر:

دعوت لما نابني مسوراً فلبى فلبي يدي مسور «١»

لتحقيق اضافة المبالغة الى مسور، و مثله قولهم: هذا ما كسبت يداك أي ما كسبته أنت قال الشاعر:

ايها المبتغي فناء قريش بيد اللَّه عمرها و الفناء

فوحد لتحقيق الاضافة. ثم قال له بلفظ الاستفهام و المراد به الإنكار «أَسْتَكْبَرْتَ» يا إبليس أي طلبت التكبر بامتناعك من السجود له «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ» الذين يعلون على الخلق تجبراً و تكبراً. و قرئ في الشواذ «بيدي أستكبرت»

---

(١) اللسان (سور، لبب).

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۸۲

على وصل الهمزة. و روى ذلک عن مجاهد عن شبل ابن كثير اجتزاء ب (أم) عن الف الاستفهام. و يحتمل أن يكون على اليمين، كأنه اقسم فقال بنعمتى الدينية و الدنياوية تكبرت بل كنت من العالين بهذا الفعل فتكون على هذا (أم) منقطعة و على الأول و هو المعروف تكون معادلة لهمزة الاستفهام.

قوله تعالى:[سورة ص (۳۸): الآيات ۷۶ الى ۸۸] ..... ص : ۵۸۲

قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (۷۶) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (۷۷) وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلى يَوْمِ الدِّينِ (۷۸) قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (۷۹) قالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (۸۰)

إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (۸۱) قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۸۲) إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (۸۳) قالَ فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ (۸۴) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (۸۵)

قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (۸۶) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (۸۷) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (۸۸)

ثلاث عشرة آية فى الكوفى و اثنتا عشرة آية فى ما عداه عد الكوفى «فالحق أقول» و لم يعده الباقون. التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۸۳

قرأ عاصم إلا هبيرة و خلف و حمزة «قال فالحق» بالرفع «و الحق» بالنصب.

الباقون بالنصب فيهما، من رفع تقديره فأنا الحق، و يجوز على تقدير فالحق لأملأن كما تقول: عزيمة صادقة لآتينك، و يجوز على تقدير حذف الخبر، و تقديره:

فالحق منى لأملأن. و من نصب فعلى فالحق لأملأن على القسم، كما تقول: و اللَّه لأفعلن، و يجوز فى مثله حقاً لأملأن، و يكون (وَ الْحَقَّ أَقُولُ) اعتراضاً بين الكلامين، و يجوز أن يكون النصب على تقدير اتبعوا الحق، او أقول الحق. و قال ابو على: من نصب (الحق) الأول فعلى إضمار (فعل) نحو ما ظهر فى قوله «لِيُحِقَّ الْحَقَّ» «۱» و فى قوله «وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ» «۲».

لما حكى تعالى ما قال لإبليس على وجه الإنكار عليه «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ» حكى ما أجاب به إبليس، فانه قال «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و قيل إن اللَّه تعالى خلق الملائكة من الريح فسموا بذلک روحانيين، و خلق آدم من الطين و خلق إبليس من النار، فظن إبليس إن النار أشرف من الطين لما فيها من النور، و لما يكون بها من الانضاح لأكثر ما يحتاج اليه و من الإحراق الذى يقع به الزجر من العقاب فدخلت عليه الشبهة بهذا، و ظن أنه أفضل منه من حيث كان أصله أفضل من اصل آدم، و كيف يجوز أن يفضل آدم عليه السلام عليه. و هذا يدل على ان السجود لآدم كان على وجه التفضيل له على جميع من أمر بالسجود له، و إلا لم يكن يمتنع من ذلک، و لم يعلم إبليس أن اللَّه تعالى إنما أمرهم بالسجود لآدم عبادة له. و إن كان تفضيلا لآدم و إن لهم فى ذلک لطفاً فى تكليفهم فلذلک أمرهم اللَّه بالسجود له، و لو أنعم النظر فى ذلک لزالت شبهته. فقال

---

(۱) سورة ۸ الانفال آية ۸.

(۲) سورة ۱۰ يونس آية ۸۲.

التبيان فى تفسير القرآن، ج۸، ص: ۵۸۴

اللَّه تعالى له «فَاخْرُجْ مِنْها» قال الحسن: يعنى من السماء. و قال غيره:

من الجنة «فَإِنَّكَ رَجِيمٌ» أى مرجوم إن رجعت اليها بمثل الشهب التى ترجم به الشياطين. و أصل الرجيم المرجوم، و هو المرمى بالحجر «وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي» يا إبليس ابعادى لک من رحمتى «إِلى يَوْمِ الدِّينِ» يعنى يوم القيامة الذى هو يوم الجزاء. فقال إبليس عند

ذلـک یـا «رَبِّ فَأَنْظِرْنِی» أی اخرنی «إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ» أی یوم یحشـرون للحسـاب، و هو یوم القیامـة فقـال اللَّه تعـالی له «فَـإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ» أی من المؤخرین «إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم» أی الیوم الـذی قـدر اللَّه فیه اماتتـک، فعلی هـذا لا ـ یلزم أن یکون إبلیس مغری بالقبائـح لعلمه بأنه یبقی، لأنه لا وقت إلا و هو یجوز أن یخترم فیه، و لا یقدر علی التوبة فالزجر حاصل له. و من قال إنه اجابه إلی یوم القیامـة یقول: کمـا أعلمه انه یبقیه إلی یوم یبعثون، اعلمه ایضاً انه من أهل النار لا محالـة، و انه لا یتوب و صـح مع ذلک تکلیفه، لأنه یلزمه بحکم العقـل أن لا ـ یفعـل القبیـح من حیث انه متی فعله زاد عقـابه، و یضاعف علی ما یسـتحق له. و تخفیف العقاب عن النفس واجب بحکم العقل، کما یجب إسقاط العقاب جملة.

ثم حکی تعـالی مـا قال إبلیس فانه اقسم و قال «فَبِعِزَّتِکَ» یا الهی «لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ» فالعزة القـدرة التی یقهر بها غیره من القادرین، و (الإـغواء) التخیب، و إبلیس یغـوی الخلق بـأن یزین لهم القبیـح و یرغبهم فیه. و الغی خلاـف الرشـد، و هو الخیبـة، یقـال: أغواه یغویه إغواء، فهو مغوی إذا دعاه إلی ما فیه الخیبة.

ثم استثنی من جملة من یغویهم «إِلَّا عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ» مع حرصه علی إغواء الجمیع من حیث أنه یئس منهم من حیث علم انهم لا یقبلون منه و لا التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۸۵

ینقادون لاغوائه، و انه لیس له علیهم سلطان إلا بالإغواء، فإذا علم أن منهم من لا یقبل منه عرف ذلک عنه لیأسه منه. و من فتـح اللام من «المخلصـین» أراد إن اللَّه تعالی أخلصهم بما فعل لهم من اللطف الذی امتنعوا عنده من القبائح، و من کسر اللام أراد انهم أخلصوا عبادتهم للَّه، لم یشرکوا معه غیره.

ثم حکی تعـالی مـا أجـاب به- عز و جـل- لإبلیس، فـانه قـال له «فَالْحَقُّ وَ الْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ» فمن رفع الأول أراد، فأنا الحق او فالحق لأملأـن و أقول الحق. و من نصب فعلی تقـدیر. فالحق لأملأن، کما تقول حقاً لأملأن، و یکون «وَ الْحَقَّ أَقُولُ» اعتراض بین الکلامین و یکون العامـل فی (الحق) الثـانی قوله «أَقُولُ» «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ» یا إبلیس «وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ» أی من تابعک علی دعائک إلی المعاصی.

ثم خاطب النبی صـلی اللَّه علیه و آله فقال «قُلْ» یا محمـد «ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ» أی لیس اسألکم أجراً علی دعائکم إلی اللَّه «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ» أی و لست ممن یتعسف فی طلب الأمر الذی لا یقتضیـه العقل، و صـفة (متکلف) صفة تجری مجری الذم، فلذلک قال «وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَکَلِّفِینَ»، لأنه لا یدعو إلا الی الأمر الجمیل الذی یقتضیه الحق.

ثم قـال «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعـالَمِینَ» أی لیس هـذا القرآن إلا ـ شـرف للعـالمین «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ» قـال الفراء: معناه و لتعلمن خبر القرآن و انه حق او خبر محمد أنه صادق بعد حین، قال الحسن: عند الموت یأتیک الخبر التبیان فی تفسیر القرآن، ج۸، ص: ۵۸۶

القین. و قال ابن زیـد: یوم القیامـة، و الحین الوقت، و قال عکرمة: هو کقوله «تُؤْتِی أُکُلَها کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّها» «۱» و ذلک حین تصرم النخلة إلی حین تطلع ستة أشهر و هو مثل ما رواه أصحابنا سواء.

---

(۱) سورة ۱۴ ابراهیم ۲۵ آیة.

تم المجلـد الثـامن من التبیـان و یلیه المجلـد التاسع و أوله أول سورة الزمر طبع فی مطابع النعمان فی النجف الأشـرف فی شـعبان سـنة ۱۳۸۲ ه و فی کانون الثانی سنة ۱۹۶۳ م

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع "القائمیّـة "الثّقافیّ بأصـبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله "الشـمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صـلواتُ اللهِ علـَیهـِم) و لاسـیَّما بحضـرة الإمام علیّ بن موسَـی الرِّضا (علیه السّـلام) و بِساحـة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهـذا أسّـس مع نظره و درایته، فی سَـنـَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُـتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَـنـَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السـیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائـل الدّینیّـة، تخلیف المطـالب النّـافعـة – مکـانَ البَلاتـیثِ المبتذلـة أو الرّدیئـة – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققین و الطّلاّب، توسـعة ثقافـة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسـریعُ إبراز المَرافِق و التسـهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جـهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّهٔ و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

الميزانيّهٔ الحاليّهٔ لهذا المركز، شَعبيّهٔ، تبرّعيّهٔ، غير حكوميّهٔ، و غير ربحيّهٔ، اقتُنِيت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّهٔ و العلميّهٔ الحاليّهٔ و مشاريع التوسعهٔ الثّقافيّهٔ؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّهٔ) و مع ذلک، يرجو مِن جانب سماحهٔ بقيّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.



مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹